



١٤١٠
بسم الله

عليه
ننوكل و به
فيسر يعين
سر ع

الفصل الخامس

السياسة الإدارية والمالية للخليفة يزيد بن عبد الملك

المبحث الأول : سياسة يزيد بن عبد الملك الإدارية .

المبحث الثاني : سياسة يزيد بن عبد الملك المالية .

المبحث الاولسياسة يزيد بن عبد الملك الادارية

ما قيل عن سياسته الادارية ، واهم معالمها :

تولى يزيد بن عبد الملك امر المسلمين بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فسار بسيرته برهة من الزمن ، ثم ترك نهجه ، واتخذ نهجا آخرًا تابع فيه كثيرا من سياسات اسلافه من بنى امية الادارية والمالية . فلم يات ببديعا من الامر ، لكنه خالف عمر بن عبد العزيز فى بعض اعماله ، وخاصة فى المجال المالى .^(١)

لقد قدمنا بهذه المقالة عن سياسة الخليفة يزيد حتى لا يندفع دارس التاريخ مع بعض ما قيل عن يزيد من انه اتى على املاحات عمر ، فهدم كل ما بناه ، وجر الدولة الى هاوية الانهيار . ولوضوح الصورة لابس ان نعرض نماذج من اقوال بعض المؤرخين فيه ، ثم نعرض لعموم سياسته داخلين بالحجة ماورد فى هذه المقولات من مغالاة .

يقول ابن الاثير : "عمد يزيد الى كل ما صنع عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فردده ، ولم يخف شناعة عاجلة ولا اثما عاجلا" . ويقول اليعقوبى : "وعزل يزيد عمال عمر بن عبد العزيز جميعا" .^(٢)^(٣)

- (١) عن مجمل سياسة عمر بن عبد العزيز الادارية والمالية ، انظر قبل : التمهيد ، ص ٦٧-٦٩ .
وسنعرض لبعض تفاصيلها فى ثنايا هذا الفصل وخموما ماوافق يزيد عمر فيه ، او خالفه .
(٢) الكامل ، ١٦٦/٤ - ووافقه ابن تفرى بردى : النجوم ، ٢٣٩/١ .
(٣) تاريخ اليعقوبى ، ٣١٠/٢ .

(١)
ومع ان عماد الدين خليل ، ادرك مافى مقولة ابن الاثير
من المبالغة ، واراد ان يكون واقعيا ، فقال : سجد ان
يزيد لم يعمد الى رد كل ماصنه عمر ، مما لم يوافق هواه ،
وانما الى بعضه فحسب . وبرر مقولة ابن الاثير وغيره ممن
حذا حذوه ، بان قولهم جاء نتيجة خيبة الامل التى اميبوا
بها من جراء ماآلت اليه التجربة الكبيرة التى نفذها عمر
ابن عبد العزيز من انتكاس . واوضح ان الذى قاد الى
الانتكاس حقا ، لم يكن هدم الخليفة يزيد لبعض جوانب سياسة
عمر ، بل فقدان الرؤية وضياع الاستراتيجية . والحقيقة ان
فى قوله بعض الحق ، لكنه كغيره تابع قول اليعقوبى من ان
يزيد عزل جميع عمال عمر . وهذه المقولات اتخذها بعض
المؤرخين دليلا على عودة الدولة الى سابق عهدها ، وان يزيد
حاد عن طريق عمر واصلاحاته . مستهدفا بذلك احكام قبضته على
نواحى دولته وتنفيذ سياساته المتشددة .
(٢)

ولكننا نجد بين الباحثين من ادرك مافى هذه المقولات
من مبالغة ، فعمل على انصاف يزيد ، يقول حسين عطوان عن
موقف يزيد من عمال عمر : "وابقى يزيد عمال عمر بن
(٣)

-
- (١) دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٠ .
(٢) عماد الدين خليل : نفس المرجع ، ص ٣٠٦ (وقد اعتبر
هذا الاجراء خسارة كبرى منيت بها الادارة الاموية) .
(٣) فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٧ - محمد
كرد على : الادارة الاسلامية فى عز العرب ، ص ١١٤ - عبد
الله الخطيب : الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢١ (ذكر
ان سبب عزلهم ، عدم تعاونهم فى تطبيق سياسته التى
اراد من ورائها نصف كل المكاسب التى حصل عليها
الموالى والضعفاء من الناس) - فاطمة عبد القادر
رضوان : المغرب فى عمر الولاة الامويين ، ص ٥٨ .
(٤) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٦-١٧ .

عبد العزيز في وظائفهم ، وأمرهم أن يسيروا بسيرته ، ولم يفعل احدا منهم في السنة الاولى من خلافته ولا في مطلع السنة الثانية منها ^{كما يتبين قوله ما تحفظ على بعضه فيقول:} ، حتى اذا شار عليه يزيد بن المهلب بالبصرة وحبس واليها عدى بن اوطاة الفزاري ، وقتله ، وهدد الخلافة الاموية بعد انضمام القبائل اليمنية والربعية العراقية اليه ، ومناذاته بالرجوع الى الكتاب والسنة ، حينئذ سير يزيد بن عبد الملك اليه اخاه مسلمة بن عبد الملك ، وابن اخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، في جيش اهل الشام من قضاة وكتب ، وآزرتهما في النصرة القبائل المضربة من قيس وتميم ، فقتلا يزيد بن المهلب بالعقر من ارض بابل ، وتمقب جندهما وقادتهما فلول المعالبة بفارس وابادوها ، وكشفت ثورة ابن المهلب عن خطر القبائل اليمنية العراقية على الخلافة الاموية ، فاعاد يزيد بن عبد الملك النظر في سياسته الداخلية ، واحداث تغييرات شاملة في الوظائف الادارية ، فاقصى القبائل اليمنية وجفاها ، واصطنع القبائل القيسية وانحاز اليها ، اذ عهد بولاية العراق الى اخيه مسلمة ، فعين على خراسان سعيد بن عبد العزيز الاموي ، ولم يلبث ان عزل اخاه مسلمة عن العراق وخراسان ، لانكسار خراج العراق في ايامه وولى عليها عمر بن هبيرة ، فعرف سعيد بن عبد العزيز الاموي ، عن خراسان واستعمل عليها سعيد بن عمرو العرشي .

ثم يشير الى تقدير الخليفة لدور يمنية الشام وولائها فاحتفظ لها بمنزلة مرموقة ، واختار منها كثير من موظفيه في دمشق ، وعماله على الامصار عدا المشرق. كما ناقش بعض (١)

(١)

ماورد حول سياسته المالية من نصوص .

ومع ما فى قوله من المحبة ، فانه ليس دقيقا ، فقد عزل يزيد بعض عمال عمر منذ توليه ، وقبل حدوث حركة ابن المهلب لكنه لم يعزل الجميع كما قال ، فقد أبقى يزيد بعض عمال عمر وعزل آخرين ، كما عاد فعين بعض من كان قد عمل فى خلافة عمر ، وسنبين ذلك عند مناقشتنا لهذه المقولات فى الصفحات التالية ، وذكرنا لعماله على الاقاليم ولاية وعزلا .

ويهمنا فى هذه الدراسة الوصول الى حقيقة سياسته فى ضوء هذه المقولات وما توفر لدينا من نصوص عن سياسته الادارية وفى ضوء ذلك يتبين مدى صحة كل مقولة او خطتها .

ولنبدا بما اشارت اليه كثير من المصادر الى عزم الخليفة يزيد التامس بسلفه عمر ، فسار على نهجه مدة من الزمن ، لكن قرناء السوء والجهلاء لم يتحركوه ، فحسنوا له الظلم ، حتى عدل عن نهج عمر .^(٢)

والحقيقة ان يزيد لم يعدل الى امر لم يكن ، بل عاد الى نهج اسلافه من بنى امية قبل عمر ، ويتضح هذا من خلال اوامره بالعودة الى تطبيق بعض سياسات واجراءات اسلافه من بنى امية قبل عمر ، وخموصا المالية منها ، ويؤيد ذلك ما نص عليه ابن قتيبة من عودة يزيد الى سياسة اخيه الوليد بن

(١) انظر ذلك بعد : ص ٤٦٥ وما بعدها .

(٢) الذهبى : تاريخ الاسلام ، ٢١٣/٤ - الذهبى : دول الاسلام ٥٥/١ - الياقنى : مرآة ، ٢٥٣/١ - ابن كثير : البداية ط ١٦ ، ٢٦٠/٩ - القرمانلى : اخبار الدول وآثار الاول ، طبعة بغداد ، ص ١٤٠ - وانظر ماوردناه من اقوال المؤرخين فى هذا العدد ، خلال دراستنا لسيرة يزيد بالفعل الاول .

(٣) سيتضح ذلك من خلال حديثنا عن سياسة يزيد الادارية والمالية فى ثنايا هذا الفصل .

(١)
عبد الملك ومنهجه .

والصحيح أن يزيد راح ضحية قول ابن الأثير برده كل مامنعه عمر ، وماأورده اليعقوبى من عزله جميع عمال عمر ، كما أن مجيئه عقب خلافة عمر جعله متواريا فى ضلالها لايرى ، وأن رؤى كان فى صورة الخليفة الالهى المنغمس فى الملذات ، قد شغله عثق جاريثيه حباة وسلامة عن مباشرة أمور الدولة وشئون الحكم ، وذلك كما صورته كثير من المصادر التى تناولت سيرته الذاتية ، فى شيء من المبالغة والتحويل .^(٢)

وبتفحص الروايات عن شخصية يزيد وسياسته ، يتبين أن الاختلاف بين شخصيتى يزيد وسلفه عمر هو الذى كان وراء الاختلاف بين سياسة الرجلين ، فقد غلب على عمر الوازع الدينى ، فاستمست سياساته بالروح الاسلامية ، مما دفعه الى تطبيق السياسة الاسلامية على نظم الحكم ، كما فاقه عمر من حيث القدرة والكفاءة الادارية ، والمفهوم الدائم ، والانصراف الى العمل وتحمل المسئولية .^(٣)

والحق أن يزيد لم يدع الأمور تجرى بلاضابط أو لغيره ، فلم يكن بالبعيد عن ادارة دفة الحكم ، فسنجده وراء الكثير من الاحداث ، يعالجها ويوجهها ويخطط لها . لكنه لم يعط كل جهده ووقته واهتمامه لشئون دولته كما كان يفعل سلفه عمر . ومع ذلك فقد حرص على بقاء دولته معابة مملوكة فى الداخل

(١) انظر قول ابن قتيبة بذلك قبل : الفصل الاول ، ص ٥٤٦ -

٥٤٨ .

(٢) عما قيل حول سيرة يزيد الذاتية ، وأثرها على تموير شخصيته ، وماتوصلنا اليه حول ذلك ، (انظر : الفصل الاول) .

(٣) من أجل ذلك انظر ماكتبه عماد الدين خليل عن تميز شخصية عمر الادارية فى بحثه : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٣-٣٠٤ .

والخارج ، ونجح في ذلك باخماد كل الحركات الداخلية التي حدثت في زمنه ، ومد القوى الخارجية الطامعة في حدود دولته وان كان قد اتخذ في سبيل تحقيق ذلك سياسات تخالف نهج سلفه (١) عمر .

وحقيقة سياسته انه لم يحدث تغييرا شاملا منظما لسياسة سلفه عمر . وذلك لانه ابقى على بعض ماصنعه عمر ، واعاد بعض ماكان عليه الحكم قبل عمر ، واتخذ ما لم يفعله غيره . اى ان خروجه عن نهج عمر كان نسبيا . وهذا ماذهب اليه ابن تفرى بردى ، الذى قال : "غير ان لما ولى الخلافة بعد عمر ابن عبد العزيز غير غالب ماكان قرره عمر" . وقال : ثم عزل جماعة من العمال . فلم يقل غير كل ماقرره عمر ، او عزل جميع عماله . ويببدو جليا ان الخليفة يزيد لم يكن يملك الرؤية البعيدة ، ولم يعمل وفق استراتيجية مرسومة ، كما يظهر انه لم يحط بظروف دولته بعد حركة الفتوح الكبرى التى تمت في عهد اسلافه ، واهمية استيعاب الدولة للمتغيرات التى تعيشها ، من جراء دخول اجناس ومذاهب مختلفة متباينة ، كان على الدولة صهرها في جسم الامة ونشر الدين الاسلامي بينها ، وهذا ماالمه عمر وسعى اليه ، الا ان الخليفة يزيد لم يدرك ذلك ، فعاد الى سياسة من سبق عمر من خلفاء بنى امية . وذلك عن طريق العودة الى تنشيط حركة الفتوح ، وغرب المعارضة بكل قوة ، واهمال اصلاح الداخلى ، وعدم الاهتمام

(١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٤ .

(٢) النجوم ، ٢٣٨/١ - ٢٣٩ .

(٣) ذهب لمثل هذا القول عماد الدين خليل : نفس المرجع ، ص ٢٩٠ .

بمصر القوى الجديدة في أمة الإسلام ، وتطبيق أحكام الإسلام السامية عليهم .

وللحق أن سياسة يزيد لم تكن وراء الوهن الذي أصاب دولة بني أمية ، لكنه بعدم إدراكه ما تحتاجه الدولة في تلك المرحلة من إصلاح وماتعيشه من متغيرات ، استمر في سياسة أسلافه قبل عمر ، وأدار ظهروه للكثير مما صنع عمر ، فاستمر الوهن في عهده ، وجرت بعض سياساته الدولة نحو هاوية الانهيار ، وإن كان هذا الوهن والتدهور لم يظهر جليا في زمنه ، بل استطاع الإبقاء على حدود دولته مصونة ، وكيانها موحدا مهابا ، فظل ينخر في جسم الدولة متواريا ، حتى ظهر ذلك متأخرا فيما بعد .

ولنأت الآن على الهيكل الإداري وأهم معالم سياسته ، ولنبدأ بشخص الخليفة ، فنجد حريصا على دولته ، وكثيرا مانجده على رأس الأحداث ، يباشرها بنفسه ، مخططا وموجها ومتابعها . كمتابعته حركة ابن المهلب ، وتوجيه الجيوش للقضاء عليها ومتابعة أحداثها وإمداد التوجيهات نحوها . وكذلك مباشرة بعض الحركات الخارجية ، والسعى إلى إخمادها سلما ، أو توجيه القوى إليها والقضاء عليها حربا . وكذلك مباشرة حركة شيريم اليهودي^(١) . كما يتبين ذلك من مواجهة الأخطار على الحدود وتوجيه القيادات إليها وذلك كما حدث من توجيهه الحرشي للقضاء على تمرد المغد ومد الترك فيما وراء النهر ، وتوجيه الجراح الحكمي في جيش إلى الخزر في

(١) من أجل دوره في هذه الحركات ، انظر ما كتبناه عنها قبل : الفصل الثاني .

(١) أرمينية . ونسرا وراء بعض الاوامر والقرارات الادارية والمالية ، ومعاملة الموالى واهل الذمة ^(٢) . ومع ذلك فهو لم ينذر نفسه وكل وقته وجهده لدولته وتحمل مسئولياتها ، ان نجد بين ثنايا المصادر بعض الروايات الدالة على احتجابه عن الناس ومباشرة امور الامة ، والانغماس في الوان من اللهو ^(٣) والمعبث .

ولانفمط الخليفة يزيد حقه كاداري ، فقد تميزت شخصيته بالحزم والمرونة والواقعية ، وهذا ما اتضح من مواقفه تجاه الاحداث ، فقد تجلى حزمه في تعامله مع بعض الحركات الداخلية ، ومواجهة الخطر الخارجى ، كجديته وحزمه في اخماد حركة ابن المهلب ومواجهة خطر الترك والمغد فيما وراء النهر ، والخز في أرمينية . اما المرونة واللين فنلاحظها في تعامله مع حركة عقبان الحرورى ، عندما لجأ للطريق السلمى في اخمادها ، فكان موفقا ، وكذلك ملاينته لاهل الكوفة ابان حركة ابن المهلب حتى يلهمن لزومهم الحياد ^(٤) وعدم انضمامهم لخصمه .

اما واقعيته فلعلها تتجلى في اقرار تصرف البربر عندما قتلوا اميرهم يزيد بن ابي مسلم وولوا عليهم غيره ^(٥) . فجنب الدولة كثيرا من المشاكل ، ووفر عليها كثيرا من الجهد والمال . وينطبق على ذلك عزله عبد الرحمن بن الفحاك

-
- (١) من اجل ذلك انظر ماكتبناه عن دوره في الفتح وتوجيه القوى الى الحدود : الفصل الرابع .
 (٢) ستجد هذه الاوامر والقرارات بين ثنايا حديثنا في هذا الفصل .
 (٣) انظر تلك الاقوال في ثنايا حديثنا عن سيرته بالفصل الاول .
 (٤) انظر قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول والثانى ، والفصل الرابع ، المبحث الاول والثانى .
 (٥) من اجل ذلك انظر بعد : ص ٥١٦ .

عامله على المدينة ومكة ، بعد ان اذى الانصار والغلب العلويين . فتدارك هذه الواقعة الامر قبل قوات الاوان ، مما ينهى عن رغبة جادة فى تصحيح الخطا ، واطفاء النار قبل اشتعالها .^(١)

(٢)
لكن بعض المؤرخين المحدثين يخيرون الى ان الخليفة يزيد بن عبد الملك تميزت سياسته باللجوء الى الشدة والعنف خصوصا مع اهالى الاقاليم المفتوحة حديثا ، ومن ذلك سياسته التعسفية مع البربر ، ويقولون انه لم يقر سياسة عمر التسامحية ، وانه كان يرى ان سياسة التهريب اجدى على الدولة ، واعتبروا استعماله ليزيد بن ابي مسلم دليلا يوضح مرامي الخليفة يزيد . ونحن لاننكر تشدد يزيد فى الناحية المالية ، وهذا ماسيتبين من دراستنا لسياسته المالية . لكنه كادارى لم يلجأ للعنف والتهريب ، وقد اوردنا اثفا امثلة على مرونته وواقعيته ، بل وتسامحه مع المراقبين بعد تعفية حركة ابن مغلب ، ومع البربر بعد مقتل عامله يزيد بن ابي مسلم . وهذا يدل على مبالغة هؤلاء المؤرخين ، الذين فيما يبدو ان كراهيتهم لسياسة الحجاج ، وكون ابن ابي مسلم من رجاله ، وقد اراد السير على نهجه فى افريقية جعلهم

(١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٨-٢٩٩ . ومن اجل اسباب عزل ابن الضحاك ، وموقف الخليفة ، انظر بعد : ص ٤٥٤-٤٥٥ .

(٢) فاطمة عبد القادر رفوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٥٨ - فرج العونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٨ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/٢٩٣-٢٩٤ - حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه ، لم تطبع ، مقدمة لقسم التاريخ ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ١٨ .



يتهمون الخليفة يزيد بالتمسك لاستعماله رجلا يمثل سياسة
الحجاج التمسكية . وهو في الحقيقة قد انكر ما اعتزمه ابن
ابى مسلم ، ولم يحاسب اهل افريقية على قتله ، بل ان ابن
ابى مسلم في حقيقة الامر لم ينفذ ما اعتزمه من سياسات .^(١)

وكان الخليفة يزيد محاربا للفساد الاداري اذا ما ظهر
له ، فسنجده يعزل اخاه مسلمة بن عبد الملك عن اماره
المشرق ، لعدم رفعه الخراج كما قالت بذلك بعض المصادر .^(٢)
كما عزل الوليد بن هشام الاموي عامله على قنشرين عندما
تبين نفاقه . وكان هذا عاملا لعمر بن عبد العزيز ، احب ان
يرأى الخليفة عمر ، فكتب اليه بزيادة رزقه عن نفقته وطلب
انقاص الفائض . فادرك عمر مراميه ، وامر بانقاص ما اشار
اليه ، وكتب الى ولي عهده يزيد يخبره بذلك ويقسم عليه ان
سأله الوليد شيئا من ذلك بعد وفاته ان لا يعطيه . وما ان
توفي الخليفة عمر حتى صدق حده ، فقد كتب الوليد الى
الخليفة يزيد يدعي ان عمر نقمه رزقه وظلمه ، فغضب يزيد ،
وامر بعزله وتخريمه كل ما جرى عليه من رواتب وارزاق منذ
ولايته ، ولم يلى له عملا بعد ذلك حتى وفاته . وينطبق على^(٣)
ذلك أيضا عزله عبد الرحمن بن الحجاج عامله على المدينة
عندما اراد استغلال سلطاته في اغراغه الشخصية وذلك عندما

(١) سنناقش سياسة ابن ابي مسلم مع البربر وموقف الخليفة
في الصفحات القادمة .

(٢) مجهول : العيون ، ٧٥/٣ - عبد الله الخطيب : الحكم
الاموي في خراسان ، ص ١٢٣-١٢٤ (والجاف : ان مسلمة
انهمك في استملاح الارامل في العراق وجمعا الى املاكه
الواسعة) ، ومثله قال ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٩ .

(٣) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامي ، ص ١٧٥ .

(١)

أراد أن يرغم فاطمة بنت الحسين بالتزويج منه .

(٢)

لكن عماد الدين خليل ، يتهم الخليفة يزيد بأن أقالته رجاله وتعيينهم لم يتم وفق برنامج عمل واضح وخطة شابتة ، لعدم صنعهم شيئا ذي بال ، كما أن اختياره لهم لم يكن على أساس القدرة والكفاءة ، وإنما لعوامل غير موضوعية ، وبخامة الانحناء القبلى .

ويبدو أنه يرمز هنا لما ذهب إليه كثير من المؤرخين وهو تعصب يزيد للقيسية . لكن هذا القول فيه كثير من عدم الدقة ، فبمجرد النظر فى قوائم عماله وتراجمهم يتضح أنه اعتمد على اليمينية فى كثير من أعماله وولايات الدولة . وفى ذلك رد شاف على مثل هذه المقولات . هذا وسنشير لاحقا الى كفاءة رجاله وأن الكثير منهم من أهل الثقة .

(٤)

ونحن لانفى حدوث بعض مظاهر الفساد الإدارى فى زمنه ،

بل أنه من المفترض هنا الإشارة الى أن الخليفة يزيد كان

(١) الطبرى : تاريخ الأمم ، ١٢/٧-١٤ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢-٣١٣ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨٨/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩ - الذهبى : تاريخ الإسلام ، ١٤٣/٤ .

(٢) دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٤ .

(٣) انظر ماكتب عن ميله الى النزعة القيسية فيما كتبه : عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ - ناجى حسن : القبائل ، ص ٢٠٠-٢٠١ - عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ١٤٩-١٥٠ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٤٢-١٤٣ - فرج الهوشى : النظم الادارية والمالية ، ص ١٦٠-٢٦١ - ابراهيم بيغون : الدولة العربية فى اسبانيا ، ص ١٠٠-١٠٢ - محمد شعبان : صدر الاسلام والدولة الاموية ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ١٥٤ .

(٤) انظر ماكتبناه فى الصفحة السابقة عن اسباب عزل مسلمة وانظر ماكتبته عن سياسة عماله فى الولايات فى الصفحات التالية ، لترى بعض مور ذلك الفساد . وانظر / عماد الدين خليل : نفس المرجع ، ص ٣٠٤ .

قليل الاهتمام بمراقبة عماله وتوجيههم ، فقد افتقرت المصادر الى اى اشارة لمثل هذا الاهتمام .^(١)

وقبل ان نخرج من الحديث عن شخصية يزيد الادارية ، نشير الى تغير البطانة المحيطة بخليفة المسلمين ومجالس الحكم ، فيتحقق ان الخليفة يزيد اعاد بعض مظاهر الخلافة وابهة السلطان ، كما وردت الاشارات الى ميله للحو ، وسماع الفناء والمغنيين ، بل وانصرافه الى ذلك عن شئون الحكم . وقد ناقشنا مدى صحة هذا القول خلال حديثنا عن سيرة الخليفة يزيد . ومع ذلك نجد ابن خلكان يشير الى ان الخليفة يزيد كان يجلس للمظالم ، فتعرض عليه مظالم الناس وحاجاتهم .^(٢)

ويشير اليعقوبى ، الى غلبة رجل يدعى سعيد بن خالد بن عمرو الاموى على الخليفة يزيد . وهذا القول لليعقوبى لانجد له مثيلا فى المصادر الاخرى ، ولا تؤيده الاحداث . وبالنظر فى ترجمة الرجل ، يتبين انه من المحدثين الخقات . وهذه الرواية ان صحت ، فانها حجة ليزيد لاحجة عليه ، تدل على تقريبه اهل الصلاح والاستقامة بهم . مع تأكيدنا ان دلائل الاحداث لم تشير الى نفوذ لهذا الرجل وتسلطه على شخص

-
- (١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣١٠ .
 (٢) حرد الاشارات بين ثنايا الاخبار على تلقى الاخبار ، او اخذ المشورة من رجاله ، وامدار الاوامر ، وتوجيه الجيوش ، والاستماع الى الشعراء فى مجالسه .
 (٣) انظر ماورد فى ذلك قبل : الفصل الاول .
 (٤) وفيات ، ٤٧٢/٣-٤٧٣ .
 (٥) تاريخ اليعقوبى ، ٢/٢١٤ - عماد الدين خليل : نفس المرجع والصفحة (نقلا عن اليعقوبى ، ٣/٥٨) ، لكنه اورد اسمه يزيد بن سعيد ابن خالد . وبالرجوع الى اليعقوبى ذكره سعيدا بن خالد كما اخبثناه فى المتن .
 (٦) سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان الاموى ، محدث ثقة ، كان قد سكن دمشق . (ابن حجر : تهذيب ، ٤/١٩) .

الخليفة . كما تشير بعض المصادر الى غلبة حيازة جارية يزيد عليه ، وتدخلها في استعمال الولاة وعزلهم .^(١)

ويذكر ان الخليفة يزيد لم يتنزه عن استغلال سلطاته وحقوق المسلمين في اغراضه الخاصة ، من ذلك بطشة بخالد بن المطرف من آل عثمان بن عفان عندما ألزم الخليفة مهرا باهظا لاخته التي تقدم الخليفة للزواج منها .^(٢)

ومن ذلك امره عامله على مكة أن يحمل رجلا من آل أبي لهب على دواب البريد وأن يعطيه ألف دينار نفقة ، ويبعث به الى الشام من أجل أن يسمع منه شعرا يحسن أداءه . ويزيد في هذا نقيض عمر في تنزهه عن حقوق المسلمين .^(٣)^(٤)

أما سياسة يزيد في إدارة الولايات ، فقد اتبع النهج الأموي في اطلاق يد العامل وجعل ولايته عامة . بل أنه عاد الى ضم الولايات الى بعض ، فجمع العراقيين لمسلمة بن عبد الملك ثم لعمر بن هبيرة وفوض لهما امر المشرق كله ، كما^(٥)^(٦)

(١) اليعقوبي : مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ٢٠ - ابن قتيبة الممارف ، ط ٤ ، ص ٤١٨ - الاسفهاني : الأغاني ، ١٢٧/١٥ - ١٢٨ . وانظر ماوردناه خلال الحديث عن سيرة يزيد في الفصل الأول من القول بذلك .

(٢) البلاذري : أنساب ، ١١١/٥ .

(٣) المسمودي : مروج ، ٢٠٨/٣ - ٢٠٩ .

(٤) يذكر أن عمر بن عبد العزيز باع مسلا وجعل ثمنه في بيت المال ، عندما علم أن عامله الذي أرسله اليه قد حمله على دواب البريد ، كما أنجب عامله وهذده بعدم استعماله أن عاد الى محل ذلك . (انظر : ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٨٨) .

(٥) محمد كرد علي : الإدارة الإسلامية في عهز العرب ، ص ٩٥-٩٦ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦٠٤/٦ - ٦١٧ ، ٦٠٥ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٧/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٨/٩ . وانظر ماسنكتبه عن ذلك بالتفصيل في الصفحات التالية .

جمع لعبد الواحد النمرى المدينة ومكة والطائف . واعاد
 الاندلس تابعة الى ولاية افريقية .^(٢)
 الا انه لم يطبق السياسة الاموية فى العمل بين السلطة
 الادارية والمالية ، الا فى مصر ، والمدينة . فقد اعاد
 اسامة بن زيد على خراج مصر . اما بقية الاقاليم ، فقد جمع^(٤)
 لولاها السلطات الادارية والمالية ، فلم نعرض على نص يدل
 على ذلك بل اننا نجد نموما تدل على استعمال الامراء ،
 والقضاة ، وعمال الخراج والمدقات والدواوين بشكل عام ،
 ونوابهم على المناطق التابعة لهم ، من قبلهم . فافحت^(٥)

- (١) عبد الواحد بن عبد الله بن كعب النمرى الدمشقى ،
 تسمى ، من رواية الحديث الثقات . ولى المدينة ومكة
 والطائف (سنة ١٠٤هـ) فكان محمود الامارة ، لا يقطع امرا
 الا استشار فيه القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ،
 وذهب مذاهب الخير ، لم يقدم عليهم وال احب اليهم منه ،
 وكان عفيفا ، صالحا . وقد كانت ولايته من قبل الخليفة
 يزيد بن عبد الملك ، فبقى الى ان عزله هشام (سنة
 ١٠٦هـ) . (ابن حجر : تهذيب ، ٢٨٧/٦ - ٢٨٨ - ابو زرعة :
 تاريخ ابي زرعة ، ١٩/١ - الزركلى : الاعلام ، ١٧٦/٤)
 ويرد نسبه فى المصادر : "النمرى" ، و"النمرى" ،
 و"القصرى" ، والاصح ما ائتمناه فى المتن .
- (٢) من اجل ذلك ، (انظر : الطبرى : تاريخ الامم ، ١٢/٦ - ١٤
 - وكيع : اخبار القضاة ، ١٥٠/١ - ابن الاثير : الكامل ،
 ١٨٨/٤ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ١٤٣/٤ - ابن كثير :
 البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩) .
- (٣) مجهول : اخبار مجموعة ، ص ٣١-٣٢ - محمد عنان : دولة
 الاسلام ، ص ٨٢ (وانظر ماسنكتبه عن ذلك فى الصفحات
 التالية) .
- (٤) من اجل اعادة اسامة بن زيد الى مصر ، (انظر : ماجدة
 فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد
 المظالم ، ص ١١٩) . وانظر القول بفعل الامويين بين
 السلطات الادارية والمالية عند (فرج الهونى : النظم
 الادارية والمالية ، ص ١٩١) وسيتمتع تبعية صاحب خراج
 المدينة للخليفة يزيد مباشرة من قصة فاطمة بنت
 الحسين مع ابن الضحاك . (انظر بعد : ص ٤٥٤ ، ٤٥٥) .
- (٥) يتبين ذلك من دراستنا لعماله على الاقاليم وسياستهم
 الادارية . (انظر الصفحات التالية - وانظر فرج الهونى
 نفس المرجع ، والصفحة) .

الولاية وكانها نيابة عامة عن الخليفة ، يستمد الأمير فيها سلطاته من سلطة الخليفة . ومع ذلك فقد كان يتدخل اذا مالزم الامر واقتضت الحاجة والمصلحة ، من ذلك امره ابن هبيرة عامله على المشرق استعمال الحرشي على خراسان .^(١)

ولابأس هنا ان نعرض للحديث عن عماله ، ودخض القول بانه عزل جميع ولاه عمر . وابتداء فان الخليفة يزيد لم يتخذ قرارا بهذا الشأن ، بل انه أصدر امرا الى عمال عمر يدعوهم فيه الى ترك سياسته المالية والعودة الى سياسة اسلافه من بني أمية . وفي ذلك دلالة على اقراره لهم ، وان عزله لبعثهم جاء بعد ذلك ، وفي اوقات مختلفة .

فلقد اقر يزيد من عمال الخليفة عمر بن عبد العزيز ، عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد على مكة والطائف ، ولم يعزله الا (سنة ١٠٣هـ) . وعروة بن محمد على^(٢)^(٣)^(٤)^(٥)

(١) انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الاول ، ص ٤٨٣، ٣٢٧ .

(٢) انظر نص امره ذاك بعد : ص ٥٤٧-٥٤٨ .

(٣) عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيس بن أمية بن عبد شمس الأموي ، أبو الحجاج . ثقة استعمله عبد الملك بن مروان على مكة ، وقد ذكره ابن شاهين في الصحابة لحديث أرسله (ابن حجر : تعذيب ، ٣٠٦/٦) . لكننا بالعودة الى تاريخ ابن خياط ، وجدنا ولايته على مكة قد جاءت من قبل سليمان بن عبد الملك فسأقره عمر ، ثم يزيد حتى عزله . ولم يكن عليها من قبل عبد الملك بن مروان ولا ابنه الوليد (انظر : ص ٢٩٣ ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٢) .

(٤) لم يعزل عبد العزيز بن أسيد عن مكة والطائف الا سنة ١٠٣هـ (انظر : الطبري : تاريخ الأمم ، ٦٢٠/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٤٨/٤ - وكذلك ما سنكتبه عن ذلك مفصلا في الصفحات التالية) .

(٥) عروة بن محمد بن عطية السعدي الجشمي ، من رواة الحديث ، وله صحبة . استعمله سليمان بن عبد الملك على اليمن وأقره عمر بن عبد العزيز ثم أقره يزيد بن عبد الملك ، فكان من صالح العمال ، ويقال أن عروة ولي اليمن عشرين سنة ، وقيل عزل عنها (سنة ١٠٣هـ) وأمر عليها مسعود بن غوث . وعروة من خيار الناس =

(١) واليمن ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة ، وعدى بن
(٢) (٣) (٤) (٥) (٦)
أرطاة على البصرة ، وأيوب بن شرحبيل على مصر ، والسمح بن
مالك على الأندلس .

أما أشهر الولاة الذين استعملهم يزيد ، فمسلمة بن عبد
الملك على المشرق ، ثم عزله وولى عمر بن هبيرة ، والآخر
كان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة . (٧)
مسلم على إفريقية ، ثم ولاها بشر بن صفوان بعد مقتل الأول ،
وكان بشر بن صفوان أميراً محمود السيرة . (٨)

= دخل اليمن براجلته ، وخرج ومعه سوى الميف ومصحف .
عاش إلى ما بعد المئة والثلاثين . (ابن حجر : تهذيب ،
١٦٨/٧-١٦٩) . والقول بعزله سنة ١٠٣هـ من خلافة يزيد
هو الأولى ، لما أشارت إليه المصادر من استعمال يزيد
لغيره على اليمن وكذلك هشام . (انظر ما سنورده عن ذلك
أثناء حديثنا عن عمال يزيد على اليمن في الصفحات
التالية) .

- (١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ١٠٥ .
- (٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٧٦/٦ .
- (٣) ظل عدى على البصرة ، حتى غلب عليها ابن المطلب ،
وقتل في فتحته . (انظر ذلك قبل : الفصل الثاني ،
المبحث الأول : حركة ابن المطلب) .
- (٤) أيوب بن شرحبيل بن أبرهة الأصبحي ، من بني الصباح
أمير من النبلاء الصالحاء ، ولى مصر لعمر بن عبد
العزيز أول (سنة ٩٨هـ) ، وحسنت أحوالها في أيامه ،
واستمر بها إلى أن توفي فيها سنة ١٠١هـ . (الزركلي :
الأعلام ، ٣٨/٢) . وقد كانت وفاته في رمضان من خلافة
يزيد بن عبد الملك . (انظر ذلك فيما سنكتبه عن أخبار
ولاة مصر في الصفحات التالية) .
- (٥) الكندي : الولاة ، ص ٦٩ .
- (٦) بقي السمع بن مالك أميراً على الأندلس حتى استشهاده في
بلاد الفسال ، في شهر ذي الحجة من سنة ١٠٢هـ في خلافة
يزيد بن عبد الملك . (انظر ذلك في : الفصل الرابع ،
المبحث الرابع (حملة السمع بن مالك الخولاني) ، وكذلك
ما سنكتبه بعد في الصفحات التالية عن ولاة الأندلس) .
- (٧) نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٢٥٦ - ابن
الأثير : الكامل ، ١٨١/٤ .
- (٨) من أجل ذلك ، (انظر : السيد عبد العزيز سالم :
المغرب الإسلامي ، ٢٩٥/٢ - فاطمة عبد القادر رهبوان :
المغرب في عصر الولاة الأمويين ، ص ٦٨) .

(١)
كما ولى عبد الرحمن بن الفحاك المدينة وجمع له مكة ،
ثم عزله عندما أساء السيرة في أهل المدينة ، وولى عبد
الواحد النصرى ، فسار فيهم بما يرضيهم ، وكان أميراً
محموداً .

وقد ولى الجراح الحكمى أرمينية ، فأحسن السيرة ونجح
في حرب الخزر ، وهو من رجالات العصر المشهورين ، وكان عاملاً
لعمر بن عبد العزيز على خراسان ، كما أمر الخليفة بتولية
سعيد الحرشى على خراسان عندما عزل عاملها سعيد خذينة
والذى فشل في ضبط الأمور في ماوراء النهر . فحقق أهداف
الدولة ، وأعاد السيطرة الإسلامية من جديد على ماوراء
النهر . (٣)

ويبدو أن الخليفة يزيد بن عبد الملك سعى إلى التوسيع
على عماله ، حتى يحصنهم من الخيانة ، ويجعلهم في كفاية
تعينهم على التفرغ لمهام الإمارة وأمور المسلمين . فيروى
أن عبد الواحد النصرى عامل الخليفة يزيد على الحجاز ، كان
إذا أتى برزقه الشهرى وقدره ثلاث مائة دينار يقول : أن
الذى يخون بعدك لخائن . وفى قوله هذا دلالة على فخامة هذا
المبلغ آنذاك وكفايته التامة لمأجبه . (٤)

-
- (١) لم أعتز له على ترجمة .
(٢) كانت ولايته على خراسان (سنة ٢٩٩هـ) . (انظر عن ولايته
ابن الأثير : الكامل ، ١٥٥/٤ وما بعدها) .
(٣) انظر ماسنكتبه عن ولايته في هذا الباب ، أثناء حديثنا
عن عمال يزيد على خراسان .
(٤) ابن حجر : تهذيب ، ٦/٤٠٨ ، ص ٣٨٧ . وهذا نفس
المبلغ الذى كان يأخذه أبو بكر بن محمد بن حزم أمير
المدينة زمن عمر بن عبد العزيز . (انظر : الذهبى
سيرة ، ٣١٤/٥) .

واجمالا فان الخليفة يزيد قد اقر بعض عمال عمر ،
واستعمل بعض من كان عمر قد استعملهم ، وولى آخرين ، توفرت
فيهم الكفاءة والقدرة ، فاحسنوا السيرة وكانوا من اهل
الثقة والدين ، وقد عزل من خرج عن ذلك .

ومن سمات سياسته الادارية ، اتاحة الفرصة للموالى في
ادارة الدولة وشغل بعض الاعمال الكبيرة .^(١)

وقد سار يزيد على نهج عمر في استعمال الموالى في
وظيفة القضاء ، فقد اقر على قضاء مصر عبد الله بن يزيد بن
خداير المنعماني^(٢) ، وذلك خروجا على عادة بنى امية في
المحافظة على عروبة القاضي . الا اننا نجد النباهي الاندلسي^(٣)
^(٤)

(١) كانت مشاركة الموالى في ادارة مرافق الدولة في عهد
الخليفة يزيد واضحة للعيان ، ومن امثلة ذلك :
استعمال يزيد بن ابي مسلم مولى شقيق على افريقية ،
وجبل بن عبد الرحمن مولى باهلة على كرمان . (انظر
ذكر استعمالاتهم خلال ذكرنا لعماله على الاقاليم في
المفحات القادمة) . وكذلك عبد الرحمن بن هرمز على
ديوان المدينة . (انظر : عبد الله السيف : الحياة
الاقتصادية ، ص ١٧٥) وغيرهم .

(٢) لم اشر له على ترجمة ، وقد ذكرت ماجدة فيصل زكريا :
ان اصل والده من ابناء الفرس الذين وجهوا من قبل
كسرى لقتال الاحباش في اليمن ، وانه حالف قوما من
السبئيين ، واشترك في فتح مصر واحتط بها . ولاء قضاء
مصر عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠٠هـ) فكان اول من تولى
قضاء مصر من غير العرب . وكان صوفه عنفا في رمضان
(سنة ١٠٥هـ) فكانت ولايته على القضاء خمس سنين وثلاثة
اشهر . (انظر : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد
المظالم ، ص ٢٩١-٢٩٢) . ويؤكد ذلك في قول اكثر تفميلا
الكندى ، فيشير الى ان ولاية ابن خداير مولى سبا كانت
من قبل عمر ويزيد بن عبد الملك . (انظر : الولاة ،
ص ٣٣٧-٣٤٠) .

(٣) انظر ما ذكره ثابت الراوى عن هذه العادة في كتابه :
العراق ، ص ٩٢ .

(٤) تاريخ قضاة الاندلس ، وقد سماه مؤلفه : كتاب المراقبة
العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، المكتب التجاري
للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٤ .

يشير الى فتور الخليفة يزيد بن عبد الملك عن ملاحظة القضاة ويبدو ان ذلك راجع الى ثقته فيهم ورضى الناس عنهم ان صحت هذه الرواية ، فبالنظر الى تراجم قضاته نجد انهم من اهل الثقة والملاح (١) . ويحسن بنا ان نشير الى ان الخليفة يزيد قد ترك امر تولية القضاة وعزلهم في الامصار الى عماله (٢) .

كما يبدو ان يزيد بن عبد الملك تابع الخليفة عمر بن عبد العزيز في منع اهل الدمة من العمل في دواوين الدولة ، اذ لم نلمس ما يشير الى عملهم فيها . وان كنا لانملك نصا يدل على متابعتها في هذه السياسة .

هذه اهم معالم سياسة يزيد بن عبد الملك الادارية ، وللوصول الى صورة اوضح ، نعرض في الصفحات التالية لعماله على الاقاليم واهم اعمالهم وسياساتهم فيها .
رجال الحكومة في عاصمة الدولة دمشق :

اعتاد الامويون احاطة انفسهم برجال من اهل العلم والرأى ، يستشيرونهم في شئون الحكم وتمريف الامور . ويظهر ان الخليفة يزيد بن عبد الملك كان كذلك . وعلى راس الرجال الذين وقفوا الى جانبه يؤازرونه بالرأى والنصيحة والعمل ، اخوه مسلمة بن عبد الملك ، الذي قيل : ان عزله عن امانة المشرق كان لحاجة الخليفة اليه . وكذلك سعيد بن خالد (٣)

-
- (١) انظر تراجمهم في الصفحات التالية ، ابان ذكر استعمالهم من قبل الخليفة يزيد او عماله في الامصار .
(٢) يتضح هذا من خلال عرضنا لسياسة عماله في الامصار ، ومبرورة صلاحية تولية وعزل القضاة اليهم ، (انظر الصفحات التالية) .
(٣) اختلف في اسباب عزل مسلمة ، وهذا ما سنبيته عند ذكر ولايته على العراق بعد ، ومما ذكر ماوردناه اعلاه . (انظر : مواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٤٤ [نقلا عن : سيد على المرصفي : كتاب رغبة الامل في كتاب الكامل ، ط/الاولى ، ١٦/٢-١٧]) .

الاموي ، الذي قال اليعقوبي : انه غلب على يزيد بن عبد
الملك .^(١) ولقد وجدنا في ترجمته انه من المحدثين الشقات ،^(٢)
وقد سكن دمشق . وامر السكني هذا يدفعنا الى قبول قول
اليعقوبي انه من رجال يزيد واهل مشورته . لكننا قد اسلفنا
انكار هذه الغلبة ، لاننا لم نجد من الحوادث ما يدل على ذلك
وان كان اهل العلم لا يرجي منهم الا كل خير ان كان له من
الامر شيء . والى جانبهما رجال حكومته في عاصمة الخلافة
دمشق ، ومن تلمعهم مجالسه من عليه القوم ووجهاء الناس .^(٣)
اما رجال حكومته في دمشق ، فقد كان حاجبه خالد موله^(٤)
وقيل : سعيد وقيل : غالب . وهذا الاختلاف قد يكون تمحيضا
خصوما بين خالد وغالب ، او انهم جميعا تولوا الحجابة له
واحدا تلو الآخر .

كما كان على ديوان الخاتم والخزائن وبيوت الاموال ،
مظير موله .^(٥) وقيل : كان على الخاتم اسامة بن زيد . وعلى^(٦)
مظير موله .^(٧)

-
- (١) انظر قوله ومناقشنا له قبل : ص ٤٢٢ .
(٢) انظر ترجمته قبل : ص ٤٢٢ .
(٣) من تلك المجالس ، ذلك المجلس الذي عرض فيه الخليفة
يزيد طلب يزيد بن المهلب الامان من الخليفة ،
واستشارة الناس في ذلك ، واتخاذ الخليفة قرار
اعطائه الامان . (انظر ذلك قبل : الفصل الثاني ،
المبحث الاول ، ص ١٤٤) .
(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ١١٤/٢ - المسعودي :
التنبيه ، ص ٢٧٧ ، مجهول : العميون ، ص ٨٠ .
(٥) المسعودي : نفس المصدر والمفحة - ابن حبيب : المحبر
ص ٢٥٩ - الاربلي : خلاصة ، ص ٢٦ .
(٦) ابن دقماق : الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك
والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور ، مراجعة احمد السيد
دراج ، مركز البحث العلمي واهياء التراث الاسلامي ،
جامعة ام القرى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م ، ص ٧٥-٧٦ .
(٧) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٢٥ - ابن عبد ربه :
المعقد ، ٨٧/٥ (لكن ابن عبد ربه اشار انه على خاتم
الخليفة فقط ، كما وصفه بالفسق ، وقد اورد اسمه محرفا
"مطر") .
(٨) ابن خياط : نفس المصدر والمفحة .

(١)
الحاكم المغير بكير ابو الحجاج .
(٢)
وكاتبه يزيد بن عبد الله من قبل ان يلى الخلافة ،
(٣) (٤)
فلما تولى الخلافة استكتب اسامة بن زيد السليحي . ويفعل
(٥)
الجهشياري القول : بانه اسامة بن زيد صاحب خراج مصر ايام
الوليد بن عبد الملك ، وان الخليفة يزيد عندما افقت اليه
الخلافة طلبه . وان سليمان الخثني صاحب الديوان ، حذر يزيد
ابن عبد الله كاتب الخليفة يزيد من اسامة في ان يحل مكانه
لكنه اخيرا لم يصرح باستكتابه .

لكننا امام نص عن ابن عبد الحكم يقول : ان الخليفة
يزيد رد اسامة بن زيد على خراج مصر . وكان الخليفة عمر بن
عبد العزيز قد عزله عن خراجها ، وكان قد تولاه للوليد
(٦)
وسليمان . وهذا يعنى ان الخليفة يزيد استكتب اسامة بن زيد
لفترة وجيزة ثم رده على خراج مصر . يسند قولنا ماوردته
المصادر من اسماء لكتاب آخرين استكتبهم الخليفة يزيد بن
(٧)
عبد الملك . اذ كتب له عمر بن هبيرة ، ثم ابراهيم بن جبلة

-
- (١) ابن عبد ربه : العقد ، ٨٧/٥ .
(٢) لم تذكر المصادر بقية الاسم والنسب ، فبحثنا في أسماء
من هم على اسم فلم نجد في تراجمهم ما يدل على علاقة
لهم بالخليفة يزيد والكتابة له .
(٣) لم أعثر له على ترجمة .
(٤) الطبرى : تاريخ الأمم ، ١٨١/٦ - الجهشياري : الوزراء
ص ٥٦ - المسعودى : التنبيه ، ص ٢٧٧ (ذكر استكتابهما
بدون ترتيب ، وأورد اسم يزيد بن عبد الله زيدا) -
مجهول : العيون ، ص ٨٠ (فقط ذكر استكتاب اسامة ولم
يشر الى ابن عبد الله) - الاربلى : خلاصة ، ص ٢٦ (لم
يشر الى يزيد بن عبد الله وذكر كتابة اسامة للخليفة
يزيد) .
(٥) نفس المصدر والصفحة .
(٦) ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد
المظالم ، ص ١١٩ .
(٧) لم أعثر له على ترجمة .

ولعلهما قبل اسامة بن زيد ، إذ أن الخبر الذي يشير الى
استكتابهما ينص بعد ذكرهما قوله : "ثم اسامة بن زيد" ^(١)
ويبدو أن كتابة عمر بن هبيرة ليزيد كانت قبل استعماله على
العراق . كما كتب له سعيد بن الوليد الأبرش ، ثم عبد الله ^(٢)
ابن حارثة الأنماري . ^(٣) ^(٤)

وينفرد عبد اللطيف عبد الرزاق العاني بإضافة صالح بن ^(٥)
جبير الغساني (وقيل : الطبراني) ^(٦) الى كتاب يزيد . بينما
نجدّه يناقش نفسه ويذكر أن هذا الرجل كان على ديوان الخراج ^(٧)
وكتب للخليفة يزيد بن عبد الملك عبد الحميد ، ثم لم يزل ^(٨)
كاتبا لبني أمية الى أيام مروان بن محمد وانقضاء دولتهم ،
وكان عبد الحميد كما يقول ابن عبد ربه : أول من فتح أكمام ^(٩)
البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر . وهذا التعداد
ينبئ عن اختصاصات لكل كاتب ، أو تكليفه بأعمال أخرى ،
تشغل البعض ويحضر البعض الآخر ، فمن حضر منهم كتب .

ومن توقيعات الخليفة يزيد : توقيعه الى صاحب خراسان
"لايفرنك حسن رأي ، فانما تفسده عشرة" . والى صاحب المدينة
"عشرت فاستقل" . وفي قمة متظلم شكاً بعض أهل بيته : "ماكان

-
- (١) مجمل : العميون ، ص ٨٠ - الأربلي : غلامه ، ص ٢٦ .
(٢) لم أعثر على ترجمته .
(٣) لم أعثر له على ترجمة .
(٤) ابن دقماق : الجوهر ، ص ٧٥-٧٦ .
(٥) إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والاموي ، رسالة
ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لجامعة بغداد ، جمادى
الاولى ، ١٣٨٨هـ / آب ١٩٦٨م ، ص ١٥٨ .
(٦) صالح بن جبير المدائني أبو محمد الطبراني ، كان كاتب
عمر بن عبد العزيز على الخراج ، من رواة الحديث
الخشقات . (انظر : ابن حجر : تهذيب ، ٤/ ٣٣٥-٣٣٦) .
(٧) انظر نفس المرجع ، ص ١٧٨-١٧٩ ، ٢١٤-٢١٥ .
(٨) يقدم عبد الحميد الكاتب .
(٩) العقد ، ٤/ ٢٤٧ .

(١)
عليك لو صفحت عنه واستوملتني" . وفي هذه التوقيعات للملاحظ
دلالة تحذيره عماله ومحاسبتهم ، وإلى حكمته وتوجيه عامة
الناس إلى ما يزيد من تآلفهم وترابط المجتمع .
وكان نقش خاتمه : "قنى الحساب" . وقيل : "قنى"
(٢)
السيئات ياعزيز" .
(٣)
(٤)
وكان على حرسه مولاة غيلان أبو سعيد ، ختن أبي معن .
(٥) (٦)
وقيل : يزيد بن أبي كبشة السككي .
وبالنظر إلى ترجمة الأخير ، وجدنا أن وفاته كانت في
خلافة سليمان قبل سنة مئة من الهجرة . وهذا ما دفعنا إلى
تقديم القول الأول .
(٧)
أما شرطته فقد أعاد عليها كعب بن حامد العنسي . وكان

-
- (١) ابن عبد ربه : العقد ، ٢٩١/٤ .
(٢) المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧ .
(٣) مجهول : العيون ، ٨٠/٣ .
(٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٣٥ - ابن عبد ربه :
نفس المصدر ، ١٨٧/٥ .
(٥) يزيد بن أبي كبشة البتلي ، واسم أبيه جبريل بن يسار
عد في التابعين ، وهو من كبار الأمراء . ومن رواة
الحديث الثقات ، كان مقدم السكاسك وماحب شرطة عبد
الملك ، ولى على الفزاة ، ثم ولى أمرة العراقيين
للوليد ، ثم ولاء سليمان خراج السند ، فأدرجه الأجل
بالسند قبل سنة مئة . (ابن حجر : تهذيب ، ٣١٠/١١ - ٣١١
الذهبي : سير ، ٤٤٣/٤ - ٤٤٤) . ويقول الزركلي : أن
سليمان ولاء أمارة السند فمات بعد مولده إليها
بثمانية عشر يوماً (الاعلام ، ١٨٠/٨) .
(٦) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٤/٢ - ابن خياط :
نفس المصدر والمفحة (قال : "وقال حاتم : على الحرس
أبومالك السككي") .
(٧) كعب بن حامد العنسي ، قائد من غزاة البحر ، ولاء عبد
الملك بن مروان شرطته ، وأقره بعده الوليد ، ثم
الغزاة على البحر (الزركلي : الاعلام ، ٢٢٦/٥) . وقد
لاحظنا اختلاف المصادر في إيراد اسمه . فيذكر ابن عامر
وابن مالك وكذلك العنسي والعنسي . وقد اثبتنا
ما وجدناه في أقدمها . (انظر : ابن خياط : نفس المصدر
والمفحة) .

قد تولى ذلك لعبد الملك بن مروان ثم ولاء اياها الوليد على
فترات حيث اغزاه مردين ، ثم اقره سليمان فاقره عمر ثم
عزله . فاعاده الخليفة يزيد ثم اقره هشام ثلاث عشرة سنة
(١)
فولاه بعد ذلك ارمينية .

وتعلق نجدة خماش على ذلك : ان شخما يحتل هذا المنصب
لفترة طويلة كهذه ثم يعهد اليه بولاية ارمينية لابد انه
يتعملى بمفاتيح تؤوله لذلك . وقيل : كان على شوطه روح بن
(٢)
يزيد (بن يعلى) .

وكان على الخراج والجند والرسائل ، صالح بن جبير
الغداني ، ثم عزله وولى اسامة بن زيد مولى كلب . ويذكر
(٣)
الجهشياري ان الخليفة يزيد اعاد سليمان بن سعد الخثني على

-
- (١) عبد اللطيف العاني : ادارة بلاد الشام ، ص ١١٩ .
(٢) الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٠٠ .
(٣) ابن دقماق : الجوهر ، ص ٧٦-٧٥ .
(٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٢٥ - ابن عبد ربه :
العقد ، ص ١٨٨/٥ - حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ،
ص ١٩ (واورد اسمه صالح بن عبد الرحمن ، مشيراً الى
الخلاص على الاسم ، ولم يذكر عمله ، والواقع انه ظن
ان صالح بن جبير هو صالح بن عبد الرحمن صاحب خراج
العراق زمن سليمان ، لكن هذا غيره) .
(٥) الوزراء ، ص ٥٦ - عبد اللطيف العاني : نفس المرجع ،
ص ١٧٨-١٧٩ ، ٢١٤-٢١٥ (يذكر ان عبد الملك بن مروان قد
ولى سليمان بن سعد على ديوان الخراج بعد ان عزل
سرجون بن منصور ، فبقى عليه حتى عزله عمر بن عبد
العزيز ، وعين بدله صالح بن جبير الفسائي (الطبراني)
وبقى صالح على الديوان زمن يزيد بن عبد الملك ثم
عزله واعاد سليمان الخثني) .
(٦) سليمان بن سعد الخثني بالولاء ، اول من نقل
الدواوين من الرومية الى المربية ، واول مسلم ولى
الدواوين كلها في العصر الاموي ، وكانت النصارى تلى
الدواوين قبله . اردنى نزل دمشق ، فولى دواوين
الشام لعبد الملك والوليد وسليمان ، ثم عزله عمر
لعملة بدرت منه . توفي (نحو سنة ١٠٥هـ) . (الزركلي :
الاعلام ، ١٢٦/٣) .

ديوان الخراج ، وكان الخليفة عمر قد عزله . ويغيب : انه كان عفيفا عالما بصناعته . ويببدو انه قد ولاه ذلك ، بعد عزل مسلمة عن العراق ، فقد كان سليمان بن سعد على خراج العراق في ولاية مسلمة عليه .

(١) وكان على الخزائن وبيوت الاموال مطير مولا . وقد وافق ابن عبد ربه ابن خياط ، في ولاية مطير ديوان الخاتم ، ولكنه خالفه فيمن كان على الخزائن وبيوت الاموال ، فيقول ان الذي كان عليها هو : هشام بن معاذ ، ولعل مطير كان عليها جميعا كما ذكر ابن خياط ، ثم قصر عمله على ديوان الخاتم ، وولى ابن معاذ الخزائن وبيوت الاموال .

ويبدو ان لاخلاف ايضا فيمن تولى ديوان الخراج . فصالح ابن جبير كان متوليا من قبل الخليفة عمر ، فامره يزيد ثم عزله باسامة بن زيد ، وان كان هذا هو صاحب خراج مصر المعروف - وقد اشرنا ان الخليفة اعاده على خراج مصر - يكون الخليفة قد اعاد سليمان الخشني على الدواوين بعده ، او انه كان على شيء منها وسليمان على بعضها الآخر ، ان كان المقصود رجلا آخر يدعى اسامة ، غير صاحب خراج مصر . فقد جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز لكل مورد مالي بيت مال خاص به ، فللخمس بيت مال ، وللصدقة بيت مال ، وللغنى بيت مال كل على حده . (٥)

(١) انظر ذلك قبل : ص ٤٤١ .

(٢) انظر نفس الصفحة .

(٣) ابن عبد ربه : العقد ، ١٨٨/٥ .

(٤) انظر الصفحة السابقة .

(٥) ابن سعد : الطبقات ، ٤٠٠/٥ .

أما القضاة ، فقد عمد خلفاء بني أمية الى تعيين القضاة في الولايات من قبلهم ، وأحيانا يتركون ذلك لامراء الامصار .^(١)

أما ما يخص القضاة في عاصمة الدولة دمشق ، فقد كان ذلك للخلفاء ، وتطور الامر ، حتى أصبحنا نلاحظ في خلافة يزيد ابن عبد الملك وجود قاضيين أو أكثر في دمشق في نفس الوقت فنجد سليمان بن حبيب الداراني ، ومحمد بن مسلم الزهرى ، ومما يشير الانتخاب وجود مسمى قاضى الخلفاء ، فقد ورد في تاريخ داريا ان سليمان بن حبيب كان قاضى الخلفاء ، وكذلك يرد في تاريخ دمشق لابن عساكر ان سليمان بن حبيب كان قاضى الخلفاء . بالرغم من وجود قضاة آخرين يرد ذكرهم الى جانب هذين القاضيين . وهذه الاخبار تدفعنا للتساؤل فيما اذا كان هذا اللقب يعنى رتبة رسمية ام كان هذا اللقب مسدى عليه من الناس كدليل على علو كعبه في العلم والقضاء . ولعل هذا اللقب جاء من توليه القضاء لأكثر من خليفة . وقد أعاد الخليفة يزيد سليمان الداراني على القضاة ، وهو ممن تلقى العلم على أيدي الصحابة ، فكان من كبار علماء

-
- (١) نجده خماش : الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٠٦ .
 (٢) سليمان بن حبيب المصارعى الدمشقى الداراني القاضى ، من رواة الحديث الثقات ، اماما كبير القدر ، من التابعين ، قفى بدمشق اربعين سنة وقيل ثلاثين ، وتوفى سنة ١٢٦هـ وقيل ١٢٥هـ وقيل ١١٥هـ . (انظر : ابن حجر تهذيب ، ١٥٦/٤ - ١٥٧ - الذهبى : سير ، ٣٠٩/٥) .
 (٣) من استقضاة يزيد بن عبد الملك الزهرى ، انظر : الذهبى : سير ، ٣٣١/٥ .
 (٤) نجده خماش : نفس المرجع ، ص ٢٠٨ .
 (٥) ذكرت بعض المصادر أن يزيد أقر سليمان بن حبيب على القضاء ، والصحيح كما يقول عبد اللطيف العائى : أن الخليفة يزيد أعاده لان الخليفة عمر كان قد عزله وعين على القضاء عبد الله بن سعد الأبلجى . (انظر : ادارة بلاد الشام ، ص ١٣١ - أبو زرعة : تاريخ أبى زرعة ، ٤١٣٠٢٠٢/١) .

(١)
التابعين . وقد تولى قضاء دمشق لعبد الملك والوليد
(٢)
وسليمان وعمر ويزيد وهشام ، ثلاثين سنة .
واستقضى الخليفة يزيد بن عبد الملك محمد الزهرى ، مع
سليمان بن حبيب الداراني لما علم عنه من العلم وسمو
المكانة . (٣)
وتورد المصادر أسماء لرجال آخرين استفادهم
الخليفة يزيد ، هم : عبد الرحمن بن الخخاش ، وسعيد بن أبى
(٤) (٥) (٦) (٧)
وقاص ، وأبو مسعود عبد الله ، ومحمد بن صفوان الجمحى .
وما من شك فى أن هذا التعداد ينحى عن شيء من الاختصاص
والخطور فى مجال القضاء ، كان قد حدث فى عصر بنى أمية ،
وبالخاص فى ثلثه الأخير .

-
- (١) محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ١٦٩ .
(٢) محمد الخطيب : نفس المرجع والمفحة - نجدة خماش :
الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٠٨ - عبد اللطيف العائى :
إدارة بلاد الشام ، ص ١٣١ .
(٣) ابن قتيبة : المعارف ، ط٤ ، ص ١٧٢ - أبو زرعة :
تاريخ أبى زرعة ، ١/٢٠٢، ١٣٠ - محمد الخطيب : نفس
المرجع ، ص ٤٩٣ - عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة
علم التاريخ عند العرب ، دار المشرق بيروت ، لبنان ،
١٩٨٣ م ، ص ١٠٠ - كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى
نقله الى العربى عبد الحليم النجار ، الثلاثة الأجزاء
الأولى ، والسيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب الثلاثة
الأجزاء الأخرى ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ،
القاهرة ، ٢٥٤/١ .
(٤) مجهول : الميرون ، ٨٠/٣ - الأربلى : الذهب ، ص ٢٦ .
(٥) الأربلى : نفس المصدر والمفحة (والثلاثة هؤلاء لم أعثر
لهم على ترجمة) .
(٦) محمد بن صفوان الجمحى المدنى قاضى المدينة أيام هشام
من رواية الحديث الثقات . (انظر : ابن حجر : تهذيب ،
٢٠٦-٢٠٥/٩) .
(٧) ابن دقماق : الجوهر ، ص ٧٥-٧٦ .

عماله على الحجاز :

لما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة عزل عن المدينة عامل عمر بن عبد العزيز أبو بكر بن محمد بن حزم ، وولاه (١)
عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الطهري . فكان قدومه إليها (٢)
يوم الأربعاء ليلال بقيت من شهر رمضان (سنة ١٠١هـ) . (٣)
فاستقضى من قبله سلمه بن عبد الله المخزومي . وكان على ديوانها عبد الرحمن بن هرمز ، وهو من حملة العلم من الموالي . وفي هذا رد على من قال : أن العرب ظلوا ولاية هذا الديوان حتى عمر هشام بن عبد الملك فولاه الموالي . وقد

-
- (١) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني ، يقال اسمه أبو بكر وقيل اسمه كنيته . من الأئمة الإثبات ورواة الحديث الثقات ، تولى قضاء المدينة ، وكان أعلم أهل زمانه بالقضاء واستعمله سليمان على المدينة وأقره عمر بن عبد العزيز . وقد أمره أن يكتب له من العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد ، ولم يتحول المدينة أمير أنصاري غيره . وقد كان ثقة عابداً فقيهاً (ت ١٢٠هـ على خلاف) عن ٨٤ سنة . (انظر الذهبي : سير ، ٣١٣/٥ - ٣١٤ - ابن حجر : تهذيب ، ٤٠/١٢ - ٤٢ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٧-٣٢٣) .
- (٢) لم أعثر له على ترجمة .
- (٣) بشأن عزل ابن حزم واستعمال عبد الرحمن بن الضحاك ، (انظر : ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٢ - الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٧٥/٦ - اليعقوبي : تاريخ ابن خياط ، ٢١٢/٢ - ابن الأثير : الكامل ، ١٦٦/٤ - وكيع : أخبار ١٤٨/١ - ١٤٨ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٤/٩ - ابن خلدون : المعبر ، ٧٦/٣ لكنه ذكر خطأ أن ابن الضحاك أميرها من أيام عمر ابن عبد العزيز) .
- (٤) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٤ (قال مسلمة المخزومي) الطبري : نفس المصدر والجزء والمفحة - وكيع : نفس المصدر ، ص ١٤٨ (أورد الاسم سلمة بن عمر بن أبي سلمة ابن عبد الأسد المخزومي) - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والمفحة .

(١)
لاحظ هذا الخطأ وسبقنا الى تصحيحه عبد الله السيف ، فقال :
لقد تولى الموالى ديوان المدينة منذ عهد الخليفة يزيد بن
عبد الملك بولاية عبد الرحمن بن هرمز واستمر ذلك فى عهد
هشام بولاية ابن ابي عطاء عليه .

(٢)
ويشير ابن حبيب الى ولاية رجل يدعى ابن خارجة الانصارى
على ديوان المدينة منذ عهد عبد الملك بن مروان حتى عهد
هشام . وليس لذلك من تفسير ان صحت هذه الرواية الا انه كان
على فرع آخر لديوان المدينة ، مما يعنى وجود فروع متعددة
بالانصار الاسلامية للدواوين التى انشئت واستحدثت فى عاصمة
الدولة دمشق . (٣)

-
- (١) الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى نجد والحجاز فى
العصر الاموى ، رسالة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة
الرياض ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٧٥-٢٤٧ - اليعقوبى :
تاريخ اليعقوبى ، ٢/٢١٢-٢١٣ - ابن الاثير : الكامل ،
١٨٨/٤ - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ١٤٣/٤ .
- (٢) المحبر ، ص ٣٧٨ .
- (٣) كانت نشأة الدواوين الاسلامية ، فى خلافة عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ، وقد استحدثت فى عهده منها ، ديوان
الجند (المطاء) ، وديوان بيت المال ، وديوان الرسائل
ثم اخذ الجهاز الادارى منذ ان وقع عمر لبنته الاولى
ينمو شيئا فشيئا حتى اخذ صورته شبه النهائية فى
العصر العباسى ، وفى العصر الاموى ، بلغت الدولة
الاموية اقصى اتساعها ، وعاشت كثير من المتغيرات
والمستجدات ، مما ادى الى تطوير الجهاز الادارى ،
ونمو الدواوين القديمة ، وانشاء دواوين جديدة
وتعريب الدواوين ، وقد استقر الامر فى العصر الاموى
على ستة دواوين ، ثلاثة منها التى تم انشاءها زمن عمر
الخاتمة الى ديوان الخاتم وديوان البريد ، وديوان
الخراج . وكانت هذه الدواوين المركزية فى عاصمة
الدولة ، ولها فروع فى الامصار الاسلامية ، وكانت تكتب
فى الامصار بلغة الاقليم ، حتى عربت الدواوين زمن عبد
الملك بن مروان واتمها ابنه الوليد . وكانت الدواوين
المركزية فى المدينة زمن الخلفاء الراشدين ، ثم
انتقلت الى الكوفة فى عهد آخرهم وهو على بن ابي طالب
رضى الله عنه ، ثم استقرت فى دمشق ابان العصر الاموى =

أما مكة والطائف فقد أقر الخليفة يزيد عامل عمر بن عبد العزيز عليهما وهو عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد^(١) ، وقد ظل عليها حتى (عزله سنة ١٠٣هـ) ، وضمت مكة إلى عبد الرحمن بن الفحاك أمير المدينة .

(٢)
واستعمل على الطائف عبد الواحد بن عبد الله النمري .
وللاسف فان المصادر لاتمدنا بأسباب عزله عبد العزيز بن أسيد عن مكة .

وتشير المصادر إلى أن عبد الرحمن بن الفحاك قد أساء السيرة في أهل ولايته ، فكان أميراً مذموماً سار فيهم بالظلم والعدوان ، فكرهه الناس ، ولم يقله الخليفة من عشرته فعزله وعاقبه . ويكفينا إيراد هذا النص على لسان الزهري ففيه صورة واضح لسيرته . يقول الزهري : "قلت لعبد الرحمن ابن الفحاك أنك تقدم على قومك وهم ينكرون كل شيء خالف

= (عن الدواوين نشأتها وتطورها ، انظر : أحمد السيد دراج : منامة الكتابة وتطورها ، ص ٢٠-٣٤ - فرج محمد الهوني : النظم الادارية والمالية ، ص ٨١-٩٦ ، ١٩٦-٢١٢ - عبد العزيز عبد الله السلومي : ديوان الجند نشاته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عمر المأمون ، رسالة ماجستير مطبوعة ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٩٣-١١٦ ، ١٤٥-١٧١) ، وانظر التمهيد ، ص ٤٢-٤٥ .

(٢) عن عزل عبد العزيز بن أسيد عن مكة والطائف وهم مكة إلى ابن الفحاك واستعمال عبد الواحد النمري على الطائف . (انظر : ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٢ - الطبري : تاريخ الأمم ، ٦/٦٢٠ - ابن الأثير : الكامل ، ٤/١٨٤ - ابن كثير : البداية ، ١٥ ، ٩/٢٤٩ - ابن خلدون : العبر ، ٣/١٣٩ - القلقشندي : مآثر ، ١/١٤٨ .

فعلهم ، فالزم ما اجمعوا عليه ، وشاور القاسم بن محمد - يعنى ابن ابي بكر ، من سادات التابعين واحد الفقهاء السبعة - وسالم بن عبد الله - يعنى ابن عمر بن الخطاب ، من كبار التابعين واحد الفقهاء السبعة ايضاً - فانهما لا يبالوانك رشدا ، قال الزهرى : فلم ياخذ بشيء من ذلك ، وعادى الاتصار طرا ، وضرب ابا بكر بن حزم ظلما وعدوانا فى باطل ، فما بقى منهم شاعر الا هجاه ، ولا صالح الا عابه واتناه بالقبيح ، فلما ولى هشام رأيته ذليلاً^(٢) .

وكما لاحظنا ان الزهرى ضرب مثالا على ظلم ابن الفحاك ، ضربه لابن حزم ، وقصة ذلك : ان ابن الفحاك لما قدم المدينة اميرا وقد عزل عنها ابن حزم ، دخل عليه الاخير مسلما فلم يقبل عليه ابن الفحاك فلزم بيته . وهذا ماجعل ابن الفحاك يظن بابن حزم الكبر ويتهمه بالخيانة ، وحاول ابن حزم ان يوضح له الامر ، لكن الامر ظل يترقى بين الرجلين ، ابن حزم يخشى ظلمه ، وابن الفحاك يحميد الاسباب للذليل من ابن حزم ، فاراد ان يستغل شكوى رجل من بنى فهر يتظلم فيها من قضاة لابن حزم فى ارض دفعها الى خصمه ، لكن ابن حزم ابدى حجة الشرعية فاقرب بها الشاكى ، فلم يجد ابن الفحاك طريقا على ابن حزم واخرج الخصوم وقد اسقط فى يده . وجاءت الفرصة لابن الفحاك للذليل من خصمه عندما طلب

(١) انظر ترجمتهما عند (ابن حجر : تهذيب ، ٢٩٩/٨ ، ٣٧٨/٣) .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ١٤/٧ . ويشير الى هذه السيرة ايضاً : ابن الاثير : الكامل ، ١٨٨/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩ - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ .

(١)
عثمان بن حيان من الخليفة ان يقيد - اي يقتل له - من
ابن حزم الذي ضربه حدين ، فابى الخليفة عليه ذلك ، وعرض
عليه امانة المدينة ، فابى ابن حيان وقال : لو ضربته
بسلطاني لم يكن لي قودا ، فكتب الخليفة الى ابن الصحاك
امير المدينة : انظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان ، فان كان
قد ضربه في امر بين فلاتلفت اليه ، وان كان في امر يختلف
فيه فلاتلفت اليه ، وان كان ضربه في امر غير ذلك فاقد
منه . وكان ذلك من الخليفة بعد ان سال ابن حيان حاجته
عندما حمل اليه راس يزيد بن المهلب ، بعد القضاء عليه في
المعر . (٢)

ويبدو ان ابن حيان قد اظهر للخليفة انه كان مظلوما .
لذلك كتب الى عامله على المدينة ، لكنه امره بالتحسين من
ظلم ابن حزم له قبل اخذ القود منه .
وكان ابن الصحاك يعلم ان ليس له من طريق على خصمه من
وراء كتاب الخليفة ، وقد اخبر ابن حيان بذلك . لكنه اراد
ان يحسن الى ابن حيان ، وينال من خصمه لما في نفسه من
هزيمة عليه ، فجمع (سنة ١٠٣هـ) بين عثمان بن حيان وابن
حزم ، فتحامل على الاخير ، وجلده حدين في مقام واحد ظلما

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٣٤٦ .
وكان سبب العداء بين ابن حيان وابن حزم ان ابن حيان
كان اميرا للمدينة ، فعزله سليمان بن عبد الملك بابن
حزم ، فجلده الامير الجديد حدين الاول في خمر وجد في
بيته اعترف انه شرب منه . والآخر في قوله لرجل يالوطي
(انظر : الطبري : تاريخ الامم ، ٥٠٥/٦ - وكيع : اخبار
الطحا ، ١٤١/١ - ١٤٢) .
(٢) هناك قول آخر بان من حمل راس ابن المهلب الى الخليفة
رجل غير ابن حيان هو خالد بن الوليد بن عقبة بن ابي
معيط . (انظر قبل : الفصل الاول ، المبحث الاول ، ص ١٩٨
فقد يكون حمله معه ، او انه سبق الى الخليفة ببشارة
النمر .

(١)

وعدوانا ، قودا بعثمان بن حيان .

(٢)

وينفرد الذهبي بإيراد خبر يشير فيه الى حسن سيرة ابن
 الضحاك فيقول : "عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى ،
 احد اشراف العرب ، ولى امرة المدينة فاحسن الى اهلهما " .
 ومن الصعب الالتفات الى قول الذهبي لاجماع كثير من
 المصادر السابقة له على سوء سيرة ابن الضحاك .

ويؤكد ذلك محاولته استغلال سلطانه فى مقاصده الشخصية
 من قتمته مع فاطمة بنت الحسين التى ادت الى عزله ومعاقبته
 ذلك انه خطبها للزواج ، فابت لعودها على بنيتها ، فالح
 عليها وتهددها بجلد اكبر ابنائها فى الخمر ان لم تحبه ،
 وكان على ديوان المدينة - ديوان الخراج - عبد الرحمن
 ابن هرمز ، وقد كتب اليه الخليفة يزيد ، ان يقدم عليه
 للمحاسبة ، فدخل على فاطمة يودعها ، فطلبت منه ان يخبر
 الخليفة يزيد بما تلقى من ابن الضحاك ، وبعثت رسولا آخر
 بكتاب الى الخليفة بذلك ، فلما بلغه الخبر استشاط غضبا

(١) من قصة ابن الضحاك وابن حزم ، انظر : الطبرى :
 تاريخ الامم ، ٥٧٤/٦ - ٦٢٠٠٥٧٥ - اليعقوبى : تاريخ
 اليعقوبى ، ٣١٢/٢ - وكيع : اخبار القضاة ، ١٤٢/١
 - أبو العرب : كتاب المحن ، تحقيق يحيى وهيب الجبوري ،
 دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الاولى ،
 ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ٣١٤ قال حمل راس يزيد بن التيهان
 ولانعرف هذا النسب لابن المهلب - ابن الاثير : الكامل ،
 ١٦٦/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٤/٩ .

(٢)

(٣) فاطمة بنت الحسين بن على بن ابي طالب ، تزوجت من ابن
 معها حسن بن حسن بن على بن ابي طالب فخلق عليها بعد
 وفاته عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فمات عنها
 فقعدت على بنيتها . فكان من امر الضحاك معها
 - ما اشرنا اليه اعلاه - روت الحديث ، وقد ذكرها ابن
 حبان فى الثقات (ابن سعد : الطبقات ، ٤٧٣/٨ - ٤٧٤ -
 ابن حجر : تهذيب ، ٤٦٩/١٢ - ٤٧٠) .

ونزل عن فراشه وجعل يضرب بخيزران في يديه وهو يقول : "لقد
اجترأ ابن الضحاك ، هل من رجل يسمنى موته في العذاب وأنا
على فراشى" . فقبل له عبد الواحد بن عبد الله النمرى .
فكتب الخليفة امره بعزل بن الضحاك عن المدينة ومكة ،
وتولية أمير الطائف عبد الواحد النمرى المدينة ومكة أيضا
كما كلفه بتحريم ابن الضحاك أربعين ألف دينار ، وتعذيبه
فعلم ذلك ابن الضحاك من صاحب البريد فارتحل الى الشام
واستجار بمسلمة بن عبد الملك ، الذي توجه الى الخليفة
يستغفیه ، فما قبل منه ، وردّه الى عبد الواحد النمرى في
المدينة ، فأجرى فيه حكم الخليفة ، فاصبح يرى في المدينة
عليه جبة من صوف وهو يسأل الناس .^(١)

وقد كان عزل ابن الضحاك في النصف من شهر ربيع الاول
(سنة ١٠٤هـ) . بعد ولاية دامت مايقارب الثلاث سنين . واذا
صح ان ولايته في رمضان سنة ١٠١هـ ، وعزله في ربيع الاول سنة
١٠٤هـ تكون ولايته سنتين ونصف تقريبا .

(١) من أجل خبر ابن الضحاك وفاطمة بنت الحسين وموقف
الخليفة وعزله ايّاه ، (انظر : ابن سعد : الطبقات ،
٤٧٤/٨ - الطبري : تاريخ الأمم ، ١٢/٧ - ١٤ - اليعقوبى :
تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢ - ٣١٣ - ابن الأثير : الكامل
١٨٨/٤ - ابن كثير : البداية ، ١٥ ، ٢٥٧/٩ - الذهبى :
تاريخ الاسلام ، ١٤٣/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٨٤/٣
(وقد أشار الى ان صاحب البريد كشف الخبر لابن الضحاك
عن طريق رشوة قدرها (ألف دينار) . وفي ذلك قرينة
على وجود بعض ألوان الفساد الإدارى في جهاز الدولة) .
الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ١٢ - وكيع : أخبار ،
(٢) ١٥٠/١ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٧-١٨٨ -
ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء والمفحة (وقد
جعل ولايته ثلاث سنين وأشهر) - القلقشندى : مآثر ،
١٤٩/١ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء ، ص ١٣٩ .

ويكفيّننا تعليقاً على موقف الخليفة من ابن الضحاك وعزله ، قول عماد الدين خليل ^(١) اذ يقول : "فهاهو الخليفة يمتن باجرائه الحاسم هذا غضب العلويين والانصار ويوفر على الدولة جهداً كبيراً ، وعلى وحدة المجتمع شرخاً محتملاً" . الى جانب ما في ذلك من المرونة وحسن التمرير وتدارك الامور قبل تفاقمها .

والحق ان الخليفة قد احسن الاختيار في خلف ابن الضحاك وهو عبد الواحد النصرى ، الذى كان قدومه المدينة يوم السبت للنصف من شوال (سنة ١٠٤هـ) فاستقضى سعد بن ابراهيم ^(٢) ابن عبد الرحمن بن موفى الزهرى ، ثم سعيد بن سليمان بن زيد ^(٣) ابن ثابت ، وقيل سعيد بن سليمان بن سعد بن ابراهيم ^(٤) . وقد كان عبد الواحد النصرى ، رجلاً مالحاً ، يتعفف في حالته كلها ويذهب مذاهب الخير ، لا يقطع امراً الا استشار فيه القاسم

-
- (١) دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٩ .
 (٢) عن ولاية عبد الواحد النصرى المدينة ومكة مع الطائف وقدمه المدينة ، (انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ص ٣٣٢ - الطبرى : تاريخ الامم ، ١٤٠١٢/٧ - ابن الاثير الكامل ، ١٨٨/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩ - ابن خلدون : المعبر ، ١٣٩٠٨٤/٣ - القلقشندي : مآثر ، ١٤٩/١) .
 (٣) سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن موفى الزهرى ، من رواة الحديث الثقات ، كان من سادات قريش ، ديناً عفيفاً ، تولى قضاء المدينة ، فكان يتقى بعد عزله كما كان يتقى وهو قاض . قيل : كانت وفاته سنة (١٢٦هـ على خلاف) . (ابن حجر : تهذيب ، ٤٠٢/٣ - ٤٠٤) .
 (٤) سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الانصارى المدنى ، من رواة الحديث الثقات ، كان فاضلاً عابداً ، اكره على القضاء ، وقيل ان قضاءه كان لابراهيم بن هشام المخزومى ، ووفاته (سنة ١٣٢هـ) . (ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٨/٤) .
 (٥) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٢٢٤ - وكيع : اخبار القضاة ، ١٥١-١٥٠/١ .

وسالما . فلم يقدم على اهل المدينة احب منه ، واستمر فيهم حتى عزله هشام (سنة ١٠٦هـ) ، بعد ولاية دامت سنة وثمانية اشهر .^(٢)

وقبل أن نترك اقليم الحجاز لنباش من الاشارة الى خبر ينفرد به ابن الجوزي ، لانجده عند غيره اذ يقول : "ومن اولاد عمر بن عبد العزيز ، عبد العزيز ولى المدينة ومكة ليزيد بن عبد الملك" . واطفته وقع في لبس . فعبد العزيز بن اسيد كان عاملا لعمر بن عبد العزيز على مكة ثم اقره يزيد ثم عزله . ولا ارأه الا وقع في لبس بينهما ، اذ لم يرد ذكر عبد العزيز بن عمر في عمال يزيد على المدينة او غيرها . وقد اقام الحج في خلافة يزيد بن عبد الملك ، عبد الرحمن بن الحجاج (سنة ١٠١هـ ، سنة ١٠٢هـ ، سنة ١٠٣هـ) كما اقامه عبد الواحد النعمري ، (سنة ١٠٤هـ) . وفي هذا دلالة ، على أن أمير المدينة في زمنه كانت له امانة الحاج اذ أن امانة مكة كانت في (سنة ١٠١هـ ، ١٠٢هـ) لعبد العزيز ابن اسيد ، فلم يعهد اليه بذلك .

-
- (١) الطبري : تاريخ الامم ، ١٤/٧ - ابن حجر : تهذيب ، ٣٨٨-٣٨٧/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٨/٤ .
 (٢) ابن حجر : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٨٨ .
 (٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٣١١ . وقد ورد عند ابن حبيب في كتابه المحبر ، ص ٢٨ ، عند ذكره امراء الحج من يزيد قال : ويقال اقامه - أي اقام الحج - سنة ١٠١هـ ، عبد العزيز بن عمر ، لكنه لم يعرج بولايته .
 (٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، طبعة دار بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ٢/٣١٤ - ابن حبيب : المحبر ، ص ٢٨ (واضاف : وقيل اقام الحج سنة ١٠١هـ عبد العزيز بن عمر) . وهذا خبر غريب لعدم ورود خبر بولاية هذا امانة مكة او المدينة زمن يزيد . الا ما ذكره ابن الجوزي عن ذلك متفردا به عن غيره ، مما دفعنا الى التشكيك فيه واعتباره من باب اللبس . (انظر اعلاه) .

عماله على اليمن :

(١) أقر الخليفة يزيد على اليمن عروة بن محمد السعدى ، وكان قد ولى عليها من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك ، ثم أقره عمر بن عبد العزيز ، ومن بعده الخليفة يزيد . وقيل : بل كانت ولايته عليها من قبل عمر فأكبره يزيد ، فظل عليها حتى عزله عنها (سنة ١٠٣هـ) ، وقد كان فى ولايته من صالح العمال ، عفيفا عن أموال المسلمين ، خرج من اليمن ومأمه سوى سيف ومعك . ومما يؤسف له أن المصادر لم تقدم لنا شيئا عن أسباب عزله .

واستعمل الخليفة يزيد على اليمن بعده مسعود بن غوث الكلبي ، فبقى عليها حتى خلافة هشام بن عبد الملك . ولانعرف شيئا عن السياسات التى اتبعها ، سوى بعض الاجراءات المالية .

-
- (١) عروة بن محمد بن عطية السعدى الجشمى ، من خيار الناس حليما ، عفيفا ، وهو من رواة الحديث الشقات . عاش الى ما بعد الثلاثين ومائة من الهجرة . (ابن حجر : تهذيب ، ١٦٨/٧-١٦٩) .
- (٢) عن ولاية عروة بن محمد على اليمن ، (انظر : ابن خياط تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٢، ٣١٨، ٣٢٣ - ابن سعد : الطبقات ٣١٤/٥ - ابن حجر : نفس المصدر والجزء والملحة - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٥) .
- (٣) ابن حجر : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٩ .
- (٤) لم أعثر على ترجمته .
- (٥) ابن حجر : نفس المصدر والجزء والملحة - الكلبي : اللطائف السنية فى اخبار الممالك اليمانية ، مخطوط مكتبة كورسنى ، ايطاليا ، رقم ٣٦٢ ، مكروفيلم ، بمركز البحث العلمى ، جامعة أم القرى ، رقم ١١٧٠ ، تاريخ ، ورقة ٢ب - يحيى بن الحسين : غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى ، ص ١١٨ (والاخير ان ذكرنا ولاية مسعود ولم يثبنا الى اقرار عروة بن محمد) .
- (٦) سنشير الى تلك الاجراءات ، خلال دراستنا لسياسة الخليفة يزيد المالية (المبحث الثانى) .

(١) لكن حسين عطوان ، يذكر ان عامل يزيد على اليمن وحرموت ، هو الضحاك بن زمل السكسكى ، من اهل بيت لهيا من (٢) قرى دمشق . وهو يخالف بذلك ماوردناه عن عامل يزيد على اليمن ، ولعل الضحاك ان صحت هذه الرواية ، كان على حرموت وعروة ثم مسمود اللذين قدمنا ذكرهما ، كانا على اليمن .

عماله على العراق والمشرق :

ادت احداث اقليم العراق الى توجيه سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك نحو ذلك الاقليم . فيبدو ان قيام يزيد ابن المهلب بحركته مستغل عهد الخليفة يزيد ، في البصرة من ارض العراق ، قد ادى الى اتخاذ خطوات وسياسات ادارية وعسكرية فرشتها الظروف .

فابتداء ، اقر الخليفة يزيد اميرا العراق من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وهما : عبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة ، وعدى بن اوطاة على البصرة . وذلك في (٣) محاولة منه للاستفادة من استقرار الاوضاع في الاقليم ، وربما الناس عن سياسة سلفه عمر وعماله ، في كبح جماح ابن المهلب وواد حركته في معدها .

الا ان فشل عامله على العراق في منع ابن المهلب من دخول العراق ، والوقوف في وجه حركته ، ادى الى توجيه اخيه

(١) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٩ .
(٢) لم اعثر له على ترجمة .
(٣) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٧٦/٦ - ٥٧٨ - ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٤٢/٤ - مجهول : العيون ، ٥١/٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ . (وانظر ترجمتهما قبل : الفصل الثاني ، المبحث الاول ، ص ١٣٨) .

مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد على رأس جيش كبير إلى العراق ، للقضاء على ابن المهلب ، ومن ثم تعيين مسلمة أميرا للعراق والمشرق كله ، كمكافأة له على انتصاره على يزيد بن المهلب ، واستكمالا لسحق جيوب المقاومة ، وتتبع من فر من المعالبة نحو قنذابيل من أرض السند ، وإعادة الاستقرار والهدوء لذلك الاقليم العام في الدولة الإسلامية .^(٢)

فلقد فرغت خطوة الموقف ، المتمثل في حركة ابن المهلب ، إلى اختيار الخليفة لرجل من أكفأ رجال دولته ، وهو أخوه مسلمة ، لمواجهة ذلك الخطر الذي يتهدد كيان الدولة في العراق . وهذا ما لجأ إليه عبد الملك عندما اختار الحجاج بن يوسف الثقفي لامارة العراق . بل وسبقه إليه معاوية رضي الله عنه عندما استعمل عليه زياد بن أبيه .

وكما كانت ظروف العراق دافعا لتعيين نوع معين من الولاة ، فقد أدت أيضا إلى توحيد المراقين تحت امرة امير واحد ، بل وجعل لهم الاشراف على الشرق كله يولون العمال ويوجهون الفتوحات والسياسة فيه ، ويكون هؤلاء العمال مسئولين امامهم . وقليلًا ماولى الخليفة أمراء المشرق من

(١) من أجل توجيه مسلمة إلى العراق ، ودوره في القضاء على حركة ابن المهلب ، (انظر قبل : الفصل الثاني ، المبحث الأول ، ص ١٧٣ وما بعدها) .
(٢) ذهب إلى مثل هذا القول ، محمد عبد الحى شعبان : الثورة ، ص ٦٤ .

(٣) شابت الراوى : العراق ، ص ٥٣ .

(١)

قبله ، واحيانا يوصى امير العراق بتعيينهم . والغاية من ذلك ان يكون الممران خاضعين لمشينة رجل واحد وسياسة واحدة ، لئلا تفترب الامور باختلاف النزعات لو استقل كل مصر عن الآخر ، ولما في ذلك من قوة للامير تمكنه من مواجهة الفتن التي طالما كان ذلك الاقليم ميدانا لها .

وتختلف المصادر على ولاية مسلمة بن عبد الملك امر العراق والمشرق ، فمنها ما يجعل ذلك قبل القضاء على حركة يزيد بن المهلب فتقول : ان الخليفة يزيد جمع لمسلمة في (اواخر سنة ١٠١هـ) امر العراق والمشرق ، وامره بمحاربة ابن المهلب .

(٤)

ومن المصادر ما يجعل ذلك بعد فراغ مسلمة من حرب ابن

(١) حدث هذا في عمر يزيد عندما امر عامله على العراق عمر ابن هبيرة بتوجيه سعيد بن عمرو الحرشي الى ولاية خراسان . وهذا التدخل فرسته ظروف ذلك الاقليم المحتملة في تمرد الصفد وهجمات الترك على الممالك الاسلامية فيما وراء النهر . (انظر ذلك بعد : ص ٤٨٣-٤٨٤) .

(٢) ثابت الراوي : العراق ، ص ٥٩٠٥٥ .

(٣) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨٠٣٢٥ - الذهبي : دول الاسلام ، ٥٢/١ - الذهبي : المعبر في خبر من غير ، ١٢٢/١ - الياقبي : مرآة ، ٢٣٩/١ - ٢٤٠ - ابن العماد : شذرات ، ١٢٢/١ - ابن العبري : مختصر ، ص ١١٥ - المقدسي : البدء ، ٤٧/٦ (وقد اُضاف الى الاسم زيد فقال زيد بن مسلمة مخطئا . والمقدسي وابن العبري ذكرا مخطئين : ان الخليفة يزيد ولي ابن هبيرة العراق والمشرق وبعث مسلمة لقتال ابن المهلب . وهذا خبر شاذ فولية ابن هبيرة جاءت بعد عزل مسلمة بن عبد الملك) .

(٤) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٤١ (نقلا عن الطبري : تاريخ الامم ، ٦٠٤/٦ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٠٧/٦) . وقد ذهب الى تقديم القول بولايته بعد حرب ابن المهلب ، كما قلنا اعتمادا على نص ابن خلكان بذلك - ابن الاثير الكامل ، ١٧٧/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٨/٩ - ابن خلدون : المعبر ، ٨٠/٣ . وهناك مصادر لم تعدد متى كانت ولايته مشيرة اليها فحسب كابن قتيبة : المعارف ، ط ٤ ، ص ٣٥٨ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - ابو حنيفة الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣١٨ .

المهلب (أوائل سنة ١٠٢هـ) . والقول الأخير هو ما نرجحه ، إذ لم يقم الخليفة يزيد بعزل عاملي عمر على العراق ، وظلا على ما هما عليه حتى غلب ابن المهلب على البصرة ، فأسر وسجن أميرها عدى بن أرطاة وظل في سجن ابن المهلب ، حتى قتله معاوية بن يزيد بن المهلب صبرا بواسط ، بعد هزيمة أبيه (١) ومقتله في المقر .

وقد خلع لابن المهلب خلال حركته بعض الأقاليم القريبة من البصرة ، ولى عليها رجالا من قبله ، فظلوا عليها حتى قلى عليه ، فعزلهم مسلمة واستعمل غيرهم . (٢)

وبقى عبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة ، حتى نزل مسلمة أرض المقر للقاء ابن المهلب ، فعزله مسلمة عن الكوفة ، وولاه ذى الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عتبة ابن أبي معيط . وتمزق المصادر أسباب عزله إلى استقلال مسلمة عدد الرجال الذين بعثهم عبد الحميد كممدد لمسلمة من أهل الكوفة ، ولعدم سيطرته على أهلها ومنعهم من الانضمام إلى ابن المهلب . (٣) وان كان في عزل عبد الحميد من قبل مسلمة إشارة لسلطان مسلمة على العراق ، أو قرينة تؤيد القول بأن أمر تولية مسلمة كان قبل حرب ابن المهلب . إلا أن هذا

(١) من أجل تمديد عدى لحركة ابن المهلب في البصرة ، وما آل إليه أمره ، (انظر : قبل : الفصل الثاني ، المبحث الأول ، ص ١٤٠ وما بعدها) .

(٢) من الأقاليم والمدن التي استولى عليها ابن المهلب إبان حركته : البصرة ، عمان ، البحرين ، الأهواز ، فارس ، كرمان ، بكرمان ، السند ، الهند وغيرها . انظر أسماء من استعملهم عليها قبل : الفصل الثاني ، المبحث الأول ، ص ١٥٩ .

(٣) انظر دوره في مواجهة حركة ابن المهلب ، حتى تم عزله من قبل مسلمة أوائل سنة ١٠٢هـ قبل : الفصل الثاني ، المبحث الأول ، ص ١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤٦-١٨٨-١٨٩ وما بعدها .

السلطان فيما يبدو كان سلطانا عسكريا . والعراق في ساعة
فحشة ، حق للقائد العام خلالها ، اتخاذ التدابير الكفيلة
بالتماره .

وبعد ان فرغ مسلمة من امر ابن المطلب ، جاءته ولاية
العراق والمشرق . فاتخذ من مدينة الحيرة مركزا جديدا
لادارة الاقاليم التابعة له ، ولعل ذلك راجع لبعدها عن
احداث حركة ابن المطلب ، وبقائها بمنأى عن المعصيات
القبلية والاهواء السياسية ، التي كانت تزعج بها مدن العراق
المعجمة الكوفة وواسط والبصرة .^(١)

ومنعا وجه عماله ، فاستعمل على البصرة عبد الرحمن بن
سليم الكلبي ، وكان قد قام بامرها بعد خروج آل المطلب
منها شبيب بن الحارث المازني ، توافى عليه اهلها فقبضها .
لكن مسلمة عزله وولى الكلبي ، وعلى شرطتها واحداها عمر
ابن يزيد التميمي . فما لبث مسلمة ان عزل عبد الرحمن ،
عندما بلغه من عمر التميمي ارادته استعراض اهل البصرة ،
او كما قال ابن خلدون : قتل شيعة بني المطلب ، فولى امرها^(٢)
عبد الملك بن بشر بن مروان ، واقرب عمر على الشرطة والاحداث^(٣)
فاستقضى عبد الملك بن بشر ، النضر بن انس بن مالك ، ثم
ولى مسلمة^{قضاءها} موسى بن انس بن مالك سنة ١٠٢ هـ . ولعل في عزل^(٤)
^(٥)

(١) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٥١ وهامش ٥٤ .

(٢) العبر ، ٨٠/٣ .

(٣) لم اعثر على ترجمة له .

(٤) موسى بن انس بن مالك الانصاري قاضي البصرة ، تابعي من
رواة الحديث الخفاف . (ابن حجر : تهذيب ، ٢٩٨/١٠ -
٢٩٩) .

(٥) عن عمال مسلمة على البصرة ، (انظر : ابن خياط :
تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٢) لكنه لم يشر الى عزل عبد
الرحمن الكلبي بعبد الملك بن بشر فقال : "ثم قدم =

مسلمة عبد الرحمن الكلبى لعزمه قتل شيعة آل المهلب ردا
كافيا على من قال بتعمد الحكومة لقيس وتحاملها على
اليمينية .

أما الكوفة فقد أشرنا الى استعمال مسلمة لذي الشامة
عليها ، فظل عليها حتى عزله عنها عمر بن هبيرة (سنة
١٠٣هـ) . وأقر على قبائرها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد
الله بن مسعود . وقد كان على ذلك منذ عهد عمر .
وقد استكتب مسلمة في ولايته على العراق ، سميع مولاة ،
وجعل على ديوان الرسائل الليث بن أبى رقية مولى أم الحكم
بنيت أبى سفيان ، وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشنى ،
وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولى لاهل اليمن من فلسطين ،
وقيل بل رجاء بن حيوة الكندى .

- = مسلمة بن عبد الملك وهو على العراق عبد الرحمن
الكلبى مسلمة ، ثم ولى مسلمة عبد الملك بشر بن
مروان" - الطبرى : تاريخ الامم ، ٦/٦٠٤-٦٠٥ - ابن
الاثير : الكامل ، ٤/١٧٧ (أورد الحارث فى اسم شبيب بن
الحارث الحرث ، وكذلك أورد سليم فى اسم عبد الرحمن
ابن سليم ، سليمان) .
- (١) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٣ . وانظر قبل :
ص ٤٦٢ .
- (٢) القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الخشنى ،
الامام المجتهد ، قاضى الكوفة ، ولد صدر خلافة معاوية ،
من رواة الحديث الثقات . كان لياخذ على قبائمه شيئا ،
فقد كان فى كفاية ، توفى (سنة ١٢٦هـ) . (الذهبي :
سير ، ١٩٥/٥-١٩٦) .
- (٣) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٤ - الطبرى : تاريخ
الامم ، ٦/٦١٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٤/١٨٢ .
- (٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨١ .
- (٥) رجاء بن حيوة بن جرول ، أبو نصر الكندى الأزدي ،
ويقال الفلسطينى ، الامام القدوة ، العادل ، الفقيه ،
من جلة التابعين ، من رواة الحديث ، وكان ثقة ، عالما
فاغلا ، كثير العلم . وكان سيد اهل الشام فى انفسهم .
عمل على عقد الخلافة لعمر بن عبد العزيز بعد سليمان ،
وكان كبير المنزلة عند سليمان وعمر ، ثم آخر بعد ذلك ،
فأقبل على شانه . وكان يزيد بن عبد الملك يجرى عليه
ثلاثين دينار فى كل شهر ، فقطعها هشام ثم ردها . أدرك
معاوية وتوفى سنة ١١٢هـ . (الذهبي : نفس المصدر ،
٤/٥٥٧-٥٦١) .
- (٦) الطبرى : نفس المصدر والجزء والمفحة - عواد الاعظمى :
مسلمة ، ص ٧٦ .

وفى ذلك قرينة على الاعتماد على الصالحين من الناس كرجاء فى حكومة يزيد بن عبد الملك ، ودليلا على الاعتماد على العنصر اليمنى فى ادارة العراق فى زمن يزيد . مما يدفع القول بابعادهم عن ادارة المشرق ، وان كانت المفزية قد اختتمت بالولاية الكبرى فى العراق بعد حركة ابن المهلب .

عماله على الاقاليم الشرقية :

كانت خراسان تحت امرة عبد الرحمن بن نعيم الفامدى منذ عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فلما قام ابن المهلب بحركته فى العراق بعث اليها اخاه مدركا بن المهلب فى محاولة للاستيلاء عليها وضمها اليه ، فمنعه من دخولها عبد الرحمن بن نعيم بمساعدة تميم .^(١)

وكان الخليفة يزيد قبل قيام ابن المهلب بحركته ، قد وجه الى خراسان عبد الرحمن بن سليم الكلبي عاملا ، فبلغه وهو فى طريقه اليها خروج ابن المهلب ، فكتب الى الخليفة يزيد يغفل رغبته فى حرب ابن المهلب على اماره خراسان ، فانضم لمسلمة قائد الجيوش الاموية الموجهة للقضاء على حركة ابن المهلب .^(٢)

-
- (١) انظر موقف عبد الرحمن بن نعيم قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٦٠ .
 (٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٨٤/٦ - ٥٨٥ - وانظر قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٤٥ .
 (٣) لعل فى استعمال عبد الرحمن بن سليم الكلبي اليمنى على خراسان قبل قيام ابن المهلب بحركته دليلا على عدم تعصب الخليفة يزيد للقيسية ، وان موقفه من المهالبة ، والاعتماد فى ادارة الاقاليم الشرقية من الدولة على العنصر المفزى ، قد جاء على اثر تلك الحركة ، فيما ظل الاعتماد على القيادات اليمنية فى كثير مما عداها من اقاليم الدولة .

ويبدو أن الخليفة قد علم بموقف عبد الرحمن بن نعيم من تلك الحركة ، وخبائه على الولاء لدولته ، من خلال تصديه لمدر ك بن المهلب ومنعه من دخول خراسان فأقره عليها ولم يبعث أحدا بعد عبد الرحمن الكلبي ، حيث أمن انضمام خراسان لخصمه يزيد بن المهلب .

ولاية سعيد بن عبد العزيز على خراسان (سنة ١٠٢هـ) :

وبعد أن جمعت إمارة خراسان مع العراق لمسلمة بن عبد الملك ، استعمل على خراسان (سنة ١٠٢هـ) سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وقد قيل : ولده لأنه ختنه ، فهو زوج ابنة مسلمة .^(١)

وبولاية سعيد على خراسان ، عادت سيطرة مطر على الإدارة في خراسان ، حيث استعادت تميم بعض ما فيها الذي أخذ بالأنصار .^(٢) فقد سيطرت اليمينية على زمام الإدارة هناك أبان عهد سليمان وخلفه عمر . وكذلك شطرا من زمن الخليفة يزيد ، وهي تلك الفترة التي استمر فيها عبد الرحمن بن نعيم

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣١٨ - الطبري : تاريخ الأمم ، ٦٠٥/٦ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١١/٢ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٧/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٨/٩ .

(٢) ذهب إلى مثل هذا القول ، ناجي حسن : القبائل ، ص ٢٠٠ .

(٣) كان سليمان قد ولي خراسان يزيد بن المهلب الأزدي وعزل عنها وكيع بن أبي الأسود الذي قام بأمورها بعد قيامه على قتيبة وقتله أياه . ثم ولاها عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي بعد عزله يزيد بن المهلب ثم من بعده عبد الرحمن بن نعيم الذي استمر حتى خلافة يزيد ، وكل هؤلاء من اليمينية . (انظر : ابن الأثير : نفس المصدر ، ١٤٤/٤ - ١٤٥ - ١٥٧ - ١٥٨) .

اليمنى عامل عمر فى ولايتها حتى تم عزله بسعيد بن عبد العزيز . فان خديجة لماولى امرها قدم اليها قبل مسيره بشهر سورة بن الحر من بنى دارم . فاستعمل هذا شعبة بن ظهير النهشلى على سمرقند .^{(١)(٢)} الا ان سعيدا قام بعزله عن سمرقند فى العام نفسه (١٠٢هـ) وولى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير ، وولى الخراج سليمان بن ابي السرى مولى لبنى عوانة .^(٣) كما استعمل على هراة معقل بن عروة القشيرى .^(٤)

وكل هؤلاء الذين ولاهم سعيد بن عبد العزيز ، من ملر . وقد كان لاحوال الاقليم من جراء تمرد الصفد وتدخل الترك فيما وراء النهر ، دور كبير فى فشل سياسات سعيد بن عبد العزيز ، وانتهاء الامر بعزله ، فمع انه كان حريصا على سيادة المسلمين ، معروفا اياهم على الصبر والشجاعة ،^(٥) لمواجهة الاخطار ، الا انه فيما يبدو كان مقدما للاسلوب السلمى مع المتمردين من الصفد والمحاربين من الترك فيما

(١) كانت بلاد ماوراء النهر ، ومدنها الشهيرة كبخارى وسمرقند وفرغانة ، تخضع اداريا لحكومة خراسان التى كان مقرها مدينة مرو شاهجان . وكان يعين على بخارى امير وعلى سمرقند امير وهذان لهما سلطات محدودة ويخضعان لامير خراسان . (قامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٧٣) .

(٢) عن تقديم سورة بن الحر وولاية شعبة بن ظهير سمرقند ، (انظر : الطبرى : تاريخ الامم ، ٦/٦٠٥-٦٠٧ - ابن الاثير الكامل ، ٤/١٧٧-١٧٨ - ابن خلدون : المعبر ، ٣/٨٠) . (والاخيران جعلوا ولاية شعبة على سمرقند من قبل خديجة ، والامير من قبل سورة فعزله خديجة بعثمان) .

(٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٨ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء ، والمفتحة .

(٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء والمفتحة .

(٥) ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٩/٢٤٨ .

وراء النهر . حيث كان يكتفى بمددهم ، والانتصار عليهم ساعة اللقاء ، ويمنع بعد ذلك جنده من تتبعهم والحقاق بهم ، مما اوقعه فى مواقف حرجة ، واطمع فيه الاعداء مما دعاهم الى معاودة قتاله والانتصار عليه احيانا ^(١) . وكان اذا بحث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا ، رد السبى وعاقب السرية ، فتثقل على الناس ، وضعفوه ^(٢) . كما بالغ فى المرونة ومحاولة ارضاء اهل خراسان ، فانه عندما وصلها ، لم يكن له علم باهلها فاستشار قوما من الدهاقين ، فيمن يولى على الكور ، فاشاروا عليه بقوم من العرب فلما ولاهم ، شكوا ، فسأل عنهم الناس ، فساخبره عبد الرحمن القشيري عامل عمر بن عبد العزيز على خراج خراسان انهم ممن لا يخالف المشركين واشباههم ، فاستبدلهم بآخرين . كما ان اتسام شخصه باللين والتنعم والسهولة لدرجة لقب معها بغذية ^(٣) ، لم يمكنه من السيطرة على الموقف فى ذلك الاقليم المضطرب ^(٤) .

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - البلاذرى : انساب ، ١٦١-١٦٢ (وانظر ماكتبناه عن لينه وسعيه للمصالحة مع الاعداء قبل : الباب الثانى ، الفتوحات فيما وراء النهر ، ص ٣٤٣ وما بعدها) .

(٢) ابن خلدون : المصدر ، ٨١/٣-٨٢ (ويشير فى قصة مقتل حيان النبطى وهو رجل من الموالى اشترى فى خراسان بعد مشاركته فى مقتل قتيبة بن مسلم الباهلى ، الى ان من الموالى من كان يرفض سياسة اللين التى اتبعها سعيد تجاه المقد المتמרدين ، وأنه كان ممن يغفل تتبعهم واستئصال شافتهم . ومن اجل ذلك حدث بينه وبين سورة بن الحر خصام لخروجه عن الالتزام بأوامر الوالى فى عدم الحق بالاعداء . فشكا سورة الى سعيد وخوفه غدره وأنه عدو للعرب والوالى ، فوقع له سعيد مسحوق ذهب فى لبن واسقاء ، فمات) - واورد هذه القصة ايضا الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٤/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٠/٤ .

(٣) عبد الله الخطيب : الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢١-١٢٢ .

(٤) انظر ماكتبناه عن هذا اللقب قبل : الفصل الرابع ، المبحث الاول ، ص ٣١٧-٣١٨ .

(٥) عبد الله الخطيب : نفس المرجع والمفحات .

والحقيقة ان خراسان تعتبر فى ذلك الوقت جبهة قتالية
فكان من الضرورة ان يتسم اميرها بالحزم والخشونة ، وان
يكون جامعاً لمفات القائد العسكرى ، والادارى المحنك ،
للزوم قيامه بقيادة الجيوش الفاتحة والقوى المدافعة ،
الى جانب دوره كرجل ادارة لذلك الاقليم الكبير ، يدير
شئونه ويرعى اهله .

(١)
وقد اتخذ عبد الله الخطيب ، عدم نجاح سعيد بن عبد
المعزى فى ضبط الامور سبباً فى لجوئه الى سياسة العنف ،
وذلك بلجونه الى القيام ببعض الاعتقالات لعمال تولوا ليزيد
ابن المطلب بعض الاعمال خلال امارته على خراسان فى خلافة
سليمان ، وآخرين تولوا بعض الاعمال لعمر بن عبد المعزى ،
مستعيناً بدهاقين خراسان . والمضحك انه لاعلاقة لتلك
الاعتقالات باحوال الاقليم المضطربة .

(٢)
ويذهب ناجى حسن الى تفسير اعتقال سعيد بن عبد المعزى
بعض رجالات الازد بتهمة احتجاج فى المسلمين ، بانه اتخذ
مبرراً للتكيد بهم ، تنفيذاً للسياسة الجديدة التى تقضى
بتصفية الازد بشئى الطرق ، وكأنه يشير الى ان سياسة
الخليفة يزيد تقضى بتصفية الازد اليمانيين كونهم قبيلة خصمه
يزيد بن المطلب .

ويقرر عبد الله الخطيب ماذهب اليه ناجى حسن فيقول :
"وقد لقيت قبائل الازد اليمى عنفا على يديه - يعنى

(١) الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢١-١٢٢ .
(٢) القبائل ، ص ٢٠٠ .
(٣) الحجة : ما اختزن من شئ واختمت به نفسك ، ومن ذلك
يقال للرجل اذا اختص بشئ لنفسه قد احتجته لنفسه دون
امحابه ، واحتجن الشئ : احتوى عليه . انظر : اللسان
(هجن) .

يزيد بن عبد الملك - بوجه عام وخصوصا في خراسان ، فابعدوا
واهينوا وعذب الموالون للمهالبة أو المتهمون بذلك واخذت
أموالهم^(١) .

ويبدو أن قول هذين المؤرخين ليما من الدقة بمكان ،
فلقد رفع إلى سعيد ، أن ثمانية من عمال يزيد بن المهلب
على رأسهم جهم بن زحر الجعفي ، اختانوا أموالا من فيء^(٢)
المسلمين ، فحبسهم وشدد عليهم ليقروا بما عندهم ، فمات
بعضهم في العذاب وأخرج من بقى منهم ، وقد أبدى ندمه على
من مات ولم يكن يريد ذلك . فالمسألة مالية بحتة ، وهذا^(٣)
الاعتقال محاسبة على مال وتحقيق في تهمة .

ومما يبين أن سعيدا لم يكن هدفه من وراء ذلك تتبع
اليمينية والتككيل بهم ، ماكان منه من اعتقال لعمال عبد
الرحمن بن عبد الله القشيري عامل خراج خراسان زمن عمر بن
عبد العزيز ، وحبسهم ، بتهمة أن عندهم أموالا من الخراج ،
فضمن عنهم القشيري سبعمائة ألف ، ثم لم ياغذه بها . ونحن^(٤)

(١) الحكم الأموي في خراسان ، ص ١٢٤ (نقلا عن : وهوزن :
الدولة العربية ، ص ٣١٠) .

(٢) جهم بن زحر الجعفي ، وإلى جرجان ، كان من الإشراف
الشجعان ، خرج مع يزيد بن المهلب بالعراق وولى له
أعمالا ، قبض عليه في خراسان ، فعذب ومات في العذاب ،
سنة ١٠٢هـ . (الزركلي : الأعلام ، ١٤١/٢) .

(٣) البلاذري : أنساب ، ١٦٢/٥ - الطبري : تاريخ الأمم ،
٦٠٦-٦٠٧ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٧/٤ - ابن كثير :
البداية ، ط ١ ، ٢٤٨/٩ قال : أخذ منهم أموالا جزية .
وان صح قوله ، ففيه إشارة إلى صحة التهمة - ابن
خلدون : المعبر ، ٨٠/٣ .

(٤) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٦ - ابن الأثير :
نفس المصدر والجزء والمفحة (ولم يذكر سبب أخذهم) -
ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والمفحة (لكنه لم
يذكر ضمان عبد الرحمن القشيري وتدخله) .

لأنعلم لماذا تركها ، ذلك تعاوننا في أموال المسلمين ، وهو تفسير لا يتفق مع تشدده في محاسبة من اتعموا بذلك ، أم اتضح له براءتهم من التهمة التي المقت بهم فاطلقهم ، وهذا أولى وللعلم أن عبد الرحمن القشيري ، مفرى لايمنى ، مما يدل على أن الأمر مالى ، والمحاسبة شملت من اتهم سواء كان يمينيا أو مفرىا . بل أن حرمة على أموال المسلمين ومحاسبته على من اختان شيئا منها ، لم يتوقف على عمال الولاة السابقين ، فقد عمد سعيد إلى محاسبة أبى سعيد معاوية بن الحجاج الطائى ، وهو أحد عماله ، بعد أن اتضح أنه قد بقى عنده شيء من أموال المسلمين ، فأخذ به ، وسجن وأوكل به من يحاسبه ويستأديه ، ففبق عليه ، فاستشفع قبيلة قيس ، وكان له دور محمود في حرب العدو بوقعة قصر الباهلى ويدا في استنقاذ القيسية ، فتدخلوا في أمره ، فخلا سبيله .

ومما يقوى ماذهبنا إليه ، من أن سعيدا لم يعمل على تمفية الأزد ، وأن سياسته كانت موجهة بوازع من العمبية ، قوله عن نفسه : "سميت خذينة لأنى لم اطأوع على قتل اليمانية ففغفونى" . وهذا مايبين قصور نظر بعض المؤرخين الذين يعمدون إلى تفسير كثير من الحوادث في ضوء روح العمبية القبلية ، أو النزعة الشعبوية ، والاعتماد على بعض النصوص وترك نصوص أخرى ، إذا ما فحمت قد يكون فيها تفسيراً لكثير من المواقف ودفعاً لكثير من التهم .

-
- (١) انظر ماكتبناه عن هذه الوقعة قبل : الفصل الرابع ، المبحث الأول ، ص ٣٢٠ ومابعدها .
 (٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦١١/٦ - ٦١٢ - ابن الأثير : الكامل ، ١٧٩/٤ .
 (٣) البلاذرى : أنساب ، ١٦١/٥ - ١٦٢ .

ونحن لاننفي وجود العممية القبلية ، بل ان قول سعيد
خديجة السابق فيه اشارة الى وجود تيار يدعو الى حرب
اليمنية ، ولا بد انه من ناحية المفزية . لكن امير خراسان
الذى يمثل الدولة ، كان يريد ان تظل الدولة فوق مستوى
الاحداث محتوية لكل الصراعات ومختلف النزعات ، الا ان
سياسته وشخصيته لم تعجب الكثير ممن حوله ، فسموا في عزله
(١)
عند امير العراق .

ونجد ان مسلمة نفسه عمد الى محاسبة عمال ابن المطلب
ومن ذلك ما روى ان مسلمة استدعى صالح بن عبد الرحمن صاحب
الخراج ايام ابن المطلب ، وكان بالشام عند اخيه يزيد بن
عبد الملك . فاتهمه بانه رفع الى يزيد بن المطلب ستمائة
الف درهم ، دون ان ياخذ بها تاييدا منه باستلامها ، فعذبه
حتى مات في سجنه . ومن الواضح ان تلك التهم لم تات من
فراغ ، وان الخلفاء والولاة لم يعمدوا الى محاسبة العمال
بدون قرائن او دلائل . وهذا يدل على ان اضطراب الاحوال في
الشرق الاسلامي ساعد على شه من الفساد الاداري والمالي ،
وهذا مادفع الدولة الى اتخاذ الاساليب الكفيلة باستئصاله .
ويقال ان مسلمة عمل على سحق ماتبقى من مراكز المقاومة ،
واخرج افراد اليمنية جميعا من مناصبهم .
(٢)

- (١) البلاذري : انساب ، ١٦٢/٥ .
(٢) هناك رواية تقول بان ذلك تم على يد عمرو بن هبيرة
امير العراق بعد مسلمة ، (انظر ذلك بعد : ص ٤٨٢) .
(٣) نافع العبود : آل المطلب ، ص ٩٢-٩٣ (نقلا عن /
الجهشياري : الوزراء ، ص ٥٨) .
(٤) محمد شعبان : صدر الاسلام ، ص ١٥٤ (نقلا عن / الطبري ،
١٤١٦-١٤١٨) . ولن نجد نحن في الطبعة التي بين
أيدينا من تاريخ الأمم للطبري ، شيئا من هذا القبيل ،
وان كان غالب العمال في هذا الاقليم بالذات كان من =

ولنحسب في الحقيقة لانجد بين النصوص ما يؤيد هذا القول وغاية ما عرفناه هو القضاء على ابن المهلب في العفر ، وتحتج الفرار من اهله في قنءابيل وتمفيتهم ، ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم . ولم تهم الاجراءات الحاديبية قبائل اليمن عامة ، او من شايع آل المهلب ، الا ان يكون قتيل معركة او اسير حرب ، اما الاعتماد على مفر في ادارة الشرق الاسلامي ، فقد دعت اليه ضرورة الفتنة ، وانضمام الازد اليمنية الى الخارج يزيد بن المهلب . ولذا اعتماداً على الدلائل .

ولاشك ان فتن اقليم العراق قد ساعدت على ظهور الفساد الاداري والمالي في حكومة ذلك الاقليم ، فقد ادت تلك الاضطرابات والفتن ، الى منح الاموال لكسب ود المتنفذين واستمالتهم ، كما ادى الى غش الطرف عن تجاوز بعض العمال في الاستيلاء على اموال المسلمين ومرفها في وجوه غير مشروعة من ذلك ما ذكر عن استيلاء مسلمة على خراج العراق ، وعدم رفعه الى الخليفة في الشام ، ففجل من محاسبته ، واكتفى بعزله .^(١)

كما يشير عبد الله الخطيب الى امثلة اخرى لتجاوز مسلمة واستغلال سلطانه ، فيذكر انه انهمك في استملاح الاراضي وضماها الى املاكه ، مما ساعد على ظهور الملكيات الكبيرة .^(٢)

= المفرية ، والسبب في ذلك حركة ابن المهلب ، ان نجد الاعتماد على اليمنية فيما عداه من الاقاليم ، مما يبين ان الاعتماد على المفرية ليس تعقبا من الحكومة لها ، وانما فرغت ظروف الاقليم هذا النهج لضبط الامور وفرض السيادة .

(١) محمد بن نصر الله : تطور نظام ملكية الاراضي ، ص ١٩٧-١٩٩ .

(٢) الحكم الاموي في خراسان ، ص ١٢٣ .

وقد ارتأى الخليفة يزيد بن عبد الملك عزل أخيه مسلمة من إمارة العراق والمشرق . فامر بذلك (اواخر سنة ١٠٢هـ ، او اوائل ١٠٣هـ) . بعد ولاية دامت ثمانية اشهر وقيل ستة .^(١)

والمصادر تختلف حول اسباب عزله ، فمنها : مايشير الى ان ذلك عائد الى عدم رفعه لخراج العراق . وقيل : لاستحواذه على كثير من الاراضي الخراجية . وقيل : قدح فيه بانه غير مستامن على الخراج . وأشارت بعض المصادر ان ذلك تم لحاجة الخليفة الى قرب مسلمة وشوقه اليه .^(٢)^(٣)^(٤)^(٥)

ومنهما مايعزو ذلك الى تعصب الدولة لقيس ، فعزل مسلمة باذن هبيرة القيسي .^(٦)

والحقيقة ان هذه الاسباب مجتمعة فيها شيء من الوجاهة وان كنا نستبعد آخرها . فمسلمة مغرر ، ولو كانت الخلافة مافكرت في عزل مسلمة الا من اجل التعصب لقيس لكان مسلمة المغرر قادرا على القيام بهذا الدور . مع ان الشك يراودنا

(١) من اجل تاريخ عزله ومدة ولايته ، (انظر مناقشة عواد الاعظمي لذلك في كتابه : مسلمة ، ص ١٤١-١٤٢ - الطبري تاريخ الامم ، ٦١٥/٦ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١١/٢-٣١٢) .

(٢) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٥-٦١٦ - مجهول : العيون ، ٧٥/٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١١٧/٤ - ابن خلدون : المعبر ، ٨٠/٣ .

(٣) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٩ (نقلا عن : ابن الاثير : الكامل ، ٤٠/٥ . ولم نجد هذا القول في النسخة التي اعتمدنا عليها . ولعله اراد الاستحواذ على الخراج ، فقال اراضي الخراج) .

(٤) عواد الاعظمي : نفس المرجع ، ص ١٤٤ (نقلا عن : مجهول : العيون ، ص ٧٥) .

(٥) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة - عواد الاعظمي : نفس المرجع - والصفحة (نقلا عن : سيد علي المرمقي : كتاب رغبة الامل ، ١٦/٢-١٧) .

(٦) عواد الاعظمي : نفس المرجع ، ص ١٤٨ .

فى احتجاجه الخراج ، حيث ان ولايته لم تبلغ العام ، وان كنا لانستبعد تجاوزه فى بعض الاحوال ، بسبب قتل ابن المقلب يسند قولنا هذا رواية للاصفهاني ، تشير بوضوح الى انه قدح فى مسلمة حسدا ، وخوفوا الخليفة من ان يقطع الخراج ، فلايستطيع الخليفة محاسبته ، لمكانته وسنه ، كاخ كبير ذى يد على يزيد وحق . مما يدل على ان الامر كان خشية من امر لم يقع . كما ان فى الخبر بحاجة الخليفة الى قرب مسلمة سببا وجيها ، خصوصا وان مسلمة قائد عسكري اكثر منه اداري . وقد يكون لتحرك الخزر على الجبهة الارمينية ، ومقتل عامله على الفريقية يزيد بن ابي مسلم على يد البربر نذير خطر دعا الخليفة الى استدعاء مسلمة ، للاعتماد عليه ان دعت الحاجة . كما ان بقاء مسلمة الى جوار اخيه وقربه طوال خلافته ، مشيرا ونامعا ومعينا ، وهذا ماالمستناه من اخبار يزيد المتفرقة ، يشير الى انه لاختلاف بين الاخوين ، وان ذلك العزل لم يخر حفيظة مسلمة ، ولعله كان مقتنعا باسبابه .

ولاية عمر بن هبيرة على العراق والمشرق :

(٢) ولى الخليفة يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة الفزاري

- (١) الاغانى ، ١٢٧/٥ - ١٢٨ .
 (٢) عمر بن هبيرة بن معاوية - وقيل معية - بن سكين ، الفزاري ، يكنى ابا المثنى ، أمير شامي من الدهاة الشجعان ، كان رجل اهل الشام وهو بدوي امي ، قدم من البادية من بني فزارة فافترض مع بعض ولاة الحرب ، كان يمني نفسه بولاية العراق ، فزا مع عمرو العقيلي الروم فظهر بسالة ونجاسة ، ثم كان مع الحجاج يبعثه فى البعثات وقد سيره فى الجيش الذى بعثه للقضاء على مطرف ابن المغيرة بن شعبه ، فجاء براسه وقيل هو الذى قتله ، وكان هذا قد خرج على الدولة ، فسيره الحجاج بالراس الى عبد الملك ، فاقطعه ، ثم سيره الحجاج الى كردم الفزاري ليخلص مالا فارتاب منه عمر ، ولجا الى عبد الملك وأبدى خشيته من الحجاج لانه قتل ابن عمه ، فاجاره ، وملح الحجاج عنه ، وعظم شأنه عبد الملك وبذوه . وقيل انه عمل على بر ابنة للحجاج تزوجها أحد =

(١)
العراق وخراسان (سنة ١٠٢هـ - وقيل أول سنة ١٠٣هـ) ، مكان
مسلمة بن عبد الملك بعد عزله . وكان الخليفة قد استحيا أن
يجمع إلى أخيه بعزله ، فكتب إليه : أن استخلف وأقبل .
فاستخلف عبد الرحمن بن سليم الكلبي . وفي طريقه لقي عمر
ابن هبيرة ، فلما سأل عن سبب مقدمه قال : وجهني الخليفة
لحياسة أموال بني المهلب . وكان يزيد قد صرفه عن إمارة
الجزيرة وأذربيجان ، وولاه العراق وخراسان .
(٢) (٣) (٤)

- = بني عبد الملك ، فأخبرت أباهما فرضى عنه وطلب أن ينزل
إليه حاجاته ، ثم استعمله عمر بن عبد العزيز على
الجزيرة ، فغزا الروم ونمر ، واستمر على الجزيرة إلى
خليفة يزيد فعزله عنها ، وجمع له العراق وخراسان (سنة
١٠٣هـ) ، ثم عزله هشام (سنة ١٠٥هـ) بخالد القسري
فسجنه ، فاحتال على العرب ، واستجار بمسلمة بن عبد
الملك ، وأخذ له الأمان من هشام . وقد غزا البحر (سنة
١٠٧هـ) ، ثم لم يلبث أن مات بالشام سنة ١٠٧هـ ، وقيل
نحو ١١٠هـ . (انظر : الذهبي : سير ، ٥٦٢/٤ - الزركلي
الأعلام ، ٦٩-٦٨/٥ - الطبري : تاريخ الأمم ، ٦١٥-٦١٦
ابن الأثير : الكامل ، ١٨١/٤ - ابن خلدون : المعبر ،
٨٢/٣) .
- (١) سبب الخلاف أنه لم يعرف الشهر الذي عزل فيه مسلمة أو
ولى فيه ابن هبيرة ، (انظر التاريخ لولايته عند : ابن
خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٢٥ - الطبري : نفس
المصدر والجزء ، ص ٦١٧ - ابن الأثير : نفس المصدر
والجزء والمفحة - الذهبي : تاريخ الإسلام ، ١٧٧/٤) .
- (٢) عن استخلاف مسلمة له وهو راحل إلى الشام ، (انظر /
ابن أعثم : الفتوح ، م ٢٧٥/٤ ، وقد أورد معلومات
مضطربة ممن ولى من قبل مسلمة ، ومن ولاهم يزيد على
العراق وخراسان ابن فخرة ولاية مسلمة وبعدها ، فلم
نعتمد عليه لمخالفته جمهور المؤرخين . انظر منه
ص ٢٥٩) .
- (٣) هناك إشارات إلى كتابته للخليفة يزيد ، (انظر قبل
ص ٤٤٢ - ابن خلدون : المعبر ، ٨٢/٣) . ولعل هذا كان
بعد عزله عن الجزيرة وقبيل توليته العراق وخراسان .
- (٤) من أجل استعمال ابن هبيرة على العراق ، (انظر : ابن
خياط : نفس المصدر ، ص ٢٢٥، ٢٢٨ - الطبري : نفس
المصدر والجزء ، ص ٦١٥-٦١٧ - اليعقوبي : تاريخ
اليعقوبي ، ٣١١/٢-٣١٢ - ابن قتيبة : المعارف ، ط ٤ ،
ص ٣٦٤ - مجهول : الميرون ، ٧٥/٣ - ابن الأثير : نفس
المصدر والجزء والمفحة - الذهبي : نفس المصدر
والجزء والمفحة . =

(١)
وتشير بعض المصادر الى ان حيازة جارية يزيد كانت وراء استعماله على العراق . الا ان الناظر الى شخصية هذا الرجل من خلال ترجمته يجده من الرجال المؤهلين لادارة هذا الاقليم .

(٢)
كما ان بعض المؤرخين المحدثين قالوا : بان تولية ابن هبيرة امر المشرق جاء لتنفيذ سياسة يزيد القائمة على اساس التمسك بقبائل ، والمهادنة الى ابعاد اليمينية والذيل منها . فيقول عماد الدين خليل : ان تعيين الخليفة يزيد لابن هبيرة القيسى الدم ، جاء من جراء التمسك القبلى ، فكانت ادارته متمشية مع ذلك ، ولقد لقيت قبائل الازد بوجه عام ، خصوصا فى خراسان ، على يديه عنقا كبيرا ، وعذب الموالون للمهالبة او المتعمون بذلك واخذت اموالهم . (٤)

- = ويشذ مخطئا ابو حنيفة الدينورى بالقول : ان يزيد عزل مسلمة بن عبد الملك وولى مكانه خالد القسرى (انظر : الاخبار الطوال ١/٢٢٠) . والمحيط ان ولاية خالد جاءت بعد عزل ابن هبيرة من قبل هشام . كما ينقل البلاذرى مخطئا : ان ولاية عمر بن هبيرة على العراق جاءت بعد وفاة يزيد بن عبد الملك من قبل اخيه هشام . (انظر : فتوح البلدان ص ٤١٦-٤١٧) .
- (١) ابن الاثير : الكامل ، ١٨١/٤ - الاسفهانى : الاغانى ، ١٢٧/١٥ - ابن خلدون : المعبر ، ٨٢/٣ .
- (٢) من المؤرخين الذين فسروا تعيين ابن هبيرة على اساس المعصية القبلىة ، (احسان النسي : المعصية ، ص ٢٦٤ - فرج العونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٩-٢٦٠ - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ٢٠٤ - عمر ابو النصر : الايام الاخيرة للدولة الاموية ، المكتبة الاهلية ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢م ، ص ١٢٦-١٢٧ - ابراهيم بيغسون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٢٢٢ - عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٤٨) .
- (٣) دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٤ .
- (٤) الاشارات التى وردت فى المصادر عن محاسبة بعض الازد من عمال يزيد بن المهلب ، ذكرت ان ذلك تم فى ولاية سعيد ابن عبد العزيز على خراسان وكان ذلك ابان فترة اماره مسلمة على العراق ، قبل ابن هبيرة ، وكنا قد وضحنا الاسباب الحقيقية لذلك ، وان ذلك قد تم بعيدا عن روح المعصية القبلىة . (انظر قبل : ص ٤٦٩) .

ويبدو أن هؤلاء المؤرخين قد اعتمدوا في تفسيرهم هذا على انتساب ابن هبيرة الى قبيلة فزارة القيسية ، وبعض الأحداث والأقوال التي لا يمكن الركون اليها ، دون النظر في مجمل سياسته وسيرته .

لقد كان ابن هبيرة عاملاً لعمر بن عبد العزيز على الجزيرة ، فهو أحد عماله الذين كما يقول نبيه عاقل عنهم ^(١) : لم يكن تعيين عمر لهؤلاء على أساس من عصبياتهم القبلية ، أو انتمائهم لقيس أو يمن ، بل لكونهم أشخاصاً مشهود لهم بالمقدرة والحقوى . فابن هبيرة إذا من أهل الحقوى والمقدرة اللذين وثق فيهم عمر بن عبد العزيز واستعملهم . يدل على تقواه ، ما روى من استشارته الحسن البصري وابن سيرين والشعبي في بعض أوامر الخليفة يزيد ، التي يخشى من جرائ تنفيذها على دينه وفي عدم التنفيذ على نفسه ، فلم يحوه ومدحه الحسن النميحة ، فباعه له العظية . ^(٢)

ومن حسن سياسته اجتهاده في استعمال أهل الملاح ^(٣) والمقدرة ، من ذلك دعوته المسيب بن رافع الأسدي للقضاء ، ^(٤) إلا أنه أبى . وكذلك استعماله إياس بن معاوية المزني ، رغم ^(٥) تعربه من ذلك . ومن ذلك أيضاً نميحته لعامله على خراسان ^(٦)

-
- (١) تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٥٦ .
 - (٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٣٤٣/٢ - ابن خلكان : وفيات ، ٧١/٢ .
 - (٣) المسيب بن رافع الأسدي ، كوفي ، تابعي ، من رواة الحديث الثقات ، أهل العلم والدين . (ابن حجر : تهذيب ، ١٣٩/١٠) .
 - (٤) ابن سعد : الطبقات ، ٢٩٣/٦ .
 - (٥) إياس بن معاوية المزني ، البصري ، قاضيها ، من رواة الحديث الثقات ، عاقل فطن ، فقيها عفيفا ، مات سنة ١٢٢هـ . (ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٤١/١ - ٣٤٢) .
 - (٦) انظر قصة استعماله عند : ابن قتيبة : نفس المصدر ، ٢٨/١ - ابن عبد ربه : العقد ، ٢٢-٢١/١ .

مسلم بن سعيد ، أن يستعين في عمله بأهل العلاج والأمانة وأن
(١)
يدع للناس اختيار عمالهم .

كما أن ابن هبيرة ومن جاء بعده من الولاة كخالد
القسري ، ويوسف بن عمر ، اتبعوا سياسة معتدلة مع
المراقبيين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، وأن كانوا
(٢)
قد عادوا إلى سياسة الحجاج المالية .

وهناك جانب مهم ألا وهو موقف ابن هبيرة من منصبه قيس
وموقفهم منه ، أكان منحاذا لهم ؟ وهل كانوا راضين عنه ؟
لنختبر على ضوء ذلك صدق القول بتعممه لقيس ، وتحامله على
اليمينية .

فيبدو أن تعيينه أميراً للعراق لم يكن مقبولا من بعض
القبائل المضرية ، فالفرزدق الشاعر يعز عليه عزل مسلمة
واستعمال ابن هبيرة فيقول من شعره متعكما :
راحت بمسلمة الركاب مودعا

فأرعى فزارة لاهناك المرتع

ولقد علمت لئن فزارة امرت

أن سوف تطمع في الإمارة أشجع

من خلق ربك ما هم ولمثلهم

(٣)
في مثل مانالت فزارة يطمع

ويظهر أن ابن هبيرة اتخذ سياسة متوازنة ، ولم يمالئ
قومه على حساب العمبيات الأخرى ، مما أشار به فينتهم عليه ،
أن لم يرهوا منه بالقليل ، ومن هنا جاء قول شاعرهم :

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٣٤/٧-٣٥ ، والمزني : ص ٤٨٩ .

(٢) ثابت الراوي : العراق ، ص ١٨٠ .

(٣) عواد الأعظمي : مسلمة ، ص ٧٢ .

فمن مبلغ راس المعصا ان بيننا
 فغائن لاتنسى وان قدم الدهر
 رضيت لقيين بالقليل ولم تكن
 اخا راضيا لو ان نعلك زلت
 والمقصود برأس المعصا "عمر بن هبيرة" لصغر راسه ،
 وكانت العرب تطلق ذلك على صغير الرأس .^(١)
 بل ان عممية ابن هبيرة ، تعرضت لبعض العقوبات منه ،
 كمنع العطاء والازقاق . وهذه الاعمال وردودها نجدها في
 اشعار الفرزدق اذ يقول :
 منعت عطاء من يد لم يكن لها
 بشدى فزارى نصيب توامله
 فاصبحت لها قد منعت كقابض
 على الماء لم تقبض عليه انامله
 ويشير الى بعض هذه التداوير في قوله :
 لو لم تكن غطفان لاذنوب لها
 الا لام ذوو احلامهم عمرا
 مما تشجع بسى حين هجع بسى
 من بين مغربها والقرن اذ فطرا
 ان تمنع التمر من رازان ماثرنا
 فلست مانع جل الحى من هجرا^(٢)
 ونحن ان كنا لانعلم اسباب هذه الاجراءات التى اتخذها
 عمر بن هبيرة ضد قومه ، الا انها كفيلة بالرد على القول ان

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، طه ، ٤١-٤٠/٣ .
 (٢) عون الشريف قاسم : شعر البصرة ، ص ١٨٨-١٨٩ .

سياسته وسياسة الدولة في عهد يزيد بن عبد الملك موجهة على أساس العصبية المضرية .

ومما لاشك فيه أن مصلحة الدولة كانت فوق كل اعتبار ، ومن هنا جاء عزل مسلمة بابن هبيرة ، وعزل ابن هبيرة لعمال مسلمة وعلى راسهم عبد الملك بن بشر بن مروان وكان على البصرة ، ومحمد بن عمر وكان على الكوفة ، وسعيد بن عبد العزيز وكان على خراسان ، وهؤلاء جميعا مضرية ، بل ومن البيت الأموي الحاكم .

وقد ولي ابن هبيرة المقر بن عبد الله المزني على الكوفة ، واستقضى (سنة ١٠٣هـ) الحسين بن الحسن الكندي بعد أن عزل القاسم بن عبد الرحمن ، فظل على قضاها مدة خلافة يزيد .

أما البصرة فولى امرها سعيد الحرشي ، ثم حسان بن عبد الرحمن بن مسعود الغزاري من أهل دمشق ، ويبدو أن ذلك تم قبل استعمال الحرشي على خراسان . ثم استعمل بعد حسان فراس ابن سمي الغزاري ، وهو زوج أم عمر بن هبيرة . واستقضى عبد الملك بن يعلى فظل عليها سنة ١٠٣هـ ، ١٠٤هـ ، فكان على قضاها بعده (سنة ١٠٥هـ) موسى بن أئمن بن مالك .

وقد كان على الشرطة بواسط سويد المري ، وحوشة بن

-
- (١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦١٥/٦-٦١٦ - ابن الأثير : الكامل ، ١٨١/٤ .
 (٢) ابن سعد : الطبقات ، ٢١١/٦ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٥ (وقد أورد اسمه "المعمر")
 (٣) ابن الأثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٢، ١٨٩، ١٩٣ .
 (٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٢-٣٣٣ .
 (٥) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٤ - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٤ .

سهيل الباهلي ، وعلى شرطة الكوفة محمد بن منظور الاسدي ،
(١)
وعلى شرطة البصرة ابن رياط .

وكتب لابن هبيرة رجل من اهل الشام يدعى عثمان ، وسعد
(٢) (٣)
ابن عطية والآخر من تلامذة صالح بن عبد الرحمن .
(٤)

ويذكر الجعفياري أن ابن هبيرة عزم على الجباية ،
فخاف مكان صالح بن عبد الرحمن عند الخليفة يزيد ، فاراد
التخلص منه لما يعرف من علمه بامر العراق وامواله ، فكتب
الى الخليفة يعلمه بحاجته الى صالح ، فبعثه اليه من الشام ،
فسجنه ابن هبيرة وعذبه بتهمة الخيانة ، اذ كان صالح قد رفع
الى يزيد بن المهملب ستمائة الف درهم ولم ياخذ بها براءة
منه ، فجاء لابن هبيرة من يضمن المال ، فاصبح صالح ميتا في
سجنه .

ومن اهم انجازات عمر بن هبيرة واملاحاته المالية
والعمرانية اiban ولايته على العراق ، قيامه بمصح السواد
بامر من الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وتنفيذ امر الخليفة
(٥)
يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٤هـ القاضي بتعميد طريق الحاج

-
- (١) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٥ .
(٢) صالح بن عبد الرحمن التميمي ، بالولاء . هو اول من
حول دواوين الخراج من الفارسية الى العربية في
العراق ، ولاء الحجاج امر الديوان فنقله الى العربية
(سنة ٧٨هـ) ، ثم ولاء سليمان خراج العراق ، فافقره عمر ،
ثم استعفى فاعفاه ، وقيل : عزله . فكان في الشام
عندما كتب عمر بن هبيرة الى الخليفة يزيد أن يبعثه
اليه في العراق ، ليسأله عن الخراج ، فلما وصل اليه
قتله . (الزركلي : الاعلام ، ١٩٢/٣) .
(٣) ابن خياط : نفس المصدر والمفحة - فرج الهوني : النظم
الادارية والمالية ، ص ٢٠٩ (وأورد الاسم "سعيد بن عطية"
(نقلا عن الجعفياري : الوزراء ، ص ٣٩) .
(٤) الوزراء ، ص ٥٨ .
(٥) انظر تفصيل القول في ذلك بعد : المبحث الثاني ، ص ٥٧٥
وما بعدها .

العراقي من الكوفة الى مكة ، وانشاء المحطات عليه ، وحفر
الابار فيه . اذ ان حجاج الركب العراقي كانوا يجدون صعوبة
فى حملهم على الماء ، ولهذا يعتبر يزيد بن عبد الملك اول
خليفة اموى يهتم بطريق الركب العراقي ، فلم تذكر المصادر
التاريخية اية خدمات اخرى كبيرة قدمت من قبل خلفاء الدولة
الاموية فى هذا الطريق .^(١)

ويضاف الى انجازاته بناء قنطرة الكوفة ، التى قيل :
انه احدثها ، ثم اصلحت بعد ذلك اكثر من مرة . وفى قول آخر
انها اول ما بنيت فى الجاهلية ، فكان ابن هبيرة ممن اعاد
بناءها .^(٢)

ومما يذكر فى ولاية ابن هبيرة على العراق ، تنبا
رجلين فبى يدعى الاخطل ، وآخر من الموالى ، يقال له سعيد .
فكتب عمر بن هبيرة بامرهما الى الخليفة يزيد ، فامره
بقتلهما ، فقتلهما .^(٣)

ولاية سعيد الحرشى على خراسان (سنة ١٠٣هـ) :

اما عمال ابن هبيرة على الاقاليم الخاضعة لامارة
العراق ، فقد شكى اليه سعيد بن عبد العزيز عامله على
خراسان فعزله ، وولاه بامر من الخليفة يزيد سعيد بن عمرو
الحرشى ، من بنى عامر بن صعصعة ، من قيس .

(١) سليمان عبد الغنى مالكي : مرافق الحج والخدمات
المدنية فى الارافى الاسلامية المقدسة ، رسالة ماجستير
آداب القاهرة ، تاريخ ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، (الرسالة
المخطوطة) ، ص ٦٢-٦٣ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٨٥ .

(٣) البلاذرى : انساب الاشراف ، مخطوط ، مكروفيلم ، الجزء
الثالث ، تراجم رجال الحديث - تاريخ ، آت ، رقم
١٨٥٨ ، ص ١٣٦ .

ويبدو أن ظروف ذلك الاقليم المتمثلة في تمرد المغد على سلطان المسلمين ، واعانة الترك لهم ، واتباع خدينة سياسة المساومة التي لم تفلح في اعادة السيادة الاسلامية على منطقة ماوراء النهر ، مما اطمع فيه الاعداء ، وضعفه في نظر المسلمين ، قد ادى الى مسير بعض وجوه اهل خراسان الى امير العراق ، يشكون سياسته ويدعون الى عزله . ويظهر ان الخليفة رأى في شخص الحرشي الرجل المناسب لخراسان ، التي تتطلب اميرا عسكريا اكثر منه مدنيا ، وكان سعيد الحرشي من الابطال المشهورين ، وفارس قيس في زمانه .^(١)^(٢)

وكان السبب في استعماله ان عمر بن هبيرة كتب الى الخليفة باسماء من ابلوا يوم العقرة ولم يذكر الحرشي ، فقال الخليفة : لماذا لم يسم الحرشي - ولعل ابن هبيرة خشي مكانة الحرشي ، فاراد الغفال ذكره - فكتب الخليفة الى ابن هبيرة ، ول الحرشي خراسان ، فوله ، ونم اليه جيشا ، فقدم على مقدمته المجشر بن مزاحم السلمي ، وكان ممن شكوا الى ابن هبيرة سعيد بن عبد العزيز ، فقدمها (سنة ١٠٣هـ) .^(٣)^(٤)

-
- (١) ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٤٩/٩ (وانظر ترجمته قبل: الفصل الرابع ، المبحث الاول ، ص ٣٢٧) .
 (٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ١٦٩/٧ - ١٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٩/٤ .
 (٣) يوم العقرة ، هو اليوم الذى كان فيه القضاء على يزيد ابن المهلب على يد مسلمة بن عبد الملك (سنة ١٠٢هـ) . (انظر ماكتبناه عن ذلك قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٩٢ ومابعدها) .
 (٤) عن عزل سعيد بن عبد العزيز عن خراسان ، واستعمال سعيد الحرشي عليها ، (انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢ - الطبرى : نفس المصدر ، ٦١٩/٦ ، ٦٢٠ - ٦٢١ - ابن اعثم : الفتوح ، ٢٥٨/٤ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٣ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء والمفحة - =

(١) ولم يعرض الحرشي لعمال خدينة ، وكان ممن استعمل على الاتقاليم التابعة له ، سليمان بن ابي السري وهو رجل من الموالي ، على كس ونسف . كما عزل سورة بن الحر واستعمل مكانه نصر بن سيار .^(٢)^(٣)^(٤)

ومن الواضح ان انشغال الحرشي بالمهمات العسكرية ، وضياع جل وقت ولايته في اخمد تمرد المفد واعادة السيادة الاسلامية على ماوراء النهر ، وهذا مانجح فيه وجعله من الفاتحين الممدودين في تاريخ الاسلام وبالذات في منطقة خراسان وماوراء النهر . أدى ذلك الى ندرة الاخبار عن تنظيماته الادارية والمالية .

ولقد جرت بين الحرشي وابن هبيرة امور أدت الى عزله عن خراسان ، فيذكر انه لما انتهر على المفد ، كتب بذلك الى الخليفة ولم يكتب به الى ابن هبيرة ، مما أوغر صدره عليه .^(٥) اذ يعتبر ان ولايته جاءت من قبل الخليفة لامر بن هبيرة . كما خالف امر ابن هبيرة القاضي باطلاق الديواشني وهو احد دهاقنة المفد المتمردين ، وكان قد نزل على حكم

= ابن خلدون : المعبر ، ٨٢/٣ .
ومن المصادر ما أشار الى ان عزل خدينة واستعمال الحرشي كان من قبل مسلمة . (انظر : البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - أنساب ، ١٦٢/٥) والاولى ما قدمناه .
(١) الطبري : تاريخ الامم ، ٦١٩/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٣/٤ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٢) وتلحق "كش" ايضا .
(٣) الطبري : نفس المصدر ، ١١/٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٦ - ابن خلدون : نفس المصدر والجزء ، ص ٨٣ .
(٤) الطبري : نفس المصدر والجزء والصفحة (ولم يسم امارته) .
(٥) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ١٠ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٥ .

(١) الحرشى ، فقتله وملكه . ويروى انه منع معقل بن عروة من تنفيذ امر ولاء اياه ابن هبيرة فى هراة ، وجلده منتحين ، وحلقه ، ^(٢) لانه نزل على هراة مباشرة قبل ان ياتى الحرشى امير خراسان ، بحجة ان ولايته من قبل ابن هبيرة . ^(٣)

كما كان الحرشى يستخف بابن هبيرة عند ذكره اياه فى مجالسه ، فلايقول الامير ، وانما يقول : قال ابو المثنى ، ولكاتبه اكتب لابي المثنى وهكذا . فبلغ ذلك ابن هبيرة ، فبعث من لدنه جميل بن عمران بحجة النظر فى الدواوين ليستعلم امره ، فعندما علم الحرشى غايته ، اعطاه طعاما مسموما ، الا انه عولج فنجأ ، فقال لابن هبيرة الامر اعظم مما سمعت ، مايرى سعيد . الا انك عاملا من عماله . فغضب عليه وعزله ، وسجنه وعذبه حتى ادى ماعليه من الاموال . ^(٤)

ولعل فى الخبر الاخير دلالة على ان هناك اسبابا اخرى مالية ، لعلها كانت السبب الرئيسى وراء عزله ، ونستشف ذلك من قول ابن هبيرة معللا عزله للحرشى وسجنه وتعذيبه اذ يقول "قدمت العراق فوليته - يعنى الحرشى - البصرة ، ثم وليته خراسان ، فبعث الى ببردون حطم واستخف بامرى ، وخان ^(٥) فعزلته " . وفى قوله دلالة على انه استقل مابعث به اليه

-
- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ١١/٦ (ذكر قتله لكنه لم يشر الى كتابة ابن هبيرة باطلاقه) - ابن الاثير : الكامل ١٨٦/٤ . وانظر قبله ٢٢٧ وما بعدها .
- (٢) حلقه : وسمه بحلقة فى فخذه . (التعريف نقلا عن / الطبرى : نفس المصدر والجزء ، هامش ٣ ، ص ١٦) .
- (٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٤) الطبرى : نفس المصدر ، ١٦-١٥/٧ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٨-١٨٩ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩ - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ .
- (٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧ .

الحرشى من غنائم الممارك التى خاضها ، واتهامه بخيانة اموال المسلمين . ولعل فى هذا الخبر شيء من الصحة ، فان هناك رواية تقول : ان الحرشى بعد نصره على الصفد اطلق اموالهم ، فآخذ منها ما عجبهم ثم دعا بمسلم بن بديل ليتولى المقسم ، فابى لما علم ما آخذ منها ، فواله غيره ، فآخرج الخمس وقسم الاموال^(١) . ولعلها تلك الاموال التى اشار اليها الطبرى عندما قال : ان الحرشى عندما استؤدى تحت العذاب ، ادى ما عليه من الاموال .

ويشير محمد شعبان الى ان اقتنار الحرشى على ارسال خمس الغنائم فقط للحكومة المركزية ، وابقاء بقية الاموال فى خراسان ، تطبيقا للمبدأ القديم المعمول به فى خراسان ، والذى أكدّه عمر بن عبد العزيز ، وهو ان تصرف اموال خراسان فى خراسان ، لم يرفض عمر بن هبيرة ، وارسل الى الحرشى يدعوّه الى بيعت العزيز من الاموال ، فاباه ، فلما فشلت محاولاته فى اقناعه ، قام بعزله عن خراسان^(٢) .

ولاية مسلم بن سعيد الكلابى على خراسان (سنة ١٠٤هـ) :

كانت الاسباب التى اشرنا اليها مجتمعة وراء عزل سعيد ابن عمرو الحرشى عن ولاية خراسان . وكان ذلك (سنة ١٠٤هـ) ،

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ١٠/٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٥/٤ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص ١٦ - وقال ابن كثير : وآخذ منه اموالا كثيرة . (انظر : البداية ، ط ١ ، ٢٥٧/٩) .

(٣) الخورة ، ص ١٧٤ .

(٤) لم يكتف ابن هبيرة بعزل الحرشى ، فقد امر عامله الجديد ان يبعث به مع معقل بن عروة الى العراق ، وهناك أوكله امر استيادته الاموال ، فمذب ، وأمر بقتله ، ثم عفا عنه ، من قمة تشير الى ان ابن هبيرة =

(١)
فولاهما عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي
(٢)
من بعده .

وفى ولاية هذا الأمير ، عمل على دمج الإدارة المحلية في
خراسان في الكيان الحكومي العربي ، وذلك بتعيينه رجلا
إيرانيا يدعى "بهرام سيس" مرزباناً على مدينة مرو ،
(٣)
وكان هذا التعيين الأول من نوعه في تاريخ الحكم الإسلامي ،
إذ لم يسبق للولاة العرب أن تدخلوا في اختيار الأشخاص
وتعيينهم للمراكز البلدية ، وكانوا يتركون ذلك للدهاقين
ويكتفون بتعيين ممثلين شخصيين لهم للإشراف على شئون
المناطق المختلفة ، وبالأخص للإشراف على جمع الضرائب

- = لما عزل ، سجنه خالد القسري ، فهرب من سجنه ، فأرسل
القسري سعيد الحرشي في طلبه ، فلحقه ، فلما تمكن منه
تركه فنجاً بنفسه ، متأثراً بآمرة النصب . (انظر من
أجل ذلك : الطبري : تاريخ الأمم : ص ١٦-١٧ - ابن
الأثير : الكامل ، ١٨٩/٤) .
- (١) لم أعثر على ترجمة له . وقال عنه الطبري : أنه لما
قتل أبوه سعيد بن أسلم ، ثم الحجاج ابنه مسلم بن
سعيد مع ولده ، فتأدب ونبل ، ثم ولاه عدي بن أرطاة
ولاية صغيرة ، فخطبها وأحسن ، ولما وقعت فتنة ابن
المهلب ، حمل الأموال التي تولاهما إلى الشام ، فلما
ولى ابن هبيرة العراق ، ولاه خراسان (انظر : نفس
المصدر والجزء ، ص ١٨) . وقال محمد شعبان : أن جده
أسلم بن زرعة كان أحد زعماء القبائل العربية في
خراسان . (انظر : الثورة ، ص ١٧٤) .
- (٢) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ١٥-١٧ - ابن أعثم :
الفتوح ، ٢٥٩/٤ (وقد قال : بأن العزل والولاية من قبل
ال خليفة يزيد بن عبد الملك) - ابن الأثير : نفس
المصدر والجزء ، ص ١٨٨ - ابن كثير : البداية ، ط ١ ،
٢٥٧/٩ - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣) .
- (٣) المرازبة من الفرس معرب ، الواحد مرزبان . وهو
الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك .
والمرزبان هو الرئيس من العجم على قومه ، تقول : فلان
على مرزبة كذا ، وله مرزبة كذا ، كما تقول : له
دهقنة كذا . اللسان (رذب) . ويفهم من هذا أن بهرام
سيس عين رئيساً مدنياً على قومه العجم ، من قبل عامل
خراسان ، وتابعاً له ، وسائراً بأمره .

والخراج ثم قبضها .

لذلك فان تعيين بهرام سيس على وظيفة المرزبان من قبل الوالى العربى ، تعنى انه سيتولى حكم الايرانيين باسم هذا الوالى وكان بهرام سيس ذى شعبية فى قومه ، فقبلوا ذلك التعيين ، ونجحت التجربة .^(١)

كما حرص مسلم بن سعيد على كسب ولاء الايرانيين وارغائهم ، وذلك بتوجيه من امير العراق عمر بن هبيرة الذى قال له حين ولاء : "ليكن حاجبك من صالح مواليك ، فانه لسائك والمعبر عنك ، وحث صاحب شرطتك على الامانة ، وعليك بعمل العذر . قال : وما عمل العذر ؟ قال : مر اهل كل بلد ان يختاروا لانفسهم فاذا اختاروا رجلا فوله ، فان كان خيرا كان لك ، وان كان شرا كان نعم دونك ، وكنت معذورا" .^(٢)

فاهتم بوظيفة "الحاجب" وكان الفرس يسمونها "على الغاتم" واختيار الرجل المناسب لها ، وكان يشترط فيمن يتولى هذا المنصب ان يكون على علاقة طيبة بالسكان الاصليين ليؤدى دوره فى توطيد العلاقة بين العرب واهل البلاد الاصليين فعين لهذا المنصب توبة بن ابي اسيد وكان نفسه مولى لبني المنبر وكان شخما معروفا بالاستقامة والنزاهة والكفاءة ، فظل على هذه الوظيفة فترة مسلم بن سعيد ثم اقره عليها اسد

(١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٦-١٧٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٣٤/٧-٣٥ .

(١)

ابن عهد الله القسرى أمير خراسان بعد مسلم .

وكان توبة بالعراق ، فبعث مسلم الى ابن هبيرة في طلبه ، فعندما رآه استحسنت اختياره ، فبعثه ، فأعطى الخاتم وجعل له مسلم أن يعمل برأيه ، فلان جانبه ، وأحسن الى الجند وأعطاهم أرزاقهم ، وكان أسد قد أراد منه أن يحلف الناس بالطلاق إلا يتخلف أحد عن الغزو ، ولا يدخل منه بديلا ، فأباه . وعندما أريد من الناس بعد ذلك الحلف بالطلاق أبوا وقالوا : نحلف بإيمان توبة .^(٢)

(٣)

كما بعث مسلم على الكور رجلا من قبله على حربها ،

(٤)

وكان ممن استعملهم نصر بن سيار ، الذي ولاه طخارستان .

وبدت الاوضاع في خراسان هادئة عند تولى مسلم بن سعيد لها ، بغفل جهود الحرس ، الذي تمكن من اخماد تمرد الصفد وصد الترك ، وزوال عوامل السخط عند العرب ، الذين أعادوا هيبتهم بانتصاراتهم مع الحرس ، وما تمتعوا به من وافر الغنائم ، التي أبقاها الحرس لهم ولم يبعث للعراق أو الشام سوى الخمس ، كما أنه جامل العرب ، فلم يحاسب العمال السابقين ولم يعرض لهم ، وامتنع عن تنفيذ أمر ابن هبيرة باستيلاء أموال منكسرة ، اتهم بها بعض سادات العرب في خراسان ،^(٥) كما ظهر الايرانيون متعاونين ، وقد زالت عوامل

(١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٧-١٧٨ . (وقد فهم محمد شعبان النص خطأ ، وظن أن أمر ابن هبيرة يعنى استحداث تلك الوظيفة والمحيي ، أنها كانت معروفة وكان للولاة حجابا كالخلفاء ، ولكنه وجهه الى اختيار الرجل المناسب الصالح) .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم ، ٢٥/٧ .

(٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٩ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٦-٤١٧ .

(٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء والمصحة .

(١)(٢)

السلط والاستياء عنهم ، منذ أن قتل رأسهم "حيان النبطي" .
 لكن طمع الحكومة المركزية في أكثر من الخمس من خيرات
 خراسان ، دفع ابن هبيرة كما يقول محمد شعبان ، ^(٣) الى الامر
 على مسلم بزيادة حصة الدولة ، مع نصيحة مسلم لابن هبيرة
 بالاعتناع بالخمس كما كان حادشا زمن الحرشي . وكان تنفيذ
 ذلك يعني خفض حصص عرب خراسان ، ونقص اعطياتهم .
 والواقع اننا لم نجد في المصادر ذكرا لمثل هذا الامر
 وتنفيذه ، ولانعلم من اين استقاء محمد شعبان ؟ كما ان ابن
 هبيرة استطاع دفع مسلم الى محاسبة اولئك الرجال من سادات
 العرب والذين اتهمهم قهرمان ليزيد بن المهلب ، لدى ابن ^(٤)
 هبيرة ببعض الاموال ، اخذوها بغير حق ، وكان الحرشي قد
 امتنع عن محاسبتهم ، فلما عزم مسلم على استيادتها منهم ،
 خوف عاقبة الامر ، وبين له حقيقة امرهم ، وان فيما اتهموا
 به مبالغة وظلم فكتب بذلك الى ابن هبيرة ووجه بوفد منهم
 اليه ، فوضح الوفد له الامر ، وان في قوتهم نكاية
 باعدائهم ، واخبروه بوافر من الاموال ، اقتطعها الدهاقين
 من اهل البلاد من جراء ولايات ولوها هناك . فصدر امره الى
 مسلم بجبايتها من اهل العهد ، فكلف مسلم من يتولى ^(٥)
 محاسبتهم ، فاخذها منهم .

-
- (١) انظر ماكتبناه عن مقتله قبل : ص ٤٦٨ .
 (٢) ذهب الى شيء من هذا القول ، محمد شعبان : الثورة ،
 ص ١٧٤ .
 (٣) نفس المرجع والمفحة .
 (٤) قهرمان : فارسي معرب ، وقيل : هو المسيطر الحفيظ على
 من تحت يديه ، وهو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت
 يده والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس . وفي قول :
 يعني الترجمان . اللسان (قهرم) .
 (٥) الطبري : تاريخ الأمم ، ٢٠-١٩/٧ .

ويبدو أن هذه الأساليب ، قد أدت إلى شيء من التوتر ،
خالطه ضعف في سيطرة العرب على هذه النواحي ، من جراء
ندرة جهود مسلم بن سعيد العسكرية .^(١)

وقد أدى ذلك إلى طمع الأعداء ، فتحرك الترك و تدخلوا في
منطقة ماوراء النهر ، كما تخاذل بعض الجند العربى عن
المشاركة فى الغزوات التى خرج مسلم بها فى أواخر ولايته
ليتمددى لخطر الترك ، واضطر بعد أن فشلت محاولاته لإقناعهم
وتهديدهم إلى حملهم على الاشتراك قسرا ، فبعث إليهم نمر بن
سيار الذى اضطر إلى الاصطدام معهم فى البروقان - قرية قرب
بلخ اتخذ فيها المسلمون حامية لهم - وذلك سنة ١٠٦هـ فى
أول خلافة هشام بن عبد الملك ، مما ساعد على تدهور
الأوضاع .^(٢)

عماله على سجستان وكرمان والسند :

ومن الأقاليم الخاضعة لإمارة العراق "سجستان" ، وقد
ولاها الخليفة يزيد بن عبد الملك القمقاع بن سويد بن بنى
منقر بن عبيد التميمى ، من أهل الكوفة ، فعزله عمر بن
هبيرة ، وولى السيل بن المنذر بن عوف بن النعمان .^(٣)
^(٤)

أما كرمين فقد ضمها ابن المهلب إليه إبان حركته مدر
خلافة يزيد بن عبد الملك ، فلما ولى عمر بن هبيرة العراق ،

(١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٠-٣٠١ .
(٢) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٥-١٧٦ .
(٣) لم أعثر له على ترجمة .
(٤) من أجل انتساب جده الأبعد منقر بن عبيد فى بنى تميم ،
(انظر : الزركلى : الاعلام ، ٢٠٩/٧) .
(٥) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٢٢ .

(١) (٢)

استعمل عليها جبلة بن عبد الرحمن ، مولى لباهلة .

أما السند ، فقد كان عليها عمرو بن مسلم الباهلى من قبل عمر بن عبد العزيز ، فلما غلب يزيد بن المهلب على البصرة فى خلافة يزيد بن عبد الملك ولاها رجل من بنى شيبان ثم بعث عليها وداع بن حميد الأزدي ، ثم تولاهما هلال بن أحوز التميمى بعد إيقاعه بالمهالبة عند قنابيل ، وذلك (سنة ١٠٢هـ) من قبل مسلمة بن عبد الملك . فلما ولى ابن هبيرة العراق ، ولاها سنة ١٠٣هـ عبيد الله بن على السلمى ، ثم عزله ، وولاها الجنيد بن عبد الرحمن المرى من غطفان ، وذلك (سنة ١٠٥هـ) ، فظل عليها حتى وفاة الخليفة يزيد ، فآقره عليها هشام بن عبد الملك .^(٣)

ويبدو أن الأوضاع كانت مستقرة فى ذلك الاقليم طوال عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وخليفته يزيد بن عبد الملك وذلك من جراء استجابة ملوك السند لدعوة الخليفة عمر إياهم للإسلام ، وذلك أنه كتب اليهم (سنة ١٠٠هـ) يدعوهم الى الاسلام على أن يملكهم بلادهم ولهم مال المسلمين وعليهم ماعلى

(١) لم أشر له على ترجمة .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، ١٨/٧ .

(٣) من أجل عماله على السند ، (انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٣ - ابن قدامة : الخراج وصناعة الكتابة ص ٤٢١ - فوزى محمد عبده ساعاتى : انتشار الاسلام فى بلاد السند والبنجاب ، ص ١٤٧-١٤٩ -) لكنه لم يشر الى ولاية الشيبانى ، والسلمى) - شكرى فيصل : المجتمعات الاسلامية فى القرن الاول ، نشأتها ، مقوماتها ، تطورها الففوى والادبى ، رسالة دكتوراه مطبوعة ، مقدمة لكلية الاداب ، جامعة القاهرة ، عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م ، ص ٢١٧ - وفيق الدقوقي : الجنديّة، ص ١٠٤ .

(١)
المسلمين ، فاسلم جيشه بن داهر وباقي الملوك . وبقي ملوك
السند مسلمين على بلادهم خلافة عمر ويزيد . فلما كانت ايام
هشام ارتدوا عن الاسلام ، وحاربوا عامله على السند الجنيد
ابن عبد الرحمن المري ، فانتصر عليهم ، واعاد سيطرة
المسلمين على ذلك الاقليم ، وقام بعدد من الغزوات في ذلك
الشطر . (٣)

اما البحرين واليمامة :

فقد ولي ابن المطلب اiban حركته على البحرين هرم بن
القرار العبدى . فلما قضى على حركته ، رد الخليفة يزيد
على البحرين واليمامة ابراهيم بن عربى . وكان قد تولاه من
قبل الخليفة عبد الملك بن مروان ثم اقره عليها الوليد بن
عبد الملك . (٦)

(٧)
وقد ذكر ابن الاثير اثناء عرضه لحركة مسعود بن ابي

(١) ينطلق ايضا جيسيه ، حليشه ، مكيشه ، وجشه . وقد يكون
ذلك عائد لخطا في النقل ، والتحريب .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٢٨-٤٢٩ - ابن الاثير :
الكامل ، ١٦٠/٤ - حسن احمد محمود : الاسلام في آسيا
الوسطى (بين الفتحين العربى والتركى) ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ م ، ص ٢٢٣، ٢٢٠ - شكرى
فيصل : المجتمعات الاسلامية في القرن الاول ، ص ٢١٧ -
وفيق الدقوقي : الجندية ، ص ١٠٤ .

(٣) البلاذرى : نفس المصدر ، ص ٤٢٩-٤٣٠ - ابن الاثير : نفس
المصدر والجزء ، ص ١٩٧ (الا انه جعل ولاية الجنيد من
قبل هشام سنة ١٠٧هـ) ، فمنعه جيشه من دخول السند ،
فكانت الحرب بينهما) والاصح ان هشاما اقره ، لكنه
امره بمكاتبة القسرى ، فأتى الديبل ، فمنعه جيشه
بعد ذلك العبور اليه . (انظر عن اقراره على السند :
ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٥٩) .

(٤) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٠٠/٦ .

(٥) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٢٢٣ .

(٦) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣١١، ٢٩٨ .

(٧) نفس المصدر والجزء ، ص ١٩٠ .

زينب الفهدى ، أحد الخوارج ، أن أمير اليمامة سفيان بن عمرو العقيلي من قبل ابن هبيرة ، وقد صحنا هذا الخطا ^(١) .
 كما اخطأ عبد الرحمن بن عبد الكريم النجم ، عندما ^(٢)
 ذكر أن ابن المطلب قد ولى على البحرين بعد استحواذه على البصرة ، إبان حركته ، الأشعث بن عبد الله بن الجارود ، والصحيح أن ابن المطلب ولى البحرين ابن الجارود . ولكن ذلك ليس إبان حركته في خلافة يزيد بن عبد الملك وإنما ^(٣)
 أثناء ولايته على العراق في خلافة سليمان بن عبد الملك .
 وقيل أن نترك العراق والمشرق الاسلامي لابس من ذكر ما اشار اليه القلقشندي من ولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على العراقيين ، في خلافة يزيد بن عبد الملك ، وهو خبر تفرد به مخطئنا . والصحيح أنه وليها في خلافة ابنه الوليد بن يزيد ، فكان ذلك منه لبسا . فقد ظلت العراق تحت ^(٤)
 امرة عمر بن هبيرة حتى عزله عنها الخليفة هشام بن عبد الملك في شوال (سنة ١٠٥هـ) . ^(٥)

-
- (١) انظر مناقشتنا لهذا الخطا قبل : الفصل الثاني ، المبحث الثاني ، ص ٢٣٨ وما بعدها .
 (٢) البحرين ، هامش (٣) ، ص ١٩٨ .
 (٣) من أجل ذلك ، (انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٨ ، ٣١٣) .
 (٤) مآثر ، ١/ ١٤٩ .
 (٥) انظر ذلك عند : ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٧٠ .
 (٦) الطبري : تاريخ الأمم ، ٢٦/٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٢/٤ .

عماله على أرمينية واذربيجان والجزيرة والموصل :

(١)
يقول صابر دياب : "ومن الواضح أن العرب - في العصر
الأموي - جعلوا من منطقة أرمينية واذربيجان والموصل
والجزيرة ، ولاية واحدة " . لكن استقمانا لعمال يزيد بن
عبد الملك على الأقاليم في الدولة الإسلامية ، بين عكس ذلك ،
حيث وجدناه قد بعث عمالا من قبله على كل من أرمينية
والموصل والجزيرة ، ويشك في أنه قد فعل أذربيجان عن
أرمينية أيضا .

فقد ولي يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠٣هـ) ، معلق بن
مفسار البهراني الحمصي ، أرمينية ، ولانعلم من كان عليها
قبله ، أولى أهدا فلم يرد ذكره في المصادر ، أم أقر عامل
عمر بن عبد العزيز عليها ، حتى سنة ١٠٣هـ ، ثم عزل مطلقا ،
فولاهها الحارث بن عمرو الطائي ، الذي قام بجهود عسكرية
محدودة . ان صح القول بولايته أرمينية زمن يزيد ، والأرجح
عدم صحته . (٦)

- (١) أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس
الهجري ، ص ٥٥-٥٦ .
(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٢٢ - البلاذري : فتوح
البلدان ، ص ٢٠٨ - قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة
الكتابة ، ص ٢٣٠ .
(٣) كان عامل عمر عليها عبد العزيز بن حاتم بن النعمان ،
ثم ولاها عدى بن عدى الكندي . (ابن خياط : نفس المصدر
ص ٢٢٢) . لكن في ذلك شك واختلاف ، من أجله انظر /
البلاذري : نفس المصدر والمفحة - ابن حجر : تهذيب ،
١٥٢/٧ .
(٤) البلاذري : نفس المصدر والمفحة - قدامة بن جعفر : نفس
المصدر والمفحة .
(٥) من أجل جهوده العسكرية ، انظر قبل : الفصل الرابع ،
المبحث الثاني ، ص ٢٥٣ .
(٦) انظر هاشم (١) الصفحة التالية .

(١) ثم ولاها الجراح بن عبد الله الحكمي في (سنة ١٠٤هـ) ، وهو النذى تمدي للخزر زمن يزيد ، وحقق انتصارات وغنائم عظيمة ، وظل عليها حتى وفاة الخليفة يزيد ، فآقره هشام بن عبد الملك . (٢)

وقد كانت مدينة "بردعة" دار الامارة والجند في ولايتي ارمينية واذربيجان . وقيل هي عاصمة اقليم اران الارمني . (٣) اما صابر دياب فيقول : ان مقر الادارة في ارمينية "مدينة دوين" بها الوالى ، ودار الامارة ، والحامية الاسلامية ، التى كان قوامها لا يقل عن خمسة آلاف جندي ، ذاكرا ان قد كان بها ايضا كرسى البطريركية ، لكن الاسقف داغيت الاول ، الذى كان يشغل كرسى البطريركية ، شاق بوجود المسلمين ، وانتقل الى ارامونيك ، لتفقد دوين اهميتها كمدينة بطريركية . (٤) (٥) (٦) (٧)

-
- (١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٨ - قدامة بن جعفر : الخراج ومناعة الكتابية ، ص ٣٣٠ - لكن ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٩، ٣٣٠ - وابن الاثير : الكامل ، ١٨٧-١٨٩/٤ - وابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ ، جعلوا ولاية الجراح الحكمي بعد معلق بن صفار ، ولم يذكروا ولاية الحارث بن عمرو ، كما اورد البلاذرى وقدامة . ويبدو ان البلاذرى قد اختلط عليه الامر ، وتبعه على ذلك قدامة الذى يتضح انه قد نقل عنه ذلك ، اذ يشير ابن خياط ، الى غزوة قام بها الحارث بن عمرو الطائى هذا من قبل مسلمة بن عبد الملك الذى تولى ارمينية بعد عزل الجراح الحكمي (سنة ١٠٧هـ) ، بامر الخليفة هشام ذاكرا نفس الجهود الحربية التى اورد البلاذرى قيام الحارث بها زمن يزيد . (من اجل ذلك انظر : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٧) .
- (٢) انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الثانى ، ص ٣٥٤ ومابعدها .
- (٣) اديب السيد : ارمينية في التاريخ العربى ، ص ٩٥ .
- (٤) صابر دياب : ارمينية من الفتح الاسلامى حتى مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٣١٠٤ .
- (٥) نفس المرجع ، ص ٦٤ .
- (٦) تسمى دبيل وتوين ايضا ، وهى قصبة ارمينية الاسلامية فى الازمنة الاولى ، تقع الى الغرب من نهر ارس بجوار جبل اراراط . (كى لسترنج : بلدان ، ص ٢١٦-٢١٧) .
- (٧) صابر دياب : نفس المرجع ، ص ٥٦ .

ولعل هذا التعدد ناتج عن حلول مدينة بعد أخرى كمركز للحكم الاسلامى ، يفرق ذلك عدم استقرار الفتح الاسلامى فى ارمينية ، وتعرض المسلمين لغزو الخزر ، مما يفقدهم احيانا كثيرا مما فتحوه . وقد يكون ذلك نتيجة الفشل بين اماره ارمينية واذربيجان ، مما يدعو لوجود مركز لكل اقليم منهما .

وكان الحكم الاموى فى ارمينية طيبا ، اذا ما قورن بالحكم الاجنبى ، متميزا بالتسامح والدعوة الى الاسلام ^(١) بالحسنى ، وقد احترم المسلمون الى حد ما استقلال الامارات الارمنية تحت سيطرتهم ، ومع ادراكهم لخطورة ذلك على سيادتهم وماعانوه من صراعات الارمن وثوراتهم ، الا انهم لمسوا قيمة بقاء القوة الارمنية كحاجز فى وجه قوى ماوراء القوقاز ^(٢) .

وكان التواجد الاسلامى وسيطرة المسلمين جلية فى وديان الانهار الكبرى ومدنها ، وذلك لسهولة الوصول اليها ، وهناك اقام المسلمون موظفيهم وحامياتهم بالتدريج ، فتمكنوا من السيطرة عليها وتمركزوا فيها ، وفرضوا عليها انظمتهم الادارية والمالية ^(٣) ، وقد استعانوا بامراء الارمن فى جباية الضرائب ، وتولى الشؤون العسكرية، وكانت العلاقة بين المسلمين والارمن تتأثر بالموقف السياسى العام ، وشخصية ^(٤) الوالى .

(١) صابر دياب : ارمينية من الفتح الاسلامى حتى مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٦٤، ٥٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٦٣ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٦٤-٦٥ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٦٣ .

(٥) نفس المرجع ، ص ٦٥ .

اما عماله على الجزيرة والموصل ، فان يزيد بن عبد
الملك ولى عمر بن هبيرة الجزيرة ، فلم تدم مدة ولايته ،
حيث عزله عنها (سنة ١٠٢هـ) ، وسبب ذلك ان عمرا غزا
ارمينية ، ففتح فتحا عظيما ، فوجه بالبشارة مع مروان بن
محمد ، فغلب بنو امية ، وقالت : فزارى يحمل البشارة
والرسالة رجل منا ؟ فعزله يزيد وولى مروان بن محمد مكانه
الموصل . وظل عليها حتى مات يزيد ، حيث كان اميرها سنة ١٠٣
١٠٤هـ . ويبدو ان الخليفة يزيد جمع له الموصل
واعمالها ، والجزيرة باجمعها في سنة ١٠٤هـ .
والظاهر ان يزيد بن عبد الملك عندما عزل ابن هبيرة
عن الجزيرة والموصل ، لم يول مروان الا الموصل ، اما
الجزيرة فاننا نجد ليزيد عليها عمالا آخرين تولوها بعد

(١) الجزيرة : سمي العرب القسم الشمالى من البلاد الواقعة
ما بين النهرين اى نهر دجلة والفرات بالجزيرة ،
ويقلها عن العراق وهى القسم الجنوبى من بلاد ما بين
النهرين خط يتجه شمالا من الانبار على الفرات الى
تكريت على دجلة . وهاتين المدينتين تعدان من اعمال
العراق ، ذلك فى عرف البلدانيين العرب الاولين ، اما
البلدانيين الذين اعقبوهم ، فجعلوا الخط يتجه من
تكريت باتجاه الغرب تقريبا ، مدخلين فى العراق كثيرا
من المدن التى على الفرات شمال الانبار . وسميت تلك
البلاد بالجزيرة ، لان مياه الفرات ودجلة تحيط بها .
(كى لسترنج : بلدان ، ص ١٦-١٧-٤٠-٤١) .

(٢) الموصل : تقع على الضفة الغربية ، وهى قاعدة ديار
ربيعة ، وسميت بالموصل لانها وصلت بين الجزيرة
والعراق ، وقيل بين دجلة والفرات ، وقيل غير ذلك .
وهى احدى قواعد الاسلام ، منها يقعد لجميع البلدان ،
فى باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يقعد الى
اذربيجان . وقد علا شأنها زمن بنى امية ، وصارت فى
عهد مروان الثانى قاعدة اقليم الجزيرة . (انظر :
ياقوت : معجم ، ٢٢٣/٥-٢٢٥ - كى لسترنج : نفس المرجع
ص ١١٥-١١٨) .

(٣) ابو زكريا الازدى : تاريخ الموصل ، ص ١٦ .

(٤) ابو زكريا الازدى : نفس المصدر ، ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٢٠ .

ابن هبيرة ، فقد تعاقب على الجزيرة عمر بن هبيرة وفايد بن محمد الكندي ، والعرض بن قيس بن شعبة بن الارقم الكندي .^(١)
وقد أورد ابن خلدون : أن محمد بن مروان هلك عن اماره^(٢) الجزيرة ، واذربيجان وارمينية ، فولى يزيد مكانه عمه مسلمة ابن عبد الملك ، وهذا خطأ بين ، فلم يكن محمد بن مروان على تلك البلاد زمن عمر بن عبد العزيز ، ولم يول يزيد اخاه مسلمة وليس عمه كما قال . بل بعث مسلمة لقتال ابن المهلب ، ثم ولاء العراق ، كما بينا ذلك قبل .

عماله على مصر :

ولاية ايوب بن شرحبيل وبشر بن صفوان على مصر :

اما مصر فقد اقر عليها الخليفة يزيد بن عبد الملك واليها من قبل عمر بن عبد العزيز ايوب بن شرحبيل الاعمى على ملائمتها ، فظل عليها حتى تولى لاحدى عشر ليلة بقيت من شهر رمضان سنة احدى ومائة من الهجرة . وفى رواية انه نزع عنها لسبع عشرة ليلة من شهر رمضان . فامر عليها الخليفة^(٣)
^(٤)
^(٥)
^(٦)

-
- (١) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٢٤ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٠٥ (ولم نعثري على ترجمة لفائيد بن محمد والعرض بن قيس) .
(٢) المعبر ، ٧٦/٣ .
(٣) ذكر ابن خياط عمال عمر بن عبد العزيز على الجزيرة وارمينية واذربيجان فقال : ولى عبد العزيز بن حاتم ابن النعمان ارمينية ، ثم ولاها عدى بن عدى ، فاستخلف سواده ابا الصباح بن سواده الكندي على الجزيرة . (نفس المصدر ، ص ٢٢٢) .
(٤) انظر ترجمته قبل : ص ٤٢٧ .
(٥) الكندي : الولاة ، ص ٦٩ - ابن تغرى بردى : النجوم ، ٢٣٨/١-٢٣٩ .
(٦) الكندي : نفس المصدر والمفحة - ابن تغرى بردى : نفس المصدر والجزء والمفحات .

(١)
يزيد من بعده ، بشر بن صفوان الكلبي ، فقدمها في نفس
الشعر .
(٢)

أما الخراج فجعل عليه الخليفة يزيد عاملا من قبله ،
حيث رد على خراج مصر اسامة بن زيد التخوي ، وكان عليه من
قبل ، فعزله عمر بن عبد العزيز وأمر بحبسه سنة في كل جند
من الأجناد ، عقابا له لأنه كان ظلوما غشوما يعاقب بغير
ما أنزل الله ، فحبس بمصر ثم نقل إلى فلسطين ، فمات عمر ،
وتولى يزيد الذي أمر برده على خراج مصر .
(٣)

وقد جعل بشر بن صفوان على شرطته شعيب بن حميد بن أبي
الربداء البلوي ، بالولاء ، ثم نزعته عن الشرطة بعد أيام ،
وولاه التابوت .
(٤)
(٥)

-
- (١) انظر ترجمته قبل : الفصل الرابع ، المبحث الثالث ،
ص ٣٧١ .
(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٤ - الكندي : الولاة ،
ص ٧٠ - الأربلي : خلاصة ، ص ٢٦ .
(٣) ماجدة فيمل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد
المظالم ، ص ١١٩ - الطبري : تاريخ الأمم ، ٦/٦١٨ -
ابن الأثير : الكامل ، ٤/١٨٢ (والأخيران ، لم يقولوا برده
على الخراج وإنما على مصر . والصحيح ما ذكرناه ،
يسنده بعض الزوايا الدالة على عمله على خراج مصر ،
واستمرار الولاية الإدارية في غيره باجماع المصادر) .
(٤) الكندي : نفس المصدر والمفحة .
(٥) وردت ولاية التابوت مقرونة بولاية الشرطة في حوادث سنة
١٥٢هـ ، أيضا . إذ يذكر الكندي (نفس المصدر ، ص ١١٧)
عن ولاية مصر ، مائمه : "ثم وليها (أي مصر) عبد الله
ابن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج من قبل أمير
المؤمنين أبي جعفر على ملاتها ... فلم يول على الشرط
أحدا ، ولكن جعل على التابوت على بن زيدان التجيبي
ثم عزله فولاه محمد بن يعفر المعافري ثم عزله ، فولاه
عمران بن سعيد الحجري ثم عزله ، فولاه رجلا من الموالي
يكنى "أبا المحب" . ويذكر الكندي أيضا (نفس المصدر ،
ص ١١٨) أن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج
توفي في مصر سنة ١٥٥هـ ، وكانت ولايته عليها سنتين
وشهرين ، وهذا يعني أنه تولى على التابوت خلال ولايته
على مصر ، وهي سنتين وشهرين ، أربعة ولا ، وفي هذا
ما يشير إلى أهمية هذه الوظيفة . =

فماذا تعنى كلمة التابوت وما وظيفة متوليها ؟
وبالرجوع الى شرح المصطلحات التى وردت فى كتاب
الكندى ، وجدنا أن روفن جشت محقق الكتاب اكتفى فى
شرحه لمصطلح التابوت ، أنها تعنى وظيفة ما كانت
معروفة بهذا الاسم . (نفس المصدر ، الدراسة ، ص ٦) .
فلم يفتننا شرحه شيئا ، وظل السؤال قائما ، ماهو
التابوت وماهى وظيفة متوليها ؟

ان كلمة التابوت ، كلمة مصرية قديمة ، تعنى المندوق
المصنوع من الخشب والمفتوح من أعلى ، والذي كانت
توضع فيه أجساد الموتى بعد تحنيطها فى العصر
الفرعونى ، ولاتزال هذه الكلمة مستخدمة فى مصر حتى
الآن على هذه النوعية من المناديق . وتطلق هذه الكلمة
حتى الآن فى الريف المصرى على الساقية التى تستخدم
وقت التحاريق (أى وقت القحط) لرفع المياه الجوفية من
الآبار ، عندما ينخفض منسوب المياه فى الترع والقنوات
فى فصل الشتاء ، لأن فيضان النيل يكون فى فصل الصيف
ولايزال الفلاحون يطلقون على الساقية تجاوزا ، اسم
التابوت . (وهذه المعلومات عن استاذى ، د. احمد
السيد دراج ، مشافهة) .

كما وردت كلمة التابوت أيضا ، فى المصادر الخاصة
بغزون القتال البحرى عند المسلمين ، ففى كل مركب من
مراكب القتال يوجد برج أو مندوق ، مفتوح من أعلاه ،
ومعلق فى أعلى موارى السفن الكبيرة ، يمد إليه
المقاتل قبل بدء القتال مع سفن العدو ، فيقيم فيه
للاستكشاف ، فإذا ماحدث القتال احتسى بذلك المندوق ،
وأخذ يرمى العدو فى سفنه ، ببعض أدوات القتال التى
تكون معه فى البرج أو المندوق ، فتارة يرميه
بالحجارة ، وأخرى بقوارير النفط لاحتراق سفن العدو ،
أو يصب على سفن الأعداء ، المايون السائل ، لتتلقق
أقدام المقاتلة منهم ، وأحيانا يستخدم مسحوق النورة
يقذف به على الأعداء فى مراكبهم ، ليمل غبارهم أعينهم
فيصيبهم بالعمى والالتهاب . ويطلق على هذا البرج أو
المندوق اسم التابوت .

(من أجل ذلك ، انظر : هشام سليم عبد الرحمن أبو
رميلة : نظم الحكم فى الأندلس فى عصر الخلافة ، رسالة
ماجستير ، مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،
١٩٧٥م ، غير مطبوعة ، ص ٤٠٨-٤٠٩ - عبد العزيز عبد
الدايم : الأحكام الملوكية والفوابط الناموسية فى فن
القتال فى البحر ، مع دراسة عن فن القتال البحرى فى
عصر سلاطين المماليك ، تحقيق ودراسة ، رسالة دكتوراه
مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، غير مطبوعة
ص ٢٩ (للدراسة) ، ص ٢١ (المخطوطة) . =

(١) (٢)

وجعل بشر اخاه حنظلة بن صفوان على شرطته .

ومن اهم الاعمال الادارية التي تذكر لبشر في ولايته على مصر ، وضعه التدوين الرابع لاهل مصر ، وذلك انه لما رأى اشتراق قضاة في القبائل ، كتب الى الخليفة يزيد يسأله الاذن في استخراجهم من القبائل وافرادهم ، فاذن له الخليفة فآخرج مائة من كنده ، وتنوخا من الازد ، وآل كعب بن عدى التنوخى من قريش ، وجهينة من اهل الراية ، وحسينا من لخم فجعلهم مع سائر قضاة دعوة منفردة ، وتدوين بشر هذا يعتبر التدوين الرابع ، فقد كان الاول تدوين عمرو بن العاص ، والثانى تدوين عمر بن عبد العزيز بن مروان ، والثالث (٣) تدوين قرة بن شريك ، ولم يكن بعد تدوين بشر شيء يذكر الا

= وكلمة ثابت فيما يبدو تطلق على كل صندوق أخذ مئة الثابوت عند المصريين ، وان استخدم لأغراض أخرى ، غير حفظ رفات الاموات ، يفهم ذلك من خبر أورده المقرئى هذا نعه : "عن زيد بن أسلم قال : كان ثابت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده ، فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد ، فمن أسلم منهم أقامه ، ومن أقام منهم قومه " . (انظر : خطط ، ٢٩٥/١) .

وفي ضوء هذه المعاني لكلمة الثابوت ، يمكن أن يفسر ماورد الكندى عن ولاية الثابوت ، أنها وظيفة تتركز على الري والزراعة في مصر الاسلامية ، أو أنها وظيفة تختص بالاشراف على الاسطول الممصرى ، أو أنها وظيفة تعنى بحفظ الوثائق الرسمية المتعلقة بولاية مصر وأميرها .

(١) حنظلة بن صفوان الكلبي ، أمير ، من القادة الشجعان ، من اهل دمشق ، استخلفه أخوه بشر بن صفوان على إمارة مصر (سنة ١٠٣هـ) عندما ولاه الخليفة يزيد الفريقية ، فأقره الخليفة يزيد ، فلما استخلف هشام صرفة عنها (سنة ١٠٥هـ) ، ثم أعاده اليها (سنة ١١٩هـ) ، فأقام الى (سنة ١٢٤هـ) ، ثم نقله على ولاية الفريقية ، أبان اندلاع ثورة البربر ، فقمعها ، وأرسل الى الاندلس ودانت له ، واستقر حتى اضطرب أمر الخلافة ، فأخرجه اهل الفريقية (سنة ١٢٩هـ) ورجع الى الشام حيث توفي نحو (سنة ١٣٠هـ) . (الزركلى : الاعلام ، ٢٨٦/٢-٢٨٧) .

(٢)

الكندى : نفس المصدر ، ص ٧٠ .

(٣)

أظنه يعنى عبد العزيز بن مروان . (انظر : الكندى : نفس المصدر ، ص ٤٩) .

ماكان من الحاق قيس فيه زمن هشام ، واشياء احدثها المسودة
(١)
من ارباعهم التي احدثوها منه .
(٢)

ويبدو ان هذا العمل استهدف ضبط الامور المالية الخاصة
باهل الديوان . ولم يكن هذا العمل وحيدا فقد قام عمال
الخلافة على مصر ببعض الاعمال والاجراءات المالية ، الكفيلة
بتخفيض المصروفات ، وزيادة الواردات .
(٣)

ولاية حنظلة بن صفوان :

في اواخر (سنة ١٠٢هـ) ورد كتاب الخلافة يزيد بن عبد
الملك على امير مصر بشر بن صفوان بتوليته على افريقية ،
فخرج اليها في شوال من ذلك العام ، وقد استخلف اخاه حنظلة
ابن صفوان على مصر ، فاقره الخلافة يزيد بن عبد الملك .
(٤)

وقد جعل حنظلة على شرطه محمد بن مطير البلوي ثم عزله
(سنة ١٠٣هـ) ، واستعمل بدلا منه القاسم بن ابي القاسم بن
زر السباشي مولى منهم .
(٥)

وفي سنة ١٠٣هـ خرج الى الاسكندرية ، واستخلف على مصر
عقبة بن مسلم التجيبي . وكان قد مهد امور مصر ، واحسن
المسيرة في سلطانه .
(٦)

(١) المسودة : يعنى بهم المباسيين ، لانهم اتخذوا السواد
شعارا لهم .

(٢) عن التدوين الرابع زمن بشر بن صفوان ، (انظر :
الكندى : الولاة ، ص ٧٠-٧١ - ابن حنري بردى : النجوم ،
٢٤٤/١ - سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ٦٦-٦٧) .

(٣) سنن تلك الاجراءات ، ابان دراستنا لسياسة الخلافة
يزيد المالية في المبحث الثاني من هذا الفصل .

(٤) الكندى : نفس المصدر ، ص ٧١ - ابن حنري بردى : نفس
المصدر ، ٢٥٠/١ - القلقشندي : مآثر ، ١٤٨/١ (قال :
حنظلة أخو صفوان ، خطأ) .

(٥) الكندى : نفس المصدر والمفحة .

(٦) ابن حنري بردى : نفس المصدر والجزء والمفحة .

ولفنا ملاحظة أخيرة على سياسة يزيد الادارية في مصر ،
وهى عدم اطلاق يد العامل وذلك عن طريق الفصل بين الوظيفة
الادارية والمالية والقضائية . فقد عين الخليفة عاملا على
الخراج من قبله ، كما كان امر القاضى الى الخليفة ولاية
وعزلا ، وبذلك اقتضرت سلطات الامير على الصلا والحرب .
وقد ظل حظوظة واليا على مصر حتى وفاة يزيد بن عبد
الملك ، حيث عزله هشام باخيه محمد بن عبد الملك بن
مروان .^(١)

عماله على المغرب :

لما اعلنت الخلافة الى يزيد بن عبد الملك عزل اسماعيل
ابن عبيد الله عن ولاية افريقية والمغرب ، وولاه يزيد بن
ابى مسلم ، مولى الحجاج بن يوسف الثقفى ، فى ذى القعدة^(٢)
^(٣)
^(٤)

- (١) ابن تفرى بردى : النجوم ، ٥٢٠/١ .
(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الاول ، ص ١٠٢ .
ولعل عزل الخليفة يزيد لاسماعيل بن ابى المهاجر ،
مؤدبه سابقا يدل على فتور العلاقة بين الخليفة ومؤدبه
بينما تراه يستقضى الزهرى مؤدبه ومعلمه الآخر ، وهو
لم يكن من رجال الدولة .
(٣) ذكر ابن ابى دينار أن عامل افريقية الذى عزله
الخليفة يزيد بابن ابى مسلم هو محمد بن يزيد الانصارى
كان عليها من قبل عمر بن عبد العزيز . (انظر كتابه
المؤنس فى اخبار افريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ،
نشرة المكتبة الحثيقة ، تونس ، الطبعة الثالثة ،
ص ٢٩) . والصحيح ما قدمناه ، فمحمد بن يزيد كان امير
افريقية من قبل سليمان بن عبد الملك فعزله عمر بن
عبد العزيز باسماعيل بن عبيد الله بن ابى المهاجر .
(انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٨ ، ٣٢٣) .
(٤) انظر ترجمته قبل : ص ٢٨٢ .

(١) سنة ١٠١هـ) ، وكان قدومه إليها سنة ١٠٢هـ . (٢)

وقدمها معه عبد الله بن موسى بن نصير . أمحبه (٣)
أياه الخليفة يزيد ، ولعل ذلك كما يقول حسين مؤنس ليكون (٤)
عونا له ، لمعرفته بشئون المغرب وخبرته بالبلاد وعلمه
بأهلها ، فلما وصلها ، أمر ابن أبي مسلم عبد الله بن موسى
أن يعد من ماله عطاء الجند وأرزاقهم خمس سنين ، فقال
لاقدر ، فحبسه بداره . وأخذ موالى موسى بن نصير من البربر
فوسم أيديهم وردهم إلى الرق ، فجعلهم أخماسا وأحصى
أموالهم وأولادهم ، وجعل بعضهم حرسه وبطانته ، ففى محاولة

(١) عن ولاية يزيد بن أبي مسلم ، (انظر : ابن عبد الحكم :
فتوح مصر ، ص ١٤٣ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ،
ص ٣٣٤ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ - اليعقوبى :
تاريخ اليعقوبى ، ٣١٣/٢ - ابن الأثير : الكامل ،
١٨٢/٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٨/١ - ابن أبي
دينار : المؤنس فى أخبار إفريقيا وتونس ، ص ٣٩ - ابن
خلكان : وفيات ، ٣١١/٦ - الذهبى : تاريخ الاسلام ،
٢١٥/٤ - الذهبى : دول الاسلام ، ٥٣/١ - النصارى :
الاستقصاء ، ١٠١/١ ، وغيرهم) .

(٢) البلاذري : نفس المصدر والمفحة - ابن الأثير : نفس
المصدر والجزء والمفحة .

(٣) عبد الله بن موسى بن نصير اللخمى ، أمير من رجال
الفتوح فى المغرب ، كان مع أبيه فى إفريقية
فاستخلفه على القيروان سنة ٩٣هـ ، واستمر أميراً
عليها إلى أن عزله سليمان (سنة ٩٧هـ) بمحمد بن يزيد
ثم يختلف المؤرخون ، فمنهم كابن عذارى وآخرون يذهبون
إلى أن محمد سجن عبد الله وعذبه ثم قتله ، وفريق آخر
منهم ابن حبيب يقول : أن بشر بن مغوان لما ولى
إفريقية سنة ١٠٢هـ ، اتهم عبد الله بن موسى بقتل
يزيد بن أبي مسلم أمير إفريقية ، فقتله به ، وبعث
برأسه إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فنصبه
(الزركلى : الاعلام ، ١٤٠/٤ - ١٤١) .

(٤) فجر الاندلس ، ص ١٥٨ .

منه للقضاء على كل اثر لجاء بنى نصير فى افريقية ، وقد
اعتبرت فاطمة رضوان أن هذا الاجراء تجاه عبد الله بن موسى
ومواليه ، بداية لسياسة ابن أبى مسلم العادفة الى تتبع
أموال الولاة السابقين ، لكننا لم نجد منه موقفا تجاه غير
آل موسى ، ولم تمدنا المصادر بما يفيد محاسبته لغيرهم من
الولاة . ويبدو أنه ، كان يرى أن آل موسى اقتطعوا جزءا من
أموال المسلمين ، إبان الفتوحات فى المغرب والاندلس . لذلك
أمر عبد الله بن موسى أن يقدم عطاء الجند لخمس سنين . أما
موقفه من موالى آل موسى ، فيبدو أنه اعتبرهم جزءا من تلك
الغنائم التى استحوذ عليها موسى وبنوه إبان تلك الفتوح ،
لذلك أعاد مواليهم الى الرق ، وخمسهم ، فضم خمس الدولة او
بعضه الى حرسه وبطانته . وكان هناك حرس للدولة ، فى خدمة
أمير افريقية ، لايولى بتوليته ولا يعزل بعزله ، مما يدل على
أن ولاية افريقية عدت ذات نظم مستقرة . وكان هؤلاء الحرس
من البربر البتر ، ليس فيهم من البرانس أحد . وكان الولاة

(١) عن استصحاب عبد الله بن موسى وموقف ابن أبى مسلم منه
ومن مواليه ، (انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ،
ص ١٤٣ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٣/٢ - حسين
مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٥٨) .

(٢) المغرب فى عصر الولاة الأمويين ، ص ٦٠ .

(٣) فاطمة رضوان : نفس المرجع ، ص ٦١ .

(٤) البتر والبرانس : هما الجذعان الرئيسيان اللذان
ينتمى اليهما البربر ، وكل جذع ينقسم الى عدد من
القبائل ، فالقبائل البترية : لواتة ، ونفوسة ،
ونفزاوة ، ومغراوة ، وزناتة ، ومطغرة ، ومغيلة ،
ومكناسة ، ومديونة ، وزواغة . أما القبائل البرنسية :
منهاجة ، ميمودة ، هسكورة ، أوربة ، كتامة ، هواره ،
غمارة ، ازداجية ، مسطاطة ، جزولة . والبتر هم من
عاشوا فى مناطق السهول المتميزة بالمناخ المعتدل ،
بينما استقر البرانس فى الجبال الباردة ، ويعزى سبب=

السابقين ليزيد يقربون البتر ويميزونهم ويخذون منهم بطانتهم ، فلما جاء ابن ابي مسلم اتخذ تجاههم سياسات كان فيها شيء من الامتحان والاذلال ، فخر ولاء هذا الفريق القوى وهذا ماسيكون له عظيم الاثر في تطور الاحداث فيما بعد .^(١)

ويفتح ان يزيد بن ابي مسلم اعتزم اتخاذ بعض الاجراءات التنظيمية في جهاز الادارة تنطوي على شيء من الدقة ومظاهر الابهة ، فرأى ان يميز الحرس عن سواهم ، حتى لا يشبهه على الناس امرهم اذا ما اوكلت اليهم المهمات ، ويسارعون في الاستجابة لامر الحاكم . فيروى ابن عذارى ان ابن ابي مسلم خطبهم قائلا : "الى رايت ان ارسوم اسم حرسى في ايديهم كما تمنع ملوك الروم بحرسها ، فارسم في يمين الرجل اسمه وفي يساره "حرسى" ، ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس ، فاذا وقفوا على احد ، اسرع لما امرت به " .^(٢)

= تسمية البرانس بهذا الاسم للبعض برنما كاملا بغطاء الرأس ، اما البتر فلبسوا البرنس بدون غطاء الرأس ، اى ابتر ، فسموا بالبتر . (انظر من ذلك : عبد الواحد دنون طه : الفتح والاستقرار العربى الاسلامى فى شمال افريقيا والاندلس ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨٢م ، ص ٥٣) . ويضيف شكرى فيميل : ان البرانس هم من خالط الروم على السواحل واكتسب منهم الحضارة ، والبتر هم البدو يحيون عيشة القبائل فى الداخل ، وان لم تنقطع بينهم الصلات . (انظر : حركة الفتح الاسلامى ، ص ١٨١) .

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ - فاطمة رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٦١ . (وعلمت اعتماد الولاة على البتر ، لان الكثير من البربر البرانس كانوا قد انضموا الى الجيش الاسلامى بعد مقتل الكاهنة فى ولاية حسان بن النعمان) - حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ١٤٧-١٥٩ .

(٢) البيان المغرب ، ٤٨/١ .

(٣) ينطوى النص على اقتباس ابن ابي مسلم شيء من التنظيمات الرومية . وذلك الاقتباس كان ظاهرة معروفة فى العصر الاموى بحكم وجود عاصمتهم دمشق فى بلاد الشام التى كانت تابعة للروم قبل الفتح ، ولاتخاذهم ابهة =

(١)
بل أن البلاذري أخبر بما يفيد أنه شرع في تنفيذ عزمه
عندما قال : "كان حرسه من البربر فوسم كل امرئ منهم على
يده حرسى" .

وقد فات الأمير طبيعة القبائل البحرية ، وانهم
بحياتهم البدوية ، أشبه بالعرب في انفتحهم ، وعزة أنفسهم ،
كما تجاهل اسبقيتهم الى الدخول في الاسلام ، وتقديم خالص
العمون لهم . لذلك انكروا عليه هذا الثمرف لما فيه من
الامتنان والاستخفاف ، وكرهوا سيرته ، وقالوا : جعلنا
بمنزلة النصارى ، فسعوا الى بعض ، واتفقوا على قتله .
(٢)
وكان لعبد الله بن موسى بن نمير دور في تاليبهم وتحريضهم
عليه .
(٣)

وتشير بعض المصادر والمراجع الى عوامل اخرى ادت الى
مقتل يزيد بن ابي مسلم ، منها ما تشير اليه فاطمة رضوان ،
(٤)
من أن ابن ابي مسلم زعم أن بلاد المغرب في الامويين ومغرم
فتحوه عنوة بالسيف ، فهو ملك للدولة ، لها أن تقرر ماشاءت
من الخراج على اراضيها .

= الملك في دولة توسعت وامت مناطق كانت معد حضارات
قديمة ، وأقوام من غير العرب كان لهم ثقافتهم
ونظمهم المتقدمة ، فأوجبت الحاجة في دولة ناشئة مثل
هذا الاقتباس والمحاكاة .

- (١) فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ .
- (٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٥٩ .
- (٣) البلاذري : نفس المصدر والمفحة - ابن عذارى : البيان
المغرب ، ٤٨/١ - حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ١٥٦ .
- (٤) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ١٥٩ .
- (٥) المغرب في عصر الولاة الامويين ، ص ٦١ .

(١)
وتذكر المصادر والمراجع ، ان ابن ابي مسلم عزم على ان يسير في اهل افريقية والمغرب بميرة الحجاج بن يوسف في اهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ، ممن كان اصله من السواد من اهل الذمة ، فاسلم بالعراق ممن ردهم الى قراهم ورسائيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ماكانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم على ذلك ، اجمعوا على قتله فقتلوه .

والحقيقة ان هذين الخبرين يفيدان مااعتزمه ابن ابي مسلم وماكان يراه ، الا انهما لايشيران الى تنفيذ هذه السياسة . ومن هنا فان هذين العاملين كما يبدو قد ساعدا على وجود الجفوة والفجوة بين ابن ابي مسلم واهالي المغرب الا ان من الواضح ان السبب المباشر لمقتله هو موقفه من عبد الله بن موسى بن نمير ومواليه وحرسه ، يؤكد ذلك اتهام عبد الله بقتل يزيد ، وقتله قماما بعد ان قامت عليه (٢)
الحجة .

ونحن لانجانب الواقع كثيرا اذا قلنا بان الملة التي تربط يزيد بن ابي مسلم بالحجاج بن يوسف ، قد جنت عليه ، (٣)

-
- (١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٧/٦ (وقد اوردنا نص خبره في هذا الشأن بعد : المبحث الثاني ، ص ٥٥٩) - وكذلك ابن ابي دينار : المؤنس ، ص ٣٩ - ابن خلكان : وفيات ، ٢١١/٦ - ابن تفرى بردى : النجوم ، ٢٤٥/١ - الفاضل ، الاستقماء ، ١٠٣/١ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢٩٤/٢ - فاطمة رفوان : المغرب في عصر الولاة الامويين ، ص ٥٨ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٥٩ .
- (٢) انظر اتهام عبد الله بن موسى بقتل ابن ابي مسلم ، وقتله بعد قيام الحجة عليه ، بعد : ص ٥٢٨-٥٣١ .
- (٣) تتمثل هذه الملة في كونه مولا للحجاج وكاتباً له ، كانت فيه كفاية ونعفة فقدمه الحجاج ، واستخلفه على خراج العراق عند وفاته ، فاقره الوليد وقال : "مثلى ومثل الحجاج وابن ابي مسلم كرجل باع منه درهم فوجد دينارا" . (انظر ذلك فمن ترجمته عند ابن خلكان : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٠٩) .

واكسبته كراهة الناس ، وتحامل بعض المؤرخين ، فلما انه على شاكلة سيده الحجاج وانه لابد سائر على نهجه . اذ لاتمدنا المصادر بنصوص تثبت اتباعه نهج الحجاج ، او اتخاذ خطوات ادارية او مالية فيها ظلم واعتداء غير ماوردته من سياسته تجاه آل موسى ومواليهم وحرسه ، وماعدا ذلك لانجد سوى الظن والقول بانه كان يرى او انه اعتزم . فما نفذ ماكان يراه ، ومافعل مااعتزمه . وقد يكون ابن ابي مسلم كان يرى ذلك ، لكنه ايضا كان موقفا من عدم امكانية تنفيذ مايراه ، في قبائل البربر التى الفت عدالة الاسلام ، ونعمت بما اجراه عليها حسان بن النعمان الفسائى ، يساعدهم على ذلك قوة شوكتهم ، ومنأى بلادهم من دار الخلافة ، وطبيعة ارضهم القاسية .^(١)

ولقد قال كثير من المؤرخين بسوء سيرة يزيد بن ابي مسلم الثقفى ، ومن هؤلاء المؤرخ والمحدث الثقة ، الامام الذهبى ، الذى قال عنه : "بقى - يعنى يزيد بن ابي مسلم - على المغرب سنة وفتحوا به لانه اساء السيرة وظلم فقتلوه واراح الله منه فى سنة اثنتين ومائة " .

(١) من المعروف ان بلاد المغرب قد فتح بعضها ملحا ، والبعض الآخر عنوة ، الا ان الوالى حسان بن النعمان (٧٤-٨٥هـ) الذى نظم المغرب اداريا لأول مرة ، أجرى عليها حكم الارض المفتوحة ملحا . ووافق فى ذلك موسى ابن نصير ، ومن جاء بعده من الولاة ، حتى ولاية يزيد ابن ابي مسلم . (انظر : فاطمة رفوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٦١-٦٢، ٢٩٠-٣٠) .

(٢) تاريخ الاسلام ، ٢١٥/٤ - دول الاسلام ، ٥٣/١ - ومن قال بظلمه وسوء سيرته لمنا من خلال اعتزازه اتباع نهج الحجاج فى اهل السواد / الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٧/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ - ابن ابي دينار : المؤنس ، ص ٣٩ - الفاضل : الاستقصاء ، ١٠٣/١ .

(١) وان كنا نجد ابن خلكان في خبر عزاه الى ابن عساكر ، يشير الى حسن سيرة ابن أبي مسلم ، ولافراده بهذا الخبر ، رجعنا الى ابن عساكر ، فوجدنا الخبر الذي نقله عنه ابن خلكان ، لكنه لم يذكر القول بحسن سيرته . وجاء عند ابن خلكان زيادة لانعلم اهل عنه ، ام من النساخ ، وبلا شك فان في موقف يزيد بن أبي مسلم من آل موسى ، وما اراد اجراءه على حرسه من البربر ، ظلما وسوء سيرة ، الا ان المصادر لا تمدنا بنصوص تدل على سياسات قالمة طبقها على عموم البربر في افريقية . وهذا ما دفعنا الى مناقشة ما ذكر حول سيرته في البربر ، وتحديد ما ورد فيها من عموميات اللفظ والمعنى للوصول الى حقيقة سيرته في ظل المقتضى المصحح لتلك النصوص .

وكان حرس يزيد قد اتفقوا على قتله ، فلما كان شهر رمضان من (سنة ١٠٢هـ) ، وخب عليه أحد جنده ويدعى "حريز" (٣) فقتله في مملاه ، بعد ان ملأ ركعة من ملاء المغرب . وقمة (٤) ذلك ان يزيد لما حولى المغرب ، قبض على محمد بن يزيد

-
- (١) وفيات ، ٣١١/٦ .
 (٢) تاريخ دمشق ، المخطوط ، ٣٨٩/١٨ .
 (٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٣ . واورد اليعقوبى اسمه "جرير" . (انظر : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٣/٢) .
 (٤) عن مقتل يزيد بن أبي مسلم ، (انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - ابن عبد الحكم : نفس المصدر والمفحة - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ - ابن عذاري : البيان المغرب ، ٤٨/١ - ابن عساكر : نفس المصدر والجزء والمفحة - ابن خلكان : نفس المصدر والجزء ، ص ٣١١-٣١٢ - ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٣٩ - اليعقوبى : نفس المصدر والجزء والمفحة (اشار انه قتله وهو ياكل مئبا في طعام له ، ووافقه على ذلك ابن عبد الحكم ، نفس المصدر والمفحة) .

الانصارى ، وعذبه حيث يروى ان عمر بن عبد العزيز فى مرض موته امره باطلاق المساجين ، فاطلقهم جميعا ماعدا ابن ابي مسلم ، فنذر دمه ان تمكن منه . فلما مات عمر ولاه الخليفة يزيد افريقية ، وكان محمد بها ، فاخذ به ذلك وسجنه وعذبه ، وكان فى يوم مقتله قد عزم على قتله فامر بالنطح والسيف لقتله ، الا ان صلاة المغرب اقيمت ، فقام لها ، فوثب عليه جنده وقتلوه .
(١)

ويقال : ان صاحب هذه القصة ليس محمد بن يزيد بل الوضاح بن ابي خيثمة الذى كان حاجبا لعمر ، فامره باطلاق المساجين ، فترك ابن ابي مسلم ، ولما مات عمر هرب الى افريقية ، فجاءت ولاية ابن ابي مسلم عليها ، فقبض عليه .
(٢)

وهذا القول اولى ، خصوصا ان محمد بن يزيد كان عمر قد عزله عن افريقية وولاه ابن ابي المهاجر ، فمن المشكوك فيه ان يولىه امرا له بعد عزله . لكن بالعودة الى ابن خياط اسبق من اشار الى الرواية الاولى ، وجدنا ان الوضاح بن خيثمة المذكور احد رجال سند الرواية التى نقلنا قصة محمد ابن يزيد مع ابن ابي مسلم ، كما اننا وجدنا حجابة عمر بن عبد العزيز لم تكن للوضاح بل لحبيش مولا .
(٣)

(١) ذكره ابن خلكان فى ترجمة يزيد بن ابي مسلم ، واورد قصته معه ، ولم يفرد له ترجمة . (انظر : وفيات ، ٣١١/٦-٣١٢) .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٣ (الا انه اشار ان سبب ذلك ان محمد ابن يزيد تولى عذابه زمن الحجاج . وذلك مستبعد فقد كان ابن ابي مسلم ثقة الحجاج وكاتبه) .

(٣) الجعفيارى : الوزراء ، ص ٥٦-٥٧ - ابن خلكان : نفس المصدر والمفحة - الناصرى : الاستقما ، ١٠٣/١ .

(٤) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٢٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٢٦ .

(٦) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٢٥ .

مما يجعلنا أمام اضطراب لامخرج منه ، وأيا كان صاحب
 القصة ، فالمهم لدينا حدوث مقتل ابن أبي مسلم أثناءها .
 وينفرد خالد المولى بالقول : أن ابن أبي مسلم قتل^(١)
 باسم ، لكنه لم يشر إلى مصدر خبره ، وهو بذلك خبر ضعيف
 لا يلتفت إليه ، أمام إجماع المصادر على ما قدمناه .
 كما نجد من يقول بمقتل ابن أبي مسلم على يد الخوارج ،^(٢)
 يقول الذهبي في رواية له : " ثم أمره - أي ابن أبي مسلم -
 على إفريقية يزيد بن عبد الملك ، فثار عليه الخوارج
 ففتكوا به لظلمه ، سنة اثنين ومئة " . وذكر هذا القول عوفى^(٣)
 خليفات ، واتخذ من ذلك دليلا لدخول القول باعتناق ابن أبي
 مسلم لمذهب الخوارج المفرية ، ففسرا اتهام ابن أبي مسلم^(٤)
 بأنه من الخوارج المفرية ، بوجود رابطة المداقة التي كانت^(٥)
 تربطه بجابر بن زيد .

وقد كان مقتله بعد ولاية دامت أقل من عام واحد ، فقد

-
- (١) تاريخ العرب في الأندلس ، ص ٢١٩ .
 (٢) سير ، ٥٩٣/٤ - ٥٩٤ - وقال بمقتله على يد أحد الخوارج ،
 ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٣٩ .
 (٣) نشأة الحركة الإباضية ، ص ٣٧ (نقلا عن : ابن خلدون :
 المبر ، ٤٠٣/٤ ، ٢٢٠/٦ - ٢٢١) .
 (٤) ورد القول باعتناق ابن أبي مسلم مذهب الخوارج عند :
 ابن عساکر : تاريخ دمشق ، المخطوط ، م ٣٦٨/١٨ - محمود
 اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب ، ص ٤٩
 (نقلا عن : ابن الأثير : الكامل ، ٧٠/٥ - المبرد :
 الكامل ، ٩٤٩/٣ - ٩٦٨) .
 (٥) جابر بن زيد الأزدي ، أبو الشعثاء البصري ، تابعي من
 رواة الحديث الثقات ، كان عالم أهل البصرة في زمانه
 اتهم بالمذهب الإباضي الخارجي ، فقال له رجل : إن
 هؤلاء الإباضية ينتحلونك ، فقال : أبرأ إلى الله من
 ذلك . توفي سنة ٩٣هـ على خلاف . (ابن حجر : تهذيب ،
 ٣٤/٢ - الذهبي : سير ، ٤٨١/٤ - ٤٨٢) (لكنه لم يشر إلى
 اتهامه بالمذهب الإباضي) .

(١) تولاهما في ذي القعدة سنة ١٠١هـ ، وقتل في رمضان (سنة
(٢) ١٠٢هـ) . وهذا قريب من قول الذهبي : بأنه بقي على المغرب
(٣) سنة . ونحن بهذا نرد قول من حدد ولايته بشهر واحد .
وتختلف المصادر على من تولى أمر افريقية بعد يزيد بن
أبي مسلم ، فمنها ما يذكر أن أهل افريقية ولوا على أنفسهم
الوالي الذي كان عليهم قبله ، وهو محمد بن يزيد مولى
الانصار ، وكان عندهم غازيا مقلية في جيش يزيد بن أبي مسلم
وكتبوا الى الخليفة يزيد : "انا لم نخلع أيدينا من الطاعة
ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا بما لا يرضى الله والمسلمون ،
فقتلناه ، واعدنا عاملك" . فكتب اليهم الخليفة : "انى لم
ارض ما صنع يزيد بن أبي مسلم ، واقر محمد بن يزيد على
(٤) افريقية" .

-
- (١) انظر ماكتبناه عن ولايته قبل : ص ٥٠٦-٥٠٧ .
(٢) انظر تاريخ مقتله في الصفحة السابقة ، وايضا :
الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٨٦/٤ ، والمعبر في خبر من غير
١٢٤/١ - البيهقي : مرآة ، ٢٤١/١ - الناصري : الاستقما ،
١٠٣/١ .
(٣) تاريخ الاسلام ، ٢١٥/٤ .
(٤) قال بذلك : السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ،
٢٩٤-٢٩٥ (نقلا عن السلاوي : الاستقما ، ١٠٣/١) -
فاطمة عبد القادر رفوان : المغرب في عصر الولاة
الامويين ، ص ٦٦ (نقلا عن : ابن عذارى : البيان المغرب ،
ص ٤٨ - الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية ، ص ١٠٠ -
محمد دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ٢٠٤/٢) - محمد
زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، ص ٦٥ .
(٥) هناك رواية تقول أن محمد بن يزيد كان سجين ابن أبي
مسلم عند مقتله . (انظر ذلك قبل : ص ٥١٣) .
(٦) عن القول بتولية محمد بن يزيد ، (انظر : الطبري :
تاريخ الأمم ، ٦١٧/٦ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ،
ص ٢٢٦) أشار أن محمد بن يزيد كتب للخليفة بالخبر ،
قولي بشر بن صفوان ، ولم يقل بولاية محمد بن يزيد) -
الجهشياري : الوزراء ، ص ٥٧ - ابن الاثير : الكامل ،
١٨٢/٤ - ابن خلكان : وفيات ، ٣١١/٦ - ابن عذارى ،
البيان المغرب ، ٢٧/٢ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٢٠٢/٤
- ودول الاسلام ، ٥٣/١ (قال : اخرجوا محمد من سجنه وولوه) =

وهن هذا القول يفهم ان عمل البربر لم يكن خلافا على الدولة او خروجا عن الطاعة ، وانما رد فعل لما فعله الوالى بهم ، فكتبوا الى الخليفة معذرين ، مؤكدين بقاءهم على الطاعة والجماعة . كما يفهم منه ، ان يزيد بن ابي مسلم قد اوقع بالبربر شيئا من الظلم والجور ، لكنه لم يوضح فى اى شيء كان ، اذ لك فى النواحي المالية ام غيرها .

وقد كان الخليفة فى هذا الموقف واقعيا مرنا ، ابدى انكاره لمنيع ابن ابي مسلم ، وافر الامير الذى ولوه حتى بعث اليهم اميرا آخر من قبله . وبلا شك فان فى ذلك دلالة على ان التكثير من تصرفات الولاة لم تكن بتوجيه من الخليفة او تنفيذ لسياسة الدولة . ويلاحظ من النص ، انهم ولوا الوالى الذى كان عليهم قبل ابن ابي مسلم ، والصحيح ان عاملهم قبل ابن ابي مسلم لم يكن محمد بن يزيد بل اسماعيل بن ابي المهاجر الذى كان قد ولاه عمر بن عبد العزيز على افريقية بعد ان عزل عنها عامل الخليفة سليمان وهو محمد بن يزيد .

وهذا فيما يبدو كان سببا فى اختلاف المؤرخين ، فقد ذهب فريق منهم الى ان اهل افريقية ولوا عليهم بعد مقتل يزيد بن ابي مسلم اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر .^(١)
كما نجد فريقا ثالثا ، يقول بان اهل افريقية بعد^(٢)

= القلقشندي : مآثر ، ١/١٤٩ - ابن ابي ديفار : المؤنس ص ٢٩ . (والمصدران الاخيران قتالا : انهم كتبوا الى الخليفة بقتله ، فرد على الفري محمد بن يزيد ، حتى صرفه بغير بن صفوان) .
(١) ابن خلكان : وفيات ، ١/٣١١-٣١٢ - الناصري : الاستقما ، ١/١٠٤-١٠٣/١ .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٢-١٤٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ١/٤٨-٤٩ - الدباغ : معالم الايمان ، ١/١٩٦-١٩٧ .

(١) مقتل ابن أبي مسلم تراهوا على المغيرة بن أبي بردة ، لكن ابنه عبد الله خوفه أن يتهم بقتل الأمير أن تولى الأمر ، وارتأى هو وولده ترك الأمر ، وتراهوا على محمد بن أوس الأنصاري ، أمير البحر وكان غازيا بمقلية فلم يلبث إلا يسيرا حتى قدم من غزوه غانما ، فقلدوه أمرهم ، فكتب بذلك مع خالد بن أبي عمران إلى الخليفة ، فقبل منهم وعفا عن زلتهم ، وكان قد سأل الرسول عن ابن أوس فقال : أنه من أهل الغفل والدين ، ثم سأل : ألم يكن بها قرشي ؟ فقال له : بلى ، المغيرة بن أبي بردة ، فقال له : لم لم يقم ؟ قال خالد : أبى ذلك وأحب العزلة . فسكت الخليفة مقرا لهم . فمن الذى تولى أمر الفريقية بعد ابن أبي مسلم من هؤلاء الثلاثة ؟ أن القول بولاية اسماعيل بن أبي المهاجر أو محمد ابن أوس ، أولى للنس على ولايتهما فى بعض الروايات ، كما بينا آنفا ، ولأن الناس إذا كان الاختيار من قبلهم ، ولوا عليهم أحب الناس إليهم ، ومن عرف عنه القدرة والملاح . وتلك الملفات كانت متوفرة فى اسماعيل بن عبيد الله ، الذى كان من خيار من تولى الفريقية ، وقد أحسن السيرة فى أهلها ، (٢)

(١) المغيرة بن أبي بردة الكنانى بالحلف ، من بنى عبد الدار ، كان ممن استوطن أفريقية من جلة التابعين ، وكان من وجوهها ذو فضل ودين كثير المدقة ، من رواة الحديث الثقات ، غزا البحر لسليمان بن عبد الملك ، والصائفة بالبعث من مصر إلى أفريقية (سنة ١٠٠هـ) ، كما غزا القسطنطينية وغزا مع موسى بن نصير المغرب والاتدلس ، ولما قتل ابن أبي مسلم ارتفعاه الناس لأمرهم فأبى ، رغبة فى السلامة . (ابن حجر : تهذيب ، ٢٢٩/١ - ٢٣٠ - الدباغ : معالم الايمان ، ١٩٦/١ - ١٩٧) . انظر ترجمته قبل : الفصل الرابع ، المبحث الثالث ، ص ٢٨٢ .

(٢) انظر ترجمته قبل : ص ١٠٢ . وعن ولايته على أفريقية وسيرته فى أهلها ، انظر : فاطمة عبد القادر وهوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين ، ص ٤٣ - ٥٦ .

وكذلك محمد بن أوس ، الذي كان من أهل الغفل والدين والفقه
(١)
وماحب اثر حسن في الغزو والجهاد .

أما محمد بن يزيد ، فقد ذكر انه كان عامل سوء يظهر
التأله والنفاذ لكل ما امر به السلطان ، مما جل أو صغر ،
وان كان جورا ، أو مخالفا للحق ، وكان في هذا يكثر الذكر
والتسبيح ، فيأمر بالقوم يعذبون بين يديه ، وهو يقول :
لا اله الا الله والله اكبر ، شد يا غلام مولع كذا وكذا ،
فكانت حالته شر الحالات ، ولعل ذلك ماعى عمر بن عبد
العزیز الى عزله عندما تولى الخلافة ، وعطفا على ذلك فان
(٢)
تولية امرهم لاسماعيل بن ابي المهاجر او محمد بن أوس ،
اولى وأرجح من تولية محمد بن يزيد .

والحقيقة ان الخليفة يزيد لم يقر البربر على قتل
الامير ، وفي ذلك ما فيه من تجاوز على سلطان الدولة
والشريعة . لكنه اراد تجاوز المحنة بحكمة وحذكة ، فجنب
الدولة مشاكل لاحمر لها اذا ما تورط في الامطدام مع البربر
وهم القوة القوية في المنطقة الوعرة النائية ، والتي
ما ظن ان الخليفة قد نسي كم كلف فتحها اسلافه ، من الجهد
(٣)
والمال والانفس والزمن .

-
- (١) انظر الاحالة الى ترجمته في الصفحة السابقة .
(٢) ماجدة فيمل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد
المظالم ، ص ١٢٠ (نقلا عن ابن عبد الحكم : سيرة عمر
ابن عبد العزيز ، ص ٣٢-٣٣) . وهذا لا يعنى سوء ولايته
مطلقا ، فقد ذكر له جوانب مفيدة من السيرة ، وبخامة
في نشر الاسلام ، والرفق واللين بالبربر وتقريبهم .
(انظر عن ذلك : فاطمة عبد القادر رهبوان : المغرب في
عصر الولاة الامويين ، ص ٣٦-٣٧) .
(٣) استغرق فتح المغرب مدة زمنية طويلة قياسا بفترة باقى
الفتوحات ، وامتدت هذه الحقبة من عام ٢٢-٩٠هـ وقد
تعاقب خلال تلك الفترة عدد من القادة ابتداء من عمرو
ابن العاص ، وانتهاء بموسى بن نصير . (يوسف أحمد
حوالة : الحياة العلمية في افريقية ، ص ١٠٢) .

فاقر الجميع على ما صنعوه ، واقتصر ممن اتهم بقتل
(١)
عامله ، وثبتت عليه الحجة .

بعد أن عرضنا لولاية يزيد بن أبي مسلم أرى أن من
الأهمية الإشارة الى آراء بعض المؤرخين المحدثين حول أسباب
ولايته وطبيعة سياسته ابانها واثرت تلك السياسة .

فيرى ثلة من المؤرخين أن استعمال الخليفة يزيد بن عبد
الملك ليزيد بن أبي مسلم جاء لتعصب الخليفة للعنصر القيسي
الذي عرف بتعصبه مع العناصر غير العربية ، وأن الخليفة لم
يكن يقر سياسة اللين والتسامح التي اتبعها سلفه الخليفة
عمر بن عبد العزيز ، ويرى أن سياسة التهريب والعنف اجدى
على الدولة ، وأنه كان يرى أن دخول البربر في الاسلام قد
ادى الى نقص مورد هام من موارد بيت المال وهو الجزية لذلك
كان اختياره لابن أبي مسلم القيسي مولى الحجاج وكاتبه
وتلميذه . والذي غير الملامح الاساسية لسياسة الولاة قبله،
والتي اتسمت بمحاولة توظيف الاخوة والتعاون بين العرب
والبربر وادخالهم في الدين الاسلامي ، فنهج سيرة سيده
(٢)
الحجاج واشتط على أهل البلاد من البربر ، ففرض عليهم

(١) عن مقتل عبد الله بن موسى بن نصير ، على يد عامل
يزيد الجديد بشر بن صفوان ، (انظر بعد : ص ٥٢٨) .

(٢) يقول صابر دياب عن سيرة المسلمين الحسنة في البربر :
أنهم نشروا الاسلام فيهم واشركوهم معهم في الجيوش
الفاخرة ، وسموا وراء سياسة التحالف والتلاحم مع
البربر ، تمت المساواة بين الفريقين في الفى،
والغنيمة والحقوق والواجبات ، كما اعتبروا أرض
المغرب أرضا مفتوحة ملحا لاعنوة . فاقرروا أهلها على
مابيدهم من الأرض وتركوا لكل قبيلة أرضها ، تصرف
أمورها ، وتؤدى خراجها ، واعتبروهم أحرارا في بلادهم
وهذا ما أدى الى ولاء البربر للاسلام ودولته . (انظر :
بلاد المغرب في القرن الاول الهجري ، مكتبة السلام
العالمية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٥٩-١٦١) .

الجزية واستخف بهم وسبى نساءهم ، واشتد في جمع أموالهم ، بل أنه تفوق على الحجاج في مظاهر السلطان والتخرف^(١) والعاشيات الخاصة .

والحق أنه ليس في هذه الأقوال الا قليل من الحق ، ولقد قدمنا السرد على من اتهم الخليفة يزيد بتعممه للعنصر القيسي وميله للعنف والشدّة .^(٢) كما أنه ليس من الثابت اتخاذ يزيد بن أبي مسلم سياسات مالية وإدارية متسلطة وظالمة ، لخلو المصادر من نصوص تدل على ذلك ، ماعدا سياسته تجاه موالى آل موسى بن نصير وحرسه ، وكذلك ما اشارت اليه المصادر من اعتزازه اتباع نهج الحجاج ، مع أنه لم يثبت اتباعه لذلك النهج .

والحق أن في كتاب البربر الى الخليفة يزيد ، ما يفيد تجاوز ابن أبي مسلم وظلمه ، الا أن ذلك الكتاب لا يصرح بنوع ذلك التجاوز والظلم . لذا فمن تشويه الحقائق القول بما لم يثبت ، وذكر معلومات افتراضية ، أو المبالغة في تموير الأحداث . فلم نجد في أي من المصادر التي اطلعت عليها أن ابن أبي مسلم نفذ سياسات متعددة وواحدة من سياسات الحجاج

(١) انظر هذه الآراء عند : فرج الهوني : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٨، ١٩٢ - فاطمة عبد القادر وضوان : المغرب في عصر الولاة الأمويين ، ص ٥٨ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/ ٢٩٣-٢٩٤ - ابراهيم بيلغون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٥٠ - والدولة العربية في اسبانيا من الفتح الى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ١٠١-١٠٢ - حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب ، ص ١٨ - محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب ، ص ٣٤ .
(٢) انظر ما كتبناه حول ذلك قبل : ص ٤٣٠، ٤٣٢ .
(٣) انظر قبل : ص ٥١١ وما بعدها .
(٤) انظر لن الكتاب قبل : ص ٥١٦ .

التي اعجزم تنفيذها ، كغرض الجزية على من اسلم ، او فرض ضرائب اضافية ، او اعادة الموالى الى مناطقهم الاصلية ، او حرمانهم من العطاء ، وغير ذلك .

(١)
لقد ذكرنا قبل أن سياسة يزيد بن ابي مسلم تجاه آل موسى ومواليهم ، وماحاول القيام به من تنظيم لحرسه البربري البدوي ، في صورة تنم عن الامتھان والضعف ، كانت وراء التخلص منه ، اذ دفعتم انفتهم بتحريض من عبد الله ابن موسى بن نصير الى قتله ، وكانهم ارادوا ان يخلصوا المغرب منه قبل ان ينفذ فيه سياسات سيده الحجاج . كما ان هذه السياسة لم تكن ترضى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ولاتلك الاساليب التعسفية تجاه البربر ، لذلك جاء رده عليهم عندما كتبوا له بقتله وتولية عامله : انى لم ارض مامنع ابن ابي مسلم واقرب من ولوه امرهم ، بل ان هذا الموقف من الخليفة دليل على اهتمامه ببلاد المغرب .

وعليه لا يستحب قبول تلك الآراء التي تشوه سلامة موقف الخلافة ، وان موقفها من باب الاعتراف بالامر الواقع ، وان الخليفة يزيد انما قبل بما ليس منه بد .

(٢)
(٣)
كما لايجوز قبول القول بان المسلمين أساءوا السيرة في بلاد المغرب ، وان غرض الحكم الاسلامى هناك انما كان الاستبداد

(١) انظر قبل : ص ٥٠٧ ومابعدها .
(٢) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٤٥-١٤٦ .
(٣) صابر محمد دياب حسين : انتشار الاسلام وحركة الاندماج ببلاد المغرب في عصر الولاة ، بحث ، مجلة البحث العلمى والترات الاسلامى ، العدد السادس ، ١٤٠٣-١٤٠٤هـ ، ص ٢٨٧ .
(٤) مثل تلك الآراء نجدها عند : فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب في عصر الولاة الامويين ، ص ٦٧ - صابر دياب : نفس المرجع ، ص ٢٨٨ .

والعصف بالبربر ، فمن الانصاف القول ان بعض عمال الدولة هم الذين اساءوا السيرة ، فغالوا في الاستبداد والسيطرة ، فلذا منهم ان مسلكتهم هذا سيرضى الخلفاء عنهم . لقد كان البربر انفسهم لا يشكون في نية الخلافة تجاههم ، وكانوا ياملون منها الخير ، لذلك كان سخطهم منصبا على العمال ، وكانوا يرددون (١)
"لنخالف الائمة بما تجنى العمال" .

ونجد بعض المؤرخين يجعلون من عهد يزيد بن ابي مسلم مقدمة لثورات البربر التي اجتاحت بلاد المغرب ، وان نفوس (٢)
البربر وبلاد المغرب اضحت ارضا خصبة صالحة لبث مبادئ الخوارج فيها ، من جراء سياسته التعسفية هو وبعض الولاة الذين جاءوا بعده كعبيدة بن عبد الرحمن السلمي (١١٠ - ١١٥هـ) ، وعبيد الله بن الحبحاب (١١٦ - ١٢٣هـ) ، فوجد الخوارج ارضا مناسبة لنشر مذهبهم والثورة على حكامهم ، لبعدها عن دار الخلافة ، ولتهيؤ نفوس اهلها ، تلك النفوس التي ضامها الظلم ، فجئحت للعدل والمساواة التي نمت عليها مبادئ الدين الاسلامي ، والفتحا النفوس منذ الفتح حتى تولى

-
- (١) صابر دياب : انتشار الاسلام وحركة الاندماج ببلاد المغرب في عصر الولاة ، ص ٢٩٠-٢٩١ .
(٢) تعنى بها ثورات البربر التي كان للخوارج الدور الاكبر في اشغالها والقيام عليها ، والتي كان انفجارها بعد ان فشل وفد اهل افريقية بزعامة ميسرة المطفري السقاء المطفري من مقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك ، عندما ذهبوا اليه ليرفعوا شكواهم مما يجدونه من عماله عليهم ، فتركوا شكواهم بيد الابرش الذي كان بمثابة وزيره ، وعادوا الى المغرب ، وهناك اظهروا الخروج على عامل عبيد الله بن الحبحاب في طنجة عمر بن عبيد الله المرادي (سنة ١٢٢هـ) ، بقيادة ميسرة المطفري ، فعمت بلاد المغرب والاتدلس ، وكانت فتنة ايما فتنة هزمت فيها جيوش الخلافة في اكثر من موقعة ، وراح ضحيتها آلاف من المسلمين ، وقد تولى التمدي لها ولاة المغرب ابن الحبحاب ثم كلثوم بن عياض والقائد بلج بن بشر =

(١)

هؤلاء الامراء المستبدين .

ولاية بشر بن مغوان الكلبي على افريقية والمغرب :

حينما بلغ الخليفة يزيد بن عبد الملك مقتل عامله على افريقية يزيد بن ابي مسلم ، اقر لاهلها الامير الذي ولوه امرهم حتى يبعث عليهم عاملا من قبله ، فكتب الى بشر بن مغوان الكلبي ، عامله على مصر ، بولايته على افريقية في (٢) (شوال سنة ١٠٢هـ) ، فقدمها في الشهر والعام نفسه ، وقيل : كانت ولايته (سنة ١٠٢هـ) وقدمه ايضا . والاولى ما قدمناه ، لوروده في اقدم المصادر ، وتناسبه مع الحدث . فيبدو ان

- = وغيرهم من قادة وامراء المدن والاقاليم ، حتى كان اخمادها على يد حنظلة بن مغوان الكلبي في اواخر خلافة هشام (سنة ١٢٥هـ) ، بعد انتمائه الكبير عليهم في معركتي الامنام والقرن . (انظر تفاصيل ذلك عند : فاطمة عبد القادر رفوان : المغرب في عصر الولاة الامويين ، ص ١٢٠-١٤٤) .
- (١) فاطمة عبد القادر رفوان : نفس المرجع ، ص ١٠٥، ٧٨ ، ١١٥-١٢٠ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢٩٧/٢ - محمود اسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب ، ص ٤٠ - صالح باجية : الابابية بالجريد في العمور الاسلامية الاولى ، دراسة للحصول على شهادة الكفاءة للبحث العلمي ، الجامعة التونسية ، الكلية الزيتونية ، الشريعة واصل الدين ، دار ابوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٢م ، ص ٢٦، ٢٣ .
- (٢) الكندي : الولاة ، ص ٧١ .
- (٣) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٤٤ (ذكر سنة الولاية ولم يحدد الشهر) - ابن تفرى بردي : النجوم ، ٢٤٤/١ .
- (٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٩٠، ٢٧/٢ - الفاضل : الاستقما ، ١٠٤/١ - القلقشندي : مآثر ، ١٤٩/١ - وانظر ايضا عن ولاية بشر على افريقية : البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٢١٣/٢ - مجهول : اخبار مجموعة ، ص ٣١ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٣٨ .

تعيينه جاء في اعقاب قتل ابن ابي مسلم مباشرة الذي كان مقتله في رمضان سنة ١٠٢هـ ، لتثبت الخلافة لاهل ذلك القطر أن اغماض العين عن صنيعهم ، واقرارها من ولوه مؤقتا ، لايعنى عجزها عن السيطرة على الاقليم ، وترك الحرية للرعية في التناول على سلطان الدولة ، وتصحيح الاوضاع من عند أنفسهم .

فبعث اليهم بشرا من قبله ، وجعل من مهماته التحقيق في مقتل عامله السابق والاقتصاص من المتهم ، والعمل على اعادة الامن والاستقرار واستمالة البربر بالاحسان اليهم والعدل فيهم . وكان بشر من الولاة الذين يعتمد عليهم في الادارة والسياسة ، لانه كان عاقلا رزينا شجاعا ، محنكا رؤوفا بالرعية ، فاصطنع مع البربر سياسة تقوم على المساواة بينهم وبين العرب ، وعمل فيهم بالعدل والاحسان ، والان جانبه تهدئة لخواطهم ، واستمالة لهم ، فبادلوه الاحترام والتقدير ، وسكنت اليه نفوسهم ، ودانوا له بالطاعة والولاء ، فتمكن بذلك من تسكين ارجاء المغرب ، وساد البلاد في عهده السلم والهدوء .^(١)

وقد استغل بشر هدوء المغرب ابان ولايته ، فعمر البلاد وسار بها في طريق التقدم والرخاء .^(٢)

كما اقتفى اثر اميرى المغرب محمد بن يزيد واسماعيل ابن عبيد الله بن ابي المهاجر في نشر الدين والعلم ،

(١) فاطمة عبد القادر رهوان : المغرب في عصر الولاة الامويين ، ص ٦٨ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/٢٩٥ - فرج العونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٨ .

(٢) فاطمة رهوان : نفس المرجع والمفحة .

فاستحرم الفقهاء والعلماء في عملهم وجهادهم ، وكان من بينهم الواليان السابقان محمد بن يزيد واسماعيل بن عبيد الله^(١) . فادت هذه السياسة الطيبة في ظل الاستقرار والامن ، الى اقبال البربر على مجالس العلم ، في المساجد والمدارس حتى صار من البربر فيما بعد علماء أفاض وفقهاء في^(٢) الشريعة .

الا ان حسين مؤنس يعزو سيطرة بشر على المغرب وتهدئة امورها الى اسرافه في استعمال القسوة البالغة ، وهذا خبر لا يتفق مع اعمال بشر واصلاحاته التي ماكانت تحم في جو نفسي مضطرب وقلوب حاقدة عليه .

وعلى أية حال فان حسين مؤنس يمدنا بخبر آخر مفاده اسراف بشر في العممية لليمانية ، فيقول : "ولم يسرف أحد من عمال بنى أمية الكلبيين في العممية لقومه كما فعل بشر ، فقد اشتد في ذلك شدة ملأت نفوس القيسيين عليه حقدا وغدوا يترقبون موته بنافذ المبر ، وكان هو نفسه يشعر بذلك" ومن دلائل هذا ما يذكره المالكى من أن جارية من جوارى بشر قالت وهو يعاني سكرات الموت : يا شامة الاعداء ! فقال لها قولى للاعداء لا يموت ! حتى لا يستطيعوهم الفرج ، وكان بشر خشى أن يقيم هشام على البلد رجلا قيسيا بعده فترك عليها العباس ابن باهجة الكلبي واليا ورجا أن يشبته هشام في الولاية ، ولكن هشام انتهر فرمة وفاته ليولى مكانه قيسيا هو عبدة^(٤) ابن عبد الرحمن السلمى (١١٠ - ١١٥هـ) .

(١) فاطمة رفوان : المغرب في عصر الولاة الامويين ، ص ٦٨ .
(٢) فاطمة رفوان : نفس المرجع ، ص ٦٨-٦٩ .
(٣) فجر الاندلس ، ص ١٦٠ .
(٤) نفس المرجع والمفحة . (نقلا عن/ابن عذاري : البيان المغرب ، ٣٦/١ - ابن الأبار : الحلة السيرة ، ص ٤٧ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢١٧) .

لكن ابراهيم بيغون يصف بشر بن صفوان بأنه من الرجال
النفعميين ، وأنه يقدم مصلحته على ولائه لقبيلته ، فيقول :
"ورغم تحدره - أي بشر - من قبيلة يمنية عريقة فان بشر
ابن صفوان كان يتمتع بمقدرة على استغلال المواقف لمصلحته
حيث كان ولاؤه الرئيسي لها . فهو قيسى المعتقد في عهد يزيد
ابن عبد الملك لا يخالف له أمرا ولو كان على حساب قبيلته ،
ثم يعود الى يمنيته في عهد هشام ذي الاتجاه اليمنى" (١) .

ويستشهد على ذلك بقول دوزي حين قال : "ان بشرا
الكلبي خير من يمثل رجال هذا الفريق الحريميين على مابيدهم
من الوظائف مدفوعين الى خدمة مولاهم - يمنيا كان أم
قيسيا - فاخذ عددهم يزداد شيئا فشيئا كلما فسدت الاخلاق
وكلما تغلب الطمع والرغبة في جمع المال على حب القبيلة في
نفوسهم" (٢) .

وبناء على هذا النص فان وصف حسين مؤنس لبشر بتعمبه
لليمن ينطبق عليه عندما كان عاملا لهشام لاليزيد .
وان كنا نحفظ على اطلاق هذين الرايين فلم يكن
الخليفة يزيد متعمبا للقيسية في كل الاحوال واقرب دليل على
ذلك توليته لبشر الكلبي اليمني على افريقية وغيره من
رجالات اليمن في مواطن أخرى . كما ان الخليفة هشام لم يكن
ذي اتجاه يمني مطلق ، وفي كلام حسين مؤنس نفسه دليل على
بطلانه فقد ولى على افريقية بعد بشر اليمني عبدة بن عبد
الرحمن الملقى ، كما عرف عنه اتخاذ سياسة تبديل الولاة في

(١) الدولة العربية في اسبانيا ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٢) نفس المرجع والمفحة .

الاقليم الواحد من يمنى الى قيسى ، ويمنى بعد قيسى .
 اما قول دوزى عن حرص بشر على مملحته فنحن لانملك دليلا
 على ذلك ، لكن البعيد عن الحق فى قوله هو ان يؤخذ على
 امثال بشر تقديم ولائهم لمولاهم امير المؤمنين على حب
 القبيلة ، وان ذلك من فساد الاخلاق ، فعندنا نحن المسلمون
 من فساد الخلق التعصب للقبيلة ، الذى نهى الاسلام عنه ، يقول
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس منا من دعا الى
 عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات
 على عصبية" ^(١) . وقال عليه السلام : "دعوها فانها مفتنة" ^(٢) .

بل ومن الخلق ان يكون ولاء المامل لمولاه امير
 المؤمنين مادام قائما بامر الله ، حارسا لدينه ، سائما
 لدنيا به ، ليس فى عمله معصية للخالق ، فطاعة لمخلوق فى
 معصية الخالق .

ومما يذكر قيام بشر بن صفوان بقتل عبد الله بن موسى
 ابن نصير لاتهامه بقتل يزيد بن ابي مسلم ، فيشير ابن عبد
 الحكم : الى ان الناس اتهموا عبد الله بن موسى بن نصير ان
 يكون هو الذى عمل فى قتل يزيد بن ابي مسلم ، فلما دخل بشر
 ابن صفوان افريقية بلغه ان عبد الله هو الذى دس لقتل يزيد
 وشهد على ذلك خالد بن ابي حبيب القرشى وغيره .
 فكتب بشر بذلك الى الخليفة يزيد ، فكتب اليه الخليفة

(١) سنن ابي داود بشرح عون المعبود ، ٢٦/١٤ - صحيح مسلم
 ١٤٧٦/٣ (بلفظ آخر) - سنن ابن ماجه ، ١٣٠٢/٢ (بلفظه) .
 (٢) البخارى مع فتح البارى ، ٥١٦/٨ ، ٥٢٠/٨ - صحيح مسلم ،
 ١٩٩٨/٤ - جامع الترمذى بشرح تحفة الاحوذى ، ٢١٨/٩ -
 مسند الامام احمد ، ٣٩٢٠٣٨٥٠٣٣٨/٣ .
 (٣) فتوح مصر ، ص ١٤٤ .

يأمره بقتل عبد الله ، وأراد بشر أن يؤخر قتله أياما ،
ف قيل له عجل بقتله قبل أن يعفو عنه الخليفة ، وكانت أم
عبد الله زوجة للربيع صاحب خاتم الخليفة يزيد ، فكلم
الخليفة في عبد الله ، فأمر بالعفو عنه ، وجعلت أخته
للرسول ثلاثة آلاف دينار أن هو أدركه ، وأمر بشر بقتل عبد
الله فقتل ، فقدم الرسول بعافيته بعد مقتله ذلك اليوم،
وبعث برأسه مع سليمان بن وعلة التميمي إلى الخليفة يزيد ،
ف نصب رأسه .^(١)

ومن المراجع ما يشير إلى مقتل عبد الله بن موسى على
يد بشر بأمر من الخليفة يزيد بن عبد الملك ، معتقدا أنه
وراء قتل يزيد بن أبي مسلم ، لأن معظم الشائرين عليه من
موالي موسى بن نصير ، لذلك جاء أمره بقتل عميد آل موسى
عبد الله بن موسى ، ومصادرة أموالهم ، وتعذيب أنصارهم . بل
أن فاطمة رغووان بالغت وقالت : قتل عبد الله وكثير من آل
ومواليه . وقد علل هؤلاء المؤرخين مصادرة أموالهم بأنه من
باب التعويض، لانقطاع مورد الجزية الذي توقف بمقتل ابن أبي
مسلم .^(٢)

-
- (١) وانظر أيضا عن مقتل عبد الله بن موسى : قدامة بن
جعفر : الخراج ، ص ٣٤٦ - ابن حبيب : المحبر ، ص ٤٩٢
- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/٢٩٥-٢٩٦
- حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٦٠ (لكنه لم يشر إلى
أن ما قام به بشر تجاه آل موسى بأمر من الخليفة) .
(٣) المغرب في عصر الولاة ^{١٩٩٠} ص ٦٩ .
(٤) كنا قد بينا أن يزيد بن أبي مسلم اعتزم السير في
البربر بسيرة الحجاج بن يوسف ، ومنها فرض الجزية على
من أسلم ، لكننا أوضحنا عدم ثبوت السير بها وأن ذلك
مجرد اعتزام ونية . (انظر قبل : ص ٥١١) وسناقش
سياسته المالية بعد في المبحث الثاني ، (انظر : ص ٥٥٩
٥٨٤-٥٨٥) .

وهم بذلك يشيرون الى امر الخليفة والمبالغة فيه ،
دون الاشارة الى اسبابه وماورده ابن عبد الحكم من قيام
الحجة على عبد الله في اتهمه بتدبير مقتل هامل الخلافة .
والواضح ان بشرا لم يتعرض من آل موسى ومواليهم الا لعبد
الله ومن كان قد اتهم من الموالى في القيام على يزيد
وشارك في قتله . اما مصادرة الاموال فذلك امر لا يستبعد
فلطالما وجدنا امثلة مشابهة لذلك في عهد الخليفة يزيد
وغیره من الخلفاء السابقين . ويبدو لى ان اللجوء الى هذا
الاسلوب نوع من العقاب لرجال الدولة المخالفين ، باعتبار
ان هذه الاموال قد جنوها من جراء مركزهم الوظيفى او دورهم
القيادى الذى اتاحته الدولة لهم ، وكانهم يرون انهم بعد
مخالفتهم او خروجهم ، لا يستحقون تلك الاموال .

ومن هذه الاقوال السابقة يتضح ان مقتل عبد الله بن
موسى قد تم على يد عامل افريقية بشر بن صفوان زمن الخليفة
يزيد بن عبد الملك وبذلك يستبعد القول بقتله على يد محمد
ابن يزيد امير افريقية لسليمان بن عبد الملك وبامره . اذ
يروى ان سليمان لما ولى الخلافة عزل موسى بن نصير واستبدله
بمحمد بن يزيد ، وامره بعزل ابنه عبد الله بن موسى عن
افريقية وتعذيبه وسجنه ثم قتله لقمه على ابيه موسى ، وحتى
يؤدوا ثلاثمائة الف دينار . فعلم محمد بن يزيد على تصفية
نفوذ آل موسى واستولى على اموالهم ، واودع عبد الله السجن

(١) انظر ماكتبناه عن مصادرة الاموال قبل : الفصل الثانى ،
المبحث الاول ، ص ٢١٦-٢١٨ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/٢٨٩ -
صابر دياب : انتشار الاسلام (بحث) ، ص ٢٨٨ (نقلا عن :
ابن عذارى : البيان المغرب ، ١/٤٢-٤٤) .

(١)

وفرض عليه من المفارم ما هو فوق طاقته ، وعذبه حتى مات .

(٢)

ويقول صابر دياب : أن هذا الخبر يتناقض مع ما أورده ابن عذارى من أن موسى بن نصير اقتدى نغمه من سليمان بن عبد الملك بالف دينار . ولذا يستبعد تعذيب آل موسى زمن سليمان ، والراجع أن التعرض لعبد الله كان زمن الخليفة يزيد لما اتهم به من قتل يزيد بن أبي مسلم .

هذا ويذكر البعض أن سياسة بشر بن صفوان تجاه آل موسى اعتبرت حائلا دون تغيير الوضعية العامة في بلاد المغرب ، لما كان يكتفه البربر من ود واحترام لآل موسى . ولا شك أن في هذا القول شيء من المبالغة ، فلو سلمنا بمكانة آل موسى في نفوس مواليهم ، فإن هؤلاء الموالي كانوا قلة قليلة في أهل إفريقية الذين كان ولاؤهم الأول للإسلام ودولته ، وما كانوا ينشدون إلا تطبيق نعمة ، وكان بشر قد أحسن السيرة ونشر العدل ، ودعا إلى الإسلام وعلم الناس أموره ، فكان عهده بلا شك فترة استقرار حسن فيها حال المغرب وزاد انتماء أهله في بوتقة الدين الجديد .

ألا أن مجيء عبدة السلمي وعبيد الله بن الحبحاب بعد هذا الوالي ، وما انتهجوه من سياسات تمسقية وعدم استماع الخليفة هشام لشكاية البربر عندما جاءوه متذمرين في دمشق ،

(١) محمود عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب ، ص ٣١-٣٢ (نقلا عن : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٢/٢٥٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٧/٢ - النويري : نهاية الأرب ، ١٣/٢٢ مخطوط) - محمد أميين صالح : العرب والإسلام ، ص ٣٠٠ (نقلا عن : ابن الأثير : الكامل ، ٤/١٤٤) انتشار الإسلام (بحث) ، ص ٢٨٨ .

(٢) فاطمة عبد القادر رفوان : المغرب في عصر الولاة الأمويين ، ص ١١٥ (نقلا عن : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٩٠) .

اقفل باب الإصلاح ، واجج نار الثورة ، فكان قيام البربر بها في اواخر عهده .

اما بشر بن صفوان ، فانه بعد أن مهد المغرب وسكن أرجاءه ، واستمضى اموال آل موسى ، خرج في (اوائل سنة ١٠٥هـ) من افريقية واقدا الى الخليفة يزيد في الشام ، حاملا تلك الاموال وهدايا كان قد اعد لها ، فوجده قد مات فقدم مامعه الى الخليفة الجديد هشام بن عبد الملك ، فاقره على ولاية افريقية ، فعاد اليها . وكان قد استخلف على افريقية (١) عند خروجه للخليفة يحيى بن مامعه الكلبي . (٢)

الا ان من المصادر مايقول : بأن بشرا لما وصل مصر في طريقه الى الشام بلغه خبر وفاة الخليفة يزيد ، فرجع الى افريقية .

والراجع ماقدمناه ، فان اقرار هشام لبشر دليل كما نرى على قدومه بتلك الاموال والهدايا والتحف ، وانها حازت على رضى الخليفة الجديد ، فكان ثوابه ان اعاده على ولاية افريقية . وماظن بشرا قد نسي موقف موسى بن نصير من سليمان عندما رفض ان يؤخر تقديم ما يحمله من اموال الى

(١) عن خروج بشر الى الخليفة يزيد ، (انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، طبعة ليدن ، ١٩٢٠م ، ص ٢١٥ - ابن مغازي : البيان المغرب ، ٤٩/١ - الفاضل : الاستقما ، ١٠٤/١ - فاطمة عبد القادر رفوان : المغرب في عصر الولاة الامويين ، ص ٦٩ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢٩٦/٢) .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٢٣٤ . وقد اخطأ حسين عطوان عندما اورد ان الخليفة يزيد بن عبد الملك ، بعث على افريقية يحيى بن ناعمة الكلبي (انظر قوله في كتابه : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٩) والصحيح انه استخلف عليها عند خروج بشر الى الخليفة يزيد .

(٣) الكندي : الولاة ، ص ٧٢ - ابن عبد الحكم : نفس المرجع ص ١٤٤ .

الخليفة الوليد ، فكان ذلك سبب غضبه عليه وعزله .
 ومع ذلك فاتفقنا نجد خبرا عند ابن عبد الحكم مفاده ان
 بشرا نزع عن افريقية (سنة ١٠٥هـ) ، ورد اليها في (سنة
 ١٠٦هـ) . يسند ذلك ما اورده شبيب ارسلان ، من ان بشرا تولى
 افريقية مرتين وفي الثانية منها ولى على الاندلس عنبسة بن
 سحيم . واراها قد ظننا او اعتبرنا خروجه من افريقية في
 اواخر خلافة يزيد عزلا ، وان اقراره واعادته من قبل الخليفة
 هشام ولاية ثانية .

اما ان صحت روايتيهما يكون بشر قد عاد من مصر وهو في
 طريقه الى الخليفة يزيد ، فلما تولى هشام وعلم بذلك عزله
 ويبدو انه غادر الى دمشق فاحسن العذر والحجة ، وقدم
 مالدیه ، فارعى الخليفة فاعاده الى افريقية ، والاولى
 ما قدمناه .

وقد ظل بشر بن صفوان اميرا على افريقية حتى وفاته في
 القيروان في شهر شوال (سنة ١٠٩هـ) ، من خلافة هشام بن
 عبد الملك .
 (٤)

-
- (١) فتوح مصر ، ص ١٤٤ .
 (٢) غزوات العرب ، ص ٨٤ .
 (٣) هنا لبس فالتثبت ان عنبسة قد ولى الاندلس من قبل بشر
 (سنة ١٠٣هـ) في خلافة يزيد بن عبد الملك ، وان مقتله
 كان في خلافة هشام ، وولاية بشر على افريقية من قبله .
 (انظر ذلك في عمال يزيد على الاندلس ، بعد) .
 (٤) فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب في عصر الولاة
 الامويين ، ص ٦٩ .

عماله على الاندلس :

كان السمع بن مالك الخولاني عاملا على الاندلس من قبل
ال خليفة عمر بن عبد العزيز ، عندما تولى الخلافة يزيد بن
عبد الملك ، فاقره عليها .^(١)^(٢)

وقد اشرنا الى ان السمع قد قضى صدر ولايته الكائنة في
خلافة عمر في الاهتمام بامر الاندلس وتنظيم شئونها الادارية
والمالية ، ومرف الجزء الثاني من ولايته الذي جاء في خلافة
يزيد في الفتوح في بلاد الغال ، الا ما كان منه من تنظيمات
ادارية ومالية اشرف عليها ابان حملته تلك بعد فتح اربونة
حيث اشرف هناك على قيام حكومة اسلامية ونظم احوالها متخذا
من مدينة اربونة عاصمة لها .^(٣)^(٤)^(٥)

فيذكر عبد الله عنان ، انه وزع الاراضى بين المسلمين
والسكان ، وفرض الجزية على النصارى ، وترك لهم حرية
الاحتكام الى شرائعهم . ونحن لانعلم على اى اساس وزع هذه
الاراضى ، والراجع انه قد وزع على المسلمين ما عرف بارض
الموافى ، اما الارض الخراجية فالمعروف ان المسلمين كانوا

(١) عن ولاية السمع من قبل الخليفة عمر ومقام به من
اعمال ابان خلافته ، (انظر : حسين مؤنس : فجر الاندلس
ص ١٢٥-١٤٠ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٤
ومابعدا - وكذلك ما اشرنا اليه قبل : الفصل الرابع ،
المبحث الرابع ، ص ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠) .

(٢) ليس هناك نص باقرار الخليفة يزيد للسمع ، ولكن بقاءه
في ولايته زمن الخليفة يزيد قرابة سنة وخمسة اشهر
دليل كاف على اقراره .

(٣) انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الرابع ، ص ٢٨٩ .

(٤) انظر ما كتبناه عن فتوحه في بلاد الغال قبل : الفصل
الرابع ، المبحث الرابع ، ص ٢٩١ ومابعدا .

(٥) عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ١٨٧، وانظر قبل ص ٣٩٧ .

(٦) نفس المرجع ، ص ٨١ .

يدعونها بأيدي أصحابها ، وياخذون منهم الخراج عنها .
ومن مور الحكم الاسلامي في بلاد الغال ، ماورده شكيب
ارسلان : من ان المسلمين تركوا للقوط في ولاية اللانغدوق
امراءهم وقوامهم ، يلون امورهم المدنية ، وسلطات عسكرية
محدودة ، ليحفظوا لانفسهم حق السيطرة على الحكومات
المسيحية المحلية . وقد ترك المسلمون للناماري حريتهم
الدينية في بلاد الغال - كدينتهم في كل البلدان تنفيذا
لتشريعات دينهم السمح - فتركوا لهم كنائسهم وبيعهم ، لذلك
نجد ان السواد الاعظم من اهل اربونة بقوا على ديانتهم
المسيحية ، وكان عددهم كبيرا . وكان المسلمون يتركون لهم
كنائسهم القديمة على الا يؤسسوا اخرى جديدة ، وان بنوا
جديدا فيكون في مكان القديم ، وذهب بعض فقهاء المسلمين
الى انه لايجوز تجديد الكنيسة الا باحجار الكنيسة القديمة ،
ولم يكن للمسيحيين حق في الطواف في الاسواق بالملبان
والاعلام المسيحية ، ولم يكن ايضا للمسيحيين ان يمارضوا
نمرانيا يريد الدخول في الاسلام .^(٣)

-
- (١) غزوات العرب ، ص ٢٨٨-٢٩٠ .
(٢) قومس : لقب او رتبة عسكرية ، يطلق على قائد الفرقة
المكونة من خمس فرق خماسية ، ثم كل واحدة منها
(٢٠٠) جندي ، في قوة الخفر البيزنطي . (انظر : هاشم
اسماعيل الجاسم : دراسة تاريخية عسكرية ص ٢٤) .
فلعل المقمود بالقوامس في المتن هم القادة او الامراء
العسكريين ، في بلاد الغال .
(٣) الواضح ان المسلمين قد طبقوا هناك تعاليم الدين
الاسلامي في معاملة اهل الذمة ، والسامح بن مالك من
التابعين اهل الدين والحقوى ، لانك في معاملته لهم
بالحسن وفق تعاليم الدين الحنيف . وما اتخذ السامح
هناك من اجراءات ، كان متبعا فيما فتح من البلاد على
يد المسلمين ، على اساس ما تنبئه الشريعة الاسلامية
لرعايا الدولة الاسلامية من غير المسلمين ، مع وجود
بعض الاختلاف اليسير في شروط الملح بين بلد وآخر ،
تبعا لطبيعة الفتح ، وموقف اهل البلد من الاسلام
واهلهم .

لقد استطاع السمح بن مالك أن يعمل بحرية حامة إداريا وعسكريا ، فنظم الإدارة والملكية في الأندلس ، ساعده على ذلك استقلاله بولايته عن إفريقية ، حيث جعله الخليفة عمر بن عبد العزيز مرتبطا به مباشرة ، فكان أول وال يستقل بالأندلس عن إفريقية رسميا ، وهذا من العوامل التي زادت من شهرته .^(١)

وقد ظل السمح بن مالك واليا على الأندلس حتى استشهاده إبان جهاده الفرنج في بلاد الغال ، بالقرب من مدينة طولوشة في ٩ ذي الحجة سنة ١٠٢هـ / ١٠ يونيو سنة ٧٢١م) بعد ولاية دامت نحو سنتين وثلاثة أشهر ، إذ كانت ولايته في رمضان (سنة ١٠٠هـ) ، ونهايتها (٩ ذي الحجة سنة ١٠٢هـ) . وقد ذكر في ذلك أقوال أخرى . أدى إليها الاختلاف في تاريخ استشهاده ،^(٢) والأرجح ما قدمناه .^(٣)

ولاية عبد الرحمن الغافقي الأولى على الأندلس :

كان الجند الإسلامي المشاركون في معركة طولوشة ، قد ولوا على أنفسهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ، وذلك في أعقاب مقتل قائدهم وأمير الأندلس ، السمح بن مالك الخولاني أثناء المعركة ، فأنصرف بهم عبد الرحمن إلى

-
- (١) خالد الصوفي : تاريخ العرب في الأندلس ، ص ٢١١ .
 (٢) انظر ما كتبناه عن تاريخ استشهاده قبل : الفصل الرابع المبحث الرابع ، ص ٤٠٢ .
 (٣) انظرها عند / ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢٦/٢ - المقرئ : نفح ، ١٤/٤ .
 (٤) أوردنا ذلك الاختلاف قبل ، فيما أعلنا عليه في هامش (٢) أعلاه .
 (٥) عن تقديم الجند لعبد الرحمن الغافقي ، بعد هزيمة المسلمين في طولوشة ، ومقتل السمح ، وانسحابه إلى الأندلس ، (انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الرابع ص ٤٠٢-٤٠٣) .

الاندلس ، فدخلها في شهر ذي الحجة (سنة ١٠٢هـ) ، فقدمه أهل
الاندلس أميرا عليهم ، فبقي واليا على الاندلس ما يقارب
الشهرين ، حتى قدوم الوالي الجديد حينما عزله أمير
أفريقية بشر بن صفوان ، وولى على الاندلس عنبسة بن سحيم
الكلبي . وهذه هي الولاية الأولى لعبد الرحمن الفافقي على
الاندلس ، إذ وليها مرتين ، كانت الثانية مابين (سنة ١١٢ -
١١٤هـ) ، في خلافة هشام بن عبد الملك ، وهي الأشهر والأهم .
وينقل ابن القوطية ، عن عبد الرحمن بن عبد الله حفيد
الأمير عبد الرحمن الفافقي ، أن ولاية جده عبد الرحمن الأولى
على الاندلس كانت من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وأن

- (١) عن عبد الرحمن الفافقي وولايته الأولى على الاندلس ،
(انظر / الفبي : بغية الملتمس ، ص ٣٥٢-٣٥٣ - حسين
مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٢٤٧ - محمد عبد الله عنان :
دولة الاسلام ، ص ٨٢ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ
المسلمين وأخبارهم في الاندلس ، ص ١٣٨ - شبيب أرسلان :
غزوات العرب ، ص ١٢٤-١٢٦ - خليل السامرائي : الشفر
الاعلى ، ص ١٢٧-١٢٨) . وقد خالف هؤلاء ابن عبد الحكم
الذي جعل على الاندلس بعد السماح الحر بن عبد الرحمن ،
وأنه عزل من قبل بشر وولى عنبسة الكلبي مكانه (فتوح
مصر ، ص ١٤٤) ووافق على ذلك ، عبد الواحد المراكشي
المعجب ، ص ٢٤ . لكنه حرف الحرف فأورده الفهر ،
وكذلك (الحميدى في كتابه : جذوة المقتبس في ذكر ولاية
الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م ،
ص ٢٠٣-٢٠٤) ، كما قال بذلك حسين مؤنس : نفس المرجع ،
ص ١٦٠ (نقلا عن / ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/ ٢٦)
ويبدو أن هؤلاء المؤرخين وقعوا في لبس ، فقد كان الحر
ابن عبد الرحمن واليا على الاندلس (٩٧-١٠٠هـ) ، أتى
قبل السماح لابن عمه ، حيث عزله عمر بالسماح بن مالك
الخلواني . (عن ولاية الحر بن عبد الرحمن ، انظر /
حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ١٣٥ - السيد عبد العزيز
سالم : نفس المرجع ، ص ١٣٤-١٣٥) .
(٢) عن ولاية عبد الرحمن الفافقي الثانية ، (انظر : أحمد
السيد دراج : عبد الرحمن الفافقي ، بحث ، رسالة
المسجد ، العدد الرابع ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٨٠-٨٥ -
حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٢٦١-٢٧٦) .
(٣) تاريخ المحتاج الاندلس ، ص ٣٨-٣٩ .

بأيديهم على ذلك ما يثبتته . لكن قمر ولايته ، وعزله من قبل أمير افريقية ، الذي كانت الأندلس تابعة له ، بعنبة الكلبي ، ما يرجح أن ولايته وتقديمه كان من أهل الأندلس ، لأمير الخليفة يزيد .

ولاية عنبة بن سحيم الكلبي على الأندلس :

كانت الأندلس تابعة لإمارة افريقية باديء الأمر ، إلا أنها لم تسر على قاعدة ثابتة ، فنجدها بيد الخلافة المركزية حيناً ، وبيد عمال افريقية حيناً آخر ، وبيد مسلمي الأندلس أنفسهم في معظم الأحيان ، وكان سلطان الوالي كبيراً فيها ، فهو الذي يولى القضاة ، ومن يلى الخراج غالباً . إلا أن سلطانه لم يمتد على مسلمي الأندلس أجمعين إلا نادراً ، فقد كان هناك جماعات خارج سلطانه ، وقد انحصر سلطان الوالي في بعض الفترات على إقليم قرطبة فحسب كما حدث أيام يوسف الفهري .^(١)

وكما كانت الأندلس تابعة لافريقية باديء الأمر ،^(٢) كانت افريقية تابعة لولاية مصر ، وإن كان هذا قد اقتصر على الفترة الأولى . وقبيل خلافة يزيد بن عبد الملك ، كان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد عزل ولاية الأندلس عن افريقية وجعل عليها الصمغ بن مالك ، مستقلاً بها وتابعا للخلافة في الشام مباشرة ، اعتناءً بأهلها ، واهتماماً بشأنها .^(٣)

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٦١٠ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٤٧/١ .
(٣) ابن عذاري : نفس المصدر ، ٢٦/٢ .

الا أن ولاية الأندلس عادت تابعة لأفريقية في عهد خلفه
يزيد بن عبد الملك ، عندما قدم عنبسة بن سحيم الكلبي ،
أميرا عليها من قبل عامل أفريقية بشر بن صفوان ، الذي^(١)
أحس يولى أمراء الأندلس دون أمر الخليفة إذا كره أهل الأندلس
واليا كتبوا اليه فعزله عنهم وولى من يرغبون ، وكذلك إذا^(٢)
مات . واستمر الأندلس تابعا لأفريقية بعد ذلك ، الا ما كان من
استعمال الخليفة هشام ليحيى بن سلمة من قبله على الأندلس^(٣)
(آخر سنة ١٠٩هـ) .

وقد جاءت ولاية عنبسة بن سحيم الكلبي على الأندلس من
قبل بشر بن صفوان عامل أفريقية ، (سنة ١٠٣هـ) ، فدخلها في^(٤)
شهر صفر من تلك السنة . وقد أورث الاضطراب في الروايات
التاريخية حول من كان على الأندلس قبل عنبسة ، ومن قبل من
كانت ولايته ، وتاريخها الى وقوع بعض المؤرخين في الخطأ ،
فيذكر ابن عذارى أن ولاية عنبسة جاءت من قبل يزيد بن أبي^(٥)
مسلم ، فأقره بشر بن صفوان . وهذا خطأ واضح ، فولاية عنبسة

-
- (١) محمد عثمان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ - محمد زيتون :
المسلمون في المغرب والأندلس ، ص ١٩٩ .
(٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣١-٣٢ .
(٣) محمد زيتون : نفس المرجع ، ص ١٩٥ .
(٤) هناك من المؤرخين من جعل ولايته من قبل بشر بن صفوان
في عهد الخليفة هشام (سنة ١٠٦هـ) ، (انظر ذلك عند /
الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣١٩ - الفبى : بغية
الملتمس ، ص ٣٢٠) والأولى ما قدمناه .
(٥) عن ولاية عنبسة على الأندلس ، (انظر / ابن عبد الحكم :
فتوح مصر ، ص ١٤٤ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح
الأندلس ، ص ٣٨ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ٧٢/٢ -
عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٢٤ - مجهول : نفس
المصدر ، ص ٣١ - المقرئ : نفح ، ١٥/٤ - الناصري :
الاستقما ، ١٠٣/١ - الحميدى : نفس المصدر ، ص ٣١٩ -
الفبى : نفس المصدر ، ص ٣٢٠ .
(٦) نفس المصدر والجزء والصفحة .

بعد السمع بن مالك الذى استشهد فى ذى الحجة (سنة ١٠٢هـ) فكيف يأتى استعماله من قبل ابن أبى مسلم الذى قتل فى رمضان (سنة ١٠٢هـ) ، أى قبل استشهاد السمع بن مالك . كما قيل أن ولايته جاءت على اثر عزل الحر بن عبد الرحمن . ويتكرر الخطأ فى قول من ذكر أن استعمال عنبسة جاء بعد عزل السمع بن مالك الخولانى . والمحيط أن السمع أمير الأندلس قد استشهد خلال عمليات الفتح التى قام بها فى بلاد الغال ، ولم يعزل .

(٤) وقد استقامت الأندلس لعنبسة ولبط امرها ، إذ قضى سنتين فى مطلع ولايته - وهى الفترة التى كان فيها واليا على الأندلس فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك قبل وفاته - فى الإصلاح الداخلى ، على فيها بتنظيم الخراج ، وتقسيم الأراضي بين المسلمين ، والنظر فى المظالم ، ونشر العدل بين الناس ، ومن أجل ذلك طاف عنبسة مختلف المقاطعات فى ولايته ، مأملا على استتباب الأمن واستقرار البلاد ، والعدل

-
- (١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٤ - عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٢٤ - حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص ١٦٠ (نقلا عن/ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٢٦) وقد جاء هذا القول على أساس الرواية التى أشارت أن الحر بن عبد الرحمن تولى الأندلس بعد السمع بن مالك الخولانى ، وهذا ما بيناه قبل ورجحنا القول بولاية عبد الرحمن النافقى بعد السمع بن مالك وأن ذكر هذه الرواية من باب اللبس لأن الحر كان واليا على الأندلس قبل السمع لابعده . (انظر : هامش (١) ، ص ٥٣٧) .
- (٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣١ .
- (٣) انظر خبر استشهاد فى بلاد الغال فاتحا إبان ولايته سنة ١٠٢هـ قبل : الفصل الرابع ، المبحث الرابع ، ص ٤٢٢ .
- (٤) المقرئ : نفح ، ١٥/٤ - الناصرى : الاستقامة ، ١٠٣/١ .
- (٥) سنعمل القول الذى ورد فى ذلك إبان حديثنا عن سياسة يزيد المالية فى المبحث الثانى من هذا الفصل .

(١) بين رعاياه من مختلف الديانات بدون تمييز . كما عمل على تنظيم ولايته اداريا ، وخبط نواحيها ، واصلاح الجيش ، واعداده لغزوات جديدة .^(٢)

وقد تمكن اiban ولايته من التمدى واخماد بعض الحركات النمرانية في الاندلس ضد المسلمين ، منها حركة بلاى التى تعد بداية المقاومة الاسبانية النمرانية ضد المسلمين وحكومتهم في الاندلس ، وحركة اخيلا في طركونة .^(٣)

ويشير حسين مؤنس الى افراط عنبة بن سحيم الكلبي لعمبيته اليمانية ، فيذكر انه اوغرگمن تلاء من عمال الاندلس اليمانية الذين تولوها اiban امارا بشر بن صفوان على افريقية وهم عذرة بن عبد الله الفهرى (شعبان ١٠٧هـ - شوال ١٠٧هـ) ، ويحيى بن سلامة العاملى (١٠٧هـ - ١١٠هـ) ، مدور القيسية ، وجيشوهم للثورة ، وانتظار الفرصة المواتية للوثوب .^(٤)

لكن هذا القول بعيد عن الصحة لعدم دقته ، فعذرة فهرى وبنو فهر من قبيلة قيس مغربون لايمانليون ، ومن مشاهيرهم الضمك بن قيس الفهرى ، زعيم القيسية في مرج راط .^(٥) كما ذكر : ان تولى هؤلاء الولاة اليمنيين على الاندلس وظهور امداء العمبية فيه ، جاء كمدى لوجود يزيد بن ابي مسلم وبشر بن صفوان الكلبيين اليمنيين على امارة افريقية

(١) محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، ص ١٩٩-٢٠٠ .
 (٢) محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ .
 (٣) من جهوده في التمدى لهذه الحركات ، (انظر الفصل الثانى ، المبحث الرابع والخامس) .
 (٤) فجر الاندلس ، ص ١٥١ .
 (٥) المصعب الزبيري : كتاب نسب قريش ، ص ٤٤٣-٤٤٨ .

فاستعملوا على الاتدليس عمالا كلبيين يمنيين ، وهذا قول غير صحيح ، فان كان بشر يمتيا ، فان ابن ابي مسلم شقفى قيسى ^(١) بالولاء . ^(٢)

ويبدو ان الكثير من المؤرخين حملوا العمبية اكبر مما تحتمل ، وبدأوا يفسرون الاحداث على اسماء الولاة والقادة ، بعيدا عن التمهين والدقة وهذا ما نلمسه في كثير من المراجع الحديثة .

كما ذكر ان عنبسة اشتد في جمع الاموال وعسف الناس على ذلك ، فالزم النصارى في الاتدليس بدفع جزية مفاعفة ، وان ذلك قد ادى الى تغير نفوس اهل البلاد ، وبدأ القلق يسودها من كل وجه ، لكن المحيح ان مفاعفة الفريضة لم يكن على كل النصارى ، وانما مفاعفها عنبسة على اهالى طركونة بعد حركتهم ضد سلطان المسلمين ابان ولايته . ^(٣) ^(٤)

وقد ظل عنبسة واليا على الاتدليس بعد وفاة الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حتى استشهد وهو غازيا الفرنجة في بلاد الفال في (شعبان سنة ١٠٧هـ) من خلافة هشام بن عبد الملك . ^(٥) وقيل (سنة ١٠٩هـ) ، وما قدمناه اولى ، بعد ولاية دامت ما يقارب اربع سنوات ونصف ، حيث كانت ولايته في صفر سنة

-
- (١) حسين مؤنس : فجر الاتدليس ، ص ١٥١ .
 (٢) انظر ترجمة يزيد بن ابي مسلم الشقفى بالولاء قبل : ص ٣٨٢ .
 (٣) حسين مؤنس : نفس المرجع والمفحة .
 (٤) انظر قبل : الفصل الثانى ، المبحث الخامس ، ص ٢٦٤ . وكذلك : شبيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ١١٢ .
 (٥) الحميدى : جذوة المقتبين ، ص ٣١٩ - الغبى : بغية الملتمس ، ص ٢٢٠ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٧/٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٧/٤ .
 (٦) الحميدى : نفس المصدر والمفحة - الغبى : نفس المصدر والمفحة (في قول آخر) .

١٠٢هـ واستشهاده فى شعبان سنة ١٠٧هـ . وقيل اربع سنين
واربعة اشهر ، كما قيل : اربع سنين وثمانية اشهر ، وقيل
غير ذلك .^(٢)

ويشير القيروانى والقلقشندي الى ولاية عقبه بن الحجاج^(٣)
الكلبي على الاندلس من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك .
وهذا قول لا امل له يدعوه اجماع المصادر على مخالفته وعدم
ذكره . والصحيح ان ولايته على الاندلس (١١٦ - ١٢١هـ) جاءت من
قبل عبید الله بن الحبحاب زمن هشام بن عبد الملك .^(٥)

اما قضاء الاندلس ابان خلافة يزيد بن عبد الملك فقد
كان ليحيى بن يزيد التجيبى . وكان قد استقاه الخليفة عمر
ابن عبد العزيز على الاندلس ، فظل على قضاها حتى دخول عبد
الرحمن بن معاوية (الداخل) ، فاثبتته على القضاء ولم يعزله
حتى مات ، وكان يقال له وللنفاة قبله بقرطبة ، قاضى الجند ،^(٦)
وفى بقاء التجيبى هذه الفترة الطويلة على القضاء دليل على
انه كان مرفيا عنه ، فاقر من امراء المؤمنين الذين تولوا
الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز ، واولهم خلفه الخليفة يزيد
ابن عبد الملك ، وليس لدينا دليل على ان بقاءه واقرار

-
- (١) ابن الاثير : الكامل ، ١٩٧/٤ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٧/٢ .
(٣) المؤنس ، ص ٣٩ .
(٤) مآثر الانافة ، ١٤٩/١ .
(٥) مجهول : اخبار مجموعة ، ص ٣٣ - حسين مؤنس : فجر
الاندلس ، ص ١٦٢ .
(٦) الحسنى : قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتأليف
والترجمة ، ١٩٦٦م ، ص ١٤ - النباهى : تاريخ قضاة
الاندلس ، ص ٢١-٢٢ .

على القضاء جاء من قبل خلفاء عمر ، فقد يكون استمراره جاء
عن طريق ولاية الأندلس أنفسهم . كما أن هذا التعيين من قبل
عمر خص به قاضي قرطبة مركز الولاية الأندلسية آنذاك ، بيد
أنه من المؤكد أن هناك رجالا قاموا بأمر القضاء في غيرها
من المدن والخفور ، والغالب أن أمر تعيينهم كان لوالى
الأندلس .

المبحث الثاني

سياسة يزيد بن عبد الملك المالية

مأقيل عن سياسته المالية ، ومدى صحة ذلك وسمتها الحقيقية :

الكتابة في النواحي المالية خلال العصر الأموي أمر بالغ الصعوبة ، فليس من الممكن تقديم صورة واضحة لذلك الجانب المالي ، أو إعطاء أحكام قطعية عنه ، وذلك لتعذر الحصول على المعلومات الدقيقة من المصادر الإسلامية القديمة عن السياسة المالية في ذلك العصر . لكل مانحمل عليه في هذا المدد ليست إلا مجرد أخبار متفرقة تفتقر إلى الشمول والتكامل ، مما يفقدنا القدرة على التصور الواضح وتبين الحقائق كما ينبغي بل أن الأمر يزداد غموضاً لعدم الدقة في إيراد تلك الأخبار ، واضطرابها وتناقضها أحياناً .

صحيح أن الأحكام الشرعية الإسلامية واضحة بيّنة ، إلا أن المصادر الإسلامية تنقل لنا ما يشير إلى خروج بعض حكام بني أمية في شيء من سياساتهم المالية عن النهج الإسلامي ، واتخاذ إجراءات قد يكون الدافع وراءها ، الرغبة في اغناء خزائن الدولة بالأموال الكفيلة بتحقيق أهداف الدولة المالية ودفع عجلة الفتح ، وتثبيت سلطان الدولة وهيمنتها .

وهذا ما سيدفعني في هذا البحث إلى إبتغاء الحذر في شيء من الواقعية والدقة ، متجنباً التبعية والقول بالأحكام القطعية .

فسياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك المالية بالذات جاءت بعد املاحات الخليفة عمر بن عبد العزيز المالية ، التى سعى من ورائها العودة الى النهج الاسلامى وتطبيق احكامه على المال والاعمال ، و صحح بعض الاجراءات التى اتخذها بعض اسلافه . فما مدى خروج الخليفة يزيد عن نهج عمر، وما الذى منعه ؟

مما لاشك فيه ان الخليفة يزيد لم يتبع نهج الخليفة عمر فى بعض سياساته المالية ، فاحيا شيئا من السياسات المالية لاسلافه من بنى امية قبل عمر ، واعاد تطبيقها ، بينما اتخذ سياسات اخرى ، وتابع عمر فى بعض ما اتخذ من سياسات فى هذا المجال ، وبالاخص ماكان ذا عائد على خزانة الدولة ، وطبق اجراءاته تلك ، فى شئ من الدقة وال ضبط والتشدد .

قدمنا بهذا القول ، لاننا سنجد كثيرا من المؤرخين كما قال حسين عطوان^(١) ، وهم ابن عساکر ، وابن كثير ، والياضى ، والسيوطى ، وابن العماد الحنبلى ، ينقلون ان يزيد الفى املاحات عمر بن عبد العزيز ، ويصفون سياسته المالية بالفساد والاضطراب ، ويتهمون به بارهاق اهل الامصار بالخرائب، ولاشاهد لهم على ما دفعوا به سياسته المالية الا خبر واحد رواه المداثنى وهو قوله : "عمد يزيد بن عبد الملك الى كل مامنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فردده ، ولم يرهب فيه شفاعا عاجلة ولاثما عاجلا . وخلف محمد بن يوسف اخو الحجاج على اهل اليمن وظيفه جعلها خراجا عليهم ، فكتب

(١) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٢٠-٢١ .

عمر بن عبد العزيز الى عامله يأمره بالفاء تلك الوظيفة ،
والاقتصار على العشر ونصف العشر ، وقال : لأن يأتيني
من اليمن حفنة كتم^(١) أحب الى من أن يقر هذه الوظيفة . فلما
مات ، وولى يزيد بن عبد الملك بعد عمر ، أمر بردها ، وكتب
الى عمرو بن محمد عامله : ان عمر بن عبد العزيز كان
مفرورا منك ومن أشباهك ، فاعد على أهل اليمن الفريضة التي
كان عمر اسقطها ، ولو صاروا حرفا^(٢) .

وليس من الصحة قول حسين عطوان أن ليس من شاهد لعلاء
المؤرخين في قولهم بالفاء يزيد لاصلاحات عمر سوى هذا النص .
فان هناك نموفا اخرى تفيد بعض اجراءاته المالية ، وفرضه
بعض الضرائب غير الشرعية والتشدد فيها^(٣) .
ويذكر حسين عطوان أن ابن عبد ربه قد اورد الخبر^(٤)
السابق دون اسناد ، ومحرفا تحريفا ظاهرا ، اذ تحول عنده
من رسالة وجهها الخليفة الى عامله على اليمن ، الى رسالة
بعث بها الى عامله في كافة الاممار ، فجاء منه عند ابن

-
- (١) كتم : نبات فيه حمرة ، يخلط مع الوسم للخطاب .
اللسان (كتم) .
(٢) حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ص ٢٠-٢١ (نقلا عن :
انساب الاشراف ، صورة الجامعة الاردنية ، المجلد
الثاني ، ص ١٨٠) .
(٣) انظر بعض هذه النصوص بعد : ص ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٧٦ ، ٥٨٢ ، ٥٩٢ ،
٥٩٣ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٠١ وما بعدها .
(٤) نفس المرجع ، ص ٢١ .

(١) عبد ربه : "أما بعد ، فإن عمر كان مغرورا ، غررتموه انتم واصحابكم وقد رايت كتبكم اليه في انكسار الخراج والغريبة فاذا اتاكم كتابي هذا قدموا ماكنتم تعرفون من عنده ، واعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى ، اخصبوا ام اجدبوا ، احبوا ام كرهوا ، حيوا ام ماتوا ، والسلام " .

ونحن لانؤكد قول حسين عطوان ان نص ابن عبد ربه ، تحريفا للخبر الذي اوردته ابن عساكر عن المدائني ، فليس لدينا على ذلك دليل ، وليس من المستبعد ان الخليفة الذي امر باعادة فرض الغريبة التي سنها محمد بن يوسف على اهل اليمن ، ان يامر بفرض فرائض مشابهة ، والعودة الى ماكان الناس عليه قبل عمر ، في بقية الامصار .

المهم في الامر ان كثيرا من المؤرخين تلمس موقف يزيد من اصلاحات عمر المالية على اساس النصين السابقين .

ويتضح من النص الاول ، امر يزيد باعادة الغريبة التي فرضها محمد بن يوسف على اهل اليمن دون غيرهم .

أما النص الذي اوردته ابن عبد ربه ، فيبين ان يزيد نكس من نهج عمر المالي ، واعاد السياسات المالية لبني امية قبل عمر ، بدون النظر الى حال الرعية ، ومراعاة ظروفها .

معللا ذلك القرار بانكسار الخراج والغريبة ، حيث اتفح له ذلك من خلال اطلاعه على كتب كان ولاة عمر قد بحثوا بها اليه يشكون انكسار الخراج والغريبة .

(١) العقد ، ١٨٨/٥ .

(٢) يبدو ان المقصود هنا بالغريبة : "الجزية" .

(٣) من ذلك الكتب كتاب عامل عمر على مصر حيان بن شريح ، الذي قال فيه : "أما بعد : فإن الاسلام قد اضر بالجزية ، حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينار اتهمت =

وايفاحا للمورة الحقيقية لسياسة الخليفة يزيد ، وسياتي ذكر ذلك في مكانه ابان عرضنا لتفاصيل سياسته المالية .

ويبدو ان عمومية امر الخليفة الذي اوردته ابن عبد ربه هو الذي حدا بمؤرخنا الكبير ابن الاثير ، ان يقول : ان يزيد بن عبد الملك قد عمد الى كل ماصنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فردده ، ولم يخف شفاعه عاجلة ولا اثما عاجلا .^(٢)

وقد سبق ان تحفظنا على قول ابن الاثير واطلاق حكمه بان يزيد رد كل ماصنعه عمر مما لا يوافق هواه . ولكننا احببنا ايراد هذا النص ونحن بصدد مناقشة سياسة يزيد المالية لمعرفة اهمية المقارنة بين سياسة يزيد وسلفه عمر في بعض النقاط ، او دراسة نهج يزيد في سوء سياسة من كان قد سبقه .

لقد عمل الخليفة يزيد بن عبد الملك على ضبط الامور المالية ، بما يكفل زيادة الواردات ، ونقص المصروفات في شيء من الدقة والضبط ، والتشدد والجور احيانا .

والحق انه لم ينقض اصلاحات عمر المالية ، بل ظل يسترشد بها في بعض الجوانب ، وان خرج عنها في جوانب اخرى .

ولعل ظروف الدولة في زمنه ، المحتملة في خوض حروب خارجية في كل الجبهات ، في الشرق مع الصفد والترك ، وفي الشمال مع الارمن والخزر والروم ، وفي الغرب مع الفرنجة ،^(٣)

(١) الكامل ، ١٦٦/٤ - وقال بذلك مع اختلاف يسير في اللفظ ابن خلدون : العبر ، ٧٦/٣ .

(٢) كنا قد ناقشنا قول ابن الاثير هذا ورددنا على اطلاق حكمه . (انظر قبل : المبحث الاول ، ص ٤٢٢ وما بعدها) .

(٣) انظر اعماله الحربية في الفصل الرابع .

(١)
الى جانب الحركات الداخلية كثورة ابن المهلب وغيرها ،
وما يستدعيه ذلك من مصروفات كبيرة ، قد دفعه الى تجاوز
الحدود في جلب الاموال احيانا .

كما ان يزيد لم يساير نهج عمر في الكشف على نفسه
ورجاله ، والعمل على ترشيد المصروفات ، فنجده على سبيل
المثال يأمر عامله على مكة ان يحمل احد المغنين على
البريد ويقدم له الف دينار نفقة الطريق ليستمع منه ابياتا
من الشعر ، بينما نرى عمر بن عبد العزيز يؤنب ابن حزم
عامله على المدينة على اسرافه في الورق والشمع ويؤنب^(٢)
عامله على اليمن على تضييعه دنائير من بيت المال .

ولعل هذا الى جانب ادراك الخليفة يزيد بان اصلاحات
عمر المالية ، قد اقرت ببيت المال ، وادت الى نقص الخراج
والضريبة ، جعلت الخليفة يزيد يتخذ اجراءات مالية متشددة^(٣)
كان هدفها سد هذا النقص الذي احدثته سياسة عمر ، وتوفير
قدر كبير من الاموال في بيت المال يمكن الدولة من الانفاق
على جيوشها المحاربة في الداخل وعلى الحدود . وهذا ما يفسر
ابقاء يزيد على بعض اجراءات عمر المالية التي تتماشى مع
جوهر سياسته اي التي لها مردود مالى على بيت المال ،
والغاء الكثير من اجراءات عمر التي تؤدي الى نقص موارد
بيت المال .

(١) انظر الحركات الداخلية في عهده قبل : الفصل الثانى .
(٢) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٨ .
(٣) انظر كتابه الى عمال عمر ، القاى بترك سياسة عمر ،
بعد ان اطلع على كتبهم الدالة على نقص الخراج
والضريبة ، قبل : ص ٥٤٨ .

ومما يذكر هنا من باب حرمه على الاموال مارواه ابن كثير^(١) ، من أن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان قد اتهم الخليفة عمر بن عبد العزيز بأنه اختان من اموال المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ودر ثمين ، وأنه خباها في بيتين في داره مملوئين ، فبعث يزيد الى اخته فاطمة زوجة عمر يسألها عن ذلك ، فقالت : ما ترك سبد ولا لبد . فسار بنفسه الى دار عمر ودخل البيتين اللذين اشار اليهما عمر بن الوليد ليفتشهما ، وفي صحبة عمر بن الوليد ، فلما دخلهما وجدتهما خاليتين من الاموال ، وقد هينتا للعبادة ، حيث اتخذ عمر من احدهما خلوة يخلو فيها بنفسه ويتدبر امر دينه ودنياه ، والاخرى مسجدا يعبد الله فيه ليلا ، فبكى يزيد ، وخرج عمر بن الوليد مخذولا .^(٢)

الجزية :

وفي سبيل تحقيق السياسة المالية التي رسمها الخليفة يزيد بن عبد الملك ، اشارت مجموعة من المراجع الحديثة الى انه كان يرى أن دخول الموالى في الاسلام قد اثر بدخل بيت

-
- (١) البداية ، ط ١ ، ٢٤٠/٩ .
 (٢) اي ما ترك قليل ولا كثير . اللسان (لبد) .
 (٣) لعل اتهام عمر بن الوليد بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، لخلاف حدث بينهما في خلافة عمر ، اذ يروى ابن الجوزي : أن عمر بن الوليد كتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يلومه وينتقد ما قدم عليه من رد المظالم من اهل بيته ، فرد عليه عمر بكتاب أغلظ له فيه ، انظر ماكتب به كل منهما للاخر في كتابه (سيرة ومناقب عمر ابن عبد العزيز ، ص ١٣٣-١٣٦) ، فيبدو أن عمر بن الوليد حمل ذلك على الخليفة عمر ، فاتهمه عند يزيد .

(١)
 فأعاد فرض الجزية على من أسلم من أهل الذمة ، وبخاصة على
 الصفد أهالى منطقة ماوراء النهر ، اللذين كان عمر بن عبد
 العزيز قد اسقطها عنهم بعد أن أعلنوا إسلامهم ، واعتمد
 عماله هناك على العنف والشدّة إزاءهم ، مما أدى إلى نفقهم
 العهد مع المسلمين والردة عن الإسلام . كما اتفح ذلك فى
 إفريقية عندما عزل عنها عامل عمر بن عبد العزيز اسماعيل
 ابن عبید الله بن أبى المهاجر ، وعين بدلا عنه يزيد بن أبى
 مسلم مولى الحجاج ، الذى سار فى البربر سيرة الحجاج ،
 واستبد بهم ، وفرض عليهم الجزية ، واشتد فى جمع أموالهم ،
 وكان ذلك لزيادة إيراد بيت المال ، والتفصل من دفع مزيد
 من الاعطيات للجند المسلمين من الموالى .
 (٢)

(١) الجزية : هى الاموال المفروضة على رؤوس أهل الذمة ،
 وتؤخذ ممن دخل الذمة من أهل الكتاب والمجوس لقاء
 الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين ، وبالحماية
 محروسين ، كما فى قول النبی صلى الله عليه وسلم :
 "احفظونى فى ذمتى" . (توفيق اليوزبكى : تاريخ أهل
 الذمة فى العراق ، ص ٧٥) ويغيب : أن من الحنفية من
 يقول : أن الجزية تؤخذ من كل كافر (انظر : نفس المرجع
 ص ٧٥-٧٦) .

ويذكر الماوردى : أنها تؤخذ من آخرين غير من ذكروا
 أولا وهم : عبدة الاوشان من المجرم ، والصابئين ،
 والسامرة اذا وافقوا اليهود والنصارى فى أصل معتقدهم
 (انظر : الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار
 الفكر ، مصر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ /
 ١٩٨٣م ، ص ١٢٥) .

(٢) انظر ذلك عند : محمد النجار : الموالى ، ص ٥٧ - فرج
 الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٨، ١٩٥ -
 السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/ ٢٩٣-٢٩٤
 - فاطمة عبد القادر رشوان : المغرب فى عصر الولاة
 الامويين ، ص ٥٧ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة
 (بحث) ، ص ٣٠٠ - نظير حسان سعداوى : الدولة العربية
 الاسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧م ،
 ص ١٩٣ - محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى
 الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثانى
 بعد الهجرة ، دار الفكر العربى ، الطبعة الخامسة ، =

والحق أن قول هؤلاء المؤرخين وغيرهم ممن حذا حذوهم بعيد عن الدقة بجانب للحقيقة ، وهو كما يظهر قول اعتمد على الفرضية ، والاخذ بظاهر بعض النصوص وعموم لفظها ، دون النظر الى النصوص الأخرى واستقماؤها ، وواقع الحال وما نفذ فيه من تلك السياسات التي أشارت اليها النصوص التاريخية .

فكما يبدو أن كثيرا من هؤلاء المؤرخين اعتمدوا في قولهم هذا على ظاهر نص كتاب الخليفة يزيد بن عبد الملك الى عماله بترك ماكانوا عليه من سياسة الخليفة عمر ، وإعادة تطبيق سياسات واجراءات أسلافه من بني أمية . وسنجد من خلال دراستنا المعمقة لسياسته المالية في الصفحات التالية ، خطأ من اعتمد على ظاهر نص هذا الكتاب ، وافترض أن يزيد قد أعاد على أساسه كل السياسات السابقة ومنها إعادة فرض الجزية على من أسلم ، التي كان عمر قد أمر برفعها عن أسلم ، وقد كان بعض الحكام الأمويين وعمالهم قد أبقوا الجزية على من أسلم من أهل الذمة أو من في حكمهم ، منذ أن أعاد فرضها الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان .^(٣)

= ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص ١٥٩ - ثابت الراوي : العراق ، ص ١٨٠ - حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب ، ص ١٨ - محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب ، ص ٣٤ - فيليب حتى : تاريخ العرب ، ٢٨٥/١ .

(١) انظر نص كتابه قبل : ص ٥٤٨ .

(٢) عن أمر عمر بن عبد العزيز برفع الجزية عن أسلم ، (انظر : البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٥ - ابن قدامة الخراج ومناعة الكتابة ، ص ٤٠٩-٤١٠ - أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٦٩ - الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٥٩/٦ - المقرئ : خطط ، ٧٧/١-٧٨ وغيرها) .

(٣) سنعرض لقيام الحجاج بفرض الجزية على من أسلم في الصفحات التالية ، ومدى صحة هذا القول ، وحقيقته .

وكذلك نتيحة للفهم الخاطيء لبعض النصوص ، وامدار احكام واستنتاجات خاطئة ، بناء على ذلك . وقد تجلى هذا فيما ذكره بعضهم ، من أن يزيد بن أبى مسلم عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على الفريقية قد فرض الجزية على من اسلم هناك اقتداء بالحجاج بن يوسف ، معتمدين في ذلك القول على الخبر الذى نقله الطبرى وغيره من المؤرخين ، أن يزيد ابن أبى مسلم اعتزم أن يعير في البربر بسيرة الحجاج في اهل السواد . وهذا الخبر لا ينص على فرض ابن أبى مسلم الجزية وانما اعتزاه ذلك ، ولكنهم قالوا بفرضها من قبله على البربر ، افتراضا ، على اعتبار انه اعتزم محاكاة الحجاج الذى فعل ذلك ، فقالوا : انه فرضها .

والحقيقة التى يجب الاشارة اليها ، أن المصادر الإسلامية القديمة التى تيسر لنا الاطلاع عليها في بحثنا هذا ، لم تنص صراحة على فرض الخليفة يزيد بن عبد الملك أو احد عماله الجزية على من اسلم ، كما أننا لم نعث على أية اشارة تدل على ذلك اثناء دراستنا لاحداث عصره .

بينما قدمت لنا هذه المصادر روايات صريحة عن سياسات يزيد المالية المستجدة ، وما اعاده من سياسات اسلافه ، وهذا ما يدفعنا الى الشك فيما نسب الى الخليفة يزيد من انه اعاد فرض الجزية على من اسلم .

ونحن في حقيقة الامر لانغنى ان الجزية كانت تؤخذ من

(١) انظر نص الخبر الذى اوردته الطبرى وغيره من المؤرخين عن سياسة يزيد بن أبى مسلم بعد : ص ٥٥٩ .

(٢) ستجد هذه النصوص في ثنايا حديثنا عن سياسته المالية في الصفحات التالية .

بعض من أسلم من أهل الذمة أو من على حكمهم ، في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، مع التأكيد على أننا لم نعثر على ما يدل صراحة أنه أمر بذلك . بينما أمر بالعودة الى ماكان عليه أسلافه قبل عمر بن عبد العزيز ، ومما كان عليه أسلافه قبل عمر ، أخذ الجزية من بعض من أسلم .

فهناك من الدلائل مايشير الى أن الجزية كانت تؤخذ من بعض من أسلم قبل عهد سلفه عمر الذي أمر برفعها عنهم . من تلك الدلائل الخبر الذي أورده الطبري من شكاية أحد موالى خراسان الى عمر بن عبد العزيز أن عشرين ألف مسلم من الموالى هناك يدفعون الجزية . ومثلهم يقاتلون مع المسلمين ولايأخذون العطاء . وهذا ماأحدا بعمر الى توجيه أوامره الى عماله برفع الجزية عن أسلم . بل أن أوامره المريحة في هذا الشأن تبين وجود من كان يدفع الجزية بعد اسلامه .

وقد ذكر أن أول من أخذ الجزية من أهل الذمة الحاج ابن يوسف الثقفي . يقول ابن عبد الحكم : "وكانت تؤخذ قبل

(١) هنا كتب وأوامر مريحة وجهها للخليفة عمر بن عبد العزيز الى عماله في الأقاليم الاسلامية برفع الجزية عن أسلم ومنع من أراد من عماله أخذها من الموالى ، من ذلك رفعها عن أسلم في خراسان والكتابة الى الجراح الحكمي عامله عليها بذلك . (انظر : البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٥ - ابن قدامة : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤١٩-٤١٥ - الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٥٩/٦) وكذلك كتابه الى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على الكوفة برفض استئذانه في أخذها ممن أسلم (انظر : أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٦٩) ، والأمر برفعها عن أسلم في مصر وكتابته الى حيان بن شريح عامله عليها في هذا الشأن (انظر / ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، طبعة ليدن ١٩٢٠م ص ١٥٥ - المقرئ : خطط ، ٧٧/١-٧٨) .

(٢) نفس المصدر والجزء والملحة .

(٣) انظر هامش (١) أعلاه .

(٤) نفس المصدر والطبعة ، ص ١٥٦ .

ذلك - أى قبل أن يرفعها عمر بن عبد العزيز - ممن أسلم .
 وأول من أخذ الجزية من أهل الذمة كما حدثنا عبد الملك بن
 مسلمة عن ابن لعيعة عن رزيق بن عبد الله المرادى الحجاج
 ابن يوسف .

(١).
 ويقول المقرئ : " وأول من أخذ الجزية ممن أسلم من
 أهل الذمة الحجاج بن يوسف " . الذى كان عاملاً لعبد الملك بن
 مروان على العراق .

ويبدو أن القول بذلك ، جاء صدى لموقف الحجاج بن يوسف
 من الموالى الذين لحقوا بالامصار وتركوا أرضهم ، مما أدى
 إلى انكسار الخراج ، فأمر باخراجهم من الامصار ، واعادتهم
 إلى قراهم .

وقد أورد الطبرى خبر ذلك الموقف ونصه : " ذكر البصرة بن
 ربيعة عن أبى شاذب : أن عمال الحجاج كتبوا إليه : أن
 الخراج قد انكسر وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالامصار
 فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أمل فى قرية فليخرج
 إليها ، فخرج الناس فمسكروا ، فجعلوا يبكون وينادون :
 يامحمداه يامحمداه . وجعلوا لا يدرن أين يذهبون ، فجعل
 قراء البصرة يخرجون إليهم متقنعين فيبكون لما يسمعون
 منهم ويرون . قال : فقدم ابن الأشعث على خليفة ذلك ،
 واستبصر قراء البصرة فى قتال الحجاج مع ^{عبد الرحمن} محمد بن

(١) خطط ، ٧٨/١ - وانظر أيضا : حسين محمد سليمان : رجال
 الإدارة فى الدولة العربية الإسلامية ، ١-١٣٢هـ ، رسالة
 ماجستير ، مطبوعة ، دار الإصلاح ، المملكة العربية
 السعودية ، الدمام ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٢١ - محمد أمين
 صالح : دراسات اقتصادية فى تاريخ مصر الإسلامية ، عصر
 الولاة ، الناشر مكتبة نعمة الشرق ، القاهرة ، الطبعة
 الثالثة ، ١٩٨٠م ، ص ٢٠ .

(١)
الاشعث" .

ونص هذا الخبر لا يشير الى فرض الجزية على من اسلم ولكنه الزمهم العودة الى قراهم ورساتيقتهم ، للعمل في الارض وهذا يعنى انهم سيقومون بزراعة اراغيهم التي تركوها وبالتالي دفع الخراج عنها ، لان اراغى خراج الاجرة ، لا يسقط الخراج عنها باسلام صاحبها ، وانما تسقط عنه الجزية ، اما الارض/فاما ان تعود الى الدولة اذا تركها فتدفعها لمن يقوم بزراعتها ، او ان يبقى فيها (٢) ويؤدى عنها الخراج ، كما كان يفعل قبل اسلامه .

وحيث ان الخبر الذى اوردته الطبرى ، ووافقه فيه ابن عبد ربه ، لم ينص صراحة بالزام الموالى بعد اعادتهم الى قراهم ، بدفع الجزية ، فقد شككنا فى صحة هذا الخبر ، وان كان روح النص تدل على ذلك . مع ان ابن الاثير الذى اورد (٤) خبر الطبرى ، قد صرح بذلك بقوله : "واخرج الناس لتؤخذ

(١) تاريخ الامم ، ٢٨١/٦ - ابن عبد ربه : العقد ، ٣٦٤/٣ (مع تصرف قليل فى اللفظ والمعنى) .

(٢) يشير ابن عبد ربه : ان ذلك الموقف من الحجاج تجاه الموالى جاء بعد مشاركتهم فى حركة ابن الاشعث وابن الجارود ، فاراد ان يزيل ذلك الخطر ، المتمثل فى تجمع أعداد كبيرة من الموالى فى الامصار أصبحت تهدد الامن ووحدرة الدولة بمشاركتهم فى الحركات الخارجة على الدولة . كما ان من خبره ما يفيد انه رأى ان هؤلاء الموالى زراع ارض ، وان وجودهم فى المدن سيؤدى الى نوع من البطالة ، لعدم اتقانهم الحرف الاخرى ، الى جانب مساوىء اليه تركهم اراغيهم من انكسار الخراج ، فامر باعادتهم الى قراهم للعمل فى معنتهم الرئيسية باسم المصلحة العامة لذلك جاء قوله : "انتم علوج وعجم وقراكم اولسى بكم" . (انظر : نفس المصدر والجزء والمفحة) .

(٣) محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الاراضى ، ص ١٩٠ - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٢٨٧ .

(٤) الكامل ، ٧٩/٤ .

منهم الجزية " . وقوله هذا زيادة على ماورد عند الطبرى ،
لعله استقاهما من مصدر آخر .

غير أن تصريح الطبرى نفسه أثناء حديثه عن اعتزام
يزيد بن أبى مسلم عامل يزيد بن عبد الملك على افريقية
السير على نهج الحجاج ، بأن الحجاج فرض الجزية على من أسلم
حيث قال : "وكان سبب ذلك - يعنى مقتل ابن أبى مسلم - أنه
كان عزم أن يسير بهم بسيرة الحجاج بن يوسف فى أهل الاسلام
الذين سكنوا الامصار ، ممن كان أصله من السواد من أهل
الذمة ، فأسلم بالعراق ممن ردهم الى قراهم ورساتيقهم ،
ووضع الجزية على رقابهم على نحو ماكانت تؤخذ منهم وهم على
كفرهم . فلما عزم على ذلك تأمروا فى امره ، فاجمع رأيهم
على قتله فقتلوه " (١) .

وماورد من نصوص أخرى تدل على أخذ الجزية من بعض من
أسلم من أهل الذمة ، بعد عهد الحجاج ، وأوامر عمر بن عبد
العزيز الصريحة برفع الجزية ممن أسلم ، فى اقطار الدولة
الاسلامية ، وماذكر من أن أشرس بن عبد الله السلمى عامل
هشام بن عبد الملك على خراسان (١٠٩ - ١١١هـ) ، فرض الجزية
على من أسلم فى ماوراء النهر بعد أن رفعها عنهم ، عندما
راى اقبال الناس على الاسلام وكثرة الداخلين فيه ، وما أدى

(١) تاريخ الامم ، ٦١٧/٦ - كما ورد هذا الخبر عند : ابن
الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ - ابن أبى دینار : المؤنس ،
ص ٣٩ - ابن خلکان : وفيات ، ٣١١/٦ - النصارى :
الاستقواء ، ١٠٣/١ .

(١) اليه من انكسار الخراج . وكذلك رقع نصر بن سيار عامل الخليفة هشام على خراسان (١٢٠ - ١٣١هـ) الجزية عن اسم في خراسان وماوراء النهر وقد وجدها تؤخذ من ثلاثين ألف مسلم .^(٢)

كل ذلك جعلنا نتأكد من ان الجزية قد فرضت على بعض من اسلم من اهل الذمة ، واصبح الموالى يؤدونها بعد اسلامهم كما كانوا يؤدونها وهم على كفرهم .

وقد عسل تجاوز بعض حكام بنى امية حكم الشرع في ذلك بمبررات متعددة ، اهمها تآثر موارد الدولة باسلام اهل الذمة من خلال سقوط الجزية عن اسم وانكسار الخراج ، وظروف الدولة العسكرية ومستجداتها ، كما ذكر ان بنى امية يعتبرون الجزية بمنزلة الفرائض على العبيد ، فلا يسقط اسلام العبد عنه فريبته ، وقد يكون لظنهم انما اسلامهم فرار من الجزية ، فابقوها عليهم غيرة على الاسلام . على انه ينبغي^(٣) الاخذ بالظاهر ، ولو على اعتبار انهم من المؤلفة قلوبهم . كما ان اخذها من الموالى مخالف لحكم الشريعة الذي يعفى من اسلم من اداء الجزية .^(٤)

-
- (١) يذكر الطبري ان اشرس امر بدعوة اهل ماوراء النهر الى الاسلام على ان ترفع عنهم الجزية ، فاقبلوا على الاسلام فكتب اليه الدهاقين بانكسار الخراج ، فامر باعادتها على من اسلم ، مما ادى الى ردة اهل المنفذ وحربهم المسلمين . (انظر : تاريخ الامم ، ٥٤/٧ وما بعدها) .
- (٢) عن اصلاح نصر بن سيار المالى في خراسان ، والحد من سلطان الدهاقين ، ووضع كل شيء في موقعه ، (انظر : الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٣-١٧٤) .
- (٣) انظر هذه الاسباب والمبررات عند : توفيق اليوزبكى : تاريخ اهل الذمة في العراق ، ص ١٣٨-١٣٩ - ثابت الراوى : العراق في العصر الاموى ، ص ٦٦ - فاطمة عبد القادر رفوان : المغرب في عصر الولاة الامويين ، ص ٥٩٠٤١ - فالح حسين : الحياة الزراعية ، ص ١٢٥ - فيليب حتى : تاريخ العرب ، ٢٨٤/١ - حسن احمد محمود : الاسلام في آسيا الوسطى ، ص ٦١) .
- (٤) ابو يوسف : الخراج ، ص ٢٥٤ - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ٢٧١ - فالح حسين : نفس المرجع والصفحة

وللحقيقة ، فإن من الواضح أن أخذ الجزية ممن أسلم ، لم يكن أمرا عاما شمل كل من أسلم من أهل الذمة ، أو عمم على أقطار الدولة الإسلامية وإقاليمها ، فابن عبد الحكم^(١) يذكر أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز عامله على مصر ، بأخذ الجزية ممن أسلم من أهل مصر اقتداء بالحجاج ، فهم بذلك ، لكنه توقف عنه .

ومما يدل على عدم أخذها من البربر في إفريقية حتى أواخر عهد هشام ، أن الشكوى التي تقدم بها زعماء البربر إلى الخليفة هشام قبيل قيامهم بالثورة على عامله عليهم عبيد الله بن الحبحاب سنة ١٢٢هـ ، والتي ذكروا فيها مظالمهم وما يجدونه من عسف وجور العمال ، لم تتضمن أخذ الجزية ممن أسلم ، مما يدل على عدم أخذها منهم ، والا لكانت على رأس ما تقدموا منه لأهملتها ، فقد ذكروا ما هو أيسر^(٢) من ذلك .

ومما يدل على أنها لم تفرض عليهم قبل ذلك ، قيام البربر سنة ١٠٢هـ بقتل يزيد بن أبي مسلم عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على إفريقية ، عندما أراد أن يسير فيهم بسيرة الحجاج ، ومن ذلك أخذ الجزية ممن أسلم منهم^(٣) . ويتضح جليا أن أخذ الجزية ممن أسلم قد برز بشكل واضح في المشرق الإسلامي وخصوصا في بلاد ماوراء النهر وخراسان

(١) فتوح مصر ، طبعة ليدن ، ١٩٢٠م ، ص ١٥٦ - وكذلك المقرئى : خطط ، ٧٨/١ .
(٢) انظر نص شكوى البربر التي رفعوها إلى الخليفة هشام وما تضمنته من مظالم في : الطبرى : تاريخ الأمم ، ٢٥٤/٤ - ٢٥٥ .
(٣) عن أسباب قتل يزيد بن أبي مسلم ، واعتزازه السير في البربر بسيرة الحجاج مما كان سببا في قتله ، (انظر قبل : المبحث الأول ، ص ٥٠٧ وما بعدها) .

والسواد . بل أن ذلك فيما يبدو قد اقتصر على أهل القرى والرساتيق ، أما من أسلم والتحق بالمدن الكبرى ، فإنه فيما يبدو لم يكن يؤدي الجزية بعد إسلامه ، إلا أنه كان يشكو من عدم مساواته بالعرب ، وخصوصاً حرمان بعضهم من العطاء .^(١)

ويبدو أن وراء أخذ الجزية من بعض من أسلم سبباً آخر غير سياسة الحجاج ، ألا وهي استغلال الدهاقين في هذه الاقاليم لمسلطتهم في وضع الضرائب وجمعها ، لصالح من بقى على دينه من جماعاتهم ، على حساب الذين أسلموا ، فيرفعون ويخففون عن الكافرين ، ويضعون ويثقلون على المسلمين .^(٢)

إذا أن المسلمين قد تركوا أمر جباية الضرائب للرؤساء المحليين والدهاقنة ، بل أن صلح أهل مرو بالذات نص على أن مهمة الدهاقين قسمة المال وليس على المسلمين إلا قبض ذلك .^(٣)^(٤)

(١) تدل شكوى صالح بن طريف الملقب أبا الصيدا وهو أحد موالى خراسان ، لعمر بن عبد العزيز ، على أن من أسلم من أهل خراسان والتحق بالجيش لم يكن يأخذ العطاء ، وأن من أسلم وبقى على أرقه أخذت منه الجزية مع إسلامه (انظر ذلك عند : الطبري : تاريخ الأمم ، ٥٥٩/٦) ، بينما دلت شكاية بربر أفريقية زمن هشام على حرمانهم من العطاء ولم تشر إلى فرض الجزية عليهم (انظر هامش (٢) الصفحة السابقة .

(٢) محمد شعبان : الثورة ، ص ٢١٣ .

(٣) محمد شعبان : نفس المرجع ، ص ٨٠ .

(٤) كان في صلح أهل مرو : "أن يوسعوا للمسلمين في منازلهم وأن عليهم قسمة المال وليس على المسلمين إلا قبض ذلك" . (انظر / البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٩٦) بل أن أمر ترك جباية الأموال من أهل البلاد المفتوحة لاهلها ، نهج اتبع منذ بداية الفتوح . فقد تضمن صلح خالد بن الوليد - رضي الله عنه - لاهل الحيرة ، الاشتراط عليهم جباية ماصولحوا عليه حتى يؤدوه إلى بيت مال المسلمين ، إلا أن يطلبوا أعواناً ، فيعانوا . (انظر : أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٩٠) .

يبدل على صحة هذا القول ماذكر عن نصر بن سيار ، أنه أراد اصلاح الامور المالية في ولايته على خراسان ابان عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، فولى ذلك رجلا يدعى منمور ابن عمر بن ابي الخرقاء ، وخطب في الناس فاخبرهم بذلك ودعاهم ان من كان يؤخذ منه جزية راس وهو مسلم ، او ثقل عليه في خراجه ، فليرفع ذلك الى منمور ليحوله عن المسلم الى المشرك . فما كانت الجمعة الثانية حتى اتاه ثلاثون الف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم وثمانون الفا من المشركين قد القيت عنهم جزياتهم ، فحول ذلك عليهم والقاء عن المسلمين ، ثم منك الخراج حتى وضعه مواضعه .^(١)

ونخلص من هذا ان الخليفة يزيد بن عبد الملك لم يامر صراحة باخذ الجزية ممن اسلم ، كما ان ليس لدينا اى قرينة او دليل باخذها ممن اسلم في عهده ، لكننا لانستطيع ان نجزم بعدم اخذها ممن اسلم في ايامه ، خصوصا بعد امره العام بترك سياسة عمر والعودة الى السياسات القديمة لاسلافه من بنى أمية مما يدفعنا الى ترجيح العودة الى اخذها من بعض من اسلم ، خاصة في مناطق المشرق الاسلامي ، التي خضعت لذلك منذ عهد الحجاج ، وخاصة في منطقة السواد وماوراء النهر ، من اهل القرى والرياحيق الذين يعيشون خارج نطاق الاممار ، ولعل ذلك كان يحدث دون علم العمال المسلمين ، لترك امر الجباية لزعماء اهالي تلك البلاد المشار اليها ، وبعدها عن نظر الولاة ، او لاختلاط الامر عليهم ، لذوبان القلة المسلمة

(١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٥٧ .

من اهل تلك الاساقعة ، في المواد الاعظم من اهلها الذين بقوا على دينهم باديء الامر .

وفي سبيل زيادة الموارد المالية ، اعاد الخليفة يزيد ابن عبد الملك فرض الجزية على الاساقعة والرهبان في مصر واشتد عليهم في ذلك واشغل^(١) ، حتى قال عن سياسته المؤرخ القبطي ساويرس بن المقفع : "ثم تولى بعده - اي بعد عمر بن عبد العزيز - يزيد ومانع من بصرح ماجرى في ايامه ولاذكره من السوء والبلاء لانه سلك في طريق الشيطان وحاد عن طريق الله واول ما اخذ المملكة اعاد الخراج الذي كان عمر قد رفعه عن البيع والاساقعة سنة واحدة وحمل على الناس ثقلا عظيما حتى فاق كل من في بلاده " .

وقد تولى ذلك اسامة بن زيد التنوخى عامل الخراج بمصر للخليفة يزيد ، حيث وسم الراهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديريه وتاريخه ، وامر بقطع يد من وجد بغير وسم وتغريم من لم يحمل منشور البراءة بدفع الجزية من الثماني عشرة دينار ، وقام بجولات تفتيشية مفاجئة على الاديرة ، قبض فيها على عدد من الراهبان بدون وسم فقتل بعضهم ومات آخرون تحت العذاب^(٢) .

وكان عمر بن عبد العزيز قد الفى الجزية عن رجال

(١) محمد امين صالح : دراسات اقتصادية ، ص ١٢٣ - سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ٢٠٧ - صالح الحمارنة : المسيحية في ارض الشام (بحث) ، ص ٥٥٥-٥٥٦ - تروتون : اهل الذمة ، ص ٢٣٠-٢٣١ .
(٢) سير الالباء البطارقة ، ص ١٥٣ .
(٣) المقريزي : خطط ، ٤٩٢-٤٩٣ - صالح الحمارنة : نفس المرجع والمفحات .

(١) الكنيسة المصرية ، والتي فُرغت عليهم لأول مرة من قبل أمير مصر عبد العزيز بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) في عهد أخيه عبد الملك بن مروان ، بل أنه ألزم الاساقفة بغريبة سنوية قدرها ألفي دينار اضافة الى خراج املاكهم ، كما ألزم خلفه على ولاية مصر عبد الله بن عبد الملك البطارقة بغريبة قدرها ثلاثة آلاف دينار سنويا واهافات أخرى ، كما اشتد أسامة بن زيد عامل سليمان وعمل احماء شابحا للرهبان واستمر الحال حتى عهد الخليفة عمر الذي أمر برفع ذلك عنهم .
(٢)
وبعد تحفظنا على لفظية الخبر الذي نقله ساويرس ابن المقفع عن سياسة الخليفة يزيد المالية تجاه رجال الكنيسة القبطية ومافيه من التحامل الواضح ، وان كان غير مستعجب لوروده على لسان احد رجال الكنيسة الذين لا تروق لهم مثل هذه الاوامر من الحكام المسلمين .
(٣)
(٤)

(١) نادية حسنى صقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة ، ص ٥٣ - عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامى (بحث) ، ص ١٢٨ .

(٢) عن اخذ عبد العزيز بن مروان الجزية من رجال الكنيسة القبطية كاول جزية تؤخذ من الرهبان في تاريخ مصر الاسلامية ، وما استحدث من غرائب ، واتباع هذه السياسة من قبل السلافة الذين جاءوا بعده ، وما اتبعوه من سياسات أخرى ، وابتدعوه من غرائب جديدة ، تجاه نمارى مصر ورجال كنيستها ، (انظر / المقريزى : خطط ، ٢/ ٤٩٢-٤٩٣ - محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ، ص ١٩-٢٠، ٢١٣ - سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ١٧٩-١٩٣، ٢٠٠ - تروتون : اهل الذمة ، ص ٢٣٠-٢٣١) .

(٣)

(٤) لا يستغرب مانجده من تحامل على رجال الاسلام وقيادات المسلمين على لسان اعدائهم ، فان ساويرس بن المقفع لم يتورع عن النيل من الخليفة عمر بن عبد العزيز ، مع ما عرف عنه من عدالة وتصامح تجاه رعاياه وخاصة اهل الذمة الذين اوصى بالرفق بهم والعدل فيهم بما يمليه الشرع الحنيف ، فيقول : "فكان هذا عمر بن عبد العزيز يمنع خيرا عظيما امام الناس ويجعل السوء امام الله" (انظر كتابه : سير الالباء البطارقة ، ص ١٥٢) . وقد اوردنا قوله في عمر حتى لا يفر القارىء بقوله في يزيد.

فانه يهمننا ان نشير ان هذا الخبر لا ينص صراحة على
 اعادة يزيد فرض الجزية على رجال الكنيسة ، وانما نص على
 اعادة الخراج الذى كان رفعه عمر عن البيع والاساقفة ،
 والذى رفعه عمر كما . اورده ابن المقفع جاء بلفظ
 الخراج لالجزية فهو لا ينص صراحة برفع الجزية ان يقول :
 "وامر - يعنى عمر - ان لا يكون على اواصى البيعة والاساقفة^(١)
 خراج وبدي ان جعل البيع بغير خراج والاساقفة وبطل^(٢)
 الجبايات" .

ويبدو ان ذلك جاء من عدم التمييز فى استعمال كلمة
 خراج وجزية ، واطلاق كلمة خراج على جزية الرؤوس ، وهذا
 يعنى انه رفع خراج الرؤوس عن الاساقفة كما رفع الخراج
 عن املاك الكنيسة . فمهما ان بعض المراجع الحديثة قالت
 بانه رفع الجزية اعتمادا على هذا النص فمفسرين النص كما
 يبدو على ما ذهبنا اليه ، الى جانب صراحة اللفظ بوضع
 الجزية على الرهبان فى الكنيسة المصرية قبل عمر منذ ولاية
 ابيه عبد العزيز ، فقد اورد المقرئى ان عبد العزيز بن^(٣)
 مروان احمى الرهبان ووضع عليهم الجزية فقال : "وفى ايامه
 امر عبد العزيز بن مروان فامر باحصاء الرهبان فاحموا
 واخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار ، وهى اول جزية اخذت
 من الرهبان" .

(١) اواسى : جمع اوسية وهى عند المصريين تعنى الضيعة ،
 فاواصى البيعة : تعنى املاك الكنيسة او اراصى الكنيسة
 (عن استاذى : ا.د. احمد السيد دراج) .
 (٢) سير الالباء البطارقة ، ١٥٢/١ .
 (٣) خطط ، ٤٩٢/٢ .

وحيث ان الامل في حكم الجزية اعفاء الرهبان منها
لفقرهم الناتج عن انصرافهم عن الدنيا ، بل ان الادميين^(١)
كانوا يتحملون فرائب من انخرط في سلك الرهبنة ، فلا يدفع^(٢)
الرهبان شيئا .

لذلك فان من المرجح ان يكون عمر قد رفع عنهم الجزية
مع رفع ما فرض عليهم من فرائب اضافية وخراج على املاك
الكنائس ، وان كان النسي الذي اورد ساويرس ابن المقفع في
هذا الشأن لا ينص على ذلك بالتحديد لامن قبل عمر ولا من قبل
يزيد فلم ينص الخبر على رفع عمر الجزية وانما قال
"الخراج" ولم ينص الخبر الاخر باعادة يزيد الجزية ، وانما
الخراج الذي رفعه عمر .

شأننا في هذا القول شان ترتون الذي شكك في دقة^(٣)
ما يعنيه نص الخبر القائل بفرض الجزية على الرهبان من قبل
عبد العزيز بن مروان ، اذ قال : ولما نعرف على وجه
التحقيق عما اذا كان ساويرس يقصد بذلك انها اول جزية او
خراج يدفعه الرهبان .

-
- (١) يقول ابو يوسف في هذا الشأن : "وكذلك المترهبون
الذين في الديارات اذا كان لهم يسار اخذ منهم ،
وان كانوا انما هم مساكين يتصدق عليهم اهل اليسار لم
يؤخذ منهم ، وكذلك اصحاب المواضع ان ذكر ان لهم غنى
ويسار ، وان كانوا قد ميروا ما كان لهم لمن ينفقه على
الديارات ومن فيها من المترهبين والقوام ، اخذت
الجزية منهم ، ويؤخذ بها صاحب الدير ، فان انكر صاحب
الدير الذي ذلك الشيء في يده ، وحلف على ذلك بالله
وبما يحلف به مثله من اهل دينه ما في يده شيء من ذلك
ترك ولم يؤخذ منه شيء" . (انظر : الخراج ، ص ٢٥٣-٢٥٤)
وكذلك ترتون : اهل الذمة ، ص ٢٣٩ (عن : الصولى : ادب
الكاتب ، ص ٢١٦ - الشافعي : الام ، ٩٨/٤) .
- (٢) ترتون : نفس المرجع والصفحة (عن ابن عبد الحكم :
فتوح ، ص ١٥٦) .
- (٣) نفس المرجع ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

الا أن الخبر الذي يشير الى وسم الرهبان على يد اسامة ابن زيد عامل خراج مصر ليزيد واعطاء كل فرد منهم منشور براءة^(١) ، فيه دلالة واضحة على أن ذلك التنظيم المعنى بالأفراد كان يخص الجزية ويعنى بضغطها . إذ أن الضرائب التي فرضت على البطارقة والاساقفة وأماك الكنائس ، كان المسئول عن أدائها كبار رجال الكنيسة من بطارقة واساقفة^(٢) . كما أن عدم التمييز في اطلاق كلمة خراج وجزية ، واطلاق كلمة الخراج على جزية الرؤوس تجاوزا ، قرينة أخرى على ترجيح امادة يزيد فرض الجزية على الرهبان بعد أن رفعها عنهم عمر .

لكن الملفت للنظر أن امادة فرض الجزية والخراج والضرائب على رجال الكنيسة وأماكها في مصر في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك اقترن على مسيحيي مصر عما سواهم ، فلو

(١) انظر الخبر المتضمن سياسة اسامة بن زيد هذه قبل : ص ٥٦٤ .

(٢) انظر : محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ، ص ١٩-٢٠ .

(٣) يقول محمد أمين صالح : رغبة في تعويض النقص في الإيرادات الناتج عن نقص مورد الجزية بدخول الناس في الاسلام ، وتحول كثير من الأراضي الخراجية الى عشوية ، فرضت الدولة الاموية منذ ولاية عبد العزيز بن مروان سلسلة من المفارم والجبايات على مسيحيي مصر ، فأخذت الجزية من الرهبان ، وفرضت ضرائب على الاساقفة والبطارقة الى جانب خراج الكنائس وأماكهم ، كما ألزموا بارزاق الوالى وعماله وحاشيته ، واشتد عليهم في ذلك زمن عبد الله بن عبد الملك (٨٦-٩٠) ، وقررة ابن شريك (٩٠-٩٦) ، واسامة بن زيد (٩٦-٩٩) ، يضاف الى ذلك أمر عمر بن عبد العزيز بعدم استعمالهم في الادارة وعدم تحول الأرض الخراجية الى عشوية خصوصا أنه يعتبر أرض مصر فتحت عنوة الا ثلاثة بلدان منها . كل ذلك هيا مسيحيي مصر للثورة على المسلمين . وقد كانت سياسة عبید الله بن الحبحاب عامل الخراج لعشام بن عبد الملك على مصر ، المتمثلة في زيادة قيراط على كل دينار في خراج مصر ، واشتد في ذلك وظلمه حيث قاس الأرض وأحصى الناس والبهائم ودونهم ، وسخر المصريين في =

أن الأمر كان يخص أهل الذمة في الدولة الإسلامية عامة لاشارت إليه مصادر التاريخ الإسلامي العام ولم تقتصر على إيراده مصادر تاريخ مصر الإسلامية ، هذا علما بأن ذمى مصر كانوا يتحملون ضريبة من ينخرط في سلك الرهبنة ^(١) . فما العلة وراء ذلك ؟ يبدو أن السبب وراء ذلك ، مابلفته الكنيسة القبطية وأهلها من الثراء ، فقد اطلع تروتون على أرقام عن البرديات اتضح له من خلالها غنى بعض الأديرة المصرية وما وصلت إليه من الثراء ، حتى لقد كان لدير مريم المحراوى ثمانية أقطاعيات في (سنة ٩٨هـ) ، ولدير بربروس عشرة أقطاعيات ^(٢) .

وحيث أن الإسلام يجيز أخذ الجزية من المترهبين إذا كانوا أهل غنى ويسار ^(٣) ، قام المسلمون بأخذها منهم منذ عهد عبد العزيز بن مروان ، لسقوط علة إعفائهم منها وهي الفقر ولعل هذا ما يبرر شرعية عمل الخليفة يزيد ومن سبقه من الخلفاء تجاه رجال الكنيسة القبطية وهذا لا يتعارض مع عمل

= بناء القسطنطينية ، كل ذلك كان سببا لثورات القبط الممريين التي قامت عليه سنة ١٠٧هـ واستمرت طوال العهد الأموي والعصر العباسي حتى عهد المأمون مما يدل على أن تلك الثورات لم تكن ضد بني أمية وإنما ضد السياسة التي اتخذها المسلمون تجاههم سواء في العهد الأموي أو العباسي . (انظر : دراسات اقتصادية ، ص ٢٣-١٩ - ساويرس بن المقفع : سير الأبناء البطارقة ، ص ١٥٤) .

(١) تروتون : أهل الذمة ، ص ٢٣٩ (عن / ابن عبد الحكم : فتوح ، ص ١٥٦) . لكن الراجح أن ذمى مصر كانوا يتحملون ضريبة خراج الأرض ممن انخرط في سلك الرهبنة فقط ، أما لكون ضريبة الخراج جماعية على أهل القرية أو لتحول أرضه الخراجية إلى أهل قريته فلزمهم أداء الخراج بدلا عنه . أما ضريبة الجزية فانهم لا يؤدونها عنه ولا لما فرضت على المترهبين .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢١٦ .
(٣) انظر ما أوردناه عن ذلك في الصفحة السابقة ، وهامش (١) منها

ال خليفة عمر الذي رفعها عنهم ، فانه عاد الى الامل ، ولعل
(١)
تمرفه من باب التسامح وتاليق قلوبهم رجاء اسلامهم .

والحق أن غموض بعض النصوص وعدم دقتها وشمولها ، جعل
القول في هذا الميدان لا يبلغ الحقيقة القطعية ، ولعل قادم
الايام يكشف لنا من الوثائق ما يكون أكثر دقة ووضوحا وشمولا
ليكون الحكم قطعيا ، وتثبت الحقيقة .

ولم يكن الخليفة يزيد بن عبد الملك مخالفا لعمر في
كل أمر ولم يرد كل ما صنعه كما قال ابن الاثير ، فمن اتباعه
(٢)
اياه فيما صنعه ، موافقته واقراره ما سقطه عمر من ملح
نصارى النجرانية . فقد صالح نصارى نجران رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الفى حلة سنويا ، فلما كان عهد عمر بن
الخطاب اجلاهم ، فتفرقوا واستقر بعضهم بالشام ونزل
بعضهم "النجرانية" قرب الكوفة بالعراق وقد سميت باسمهم .
ولما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه شكوا اليه امرهم
وكان قد لحقهم بعض الضرر فوضع من جزيتهم مائتى حلة . فلما
كان عهد معاوية رضى الله عنه او ابنه يزيد ، شكوا اليه
تفرقهم وموت من مات واسلام من اسلم منهم ، وازديادهم نقما
وبغضا ، فوضع عنهم مائتى حلة ، فلما تولى الحجاج اتهمهم
بمناصرة ابن الاشعث فاعاد عليهم ما وضع عنهم في بداية العمر
الاموى ، ليدفعوا الف وثمانمائة كما كانوا يدفعونها ايام
عثمان بعدما اسقطه عنهم .

(١) المؤلف قلوبهم قسمان : كافر ومسلم ، فالكافر ترجو
من وراء حسن معاملته اسلامه ، والمسلم ترجو من وراء
التعاطف معه والاحسان اليه حسن اسلامه وزيادة ايمانه .
(انظر / ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص ٥٥) .
(٢) انظر قوله قبل : ص ٥٥٠ .

فلما ولي الخليفة عمر بن عبد العزيز شكوا اليه نعمهم وظلم الحجاج اياهم ، فأمر باحصائهم فوجدهم عشر عدتهم الاولى ، فلما رأى ذلك الملح جزية رؤوس لخراج ارض ، اسقط عنهم جزية من مات أو أسلم ، فالزمهم على ذلك ماثنى حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم ، وهى عشر ماكان عليه صلحهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فظلوا على ذلك حتى ولاية يوسف بن عمر الثقفى عامل الوليد بن يزيد على العراق ، فردهم الى امرهم الاول عصبية للحجاج ^(١) . وهذا يعنى أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ومن بعده هشام قد أقر ما أسقطه عمر عن نصارى النجرانية من جزيتهم ، ومما اتبع عمر فيه موافقته فى اسقاط ما زاده عبد الملك بن مروان فى ملح أهل قبرص . فقد فتحت قبرص على يد معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، ومالهم على سبعة آلاف ومائتى دينار ، ثم لم يزل المسلمون يفتنونهم حتى مالهم معاوية فى أيامه ملحاً دائماً على سبعة آلاف دينار ، فلم يزل أهل قبرص على ملح معاوية حتى ولي عبد الملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار ، فجرى ذلك الى خلافة عمر بن عبد العزيز فحطها عنهم ، ثم لما ولي هشام بن عبد الملك ردها فاستمر ذلك حتى خلافة أبى جعفر المنصور فردهم الى ملح معاوية ^(٢) . وهذا يعنى أن العمل بما منعه عمر فى هذا المدد استمر خلال

(١) عن قصة النجرانية وتفاصيل أمرهم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين والامويين وما آل اليه أمرهم زمن بنى العباس ، (انظر / البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٧٥-٧٩ - قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٢٧٢-٢٧٥) .

(٢) عن فتح قبرص والملح مع أهلها وماكان من أمرها . (انظر : البلاذرى : نفس المصدر ، ص ١٥٧-١٦٢) .

خلافة يزيد بن عبد الملك .

وشبيه بذلك ، انقاذ الجراح بن عبد الله الحكمي صلح
حبیب بن مسلمة مع اهل تغليس وذلك بعد ان اعاد الجراح فتح
ذلك الاقليم في اعقاب غزو الخزر ارمينية وانضمام بعض اهل
ارمينية اليهم ونقضهم العهد زمن الخليفة يزيد بن عبد
الملك .^(١)

كما سار سعيد الحرشي عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك
على خراسان في توزيع الغنائم التي غنمها في حروبه مع
الصفد فيما وراء النهر ، على المبدأ المعمول به قديما في
خراسان والذي اكده الخليفة عمر بن عبد العزيز ، والذي^(٢)
يقضى بأن تصرف اموال خراسان في خراسان ، فقد ارسل الحرشي
الى بيت المال في دار الخلافة خمس ماغنم وابقى اربعة اخماس
لاهل خراسان . ولعل هم الخليفة الاول لم يكن المردود المالي
من تلك الجهود العسكرية ، بل هيمنة السلطان الاموي في تلك
الاصقاع ، بعد ان تعرض الوجود الاسلامي فيها للخطر .

(١) تغليس : بلد بأرمينية الاولى ، وقيل : بآران ، وهي
قبة ناحية جرجان قرب باب الابواب ، وهي مدينة قديمة
مدينة لاسلام وراءها ، يجري في وسطها نهر الكر ،
افتتحها المسلمون على يد حبیب بن مسلمة زمن الخليفة
عثمان بن عفان رضي الله عنه ، صلحا . (ياقوت : معجم
٣٥/٢-٣٧) .

(٢) انظر كتاب الجراح بن عبد الله الحكمي لاهل تغليس
بإقرار صلح حبیب ، عند : البلاذري : فتوح البلدان ،
ص ٢٠٥ .

(٣) ظل أمر توزيع اموال خراسان بين مد وجذب بين مسلمي
خراسان والحكومة المركزية ، وهل تصرف اموال خراسان
من غنيمه وفيه وهرائب فيه ويبيع بيت المال المركزي
الخمس فقط من ذلك كله او من بعده ام يبيع وارد
الاقليم الى بيت المال وتصرف الحكومة على الاقليم ، ام
تعطى الحكومة اكثر من الخمس . (انظر ماكتبه عن ذلك :
محمد شعبان : الثورة ، ص ١٤٤ وما بعدها) .

(٤) محمد شعبان : نفس المرجع ، ص ١٧٤ .

ويبدو أن الاضطراب الاحوال على حدود الدولة الاسلامية في عهد الخليفة يزيد ، قد اشغله عن اخضاع بعض القوى المعاهدة على اداء التزاماتها المالية تجاه الدولة الاسلامية .

فقد امتنع رتبيل ملك سجستان منذ عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، عن اداء ماسالحه عليه الحجاج بن يوسف بعد ثورة ابن الاشعث ، وقدره تسعمائة الف درهم عروفا ، يؤديه للمسلمين كل عام . فلم يحمل رتبيل الى عمال عمر شيئا ، ثم لم يعط عمال يزيد بن عبد الملك شيئا ، وسائر عمال بنى امية بعده ، حتى قامت خلافة بنى العباس فاعادوا اخضاع رتبيل ومازالوا ياخذون الاتاوة منه الى ما بعد عهد المامون (١) حينما من الزمن .

ومما تابعه فيه ايضا ، اتباعه في العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ، وتلك سنة سار عليها الخلفاء الراشدون ، فلما ولى معاوية رضى الله عنه الخلافة ورث المسلم من الكافر ولم يرث الكافر من المسلم ، واخذ بذلك الخلفاء من بعده ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة راجع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتبعه في ذلك يزيد بن عبد الملك ، فلما قام هشام اخذ بفعل معاوية وخلفائه من بنى امية (٢) .

(١) كان امر سجستان مضطربا منذ فتحها في عهد الخليفة عثمان ملحا ، فكثيرا مانكخوا ما عاهدوا عليه ، واعاد المسلمون اخضاعهم حتى عهد عمر بن عبد العزيز ، فامتنعوا ببقية عهد بنى امية عن امر سجستان فتحا وملحا ونقضا واخضاعا ، (انظر / قدامة بن جعفر : الخراج ومناعة الكتابة ، ص ٣٩٢-٤٠٠ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٨٥-٣٩٣) .

(٢) ابن كثير : البداية ، ط ١ ، ٢٥٩/٩ .

الخراج :

(١)
ويمثل الخراج مع الجزية أكبر موردين لبیت مال المسلمين ، خصوصاً بعد استقرار الدولة وتوقف حركة الفتوح تقريباً ، والتي كانت تدر على بیت المال فى أوجها الكثير من الاموال .

ومن أجل ذلك على الخليفة يزيد بن عبد الملك بهذا المورد تنظيماً وخطاً ، وتشديداً وعسفاً . ولعل ظروف الدولة فى أيامه دعت الى مثل ذلك ، كما أن هناك من الأمور ما حدث فيه التجاوز أو طال عهده بالتنظيم والمتابعة ، فكان يحتاج الى الإصلاح وإعادة التنظيم ، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد عمد الى إصلاح كثير من الأمور وأقر يزيد بعض مآمنه وإصلاحه ، لكن العمر لم يظل به حتى يتم ما بدأه ، ولعله كان يقوم ببعض ما فعله يزيد من بعده كمنح السواد ، وغير ذلك مما فيه ضبط وتنظيم لموارد بیت المال وأموال المسلمين .

ألا أن من الحق الإشارة الى أن سياسة يزيد فى هذا الصدد قد شابها الحرص والرغبة فى زيادة الموارد ، فاشدد

-
- (١) الخراج : ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها . (المأوردى : الأحكام ، ص ١٢٧) .
(٢) انظر أشارتنا الى ظروفها قبل : ص ٥٥٠-٥٥١ .
(٣) من ذلك فى أمر الجزية متابعتها فى نقصان ملح النجرائية وأهل قبرص وفى أمر الخراج موافقته فى منع بيع الأرض الخراجية وغير ذلك ، وسنبين ذلك فى موضعه .
(٤) أورد ياقوت قولاً لعمر بن عبد العزيز يذكر فيه ما بلغه إيراد السواد فى العقود الإسلامية المتقدمة ، ونقده لسياسة الحجاج بنقضى الإيراد فى زمنه مع عسفه وظلمه مبدئياً عزمه على زيادة إيراده ، مما يعنى أنه نوى إصلاحه وخطه . (انظر : المعجم ، ٢٧٤/٣) .

على الناس وأمر بآهل الخراج ، ووضع الخراج على من لم يكن يؤديه ، وسنرى ذلك في ثنايا سياسته الخراجية في الصفحات التالية .

مسح السواد :

كانت أرض السواد في إقليم العراق مورداً خراجياً متميزاً ، لخصوبة أرضه ، وملاحها للزراعة ، وحسن استغلالها ، إلى جانب أنه من أراضي خراج الأجرة ، لأنه فتح عنوة فكان مما أفاء الله به على المسلمين ، إلا الحيرة وعين التمر واليس وبانقيا فإنها فتحت صلحا .^(١)

لذا حظى السواد باهتمام الدولة أيام الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فيذكر عواد الأعظمي أن مسلمة بن عبد الملك في ولايته للعراق زمن يزيد بن عبد الملك حاول تنظيم الخراج وضبطه .^(٢)

إلا أنه كما كانت الفتن والاضطرابات السياسية في إقليم العراق سبباً في فساد الإدارة المالية في ذلك الإقليم وتجاوز ولائه في أموال المسلمين لتقوية نفوسهم ضد غمومهم أو شراء ود المتنفذين هناك ، فإن تولى مسلمة القضاء على حركة ابن

(١) السواد : يتراد به هنا : رستاق العراق وبيعائها التي اقتتحمها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمي بذلك لسواده بالزروع والأشجار ، حيث كان العرب إذا خرجوا من أرض الجزيرة ، رأوا سواد النباتات والأشجار وهم يسمون الخفيرة سوادا ، فسموه سوادا لخفيرته . وحد السواد من حديقة الموصل طولا إلى عبادان ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان غربا . (ياقوت : معجم ، ٢٧٢/٣) .

(٢) شأبت الراوى : العراق ، ص ٦٨ - ياقوت : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٧٥ .

(٣) مسلمة ، ص ١١٢ .

المغلب في العراق أدت الى تجاوزه في أموال المسلمين ،
 فاستحوذ على خراج العراق ، بل قيل انه انهمك في استملاع
 الأراضي في العراق وضعها الى أملاكه ، مما أدى الى عزله عن
 ولاية العراق . وولى يزيد بن عبد الملك خلفا له على العراق
 عمر بن هبيرة ، وأمره بمسح السواد .

ذلك انه كتب الى عمر بن هبيرة ، يأمره أن يمسح
 السواد ، فمسحه (سنة ١٠٥هـ) ، فوضع على النخل والشجر والهر
 بأهل الخراج ، ووضع على التائنة ، وأعاد عليهم بعض
 الضرائب التي رفعها عنهم عمر بن عبد العزيز . ولم يكن
 السواد قد مسح منذ مسحه عثمان بن حنيف في عهد الخليفة عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه .

-
- (١) محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضي ، ص ١٩٧ - ١٩٩ .
 (٢) عبد الله الخطيب : الحكم الأموي في خراسان ، ص ١٢٣ - ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٩ - محمد نصر الله : نفس المرجع ، ص ١٩٩ .
 (٣) ثنا : أقام وقطن : وفي حديث ابن سيرين : ليس للتائنة شيء . يريد أن المقيمين في البلاد الذين لا ينفرون مع الفزاة ليس لهم في الفء نصيب ، ويريد بالتائنة الجماعة منهم . وثنا فهو ثائنة (انظر : اللسان : ثنا) . وعلى ضوء هذا القول يبدو لنا أن الخليفة يزيد وضع شريطة على مسلمي أهل السواد المقيمين والغير مشاركين في الفزو . وقد فسر ثابت الراوى التائنة ب : الدهاقين . (انظر : العراق ، ص ١٢١-١٢٢) .
 (٤) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٢/٣١٢ - ثابت الراوى : نفس المرجع والمفحات - محمد نصر الله : نفس المرجع والمفحات - عمر أبو النضر : الأيام الأخيرة ، ص ١٢٧-١٢٨ اليعقوبى : نفس المصدر والجزء والمفحة . ولمعلومات أشمل عن مسح السواد لأول مرة على يد عثمان بن حنيف بعد أن تم فتحه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (انظر / أبو يوسف : الخراج ، ص ٨٦-٩١ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٦٦-٢٧٢) . لكن هناك اشارات تدل على انه قد جرت محاولات أخرى لمسح السواد بعد مسحه زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك في ولاية زياد =

ومن المراجع مايلمح الى أن من أسباب مسح السواد زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، رغبته في الاستيلاء على فلول القطائع في العراق ، يدل على ذلك ماكتبه الخليفة يزيد بن عبد الملك الى عمر بن هبيرة أنه ليست لامير المؤمنين بارض العرب خرمه فصر على القطائع فخذ فلولها لامير المؤمنين ،^(١) فآخذ عمر يأتى على القطيعة فيسال عنها ، ثم يمسخها ، حتى^(٢) فج الناس . فامسك عن ذلك .

وتصححنا لهذا الخبر ، يقول حسين عطوان : "وقرر يزيد أن يغيظ سواد العراق وينظمه لأنه لم يسمح منذ مسحه عثمان ابن حنيف في زمن عمر بن الخطاب ، لكن عباس بن هشام الكلبي يزعم أنه إنما قرر ذلك ليستولى على الأرض التي لأصحاب لها ثم أورد الخبر الذي أورده البلاذري عن ابن هشام الكلبي ، والذي يفيد أمر الخليفة لابن هبيرة بمسح السواد ، وأخذ فلول القطائع لامير المؤمنين . وعلق حسين عطوان على راوى^(٣) الخبر فقال : "كان هشام بن محمد الكلبي يمتنئى الهوى وكان يميل الى الشيعة ، وكان غير موفق في رواية الاخبار" .

= ابن أبيه على العراق وكذلك الحجاج بن يوسف . (انظر : محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضي ، ص ٢٢١ - حسين محمد سليمان : رجال الإدارة ، ص ٢٢٤-٢٢٥ - نادية حسنى مقرر : الطائف ، ص ١٥١) .

(١) خرمه : يتفصح أنه يقدم قطيعة مفرد قطائع ، ويبدو أن هذا اللفظ جاء من الخرم ، خرم ما يخرس من أرض وشجر . اللسان (خرم) .

(٢) محمد نصر الله : نفس المرجع ، ص ٢٢١-٢٢٢ - نجدة خماش الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .

(٣) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٩-٢٠ .

(٤) نفس المرجع ، هامش (٦٤) ، ص ١٩ .

وعلى افتراض صحة الخبر الذى رواه ابن هشام الكلبي ،
فالواقع ان رغبة الخليفة يزيد بن عبد الملك فى الحصول على
فصول القطائع فى العراق ، وامره عمر بن هبيرة باخذها ،
ليس سببا كافيا لمسح السواد مسحا شاملا ودقيقا .

والغالب ان هناك اسبابا اكبر وراء ذلك . فنرى ان
التنظيم الاول لارض السواد فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله
عنه قد احتل ، فتذكر نجدة خماش ان معاوية رضى الله عنه
استمعى الموافى فى الشام والجزيرة والعراق وميرها لنفسه
واقطعها اهل بيته وخاصته ، فلم تعد تابعة لعامة المسلمين
وانما اصبحت تحت تصرف الخلافة وصار واردها كل سنة يحمل الى
دمشق . ولعل هذا ما حدا بقبائل العراق الى احراق سجل
الارافى (الديوان) اثناء حركة ابن الاشعث فى ولاية الحجاج
ابن يوسف ، وادعى كل قوم ملكية مايليههم . كما ان ماتعرفت
له الارض الخراجية من بيع وشراء قد اخل بالمساحة الاولى .
اذ كانت الارض الخراجية اذا شراها مسلم تحولت الى عشرية ،
وهذا مخالف لحكم الشرع فيها ، ومغىر بالخراج ، ومخل

(١) الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٥٦-٢٥٧ . يسند قولها
ماورده البلاذرى ، من ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
استمعى الموافى عندما مسح السواد ، ولم يزل ذلك
شابكا حتى احرق الناس الديوان ايام الحجاج بن يوسف ،
فاخذ كل قوم مايليههم . (انظر : فتوح البلدان ، ص ٢٧٢)
(٢) هناك خبر يدل على عدم جواز بيع الارض الخراجية ،
فيذكر ان رجلا اشترى ارضا من ارض الخراج ثم اتى عمر
ابن الخطاب فاخبره بما فعل ، فقال له عمر : ممن
اشتريتها ؟ قال : من اهله ، قال : فهؤلاء اهلهما يعنى
المسلمين ، وخاطب عمر الحاضرين من المسلمين : ابعتموه
شيئا ؟ قالوا : لا ، قال : فاذهب فاطلب مالك حيث
ولعته . (نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية [نقلا عن :
يحيى بن آدم : الخراج ، ص ٢٩]) . ويذكر فالح حسين :
ان يحيى بن آدم ذكر ان لاباس فى شراء ارض الخراج ،
بينما اورد الطبرى عن الاوزاعى ان ائمة المسلمين لم =

بالمساحة ، وهذا مادعا الخليفة عمر بن عبد العزيز الى الامر بمنع بيع الارض الخراجية ، وتابعه في ذلك الخليفة يزيد^(١) ، فلما تفشى الامر ولم يستطع الخلفاء ايقاف بيع الارض الخراجية ، امروا باخذ الخراج على رقبة الارض بمصرف النظر عن مالها اكان ذميا او مسلما عكس ماكان عليه الامر اولا^(٢) .
ولعل الخليفة يزيد اراد املاح مااختل من مساحة السواد وتحديد الصوافى وتعيين الاراضى الخراجية والعشرية ، حتى يمنع التلاعب ويكون ذلك عوناً على ضبط والدقة في جباية الاموال .

(٣)

كما ان ياقوت الحموي وهو يصرف بالسواد ، اشار الى قول لعمر بن عبد العزيز ، يذكر فيه نقص ايراد خراج السواد وخرابه ، وعزمه على زيادة ايراده . وماظنه عزم الا على استملاحه واعماره وضبطه ببيع او بغيره . ولاشك ان هذا النقص وذلك الخراب من الاسباب الرئيسية التى دعت الخليفة يزيد الى الاهتمام بالسواد ومسحه .

ولاشك ان مساحة السواد فى عهد الخليفة يزيد قد تمت بشكل دقيق وشامل ، يدل على ذلك تحسن وارد بيت المال من خراج السواد اذ بلغ فى عهده مائة ألف ألف سوى طعام الجند

= يزالوا يكرهون شراء الارض الخراج . (انظر : الحياة الزراعية ، ص ٤٧) . وحيث ان السواد مما افاء به الله على المسلمين واوقفه عمر ، فلايجوز بيع ارضه اعتباراً لحكم الوقوف . (انظر / الماوردي : الاحكام ، ص ١٢٨) .
(١) عن امر الخليفة عمر بمنع بيع الارض الخراجية ومتابعة يزيد اياه فى ذلك ، (انظر بعد : المفتحين التاليتين)
(٢) عن تحول الارض الخراجية الى عشرية اول الامر ، وتطور الامر فى ذلك . (انظر : فالح حسين : نفس المرجع ، ص ١٢٦-١٢٧ - ابن عساكر : تاريخ دمشق ، م ١/٥٨٧-٥٨٨) .
(٣) معجم ، ٢٧٤/٣ .

(١) وارزاق المقاتلة . ومما يدل على نجاح هذا المسح استمراره حتى زمن المؤرخ اليعقوبى الذى مات (سنة ٢٨٤هـ) ، ان يقول "والمساحة التى يؤخذ بها مساحة ابن هبيرة" (٢) .
 (٣) واما قول اليعقوبى : انه امر باهل الخراج ، فلم نجد ما يبرره من خلال ما ذكره عن مساحة ابن هبيرة سوى وضع الخراج على النخل والشجر . وهذا فى حد ذاته قد لا يكون ضررا وقد يكون ابن هبيرة وجد ان اهل السواد عثوا بالنخل والشجر لاعفائهم من خراجها وجعلها عوناً لهم ، واهملوا (٤) المزروعات التى فرض عليها الخراج . مع ان ابا يوسف يورد روايات متعددة تنص بان عمر بن الخطاب وضع على النخل والشجر خراجا .

فلم يزد الخليفة يزيد عليهم فى الخراج ، الا ان يكون قد اشتد فى جبايته ، او ان اليعقوبى اراد بذلك الضرر ما اعاده الخليفة يزيد عليهم من فرائض غير شرعية دفعها عنهم سلفه عمر ، فذلك امر آخر سنشير اليه بعد .
 (٧) وفى سبيل الحفاظ على ثبات مورد الخراج المالى ، ابقى الخليفة يزيد بن عبد الملك قرار الخليفة عمر بن عبدالعزيز

-
- (١) الماوردى : الاحكام ، ص ١٥١ .
 (٢) تاريخ اليعقوبى ، ٣١٣/٢ - محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الاراضى ، ص ٢٣١-٢٣٢ .
 (٣) نفس المصدر والطبعة والجزء والمطبعة - محمد نصر الله نفس المرجع والمطبعات .
 (٤) انظر قول اليعقوبى عن مسح السواد فى عهد الخليفة يزيد ومسالحة اهل الخراج من ضرر على اثره ، قبل : ص ٥٧٦ .
 (٥) ذكر ابويوسف ان عمر القى عن اهل السواد النخل عوناً لهم ، (انظر : الخراج ، ص ٩١) .
 (٦) انظر تلك الروايات فى كتاب الخراج لابى يوسف ، ص ٨٧-٩١ .
 (٧) انظر بعد : ص ٥٨٩ وما بعدها .

القاضي بمنع بيع الاراضي الخراجية واعتبار عام ١٠٠هـ عام
المدة، فقد اذن لمن كان اشترى قبل ذلك التاريخ بما شراه وليس
فيها خراجا ، وانما عليها العشر ، لاختلاط امرها عليه بما
وقع فيها من الموارد ومهور النساء وقضاء الديون فلم يقدر
على تخليصه ولا معرفة ذلك ، وامر ان من اشترى شيئا بعد هذه
السنة فان بيعه مردود ، فامضى ذلك بقية ولايته . ثم امضاه
بمده يزيد وهشام . وكان قد وضع عقابا رادعا فوق رد الارض
الى صاحبها وهو قبض الثمن من المسلم وايداعه بيت المال .^(٢)
ومع التزام خلفاء عمر بهذا القرار ، الا ان ذلك لم
يمنع من استمرار بيع الارض الخراجية التي كان اول من سمح
بشراؤها عبد الملك بن مروان ، مما ادى الى فرض الخراج على
الارض الخراجية بصرف النظر عن المالك .^(٣)

ويبدو ان الخليفة يزيد ، قد امضى سياسة عمر في منع
بيع الاراضي الخراجية ، لما في ذلك من حماية لموارد بيت

-
- (١) ابن عساکر : تاريخ دمشق ، م ١/٥٩٦ - فالح حسين :
الحياة الزراعية ، ص ٤٨ .
(٢) عمام الدين عبد الرؤوف : الحواجر الاسلامية الكبرى ،
ص ٨١ .
(٣) عبد العزيز الدوري : العرب والارض (بحث) ، ص ٢٩ -
فالح حسين : نفس المرجع ، ص ٤٨ ، ٥٩ - نجدة خماس :
الشام في صدر الاسلام ، ص ٤٨ - نبيه عاقل : تاريخ خلافة
بنی أمیة ، ص ٢٨٤-٢٨٥ . والاصل ممنوع بيع
الاراضي الخراجية ، وعمر في قراره ويزيد ثم هشام في
موافقته متبعين لامبتدعين . انظر ما اورده عن رد عمر
ابن الخطاب شراء ارض خراجية . وحيث ان الاحكام لم
يتمكنوا من تطبيق الامل وهو ممنوع البيع ، حرصوا على
اخذ الخراج في رقبة هذه الارض وان تحولت بالشراء الى
مسلم لانها في الاصل خراجية لاعشرية . وقد فرض الخلفاء
ذلك في اواخر العصر الاموي (انظر : فالح حسين : نفس
المرجع ، ص ١٢٧) . لكن هناك خبرا ان سياسة فرض
الخراج على الارض الخراجية اذا شراها المسلم تمت منذ
زمان الحجاج (فيليب حتى : تاريخ العرب ، ١/٢٨٤-٢٨٥) .

المال ، يدل على ذلك أنه التزم بالشطر الثانى من الأمر وهو منع البيع بعد (سنة ١٠٠هـ) ، ولم يلتزم بشطر القرار الاول وهو الاذن لمن اشترى قبل (سنة ١٠٠هـ) وهى الاراضى التى تجاوز عنها عمر لاختلاط أمرها خشية الوقوع فى الخطأ وظلم الناس .

(١)

فقد أورد البلاذرى : أن بالفرات أرضون أسلم عليها أهلها حين دخلها المسلمون وأرضون خرجت من أيدي أهلها إلى قوم مسلمين بهبات وغير ذلك من أسباب الملك ، فصيرت عشيرة وكانت خراجية فردها الحجاج إلى الخراج ، ثم ردها عمر بن عبد العزيز إلى المدقة ، ثم ردها عمر بن هبيرة إلى الخراج فلما ولي هشام بن عبد الملك رد بعضها إلى المدقة ، ثم أن المعدى العباسى جعلها كلها من أراضى المدقة .

ورد الأرض الخراجية إلى أصلها بعد أن صارت عشيرة حق وهذا ما أمر به عمر بن عبد العزيز إلا أن رد عمر بن هبيرة لهذه الأراضى الخراجية إلى أصلها وقد طال الأمد عليها وهى بيد ملاكها الجدد من المسلمين وقد دخل عليها ما دخل من رهن أو هبة أو مواريث أو حقوق أخرى ، سيؤدى بلا شك إلى وقوع فى الظلم وسلب بعض الناس حقوقهم وكان الأولى اتباع ما أمر به عمر .

ولا تمدننا الممبارد عن شيء من أمر الخراج والجزية فى الاقاليم الشرقية للدولة الإسلامية وجبايتها فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ويبدو أنه لم يحدث فيها جديد .

(١) انظر كتابه : فتوح البلدان ، ص ٣٦١ .

(١) إلا أن التمرد الذي قام به الصفد فيما وراء النهر أدى بلاشك إلى اضطراب الأمور المالية هناك ، فقد امتنع أهل الصفد عن أداء ما عليهم من الضرائب جزية وخراجا وجاهروا بالعميان ، كما أن ارتحالهم عن ديارهم إلى خجنده ، أدت إلى تعطيل إنتاج أراضيهم في تلك الفترة ، فانكسر الخراج وخسرت خزانة خراسان ودار الخلافة كثيرا من الأموال .^(٢)

وكما أثر التمرد في ما وراء النهر على وارد بيت المال فإن التمرد الخزري على الجبهة الأرمينية وغزوهم أملاك المسلمين ، وقيام المسلمين بمواجهتهم جعل أرمينية ميدانا عسكريا ، وأمر بالزراعة وأدى بلاشك إلى انكسار الخراج واضطراب الأمور المالية .

ورغبة في زيادة دخل الخراج ، أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك - كما سبق أن ذكرنا -^(٤) بإعادة فرض غريبة الخراج التي رفعها عمر بن عبد العزيز عن الكنائس والاساقفة في مصر وقد باشر هذه السياسة في مصر أسامة بن زيد عامل خراج مصر للخليفة يزيد ، فاشتد على النصارى وأوقع بهم . وهذا الأسلوب المتعمد لأسامة بن زيد ليس غريبا ولا جديدا ، فقد كان

(١) عن تمرد الصفد في ما وراء النهر وقضاء المسلمين عليه وما اترتب على ذلك من أحداث ونتائج ، (انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الأول ، ص ٣١٦ وما بعدها) .

(٢) عن تضرر موارد الدولة المالية بالاضطرابات في ما وراء النهر وارتحال الصفد ، (انظر : عبد الله الخطيب : الحكم الأموي في خراسان ، ص ١٢٤-١٢٥) .

(٣) عن غزو الخزر أرمينية ومدهم وأحداث ذلك ، (انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الأول ، ص ٥١ وما بعدها) .

(٤) أوردنا النصوص التي تخبر بإعادة يزيد الخراج على الكنائس والاساقفة في مصر بعد أن رفعها عمر عنهم ، واقتصار هذه الاجراءات على قبض مصر ومناقشتنا لذلك ، (انظر قبل : ص ٥٦٤ وما بعدها) .

عامل الخراج لسليمان بن عبد الملك في مصر ، حيث عرف عنه الاشتطاط في معاملة أهل الذمة ، والشدة في جباية الخراج والجزية ، وهذا مما دفع عمر بن عبد العزيز الى عزله عندما تولى الخلافة ، وعاقبه بالسجن والترحيل من جند الى جند (١) تشهيرا به .

ويبدو أن سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك في ضبط الامور المالية ، واعادة تنظيمها ، والحرس على زيادة موارد بيت المال ، قد شملت اقطار الدولة الاسلامية كلها .

فتشير فاطمة عبد القادر رضوان أن يزيد بن أبي مسلم عامل الخليفة يزيد على الفريقية زعم أن بلاد المغرب في الامويين ومغرم فتحوه عنوة بالسيف ، فهو ملك للدولة ، لها أن تقرر ماشاءت من الخراج على اراضيها ، فعاملهم معاملة غير المسلمين البتة ففرض الجزية على رؤوسهم والخراج على اراضيهم (٢) . وكان حسان بن النعمان امير الفريقية (٧٤-٨٥ هـ) ، اعتبر ارضهم مفتوحة صلحا لاعنوة واجرى عليها حكم ذلك . وظل الامر على ذلك حتى ولى الفريقية يزيد بن أبي مسلم . (٣)

والحق أننا لم نعثر في المصادر التي اطلعنا عليها على ما يشير الى هذا الرأي لابن أبي مسلم او تنفيذه . كما

-
- (١) فرج العوني : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٤٨ - ماجدة زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١١٩ .
- (٢) المغرب في عصر الولاة الامويين ، ص ٦٥، ٦٦-٦٦ (نقلا عن : محمد على ديوز : تاريخ المغرب الكبير ، ٢/٢٠١) .
- (٣) عن سياسة يزيد بن أبي مسلم في المغرب ، (انظر قبل : المبحث الأول ، ص ٥٠٦ وما بعدها) .
- (٤) فاطمة رضوان : نفس المرجع ، ص ٦١-٦٢، ٦٦-٦٦ - يوسف حوالة : الحياة العلمية في الفريقية ، ص ١٠٣-١٠٤ وهوامشها .
- (٥) فاطمة رضوان : نفس المرجع ، ص ٦١-٦٢ .

أن حكم أرض المغرب وهل فتحت ملحا أم عنوة أمر مختلف فيه
 قليل : فتحت عنوة ، وقيل ملحا ، وقول ثالث : بأنها مختلطة
 هرب بعضهم عن بعض فمن بقى بيده شيء كان له ، وقول رابع أن
 أرض المغرب أسلم عليها أهلها ، فعلى ملك إيمانهم وهى بذلك
 مشرية لأخراجية .^(١)

ويجب الإشارة إلى أن الخراج لا يسقط عن الأرض المفتوحة
 ملحا فى كل الأحوال وإن أسلم أهلها بعد الفتح إلا فى حالة
 واحدة وهى : أن أهل الأرض المفتوحة ملحا اشترطوا فى ملحهم
 أن يستبقوا الأرض ملكا لهم لا ينزلون عن رقابها للمسلمين
 ويمالكون عنها بخراج يوقع عليها ، فهذا خراج جزية تؤخذ
 منهم ما أقاموا على شركهم ويسقط عنهم بإسلامهم .^(٢)

وعلى كل حال فإن سياسة يزيد بن أبى مسلم هذه لم يكتب
 لها التنفيذ ، لأنها كانت مجرد رأى وعزم لأعمل ، كما أن
 مقتل هذا العامل المفاجيء (سنة ١٠٢هـ) بعد ولاية لم يطل
 أمدها ، أوقف هذه السياسة وحال دون تنفيذها .^(٣)

أما الاتدليس وجنوب بلاد الغال ، فإن السمع بن مالك
 الخولانى أثناء حملته على جنوب بلاد الغال وبعد فتحه إقليم
 سبتمانية فى خلافة يزيد بن عبد الملك قد قام بتنظيم حكومة^(٤)

(١) عن حكم أرض المغرب ، (انظر : فاطمة عبد القادر رليوان
 المغرب فى عصر الولاة الأمويين ، ص ٦١-٦٣) .

(٢) عن أنواع أرض الخراج وما يجب فيها ، (انظر : الماوردى
 الأحكام ، ص ١٢٨-١٢٩) .

(٣) عن مقتله ومدة ولايته ، (انظر قبل : المبحث الأول ،
 ص ٥١٣-٥١٦) .

(٤) عن حملة السمع على جنوب بلاد الغال ، وفتح سبتمانية
 وإقامته الحكومة الإسلامية فيها ، (انظر قبل : الفصل
 الرابع ، المبحث الرابع ، ص ٣٩١ وما بعدها) .

اسلامية في هذا الاقليم ، ونظم الامور المالية هناك فوضع الجزية على اهل الذمة ، ووزع الاراضى بين الفاتحين واهلها - ولاشك انه وضع الخراج على رقابها - ونظم امورها .^(١)

ولاشك ان السمع بن مالك قد طبق على اهل تلك البلاد واراضيهم حكم الشرع الاسلامى من حيث الجزية والخراج مراعيًا في ذلك طبيعة فتح كل منطقة على اساس فتحها عنوة او صلحا .

اما ما ذكر من توزيع الاراضى بين الفاتحين واهلها ، فيبدو ان السمع قد وزع على بعض جنده ما استصفاه من اراضى الموافى^(٢) لالارض الخراجية .

ويبدو ان السمع لم يتم تنظيم امر الاندلس وسمح اراضيها وتمييزها وضبط خراجها ، وتخصيصه ، وهى المهمة التى اوكل بتنفيذها اiban ولايته على الاندلس زمن عمر بن عبد العزيز وبأمره ، وقد باشر المهمة معه مولى لعمر يدعى جابر .

ولعل الرجلين كفا عن العمل فى ذلك بموت عمر وتولى

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١ . وانظر قبل ص ٣٩٧ .

(٢) الموافى : جمع صافية ، وقد اطلق اللفظ فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على الاراضى التى استصفاه اى أصبحت خالصة له كما فى فذكر وخيبر وبنى النضير التى كانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وامتلاها : هى الارض التى أصبحت بعد الفتح لامالك لها باعتبارها كانت للحاكم او الدولة او مراقها او لمن هرب او قتل اثناء الفتح من الحكام وذويهم وبطانتهم والنبلاء او من سائر الناس ، او لم يكن لها مالك عند الفتح ، او الاجسام ومغيفى الماء وبيوت النار ، او موافى الملوك السابقين ، وهى ارض خراجية . (انظر / احمد عبد الله خياط : الاقطاع فى الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر العباسى الاول ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، مقدمة لكلية الشريعة قسم التاريخ ، جامعة الملك عبد العزيز ، فرع مكة ، ١٤٠٠-١٤٠١هـ / ١٩٨٠-١٩٨١م ص ١٢٨-١٣١ - فالح حسين : الحياة الزراعية ، ص ٤٩ - عبد العزيز الدورى : العرب والارض (بحث) ، ص ٢٨ - ثابت الراوى : العراق ، ص ٧١) .

(٣) عن تنظيمات السمع بن مالك اثناء ولايته على الاندلس فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، (انظر قبل : المبحث الاول ، ص ٣٨٩-٣٩٠) .

يزيد بن عبد الملك . لذا نجد ما يشير الى أن خليفة السمع
فى ولاية الأندلس زمن الخليفة يزيد وهو عنبسة بن سحيم الكلبي
(١٠٣ - ١٠٧هـ) ، قد قام بتنظيم الخراج وتوزيع الأراضى ،
ويتضح أن عمله هذا كان اتحافا لما بداه السمع . فقد أورد
شكيب أرسلان : " أن أول عمل قام به عنبسة هو تنظيم الخراج
وتقسيم الأراضى بين المسلمين بدون تجاوز على الأراضى التى
لها ملاك أصليون من الأهالى ، فكان يستوفى العشر من الذين
خضعوا لدولة العرب من أنفسهم ، ويستوفى الخمس ممن
لم يخضعوا الا بالسيف" .

ويفهم من النص أنه نظم الخراج أى قدره وميز أراضيه
وهيا لضبطه وجبايته ، كما وزع الأراضى التى ليس لها ملاك
أصليون من الأهالى وهو يعنى بها الموائى ، وهذا القول يسند
مذهبنا اليه من قبل فى توزيع السمع للأراضى . أما العشر
والخمس فتلك^{هى} المقادير التى فرضها . ولأشك أن هذا التنظيم
لأرض الأندلس وجنوب بلاد الغال ومالية هذا الاقليم من الدولة
الاسلامية قد استلزم وجود بيت مال وعمال خراج وجباة .^(٢)

- (١) غزوات العرب ، ص ١١٢ .
(٢) افترض انشاء ديوان لضبط الامور المالية فى الأندلس
انشاء هذا التنظيم الذى بداه السمع ، فرج الهوى
(انظر كتابه : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٤٩) لكنه
لم يسند هذا الافتراض بأى قرينة . ونجد عكس قوله على
لسان حسين مؤنس الذى ذكر ، أن المراجع لم تعنه على
كيفية التنظيم الذى اتبعه المسلمون فى الأندلس ،
وأبدى أنه لا يعلم أن المسلمين هناك قد دونوا للأندلس
ديوانا ، ولأماكن يرسل لدار الخلافة من أمواله ولو
لسنة واحدة (انظر كتابه : فجر الأندلس ، ص ١٢٧-١٢٩ ،
٦١٠) . والواقع أن من المنطوق أن يكون المسلمون قد
دونوا للأندلس منذ فتحه ديوانا شأنه شأن بقية أجزاء
الدولة الاسلامية ، وأن كان قد تأخر تنظيم أراضيه
وتخمينه وضبط خراجه ، فلاشك أن المسلمين قد جبوا
الجزية ممن ظل على دينه من بعد الفتح وأخذوا الخراج =

وغالبها سيكون المسلمون هناك قد تركوا امر جمع الاموال في الاقاليم للزعماء المحليين من اهل البلاد ، وهؤلاء يقدمونها للجباة او يوصلونها لبית المال ، كما كان يدين المسلمون في معظم الاقطار التي فتحوها .

= من اراغيه ، وجبوا الزكاة والعشور ، فايين كانت تجمع وكيف كانت تجبى . ولقد وجدنا خبرا يدل على وجود بيت مال في الاندلس زمن عنبسة الكلبي في خلافة يزيد بن عبد الملك ، اذ يشير الى ان بعض اهل الشام في الاندلس عادوا الى الشام اثناء حركة شيريم اليهودي في سوريا فلبط عنبسة الاملاك التي تركوها وحولها لبیت المال . (انظر نص الخبر قبل : الفصل الثاني ، المبحث الثالث ص ٢٥٠-٢٥١) . ومن ناحية أخرى فقد اورد عماد الدين عبد الرؤوف : "انه كان يرد الى دمشق من الاندلس في العهد الاموي ثلاثمائة الف دينار في كل سنة" . (انظر : الحواشي ، ص ٦٨-٦٩ [نقلا عن المقرئ : نفح ، ١/١٤٠]) كما ان من المراجع ما اشار الى تنظيمات المسلمين المالية في الاندلس لا كما يقول حسين مؤنس ، (انظر من اجل ذلك : محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٤-٧٥ - شبيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٩١) . ولم نذكر هذه التنظيمات لعمومها وعدم خصوصيتها لفترة البحث ، ومن اجل تنظيمات المسلمين زمن يزيد انظر ماوردناه في المبحثين السابقين وهوامشهما .

الفرائب :

يتضح أن الخليفة يزيد بن عبد الملك لم يكن يزن الأمور بميزان شرع الاسلام في كل الأحوال ، فبينما كنا نرى الخليفة عمر بن عبد العزيز في اصلاحاته التي قام بها في مناحي الحياة المختلفة ، يعمد الى ماوافق الشرع وجرت به السنة فيتبعه ، ويرد كلما ابتدع وخالف حكم الاسلام . ولذلك كان له دور مميز في رد المظالم^(١) . فاننا نرى على النقيض من ذلك الخليفة يزيد وبخاصة في امر الفرائب . فقد عمد الخليفة يزيد الى كثير مما ابطله الخليفة عمر من الفرائب المستحدثة والغير شرعية ، فامر باعادة فرله وجبايته ، كما كان يجبى قبل عمر ، بل ووقع فرائب جديدة .

وليس لهذه السياسة من تفسير سوى الرغبة في زيادة واردات الدولة المالية وتحميل اكبر قدر ممكن من الاموال بصرف النظر عن شرعية هذا العمل ، وأشار ذلك على المدى البعيد .

ومن ذلك امره برد الفريضة التي فرضها محمد بن يوسف

(١) عن سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز في رد المظالم ، (انظر : ماجدة زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم) .

(٢) الفرائب غير الشرعية : هي تلك الاموال التي فرضها الحكام المسلمين على اهل البلاد المفتوحة ، ولم يكن لها أصل في الكتاب والسنة ، مقلدين بذلك الفرس والبيزنطيين ، ومدفوعين في ذلك الى جمع الاموال وزيادة الموارد . كذلك التي اعتاد اهل تلك البلاد تقديمها وادائها الى حكامهم ، وما استحدث فرله على الزراعة والصناعة والتجارة . (انظر : ثابت الراوى : العراق ، ص ٧٥-٧٧) . وانظر هامش (٣) ص ٥٤٧ .

(١)

الشففى على اهل اليمن ، بعد أن افاهها عمر بن عبد العزيز .

(٢)

يقول البلاذرى فى ذلك : "لما ولى محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف اليمن ، أساء السيرة ، وظلم الرعية ، واخذ أراضى الناس بغير حقها ، فكان مما اغتصبه الحرجة ، قال : وضرب على اهل اليمن خراجا جعله وظيفة عليهم ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر ، وقال : "والله لأن تاتينى من اليمن حفنة كتحم أحب الى من اقرار هذه الوظيفة ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك أمر بردها" . وأضاف ابن الأثير الذى أورد ذلك قوله : وقال لعامله - يعنى يزيد - : "خذها منهم ولو صاروا حرما والسلام" .

والخبر لا يبين قدر هذه الضريبة التى فرضت على اهل اليمن ، إلا أن من الواضح أنها لم تكن قليلة ، نستشف ذلك من حرص الخليفة يزيد عليها ، دون مراعاة لحالة الناس

(١) محمد بن يوسف الشففى ، أخ الحجاج ، أمير استعمله الحجاج على صنعاء ، ثم ضم اليه الجند ، فلم يزل واليا عليهما الى أن توفى . قال الخزرجى : جمع المجدومين بمنعاه وجمع لهم الحطب ليحرقهم ، فمات قبل ذلك . ومن كلام عمر بن عبد العزيز ، فى خلافة الوليد : الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، وأخوه باليمن ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، وقررة بن شريك بمصر ، امتلات الأرض والله جورا . (الزركلى : الأعلام ، ١٤٧/٧) .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٨٤ - وانظر قبل : ص ٥٤٦-٥٤٧ .

(٣) يقصد بالخراج هنا الضريبة ، لأن اهل اليمن لاخراج عليهم ، فهم ممن أسلموا على أرضهم ، والمسلمون ليس عليهم فى أموالهم إلا العشر ، يستند قولنا ، أمر عمر

(٤) كان عامل عمر على اليمن عروة بن محمد السعدى . (انظر الشكلم ، ص ٢٨) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٣ .

(٥) الكامل ، ٦٦/٤ - وانظر أيضا : ابن خلدون : العبر ، ٧٦/٣ - حسين سليمان : رجال الادارة ، ص ٢٣١ .

(١) وطأقتهم ، فأمره مريح : "خذها منهم ولو صاروا حربا" .
وهذا يتوافق مع سياسته المعلنة في بداية خلافته والذي
تضمنها كتابه الى عمال عمر ، والذي أمرهم فيه الى ترك
سياسة عمر والعودة بالناس الى سياسة اسلافه من بني امية
قبل عمر ، دون النظر الى حال الناس وقدرتهم على الاداء ،
عندما قال : "... وأعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى ،
(٢) اخصبوا ام اجذبوا ، احبوا ام كرهوا ، حيوا ام ماتوا" .
واعاد من الفرائب التي اغاها عمر بن عبد العزيز ،
تلك الفرائب التي فرغها بنو امية على اهل السواد واهالي
الاقاليم الشرقية ، والتي اعتاد اهل هذه الاقاليم تقديمها
الى حكامهم الفرس قبل الاسلام ، فلما فتح المسلمون تلك
المناطق قدموها للمسلمين كمعادتهم ، فابوها ، ثم اخذاها
عمال عثمان رضى الله عنه ، وقد حاول منع ذلك ولكن لم
يتمكن ، واستمر الولاة في اخذاها وجمعها مع الخراج حتى قامت
الدولة الاموية ، فأمر الخليفة معاوية رضى الله عنه
(٣) بجبايتها ، ففدت غريبة واجب اداؤها الى جانب الخراج .
وظل بنو امية يجبون هذه الفرائب حتى تولى الخلافة عمر

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٦٦/٤ .

(٢) انظر نص كتابه كاملا قبل : ص ٥٤٨ .

(٣) عن الفرائب المستحدثة وبداية جبايتها وفرغها على اهل
السواد والاقاليم الشرقية . (انظر : فرج العونى :
النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٤ - ماجدة فيمل زكريا ،
عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٩٣-١٩٦ ،
- محمد كرد على : الادارة الاسلامية في عز العرب ، ص ٩٨ ،
- توفيق اليوزبكى : تاريخ اهل الذمة في العراق ، ص
١٣٨-١٣٩ .

(١) ابن عبد العزيز ، فاسقط هذه الفرائض وأمر بإبطالها جميعا
 فلما تولى يزيد بن عبد الملك ، أمر بإعادتها ، إذ يقول
 (٢) اليعقوبى عند ذكره كتاب يزيد الى عمر بن هبيرة بمسح
 السواد : "وأعاد السخر والهدايا ، وما كان يؤخذ فى النيروز
 (٣) والمهرجان" . (٤) (٥) (٦) (٧)

- (١) من الفرائض التى أمر عمر بن عبد العزيز بإلغائها :
 الأييين وأجور الفيوج ، وأجور البيوت ، وأجور الفرابيين
 وهدية النيروز والمهرجان ، وكمن المصحف ، ودراهم
 النكاح ، كما أبطل المائدة والسخر . عن هذه الفرائض
 انظر : توفيق اليوزبكى : تاريخ أهل الذمة ، ص ١٤٤ -
 اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٢/٣٠٦ - نادية مقر :
 سياسة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٢ - محمد على نصر الله :
 تطور نظام ملكية الاراضى ، ص ٢٣١-٢٣٢ - عمر أبو النصر :
 الايام الاخيرة ، ص ١٠٥ .
- (٢) توفيق اليوزبكى : نفس المرجع والصفحة - نادية مقر :
 نفس المرجع والصفحة .
- (٣) نفس المصدر والجزء ، ص ٣١٣ - وانظر : محمد نصر الله
 نفس المرجع والمفحات .
- (٤) السخر : أو السخرة من التسخير ، والمقمود : تسخير بعض
 الناس وتكليفه من الاعمال مالا يريدون بلا أجر ولا ثمن ففرا
 فكل مقهور مدبر لا يملك لنفسه ما يخلقه من القهر فذلك
 مسخر . ويبدو أن المقمود هنا : تسخير أهل البلاد
 المفتوحة فى استصلاح الاراضى ووسائل الرى والطرق .
 انظر : اللسان (سخر) .
- (٥) الهدايا : كل ما يهدى للحكام ، وأشهرها هدايا النيروز
 والمهرجان .
- (٦) النوروز : أهم الاعياد عند المجوس ، ومعناه اليوم
 الجديد ، ويكون يوم الاعتدال الربيعى ، وهو يوم رأس
 السنة ، ويعتبر من اكبر الاعياد الدينية والشعبية .
 وقد حفل بعض خصائص (الزجموك) الذى هو عيد البابليين
 القدماء . ويبدو أنه عيد عالمى كان المابثة يحتفلون
 به، وكذلك أقباط مصر . ويدوم هذا العيد ستة ايام .
 (انظر : توفيق اليوزبكى : نفس المرجع ، ص ٢٩٧-٢٩٨ .
 وبه تفصيلات أخرى عن هذا العيد) .
- (٧) المهرجان : عيد كبير عند الفرس ، يوافق أول الشتاء ،
 وفى الأصل يسمى عيد مشرا (مبشرا) ، يحتفل به (١٦ من شهر
 مهر) شهر تموز الفرس ، الموافق السادس والعشرين من
 تشرين الاول ، بينه وبين النوروز (١٦٧ يوما) ، ومدته
 ستة ايام ، ويسمى اليوم السادس منه المهرجان الاكبر ،
 وهو شبيه بالنوروز من حيث الاحتفالات وتقديم الهدايا
 للملوك ، وفيه كما فى عيد النوروز يوما يجلس فيه
 الملك للناس لا يرد عنه أحد . (توفيق اليوزبكى : نفس
 المرجع ، ص ٢٩٨-٢٩٩) .

ولم يقف يزيد عند حد اعادة الغرائب القديمة ، بل استحدث اخرى جديدة فيقول اليعقوبى ايضا : " ووقع على الثالثة " وهي غريبة بدل خدمة عسكرية كما يبدو ، وضعت على مسلمى البلاد المفتوحة الذين لا يشاركون فى الفتح .^(١)

والحقيقة ان القول باعادة يزيد بن عبد الملك هذه الغرائب على اهل البلاد المفتوحة ، لم يرد الا عند المؤرخ اليعقوبى - وهو المعروف بتحشيعه - ومع ذلك فاننا نقبله ونأخذ به لموافقته السياسة المالية العامة للخليفة يزيد ، والتي بين معالمها فى كتابه الذى بحث به الى عماله بترك سياسة عمر والعودة الى سياسة من سبقه من خلفاء بنى امية ، والنس على مثيله من الغرائب كالامر المريح باعادة الغريبة التى فرضها محمد بن يوسف على اهل اليمن .

ويظهر ان غرائب من هذا النوع قد فرضت فى الاقاليم الشرقية وخاصة فى بلاد ماوراء النهر الزراعية . اذ يقول عبد الله الخطيب فى ذلك نقلا عن المؤرخ الروسى قاديروفا :^(٢) " ان السلطة اخذت ترغم الفلاحين - يعنى فيما وراء النهر - على دفع مبالغ كبيرة من المال كغرائب ، وعلى الاخص مطالبتهم بتسديد الغرائب التى كانوا يسددونها عملا وبشكل نقود ، فكانت الغرائب فيما وراء النهر على ثلاثة اشكال ، وتجمع فى آن واحد ، عمل ، وبغاة ، ونقود ، وكانت هذه الغرائب تستحصل بوسائل قاسية حتى وصل الحال بوالى خراسان

(١) تاريخ اليعقوبى ، ٣٠٦/٢ .

(٢) انظر ما ذكرناه حول التعريف بها قبل : هامش ص ٥٧٦ .

(٣) الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢٣ .

سميد خديفة ان يهدد اهل سمرقند ولواحيها بقطع الماء عنهم " .

ويبدو ان العمل الذي اشار اليه يعنى السخرة ، فهو يقول فى مكان آخر : "وكان ينبغى على الفلاحين العمل مجانا فى اوقات معينة من السنة لميانة منشآت الارواء هذه " . اما البضاعة ، فلانعلم ضريبة تفر كبطاعة ، ولكن قد يكون القصد ماياخذها المسلمون من المرونى مقابل الجزية او بعضها ، او مايفرض احيانا من الرزق العينى كجزء من الملح مع المبالغ النقدية او لعلها عشور التجارة التى تفرض على الثغور بشكل مئنى او نقدى . وللحقيقة فان المصادر الاسلامية لم تشر الى شيء من هذه الضرائب فى خراسان وماوراء النهر ، زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وليس هذا من باب النفى لفرغها ، فمن الراجع تطبيق السياسة الضرائبية فى العراق على اهالى خراسان وماوراء النهر لتبعيتها لامارة العراق .

اما الشام فليس هناك اى روايات تشير الى فرض اى نوع من الضرائب الغير شرمية على اهلها خلال العصر الاموى . ولعل هذا مما نعم به اهل الشام بحكم وجود دار الخلافة واهلها بين ظهرانيتهم ، ومساندتهم لسلطة بنى امية التى وهبتهم كثيرا من المكاسب ، ورفعت شان اقليمهم .

اما فى مصر فيشير محمد امين صالح نقلا عن المؤرخ القبطى ساويرس بن المقفع ما استحدث على اقباطها من ضرائب

(١) عبد الله الخطيب : الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٢) نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(٣) دراسات اقتصادية ، ص ١٩٠-١٢٣ - وانظر عن هذه الضرائب ايضا : سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٩٨-٢٠٠ - تروتون : اهل الذمة ، ص ٢٢٩-١٣٦٠٢٣٠ .

منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، فيذكر ان الكنيسة خضعت لمرائب مستحدثة بمشاببة الزامات مالية على اساقفة الكور ، فالزم كل منهم باداء الفى دينار سنويا علاوة على خراج ارض الكنيسة ، كما الزم البطريق بدفع ثلاثة آلاف دينار^(١) ويقول : "واشتدت وطأة هذه المرائب فى خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦ - ٩٩هـ / ٧١٥ - ٧١٧م ويزيد بن عبد الملك ١٠١ - ١٠٥هـ / ٧٢٠ - ٧٢٤م"^(٢).

وهذا القول يعنى ان الخليفة يزيد اعاد فرض تلك المرائب واشتد فى جبايتها ، لان عمر بن عبد العزيز كان قد امر بالفاؤها^(٣).

والحق اننا لم نعثر على نص مريح يفيد اعادة يزيد لتلك المرائب المستحدثة ، والنص الوحيد الذى اورده ساويرس ابن المقفع عن اعادة يزيد مرفعه عمر عن البيع والكنائس ، كان قد نص على اعادة الخراج ، ولم يشر الى اعادة المرائب او التشدد فيها كما قال محمد امين صالح الذى اعتمد فى قوله على ساويرس بن المقفع . الا ان روح النص يحتمل ذلك ، ان يقول بعد ان ذكر اعادته الخراج على البيع والكنائس

(١) تشير نجدة خماش ان قرية بن شريك فرض فريبة مائة الف دينار سوى خراج مصر المعروف غير ماذكر اعلاه . (انظر الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٦٣-٢٦٤ - وانظر ايضا : تروتون : اهل الذمة ، ص ٢٣٠-٢٣١) .

(٢) محمد امين صالح : دراسات اقتصادية ، ص ١٢٣ .
(٣) عن ابطال عمر بن عبد العزيز الجبايات التى فرضت على اهل الذمة فى مصر ، (انظر : سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٧٩ - نادية مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٣ - عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامى ، ص ١٢٨) .

(٤) انظر نص الخبر قبل : ص ٥٦٤ .

(٥) انظر ما اورده محمد امين صالح فى الصفحة السابقة .

مانعه : "وحمل على الناس ثقلا عظيما حتى هاق كل من في بلاده" ^(١) . ومع ذلك فاننا لانستطيع الجزم باعادة تلك الفرائب على هذا النحو الذي ذكره المؤرخ القبطى ساويرس بن المقفع وان كانت جبايتها زمن الخليفة يزيد يظل أمرا مرجحا لتمشى ذلك مع السياسة العامة له في هذا المدد .

ويشير فرج الهونى أن يزيد بن أبى مسلم عامل الخليفة ^(٢) يزيد بن عبد الملك على افريقية ، طبق فى الأندلس نفس السياسة التى اتبعها فى افريقية لتبعيةها له ، فأعاد جميع الفرائب التى ألغاهامر بن عبد العزيز ، وفرض عليهم فرائب جديدة تماثل تلك التى فرضها محمد بن يوسف فى اليمن .

لكن هذا الخبر لم أجده فى المصادر التى تيسر لى الاطلاع عليها ، وبالرجوع الى مصدر هذا الخبر الذى نقله الهونى ، وجدته قد بالغ فى الخبر ، فلم يذكر سيد أمير على الا فرض الفرائب التى أخذها محمد بن يوسف من أهل اليمن على أهل الأندلس . الا أن سيد أمير على لم يوثق هذه الحقيقة ، فلم يكن لنا بد من ردها وعدم الاعتماد عليها .

ويذكر شكيب أرسلان أنواعا من الفرائب كان المسلمون ^(٣) ياخذونها من أهالى الأندلس وجنوب بلاد الغال من السابلة على

(١) ساويرس بن المقفع : سير الالباء البطارقة ، ص ١٥٣ .
 (٢) النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٨-٢٥٩ . (نقلا عن : سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٣٤) .
 (٣) غزوات العرب ، ص ٢٨٨-٢٩١ .

(١) المورور ، ومن المزارعين على محمولاتهم الزراعية ، وعلى
الكنائس والأديرة . كما أشار إلى وضع العشر على التجارة^(٣)
في الأندلس ، ربع العشر على المسلم ، ونصف العشر على
الذمي . لكنه لم يحدد الفترة التي فرضت فيها هذه الضرائب
ولكنه تحدث عنها عند الفتح الأولى لبلاد الغال أي في عصر
الولاء في الأندلس ، الذي يمثل عهد يزيد جزءا منه .

-
- (١) يبدو أن المقصود بذلك المكوس وهي الضرائب التي تفرض
على التجارة في المنافذ أثناء الانتقال بين الأقاليم .
أو للدخول إلى الديار الإسلامية من التجار القادمين من
ديار الكفر .
- (٢) يتضح أن المقصود بذلك الخراج أو الزكاة . وهما
شريعتان شرعيتان .
- (٣) قال أن على كل كنيسة شريفة قدرها خمس وعشرون قطعة
فضية وعلى كل دير دفع خمسين قطعة ، أما الكنائس
المظلمة فكانت تدفع مائة قطعة . (انظر : غزوات العرب
ص ٢٩٠) .

العطاء :

وفى مجال العطاء يتضح لنا من خلال المعلومات القليلة التى وقعنا عليها ، أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، سخر العطاء فى خدمة أهدافه السياسية العامة ، متأثرا فى ذلك بظروف الدولة فى عهده ، وتكوين شخصيته ، فلم يلتزم بالقاعدة التى اتخذها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فى توزيع العطاء^(١) . ولم يتبع نهج سلفه عمر بن عبد العزيز ، الذى عمل على تقديم العطاء لمستحقيه وتوزيعه بين الناس على أساس من الحق والعدل ، بعد أن خرج بنو أمية قبله عن سيرة الخلفاء الراشدين فى ذلك^(٢) .

والخليفة يزيد بهذا الأسلوب يعود الى سياسة أسلافه من بنى أمية قبل عمر ، الذين لم يكن لهم سياسة ثابتة فى توزيع العطاء .

- (١) كانت طريقة الخليفة أبى بكر فى توزيع العطاء ، المساواة فى القسمة بين الناس ، السابقين والمتأخرين فى الاسلام ، والكبير والصغير ، والحر والمملوك ، والذكر والأنثى ، أما عمر فاتبع طريق المفاضلة بين الناس حسب السبق الى الاسلام وحسن الأثر فيه ، لكنه شمل به الناس جميعا حتى المواليد ، وفرض للموالى كالعرب (فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٧٩-٨٠ ، ٨٨-٩٦ - ولمعلومات أوفى وأشمل : انظر أيضا / الماوردى : الأحكام ، ص ١٧٢-١٧٥ - عبد العزيز عبد الله السلومى : ديوان الجند ، ص ٩٢-٩٣ ، ١١٠-١٤٢ .
- (٢) أمر عمر بن عبد العزيز بالتصوية بين الناس فى العطاء ، وجعل العرب والموالى فى الرزق والكسوة والعطاء سواء ، فسأل فى سياسة من سبقه من بنى أمية فى تفصيل العرب وحرمان الموالى من العطاء ، فساوى بين الناس فى فرض العطاء ، لكنه أوجد فروقا فى توزيعه . وحرّم بعض الناس لعلات يرى الأخذ بها من باب العدالة . (عن تفصيل ذلك ، انظر / ماجدة فيمل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ١٥٤-١٥٩) .

فقد عمدوا الى تشييق دائرته تارة ، والى إيقافه
 أخرى ، واسقطوا من الديوان من شاءوا وفرغوا لآخرين ،
 وزادوا فيه ونقصوا . فكان ذلك مثار شكوى الكثير من
 المسلمين ، باعتبار ان العطاء حق للمسلم لايحوز للامام حجه
 وان اموال العطاء مما افاء الله به على المسلمين .
 (١)
 فينقل وفيق الدقوقي مايشير الى ان ظروف الدولة
 العسكرية ومعايشته في زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك من
 حركات داخلية كحركة ابن المهلب ، واضطرابات في بعض
 المناطق الواقعة على الحدود كتمرد الصغد ، وغزو من بعض
 القوى على اطراف الدولة كغزو الخزر ارمينية ، قد دعت الى
 تقديم العطاء لثلاثة آلاف رجل ليكونوا قوة احتياطية يعتمد
 اليها وقت الحاجة ، فيقول : "وخلص يزيد الثاني رواتب
 لثلاثة آلاف رجل في عمان ليكونوا على استعداد للخدمة عند
 استدعائهم" .

ويتبين ان الخليفة يزيد بن عبد الملك كان مهتما
 بجيشه كثيرا ، فكما راينا اهتمامه بوجود قوة عسكرية
 احتياطية يلجأ اليها وقت الحاجة ، نراه شديد الحرص على

(١) عن سياسة بني أمية في العطاء ، (انظر : فرج الهوني :
 النظم الادارية والمالية ، ص ٢٤٣-٢٤٤ - عبد العزيز
 السلومي : ديوان الجند ، ص ١٤٩-١٧١ - خالد جاسم
 الجنابي : تنظيمات الجيش العربي ، ص ٩٥، ٩٧ - وفيق
 الدقوقي : الجندية ، ص ١٩١-١٩٧) .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٩٥ .
 (٣) لم تضبط الكلمة في النص ، والراجع انها عمان من أرض
 الأردن ، لاعممان . ان أن أهل عمان غالبيتهم من الأزد ،
 قبيلة يزيد بن المهلب الذي خرج على الخلافة الأموية
 مطلع خلافة يزيد بن عبد الملك ، فليس من المعقول
 اعتماده عليهم بعد ذلك ، خصوصا أنهم ممن شايع ابن
 المهلب وانضم اليه .

رغى قوائمه ودوام ولائها . فيشير خالد الجنبى^(١) أن الخليفة يزيد أمر أن يوزع العطاء ويعطى الناس أرزاقهم في موعدة المحدد دون تاخير ودون انتظار أمره بذلك ، فيقول : " فقد قال يزيد بن عبد الملك لاسامة بن زيد كاتبه على ديوان الجند إذا رأيت هلال المحرم فصك بالعطاء من غير مؤامرة ، واعط الناس أرزاقهم من غير مراجعة " فقد كان موعد صرف العطاء والرزق أول السنة في شهر المحرم ، وكان التأخر في صرفه يشير على الخلفاء والعمال مشاكل جمة .

ويلاحظ تقرب يزيد للعلماء ، فنجده يجرى على رجاء بن حيوة ثلاثين ديناراً^(٢) . ولعل ذلك من باب رد الجميل لرجاء الذى أشار على الخليفة سليمان بن عبد الملك بالعهد ليزيد بعد عمر بن عبد العزيز .

وكان لتكوين شخصية الخليفة يزيد ، أثر واضح في منح العطاء ، من ذلك ما أورده ابن قتيبة الدينورى ، من أن يزيد ابن عبد الملك أمر عامل المدينة بإثبات ذوى عاشق وعشيقته في شرف العطاء ، تعاطفا معهم ، بعد ما حالت الأعراف دون زواجهما من بعض ، فماتوا كمدا وصباة .

ويتضح أيضا أن يزيد تآثر بموقف القبائل اليمينية المناوئة ، عندما ناصرت الخارج على دولته يزيد بن المهلب^(٣) ، فانضمت الى حركته بالعراق وحاربت جيوش الدولة معه ، فاتخذ اجراء انتقاميا منهم ، بتفصيل قيس عليهم في العطاء .

(١) خالد الجنبى : تنظيمات الجيش العربى ، ص ٩٣-٩٤ .
 (٢) شربا حافظ عرفة : الخرسانيون ، ص ١٠٦-١٠٧ .
 (٣) عيون الاخبار ، ص ١٢٨-١٣٠ .
 (٤) انظر موقف اليمينية من حركة ابن المهلب ومناصرتهم اياه قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٤٨ وما بعدها .

(١) فيقول عماد الدين خليل في هذا الشأن : "بل أن يزيد اتخذ اجراء خطيرا بهذا الممدد - يعنى تعممه للقيمية - وذلك بانقاصه عطاء اليمانية وجعله نصف عطاء المضربة مما ادى الى حدوث الطراب في الشام نفسه " .

وان صحت رواية هذا الخبر فاننا نرى ان هذا الاجراء اقتصر على مطربة العراق ويمنيته ، فان من المعروف ان يمنية الشام قد قامت بالدور الرئيسي في القضاء على حركة ابن المطلب في العراق ، وان يمنية العراق هي التي انضمت الى ابن المطلب في ثورته ، فاذا كان الخليفة يزيد قد انقص عطاء اليمانية في العراق فانما كان بسبب انضمامهم لخصمه ابن المطلب ومناصرته . كما اننا لم نعثر على ما يدل على هذا الاجراء في مصادرنا الاسلامية ، بل انما قد اشارت ان يزيد اكتفى بالقضاء على حركة ابن المطلب وآله ، ولم يعرض لاهل العراق . (٢)

وقولنا هذا جاء مما عرف من تقديم بنى أمية اهل الشام وتفضيلهم ، حتى ان اليعقوبى يشير الى ان عمر بن عبد العزيز زاد اهل الشام في اعطياتهم عشرة دنانير ، ولم يفعل ذلك مع اهل العراق . وكان انقاص عطاء المراقيين او منعه سياسة سار عليها اكثر خلفاء بنى أمية . (٣)

-
- (١) دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩١ (نقلا عن / عبد المنعم مساجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ط ٣ ، بيروت ٢٧٢/٢-٢٧٣) .
 (٢) انظر ذلك قبل : الباب الاول ، حركة ابن المطلب .
 (٣) تاريخ اليعقوبى ، ٢/٣٠٦ - وانظر أيضا : ثابت الراوى ، العراق ، ص ١٦٩ .
 (٤) ثابت الراوى : نفس المرجع ، ص ١٠٠ .

ولانخفضي شكنا في تفصيل عمر أهل الشام على أهل العراق في العطاء ، لما عرف عنه من عدل ، وسمو بالخلافة فوق مستوى الحزازات والتعصبات العرقية والاقليمية . الى جانب ما ذكر من انه قد زاد في اعطيات الناس كافة عشرة عشرة العربي (١) والمولى سواء .

وقد امر الخليفة يزيد بمنع الزيادة التي كان عمر بن عبد العزيز قد امر بها لأهل الديوان بمصر في العطاء . وليس لتمرره هذا من معنى سوى محاولته تخفيض المصروفات ، وتوفير أكبر قدر من الأموال ، بصرف النظر عن مبدأ المساواة والحق كما أن هذا الاجراء ينبئ عن حرمان الموالي من العطاء مع اسلامهم وحقهم في ذلك ، وهو يعود بهم من خلاله الى ماكانوا عليه قبل عمر بن عبد العزيز .

-
- (١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٠٧ .
 (٢) الكندي : السلاء ، ص ٧٠ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٤/١ - سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ٦٩-٦٨ . وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز ، قد أمر بالحق خمسة آلاف من مسلمي مصر ، وزاد في فريضة الجند في ولاية أيوب بن شرجبيل (٩٩-١٠١هـ) . (انظر / الكندي نفس المصدر ، ص ٦٨-٦٩ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٥٥) .

(١)
الاقطاع :

عاود الخليفة يزيد بن عبد الملك سياسة أسلافه من بنى أمية^(٢) ، باستغلال أراضي الصوافى لمعالجة الشخصية وخدمة أغراضه السياسية ، باتخاذها قطائع له ، والاقطاع منها لبعض آله ورجال دولته .

^(٣) فينقل البلاذري : أن الخليفة يزيد بن عبد الملك كتب إلى عامله على العراق عمر بن هبيرة ، أنه ليست لامير المؤمنين بآرض العرب حرمه ، فسر على القطائع فخذ فضولها لامير المؤمنين . فجعل عمر يأتى القطيعة فيسال عنها ثم يسمحها حتى وقف على أرض ، فقال : لمن هذه ؟ فقال صاحبها لى ، فقال : ومن أين هى لك فقال :
وركناهن عن آباء صدق ويورثها اذا متنا بنينا
قال : ثم ان الناس فجوا من ذلك ، فأمسك . وهذا الخبر فيه اشارة الى رغبة الخليفة فى اختصاص نفسه ببعض القطائع

- (١) الاقطاع : هو المنح والاباحة ، واقطعه قطيعة : أى طائفة من أرض الخراج ، واسم الشيء الذى يقطع : قطيعة واقطاعا . أما اصطلاحا : فالاقطاع : أن يقطع السلطان رجلا أرضا فتمير له رقبتهما بحكم الاقطاع ، وتسمى تلك الاراضى قطائع واحدها قطيعة . واقطاع السلطان مختص بما جاز فيه ثمره ونفدت فيه أوامره ، ولايمح فيما تعين فيه مالكه وتميز مستحقه ، وهو على فربين : تملك واستغلال . (انظر / أحمد خياط ، الاقطاع ، ص ٥١-٥٢) .
- (٢) توسع بنو أمية فى الاقطاع حرما من انفسهم على اقتناء الأرض وكسب المؤيدين باقطاع الزعماء والاشراف ، حتى انطروا الى تعدى أرض الصوافى والاقطاع من الاراضى الخراجية التى توفى عنها أصحابها دون وريث ، فاقطعوا حارة بحكم الايجار والاستغلال كما فعل عثمان رضى الله عنه ، لكنهم اعتبروا إيرادها خاصا بهم وليس لبيت المال كما فعل عثمان . وحارة يقطعونها تملكها . (عن ذلك انظر / محمد نمر الله : تطور نظام ملكية الاراضى ص ٢٠٥، ٢٢٦ - أحمد خياط : نفس المرجع ، ص ١٣١-١٣٢ - فالح حسين : الحياة الزراعية ، ص ٥٧-٥٨) .
- (٣) فتوح البلدان ، ص ٣٥٩-٣٦٠ .

وأن عامله من أجل ذلك سار على القطائع في محاولة منه لاستمحاء شيء من الموافى للخليفة ، فتمرض لبعض القطائع التي كانت بيد بعض الناس ، وحاول أخذها مما أدى إلى غضب أولئك الناس ، فاضطر عامله إلى التوقف عن ذلك . ولعل سبب ذلك كما تقول نجدة خماش استيلاء بعض الناس على شيء من أرض الموافى في أعقاب حرق الديوان أثناء حركة ابن الأشعث في العراق ، بغير وجه حق ، مما دعا الخليفة إلى التفكير في الحصول على شيء منها . والحق أن أمر الخليفة نص على الحصول على شيء من الغنول ، لأعلى ما يبدى الناس ، فيبدو أن ابن هبيرة تعرض لذلك للتحقق من صحة تملك صاحبها لها ، وأنه ليس ممن وفعوا أيديهم على شيء من أراضي الموافى في أعقاب حرق الديوان ، إبان حركة ابن الأشعث ، ولعله كان يستهدف استعادة تلك الموافى لملك الدولة ، ومعرفة الغنول ولها للخليفة بناء على طلبه .

والأصل في أرض الموافى أنها خراجية لاتقطع .^(٢) لذلك أعاد عمر بن عبد العزيز كل ماله من قطائع وأحرق سجلاتها ، إلا السويداء ،^(٣) وردها إلى بيت المال .^(٤) إلا أنه لم يستطع رد القطائع التي بايذى الناس لاختلاط أمرها عليه ، وتشابك الحقوق فيها .^(٥)

ويبدو أن يزيد بن عبد الملك لم يجد له ابن هبيرة شيئاً من فلول الموافى ، إلا أنه حقق شيئاً مما يريد عندما

-
- (١) الشام في صدر الإسلام ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .
 (٢) محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضي ، ص ٢٠٥ .
 (٣) السويداء : موقع على ليلتين من المدينة على طريق الشام ، وهي بلد مشهور من ديار مصر قرب حران ، وهي أيضاً : قرية بحوران من نواحي دمشق . (ياقوت : معجم ، ٢٨٦/٣) . ونرى أنها الأولى لارتباطها في الخبر بخيبر .
 (٤) فرج الهوني : النظم الإدارية والمالية ، ص ٢٣٨ .
 (٥) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٥٩٦/١ .

قبلى قطائع يزيد بن المهلب التى كان الخليفة سليمان قد
أقطعه اياها . ذلك أن سليمان أقطع ابن المهلب ما اعتمل من
البطيحة ، فاعتمل الشرقى والجبان ، والخست والريحية
ومغيرتان وغيرها ، فصارت حوزا ، فعادها يزيد بن عبد
الملك بعد خروج ابن المهلب فى أيامه والقباء عليه ،^(١)
وأخذها لنفسه ، فلما تولى هشام أقطعها ولده ثم حيزت^(٢)
بعده .

والاخبار لاتسعدنا بنحية أمر الخليفة يزيد بن عبد
الملك لعمر بن هبيرة ، اتمكن من استخلاص شيء من اراضى
الموافق له ام لا ، الا أن مما يذكر أن صالح حسين أورد^(٣)
أسماء الملاك فى الشام من الخلفاء والامراء والاشراف ، بدءا
بمعاوية رضى الله عنه ، وانتهاء بالوليد بن يزيد وهشام
ومسلمة كبيرى ملاك الارض ، فلم يذكر ليزيد بن عبد الملك
شيئا . ولعل هذا يصدق قوله عندما بعث لعمر بن هبيرة :
"انه ليست لامير المؤمنين بارض العرب حرمة"^(٤) .

أما اتخاذ الاقطاع وسيلة لخدمة سياسته ودولته ، فتمثل
فى الاقطاع لبعض رجالات دولته ، اما كمكافأة على اخلاصهم
لسلطانه ولما قاموا به من دور فى القضاء على المناوئين ،
من ذلك اقطاع هلال بن أحوز المازنى ، القطيعة التى بها^(٥)

-
- (١) عن مصادرة يزيد بن عبد الملك أموال المهالبة ، (انظر
قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ٢١٦-٢١٨) .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٦٢ .
(٣) الحياة الزراعية ، ص ٦٠-٦٢ .
(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٥٩ .
(٥) هو القائد الذى تتبع المهالبة بعد انهزامهم فى المقر
وأوقع بهم فى قفدابيل ، (انظر ترجمته قبل : الفصل
الثانى ، المبحث الاول ، ص ٢١١) .

(١) مرغاب مرو ، ومساحتها ثمانية آلاف جريب ، وقد تنازع ملكيتها بعده نفر من الاشراف .
(٢)

كما اقطع الخليفة يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة "مهلبان" ، وقد كانت للمغيرة بن المهلب ، قبلت مع اموال المهالبة عندما صادرها الخليفة يزيد ، وفيها نهر كان زادان فروخ حفره فعرف به . وقد ردها ابو العباس السفاح للمهالبة .
(٣)
(٤)

ومما اقطعه الخليفة يزيد لآل بيته ، اقطاع العباس بن الوليد بن عبد الملك "عباسان" ، وهي قطعة كان الحجاج اقطعها لخيرة بنت حمزة القشيرية ، فقبضها يزيد بن عبد الملك لمن اموال بني المهلب .
(٥)
(٦)

كما اقطع عنبة بن سعيد بن العاصي "دار الروميين" . وكانت مزبلة لاهل الكوفة تطرح فيها القمامات والكساحات ، فاستقطعها عنبة من الخليفة يزيد ، فاقطعه اياها ، فانفق عنبة مائة وخمسين الف دينار ، لنقل ترابها وعمرها .
(٧)
(٨)
فماتت تعرف بدار الروميين .

-
- (١) المرغاب : نهر بمرزو الشاهجان ، والمرغاب : نهر بالبصرة ، قال البلاذري : حفر المرغاب بشير بن عبيد الله بن ابي بكر ، وسماه باسم مرغاب مرو . احتفره بالتغلب في القطيعة التي لعل بن احوز كان قد اقطعه اياها يزيد بن عبد الملك . (ياقوت : معجم ، ١٠٨/٥) .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٥٨ .
(٣) نهر بالبصرة كان لامرأة المهلب بن ابي مقرة ، وفي ذلك تناقض مع القول انه كان للمغيرة . (انظر / احمد خياط الاقطاع ، ص ٦٦) ، (عن : البلاذري : نفس المصدر ، ٣٨٢/٣) . ولم أعثر له على تعريف .
(٤) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٣٦١-٣٦٠ .
(٥) لم أجد لها تعريفا .
(٦) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٣٦٢ .
(٧) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٢٨٠ .
(٨) محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الاراضي ، ص ٢٢٨ .

ومما صنع في الأراضي ، رد النعمينة مدقة على بن ابي طالب رضى الله عنه الى آل معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه ، بعد ان أعادها عمر بن عبد العزيز الى آل على . فقد كانت النعمينة لآل على حتى هلك الحسين ، فوثب عليها يزيد ابن معاوية ، ثم صارت في يد عبد الله بن الزبير ، ففدت اذا كانت المدينة بيد ابن الزبير وثب عليها آل على ، واذا كانت المدينة في يد يزيد بن معاوية فالنعمينة في يده ، ثم دفعها عبد الملك الى آل معاوية . حتى قام عمر فردها الى آل على . فلما ولي يزيد بن عبد الملك ردها الى آل معاوية (١) وليس لخصومه هذا من تفسير الا التعصب لسياسة أسلافه من بنى أمية قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز .

ومما صنع في القطائع التي ردها عمر بن عبد العزيز ، مارواه البلاذري وابن عساكر : ان النصارى خاضوا العرب في كنيسة لهم بدمشق ، يقال لها كنيسة بنى نصر ، كان معاوية رضى الله عنه اقطعها ايهاهم ، فاخرجهم عمر بن عبد العزيز منها ودفعها الى النصارى ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك ردها الى بنى نصر .

(٢) كما روى ابن عساكر مثل هذا فقال : انه قد اقام بعد فتح دمشق من بطارقة الروم بدمشق اثنا عشر بطريقا . فاقروا في منازلهم ، وكان لكل بطريق منهم في منزله كنيسة ، فاقاموا بها حيناً ، ثم بدا لهم ، فهربوا من دمشق ، وتركوا تلك المنازل ، فأقطعت لقوم من أشراف دمشق . فلما ولي

(١) وكيع : اخبار القباة ، ١٥٣/١ - ١٥٤ .
 (٢) فتوح البلدان ، ص ١٣٠ - تاريخ دمشق ، م ١٢٧/٢ .
 (٣) نفس المصدر والمجلد ، ص ١٢٦ .

عمر بن عبد العزيز أخرج أولادهم منها وردها على أهل الذمة فلما مات عمر ردت إلى أولاد الذين أقطعوها . والرواية لم تصرح بمن أقطعها وأسباب ذلك ، أما ردها من قبل عمر لأهل الذمة فمن المرجح أنه تبين له أنها من الكنائس التي صولح عليها أهل الذمة . كما أن الرواية لا تفصح بمن ردها إلى أولاد من أقطعت لهم بعد عمر ، لكن روح النص يدل على أنه يزيد بن عبد الملك .

تجويد العملة وضبط المكاييل والموازين :

يتبين أن الخليفة يزيد بن عبد الملك عزم على اتخاذ سياسة مالية متشددة ، فالى جانب ما اتخذته من سياسات فى سبيل زيادة دخل بيت المال وموارده ، او تخفيض المصروفات ، عمل على تجويد ضرب العملة على وجه افعل مما كانت عليه وشدد فى وزنها ، لتكون بعيدة عن الغش والتزييف . كما اهتمت دولته بالمكاييل والاوراق التجارية من غير العملة .^(١)

يقول البلاذرى : "فلما ولى عمر بن هبيرة العراق ليزيد ابن عبد الملك جلس الفقة ابلغ تخلص من قبله ، وجود الدراهم فاشتد فى ذلك العيار"^(٢) . ويضيف : أن خالد القسرى ويوسف بن عمر عاملا هشام على العراق من بعده ، تابعا الاهتمام بتجويد العملة ، بل واخرطوا فى الشدة على الطباعين واصحاب المعيار ، فكانت العملة الهبيرية ، والخالدية ،^(٣) واليوسفية ، اجود نقود بنى امية ، وكان المنصور العباسى لا يقبل فى الخراج غيرها .^(٤)

وكان الدرهم الهبيري يزن ستة دنانق .^(٥)

- (١) عبد الله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ١٤٢ .
- (٢) فتوح البلدان ، ص ٤٥٤ .
- (٣) لمعلومات اشمل عن النقود الاسلامية قبل يزيد بن عبد الملك وبمعه ، (انظر / البلاذرى : نفس المصدر ، ص ٤٥١-٤٥٦ - والمقرئى : كتاب النقود الاسلامية - محمد ابو الفرج العشى : النقود العربية - انستانس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات) .
- (٤) نسبة الى عمر بن هبيرة .
- (٥) نسبة الى خالد بن عبد الله القسرى .
- (٦) نسبة الى يوسف بن عمر الثقفى .
- (٧) وانظر ايضا عن تجويد ابن هبيرة السكة ، (قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٥٩-٦٠ - ابن خلدون المقدمة ، ص ٢٦١ - القلشندي : مآثر ، ٢٣٠/١) .
- (٨) عبد الله السيف : نفس المرجع والصفحة .

وقد فوض الولاة بحرب النقود ، فكان لضربها اماكن عديدة
 في انحاء العراق وغيره . كما كان امر ضربها تحت اشراف
 الدولة ، بينما منع الناس من ضربها على غير سكة السلطان ،
 وعاقب الحكام من ضرب النقود من تلقاء نفسه ، بقطع اليد ،
 والسجن ، والجلد ، والتشهير ، ويبدو أن هشام بن عبد الملك
 خليفة يزيد ، اراد الحد من تعدد دور الضرب ، لضبط الامور
 والتمكن من مراقبتها بدقة ، وتضييق المجال على من اراد
 السك بصفة خاصة ، فامر (سنة ١٠٦هـ) عامله على العراق ،
 خالد القسري ، بإبطال سك العملة في مدن العراق الا واسطا ،
 ثم جعلها مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية في حران
 (١) بالجزيرة .

من ناحية اخرى اقام الجراح بن عبد الله الحكمي عامل
 الخليفة يزيد على ارمينية المكاييل والموازين على العدل
 والوفاء وضبط ذلك ، واتخذ مكيالا عرف باسمه يدعى "الجراحي"
 ظل الناس يتعاملون به حتى زمن البلاذري (ت ٢٧٩هـ) ، وسبب
 ذلك انه عندما نزل برذعة بعد قدومه ارمينية عندما ولاه
 الخليفة يزيد امرها ، رفع اليه اختلاف المكاييل والموازين
 (٢) فعمل على تقويمها وضبطها .

(١) عن ذلك ، (انظر / ثابت الراوي : العراق ، ص ٨٣-٨٤ -
 نجدة خماس : الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٧٥-٢٧٦ -
 البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤٥٥-٤٥٦) .
 (٢) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٢٠٨ - قدامة بن جعفر :
 الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣٠ (وقد ذكر أن التعامل
 بالمكيال الجراحي كان معمولاً به حتى أيامه ، وقد كانت
 وفاته (٣٢٨ او ٣٣٧هـ) ، لكن ذلك فيما يبدو جاء من
 نقله الحرفي للخبر عن البلاذري الذي ورد عنده ذلك :
 "... يتعامل به اهل الى اليوم " . ونقل ابن قدامة عن
 البلاذري واضح في كثير من الاخبار . فاصل الجريشير الى استمرار
 التعامل به حتى أيام البلاذري ، لازمن قراءه بن جعفر .

السفاتح :

(١) تطور استخدام السفاتح كأوراق مالية تجارية ، في عصر الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فلم يعد يقتصر استعمالها على كونها حوالات نقدية فقط ، بل استخدمت كحوالات لأشياء عينية كالابل وغيرها ، فيذكر أن الشاعر نميب ، لما مدح عبد الرحمن بن الحجاج الفهري عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على المدينة ، أمر له بعشر من الابل وكتب بذلك سفتجة "حوالة" مختومة الى رجلين من الانصار بتسليمها له ، فذهب بالسفتجة اليهم واستلمها منهم .

(٢) ولم يقتصر التعامل التجاري على النقود والمكوك ، كوسائل لدفع الأموال المستحقة ، بل استخدمت السفاتح "الحوالات" كوسيلة مالية في التعامل التجاري ، وهناك اشارات تدل على أن استخدام السفاتح ظهر في وقت مبكر في

(١) السفتجة : كتاب صاحب المال لوكيله ان يدفع مالا لحاملها ، يامن بها خطر الطريق . وقيل : هو أن يعطى احدا مالا وللاخذ مال في بلد المعطى فيوفيه اياه هناك فيستفيد امن الطريق . (عبد الله السيف : الحياة الاقتصادية ، هامش (٦) ، ص ١٤٥) ، (نقلا عن / الثعالبي شمار القلوب ، ص ٥٤٥ - حسن يوسف موسى وزميله : الافصح في اللغة ، ٢/٢٠٨) .

(٢) نميب بن رباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل كان يعد مع جرير وكثير عزة ، له شعرة ذائعة وأخبار مع بني مروان . كان عبدا أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة ، من سكان البادية ، اشتراه عبد العزيز بن مروان فاعتقه . وللزبير بن بكار كتاب "أخبار نميب" وللدكتور داود سلوم "شعر نميب بن رباح" ، توفي (سنة ١٠٨هـ ، وقيل : ١١١ ، وقيل : ١١٣) . (الزركلي : الاعلام ، ٣١/٨-٣٢) .

(٣) كانت المكوك تستعمل كوسائل لدفع المال ، وقد كان عمر ابن الخطاب أول من مك وختم أسفل المكوك . (عمام عبد الرؤوف : الحواضر ، ص ٥٩) .

الدولة الإسلامية ، فيذكر استخدامها من قبل ابن الزبير في
مكة الذي كان يقدمها للتجار ويحولهم على العراق ، ويبدو
أنها لا تكون سارية المفعول إلا بعد أن توقع أو تختتم .^(١)

(١) عبد الله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ١٤٥-١٤٧ .

الفصل الثاني

أبرز جوانب الحياة العامة في الدولة الأموية
في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك
المبحث الأول : العلوم الدينية

- القراءات

- التفسير .

- الحديث .

- الفقه .

المبحث الثاني : الأدب .

المبحث الثالث : الكتابة التاريخية .

المبحث الرابع : مظاهر النشاط العلمي .

الفصل السادسأبرز جوانب الحياة العلمية في الدولة الأموية
في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

تعد الحياة العلمية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، مرحلة من مراحل عمر الحركة العلمية التي عاشتها الدولة الإسلامية ، وهي استمرار للنشاط العلمي ، الذي مارسه المسلمون قبل يزيد بن عبد الملك ، إذ واصلت الحركة العلمية في عهده نموها وتطورها ، وإن كان ذلك قد تم في زمنه بعيدا من اهتمام الدولة ورعايتها ، في أغلب الأحوال .

لقد ندرت الأخبار المشيرة إلى رعاية يزيد بن عبد الملك واهتمامه بالحركة العلمية ، ولم يكن يعني هذا توقف نشاط الحركة العلمية ، أو خمولها . فقد وجدناها نشطة متنامية من تلقاء نفسها ، وعلى أيدي رجالها من علماء تلك الفترة ، في أمة حثها دين الإسلام على العلم ، فعكفت عليه ، وشفقت بطلبه .

لذا فإن اعتمادنا في دراسة أبرز جوانب الحياة العلمية للدولة الإسلامية زمن يزيد بن عبد الملك ، سيكون في المقام الأول على تراجم الرجال ، واستقاء المعلومات والحقائق المبينة لجوانب تلك الحياة ، وحال حركتها ، وجهود رجالها وأشرهم العلمي ، مما حوته تلك التراجم من مادة علمية ، وأخبار تاريخية ، إلى جانب ماوقعنا عليه من حقائق أخرى في المصادر العامة ، والمراجع المتخصصة التي تناولت الحياة العلمية في الدولة الإسلامية في العصر الأموي .

لذا فمن غير الممكن الالتزام بالحد الزمني لفترة البحث عند تأريخنا للحركة العلمية زمن يزيد ، لأن اعتمادنا كما قلنا سيكون على تراجم الرجال ، وحيث أن هؤلاء الرجال من العلماء ، والأدباء ، والمؤرخين ، المعاصرين للخليفة يزيد بن عبد الملك ، والذي زخر عهده بعدد كبير منهم ، لايتوقف عطاؤهم بنهاية عهده ، كما أن معظمهم بدأ عطاؤه قبل ذلك .

وعلى سبيل المثال ، عندما نؤرخ لعلم القراءات زمن الخليفة يزيد ، فإننا نعرض لذكر أشهر القراء المعاصرين له وأصحاب الأثر الكبير في هذا العلم ، لمعرفة حال العلم آنذاك من خلال تراجمهم ، فنبدأ بمن عاصره ومات في عهده كالمقريء يحيى بن وثاب (ت ١٠٣هـ) ، ثم من عاصره ، وكان ذا دور بارز في خدمة الحياة العلمية في زمنه ، بقرينة تدل على أنه كان في سن العطاء آنذاك ، وإن كانت وفاته بعد خلافة يزيد بن عبد الملك ، مثال ذلك عبد الله بن عامر أحد القراء السبعة (٢١ - ١١٨هـ) ، فإنه وإن تولى بعد خلافة يزيد إلا أنه كان مقرئاً في عهده ، ومن خدم علم القراءات في خلافته .

لذا فإننى سأؤرخ لأبرز الجوانب العلمية في زمن يزيد من خلال أخبار العلوم في عصره ، وتراجم رجالها الذين عاصروه ، سواء من مات في زمنه ، أو بعده حتى نهاية الدولة الأموية (١٣٢هـ) ، على أن يكون هناك قرينة دالة على خدمة من مات بعد خلافته ، للعلم في عهده . مع أن من العلماء من كانت وفاته في العصر العباسي ، وكان ذا دور بارز زمن يزيد

وخدم العلم في عهده ، كإمام القارئ نافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ) ، الذي ظل يقرئ الناس سبعين سنة ، أي أنه كان مقرئاً زمن يزيد بن عبد الملك ، وأبو عمرو بن العلاء (٧٠ - ١٥٤هـ) ، الذي انتصب للقراءة منذ أيام الحسن البصري (ت ١١٠هـ) ، وسليمان بن مهران بن الأعمش شيخ المقرئين والمحدثين الفقيه (٦١ - ١٤٧هـ) ^(١) . لكننا آثرنا التوقف بالترجمة عند نهاية الدولة الأموية (١٣٢هـ) ، لأننا نؤرخ لأحد خلفائها .

وإبرز جوانب الحياة العلمية مطلع القرن الثاني الهجري التي آثرناها بالدراسة ، هي الدراسات الدينية ، بمجالاتها الأربع ، وهي القراءة ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، ثم الدراسات الأدبية شعراً ونثراً ، ثم الدراسات التاريخية ، كما سنؤرخ عن مظاهر النشاط العلمي هذه الفترة ، والتي تمثلت في حلقات العلم في المساجد ، ومجالس العلماء ، ودور الكتاتيب ، والمؤدبين والمكتبات .

(١) انظر تراجمهم عند : سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٨ - ابن حجر : تهذيب ، ١٢/١٩٧-١٩٩ - الذهبي : سير ، ٦/٤٠٧-٤١٠-٢٢٦-٢٤٨ .

المبحث الأولالعلوم الدينيةالقراءات :

(١)
كان للقراءات رجالها من المحابة رضوان الله عليهم ،
الذين كان لهم عظيم الاثر في القراءات ، وتعلمهم عدد
من التابعين ، الذين نشطوا في تعلم القراءة وتعليمها ،
اخذا ورواية ، ونشروا علم القراءات في البلدان الاسلامية ،
ومن هؤلاء التابعين : عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) ،
والحسن البصري (ت ١١٠هـ) ، ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) .
(٢)

(١) القراءات هي وجوه تلقى النص القرآني ، وقد أُصطلح على تسمية هذه الواجه المقروءة بالحروف ، والحروف هي وجوه القراءات واختلافاتها بين القراء ، وعرف علمها أيضا بأنه : علم يُبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة ، وله استخدام من العلوم العربية ، غرضه تحميل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة ، وفائدته صون كلام الله تعالى عن طريق التحريف والتغيير اليه ، والبحث فيه عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير متواترة الواصلة الى حد الشهرة . (انظر / سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٤) .

أما القراء ، فلفظ أطلق ذي بدء على حفظة القرآن الكريم ، ثم أخذ معنى أدق منذ عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ، فخص به من اشتهروا بقراءاتهم ، وكان لكل منهم مصحف . (خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ص ٣٣) .

وعن القراءات انظر أيضا / مكى بن أبى طالب : كتاب التبرمة في القراءات السبع ، تحقيق المقرئ محمد غوث الخدوى ، نشر وتوزيع الدار السلطانية ، بمبائى ، الهند الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م - ابن الجزرى : النشر في القراءات العشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٢) مكى بن أبى طالب : نفس المصدر ، ص ١٤٢ - سعد موسى نفس المرجع ، ص ٩٥ - خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٣٦-٣٧ .

وفى نهاية القرن الاول وبداية الثانى الهجرى ، تجرد قوم بالقراءة والاخذ ، واعتنوا بقطبها اتم عناية ، حتى صاروا فى ذلك ائمة يقتدى بهم ويرحل اليهم ، منهم يزيد بن القعقاع (ت ١٢٧هـ) ، وشيبة بن نضاح (ت ١٣٠هـ) فى المدينة وعبد الله بن كثير (ت ١٢٠هـ) بمكة ، ويحيى بن وثاب (ت ١٠٣هـ) ، وعاصم بن أبى النجود (ت ١٢٧هـ) بالكوفة ، وعبد الله بن أبى اسحق بالبصرة ، وعبد الله بن عامر (ت ١١٨هـ) ، وعطية بن قيس (ت ١٢١هـ) ، وغيرهما بالشام .^(١)

واشتهر من هؤلاء من صارت اليهم رئاسة الاقراء ، واصبحت قراءاتهم مرجع الخلاق فى البلدان المختلفة ، وهم الائمة الذين تنسب اليهم القراءات السبع .^(٢)

ومن مميزات فترة هذه الدراسة ، انها تمثل هذه المرحلة او جزءا منها ، أى مرحلة تجرد كثير من العلماء للقراءة والعناية بها وقبطلها ، فشهدت كثيرا من ائمة القراءة .

وسنعرض الآن لذكر عدد من ائمة القراءة - فى فترة الدراسة التى حددناها - مبتدئين بثلاثة من القراء السبعة كانوا معاصرين ليزيد بن عبد الملك ، ثم لذكر بعض مشاهير

(١) مكى بن أبى طالب : التيمرة ، ص ١٠٤ ، ١٣٧-١٣٨ ، ١٤٠-١٤١ ابن الجزرى : النشر ، ٩-٨/١ .

(٢) مكى بن أبى طالب : نفس المصدر ، ص ١٣٨ ، ١٤٠-١٤٢ . والنظر ما صار اليه أمر القراءة بعد هذه المرحلة عند ابن الجزرى : نفس المصدر ، ص ٩ .

(٣) القراء السبعة هم : نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم (ت ١٦٩هـ) ، وعبد الله بن كثير المكى السدائى (ت ١٢٠هـ) ، وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ او ١٥٧هـ) ، وعبد الله بن عامر اليمصى (ت ١١٨هـ) ، وعاصم بن أبى النجود (ت ١٢٧هـ على خلاف) ، وحمزة بن حبيب (ت ١٥٦هـ) والكسائى على بن حمزة (ت ١٨٩هـ على خلاف) .

الائمة القراء في زمنه حسب التسلسل الزمني لوفاتهم .
 واول الثلاثة : عبد الله بن عامر اليمصبي ، احد علماء^(١)
 التابعين الاعلام ، واهل المسلمين الاخيار ، الامام الكبير
 مقرئ الشام ، انتهت اليه مشيخة الاقراء فيها ، واتخذته
 اهله اماما في قراءته واختياره ، وظلوا عليها تلاوة وملاة
 وتلقينا حتى (سنة ٥٥٠هـ) تقريبا ، وقد كان امام الجامع
 الكبير بدمشق ، وقد قرا على ابي الدرداء رضي الله عنه ،
 وروى انه سمع قراءة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وجاء
 اليه قرا على قاضي دمشق فضالة بن عبيد رضي الله عنه ،
 والمشهور انه قرا على المغيرة بن ابي شهاب المخزومي صاحب
 عثمان ، وقد تلا عليه يحيى بن الحارث وغيره . وراويه عبد
 الله بن ذكوان وهشام بن عمار السلمي .

(١) عبد الله بن عامر اليمصبي الدمشقي المقرئ ، الحافظ
 الفهم ، ثقة صدوقا متقنا ، محدثا من اجلة الراويين .
 كان رئيس جامع دمشق والناظر على عمارته ، كما تولى
 قضاء دمشق . قيل كان مولده (سنة ٨٨هـ) والمصحيح (سنة
 ٢١هـ) ، وتوفي (سنة ١١٨هـ) . (انظر عنه : مكي بن ابي
 طالب : التبصرة ، ص ١٢١-١٢٢ - ابن الباذي : كتاب
 الاقناع في القراءات السبع ، تحقيق عبد المجيد قطامش ،
 مطبعة دار الفكر ، بدمشق ، السمودية ، جامعة ام
 القرى ، مركز البحث العلمي واهياء التراث الاسلامي ،
 الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ ، ١/١٠٣-١٠٦ - الذهبي : سير ،
 ٢٩٢/٥ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٤٠/٥ - ٢٤١ - خليل
 الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢٧) .
 وللعلم فقد اتخذت منهجا في الترجمة للعلماء
 والمعلومات التي تشير الى عطاءاتهم العلمية ، يتلخص
 في ذكر المعلومات الخاصة بالعلم الذي اتحدث عنه
 بالمتن والترجمة للعالم عند ذكره لأول مرة بالهامش ،
 ترجمة مختصرة عن اسمه ونسبه وبعض مزاياه العامة
 ووظائفه ان وجدت ومولده ووفاته ، ثم ذكر اي معلومة
 عنه تخص اي علم آخر في مكانها بالمتن والاحالة
 بالهامش الى الترجمة ، او الاكتفاء بالاحالة الى مصدر
 تلك المعلومات .

وقراءة ابن عامر ليست اجتهدا منه ، لأن قراءة القرآن كلها توقيفية ، وقد جاء الاختلاف من اختلاف الصحابة في تلقيهم ، وفي هذه الناحية كان ابن عامر متلقيا ، لكنه كان يختار من بين هذه القراءات قراءة لها مميزاتا وتنسب اليه ، منها ما يتعلق بطبيعة القراءة ، ومنها ما يتعلق بالرسم والنحو . وقد روى أن ابن عامر انفرد عن بقية القراء في أكثر من خمسين ناحية ، وقراءة ابن عامر بمميزاتا هو ما يعرف بالمصحف الشامي ، ومن العلماء من طعن على ابن عامر كابن جرير الطبري ، وقد عد ابن الجزري ذلك من سقطات الطبري على اعتبار أن إجماع أهل الشام على قراءته دليل على صحة هذه القراءة .^(١)

الثاني : عبد الله بن كثير الداري ، الإمام العلم ، كبير الشأن ، مقرئ مكة ، واحد القراء السبعة ، اليه مارت قراءة أهل مكة وبه اقتدى أكثرهم ، ذكر أنه لم يكن بمكة إقرا منه ، وكان فصيحاً بالقرآن ، قيل : قرا القرآن على عبد الله بن السائب المخزومي ، والمشهور تلاوته على مجاهد ودرباس مولى ابن عباس ، وتلا عليه أبو عمرو بن العلاء وعدة ، وراوياه قنبل والبزي .

(١) لتفاصيل أشمل عن قراءته ومميزاتا ، انظر / خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٣٧-٤٢ .

(٢) عبد الله بن كثير أبو معبد الكناشي الداري المكي مولى عمرو بن علقمة الكناشي ، فارسي الأصل ، من الأبناء في اليمن ، القارئ الإمام العلم ، الشقة كبير الشأن ، كان قاضي مكة ، ولد (سنة ٤٥هـ) وقيل (سنة ٤٨هـ) بمكة ، وبها توفي (سنة ١٢٠هـ) أو بعدها . (عن ترجمته وما قدمناه من معلومات عنه، انظر/مكي بن أبي طالب الثبيرة ، ص ١١٨-١١٩ - ابن الباذش : الاقناع ، ٨٠-٧٧/١ - الذهبي : سير ، ٣١٨-٣٢٢/٥ - ابن خلكان : وفيات ، ٤١/٣-٤٢ - ابن حجر : تهذيب ، ٣٢٢/٥) .

(١) الثالث : عاصم بن أبى النجود ، الامام الكبير مقرئ العصر ، وشيخ القراء بالكوفة ، واحد القراء السبعة المشار اليه في القراءات ، صالحا قرائاً للقرآن ، قال العجلي : كان صاحب سنة وقراءة ، وكان ثقة راسا في القراءة . وقال أبى اسحق : "مارايت اقرا من عاصم" ، وكان فصيحا لا يخطئ ، شبتا في القرآن وقراءته عن أبى عبد الرحمن السلمى والسلمى قرا على على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان يعرض قراءته على زر بن حبیش وزر قد قرا على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . وقد تصدر للقراءة مدة بالكوفة فتلا عليه جماعة ، وانتهت اليه رئاسة الاقراء بعد أبى عبد الرحمن السلمى شيخه (ت ٧٣هـ) ، قال أبو بكر بن عياش : "لما هلك أبو عبد الرحمن جلس عاصم يقرئ الناس ، وكان احسن الناس صوتا بالقرآن ، حتى كان في حنجرته جلاجل" . جمع بين الفصاحة والاتقان والتحرير والتجويد ، كان أهل الكوفة يختارون قراءته ، وقد اختارها أحمد بن حنبل بعد قراءة أهل المدينة يقول ابنه عبد الله : سألت أبى أي القراءات أحب اليك ؟ قال : "قراءة أهل المدينة فان لم يكن فقراءة عاصم" . وهو شيخ أبى حنيفة ، وراوياه حفص وشعبة .

(١) عاصم بن أبى النجود ، أبو بكر الاسدي مولا هم الكوفي ، ثقة مدوقا خيرا عابدا ذو أدب ونسك وفضائل كثيرة ، كان عثمانيا ، نحويا مشهور الكلام ، ولد زمن معاوية رضى الله عنه ، وتوفي (سنة ١٢٧هـ) على خلاف . (انظر عن ترجمته وما أورده عنه من معلومات / مكى بن أبى طالب : التبرمة ، ص ١٢٢-١٨١ - ابن البادش : الاقناع ، ١١٧-١١٥/١ - ابن خلكان : وفيات ، ٩/٣ - الذهبي : سير ٢٦١-٢٥٦/٥ - ابن حجر : تهذيب ، ٣٦-٣٥/٥) .

(١) ومن ائمة القراء في هذه الفترة ايضا ، يحيى بن وثاب
 كان مقرئ اهل الكوفة ، وقد اخذ القرآن عن عبيد بن نضيلة
 آية آية ، فكان قارئا ، وكان من احسن الناس قراءة ، اذا
 قرا كأنه يخاطب رجلا ، ولا يسمع في المسجد حركة .
 (٢) وعطاء بن يسار كان ممن تلقى القراءة من الصحابة
 وقاموا مقامهم في المدينة .
 (٣) ومجاهد بن جبر ، الامام شيخ القراء ، قرا على عبد
 الله بن السائب وعبد الله بن عباس ، واخذ عنه القراءة
 عرفا عبد الله بن كثير وعمرو بن العلاء ، وقرا عليه الاعمش
 وقد عرّف القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل ثلاث ،
 واجمعت الامة على امامته والاحتجاج به .
 (٤) وعكرمة مولى ابن عباس ، وردت عنه الرواية في حروف

- (١) يحيى بن وثاب الاسدي مولاهم ، المقرئ ، تابعي ثقة ، كان
 أبوه من سبى قاسان ، فصار الى ابن عباس ، فسماه
 وثابا واقام معه ثم استأذنه فارتحل مع ابنه يحيى
 الذي اقام بالكوفة فصار امام أهلها في القراءة ،
 (ت ١٠٣هـ) . (انظر عنه : ابن سعد : الطبقات الكبرى ،
 ٢٩٩/٦ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٥٨/١١) .
- (٢) عطاء بن يسار الهلالي ، المدني ، مولى ميمونة زوج
 النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أخو سليمان وعبد
 الملك وعبد الله بن يسار ، ولد سنة ١٩هـ ، وقدم
 الشام ومصر ، وتوفي بالاسكندرية (سنة ١٠٣هـ على خلاف)
 (انظر عنه / ابن الجزري : النشر ، ٨/١ - الذهبي : سير ،
 ٤٤٨-٤٤٩ - ابن حجر : نفس المصدر ، ١٩٤/٧-١٩٥) .
- (٣) مجاهد بن جبر المخزومي بالولاء ، مولى السائب بن أبي
 السائب ، التابعي ، القاري ، ثقة ، متقن ، عالما ،
 شجعا ، صادقنا ، عدلا . ولد سنة ٢١هـ ، وتوفي (١٠٤هـ
 على الأشهر) بمكة . (انظر عنه / مكي بن أبي طالب :
 التبصرة ، ص ١٠١ - الذهبي : نفس المصدر والجزء ،
 ص ٤٤٩-٤٥٧ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٨/١٠-٤٠) .
- (٤) عكرمة البربري ، أبو عبد الله القرشي ، مولى ابن
 عباس ، المدني ، التابعي العلامة ، الحافظ ، وثقه
 واحتج به وعدله وثبته جماعة من الائمة وكثير من أهل
 الحديث ورجال الجرح والتمديد . وكان قد كذبه البعض ،
 واتهم باضطراب الحديث وقلة العقل ، كما اتهم براء =

القرآن ، من علماء زمانه بالقرآن ، قال الشعبي : "ما بقي
أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة" . قرأ على موله وبعض
المحابة ، وقرأ عليه ابن حجر بن العلاء .

(١)
وعبيد بن حنن ، كان من حفاظ القرآن المتقنين .

(٢)
وسالم بن عبد الله بن عمر ، كان من السادة القراء

بالمدينة .

(٣)
وطاووس بن كيسان ، عالم اليمن الحافظ القدوة ، وردت

عنه الرواية في حروف القرآن ، وقد اخذه عن ابن عباس .

= الخوارج المغرية ، وانه اول من احدث رأى الخوارج في
أهل المغرب ونقله اليهم . وقد براه بعض رجال الحديث
من ذلك ، يقول ابن معين : "إذا رأيت انسانا يقع في
عكرمة وحصاد بن سلمة فاتهمه على الاسلام" . كما براه
العجلي من رأى الخوارج . توفي بالمدينة (سنة ١٠٥هـ
على خلاف) عن ثمانين سنة . (انظر عنه : مكى بن أبى
طالب : نفس المصدر والمفحة - الذهبى : نفس المصدر ،
٣٦-١٢/٥ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٣٤/٧-٢٤٢) .

(١)
عبيد بن حنن المدنى ، أبو عبد الله مولى آل زيد
ابن الخطاب ويقال مولى بنى زريق . ثقة (ت ١٠٥هـ) عن
تسعين سنة . (انظر عنه /الذهبي : سير ، ٦٠٥/٤ - ابن
حجر : تهذيب ، ٥٨/٧-٥٩) .

(٢)
سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، العدوى القرشى
المدنى ، أبو عمر ، الإمام الزاهد الحافظ . تابعى ثقة
صالحا ورعا فافلا عالما في الرجال ، قال مالك : "لم
يكن أحد في زمان سالم بن عبد الله أشبهه بمن ملى من
المالحين في الزهد والفضل والعيش منه" . وقد كان أهل
المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم
القراء السادة على بن الحسين ، والقاسم بن محمد ،
وسالم بن عبد الله ، وهم أبناء أمهات أولاد ، ففاقوا
أهل المدينة علما وفقى وعبادة وورعا ، فرغب الناس
حينئذ في السراى ، وكان أشبه ولد ابن عمر به سالم .
(ت ١٠٦هـ على الصحيح) . (انظر عنه /الذهبي : نفس
المصدر والجزء ، ص ٤٥٧-٤٦٧ - ابن حجر : نفس المصدر ،
٣٧٩-٣٧٨/٣ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في
المدينة ، ص ٩٩) .

(٣)
طاووس بن كيسان ، أبو عبد الرحمن الفارسى اليمنى
الجندى ، من الأبناء وهو مولى حمير وقيل همدان ، من
سادات التابعين ، كان صالحا عابدا زاهدا ، عفيفا ،
الناس عنده سواء ، متجفيا للسلطان ، وكان يتشيع ، =

- (١)
والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، كان من السادة القراء
في المدينة .
- (٢)
وسليمان بن يسار الغلابي ، كان من قراء المدينة ،
ووردت الرواية عنه في حروف القرآن .
- (٣)
وعمران بن ملحان ، له رواية علم بالقرآن ، وام قومه
أربعين سنة .

- =
وقد حج أربعين حجة . ثقة صادقاً ثبتاً ، ولد زمن عثمان
رضي الله عنه أو قبله ، وتوفي (سنة ١٠٦هـ - على
المصحح) . (انظر عنه : مكى بن أبي طالب : التبصرة ،
ص ١٠١ - الذهبي : نفس الممدر ، ٤٩-٣٨/٥ - ابن حجر :
نفس الممدر ، ٩-٨/٥) .
- (١)
القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أبو محمد القرشي
التيامي السدني ، الإمام القدوة الحافظ الحجة ، عالم
وفته بالمدينة مع سالم وعكرمة ، تابعي ثقة عالماً
رفيعاً ورعاً فاضلاً خيراً صالحاً ، وأمه أم ولد . قال عمر
ابن عبد العزيز : "لو كان إلى من هذا الأمر شيء
- يعني العهد بالخلافة - ما عيسته إلا بالقاسم بن محمد"
ولد في خلافة علي رضي الله عنه ، وتوفي (سنة ١٠٧هـ -
على خلاف) عن سبعين سنة . (انظر عنه : الذهبي : سير ،
٦٠-٥٣/٥ - ابن حجر : تهذيب ، ٣٠١-٢٩٩/٨ ، ٣٧٨/٣) .
- (٢)
سليمان بن يسار الغلابي مولى ميمونة الغلابية ، أبو
أيوب السدني وأمه فارسي ، الإمام الفقيه عالم
المدينة ومفتيها ، من أعلم الناس ، فله بعضهم على
سعيد بن المسيب . يقول الحسن بن محمد بن الحنفية :
"سليمان بن يسار عندنا أفهم من سعيد بن المسيب" .
ويقول عبد الله بن يزيد العدلي : "وسمعت السائل يأتي
سعيد بن المسيب فيقول اذهب إلى سليمان بن يسار فإنه
أعلم من بقي اليوم" . وقد كان ثقة مأموناً فاضلاً عابداً
رفيعاً ، ولي سوق المدينة لأميرها عمر بن عبد العزيز .
ولد في أواخر أيام عثمان رضي الله عنه ، وتوفي (سنة
١٠٧هـ) . (انظر عنه / مكى بن أبي طالب : التبصرة ،
ص ١٠٠ - الذهبي : نفس الممدر ، ٤٤٤/٤ - ابن حجر :
نفس الممدر ، ٢٠٠-١٩٩/٤) .
- (٣)
عمران بن ملحان ، أبو رجاء العطاردي البصري ، وقيل
اسمه عطاردي . أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ،
كانت فيه غفلة ، وعمر أزيد من ١٢٠ سنة ، و(ت ١٠٩هـ -
على خلاف) . (انظر عنه : ابن حجر : نفس الممدر ،
١٢٤/٨) .

(١) وعامر بن شراحيل الشعبي ، تلقى القراءة عن المحابة ،
وقام بها ، وقد عرض على أبى عبد الرحمن السلمى وعلقمة
وروى القراءة عنه عرضا ابن أبى ليلى .

وأبو حرب بن أبى الاسود الديلى (٢) يعد فى الطبقة
الثانية من قراء اهل البصرة .

(٣) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) شيخ البصرة وسيد اهل زمانه
علما وعملا ، قرا القرآن على حطان بن عبد الله الرقاشى
وعلى أبى العالىة ، وروى عنه أبو عمرو بن العلاء وسلام بن
سليمان ، قال حماد بن سلمة عن حميد : "قرا القرآن على
الحسن ففسره على الاثبات يعنى اثبات القدر" . فكان ممن
(٤)

تلقى القرآن عن المحابة وقام عليه .
(٥) ومحمد بن سيرين ، الذى تلقى القراءة عن المحابة ايضا

-
- (١) عامر بن شراحيل الشعبي الهمداني الكوفى ، أبو عمرو ،
الامام علامة العصر ، وقيل : هو من حمير وعداده فى
همدان ، تابعى ، أدرك خمسمائة من المحابة ، وكان
الشعبى كثير العلم حافظا أسمى لا يكتب ، وكانت له حلقة
كبيرة فى مسجد الكوفة ، ثقة ، قوى الحفظ ، شاعرا ذا أدب ،
وكان واحد زمانه فى فنون العلم ، ولد سنة ٢١هـ وقيل
غير ذلك ، و(ت ١٠٩هـ على خلاف) . (انظر عنه / مكى بن
أبى طالب : الثبيرة ، ص ١٠٣ - ابن الجزرى : النشر ،
٨/١ - الذهبى : سير ، ٢٩٤/٤ - ٣١٩ - ابن حجر : تهذيب ،
٥٧/٥ - ٦٠) .
- (٢) أبو حرب بن أبى الاسود الديلى البصرى ، قيل اسمه محجن
وقيل عطاء ، وقيل اسمه كنيته ، ثقة ، عاقلا ، شاعرا ،
ولاه الحجاج جوخى حتى مات ، (ت ١٠٩ وقيل ١٠٨هـ) .
(انظر عنه / ابن حجر : نفس الممدر ، ٧٣/١٢ - ٧٤) .
- (٣) انظر ترجمته قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ،
ص ١٥٧ .
- (٤) مكى بن أبى طالب : نفس الممدر والمصنف ، - ابن
الجزرى : نفس الممدر والجزء والمصنف - ابن حجر : نفس
الممدر ، ٢٣١/٢ - ٢٣٦ .
- (٥) محمد بن سيرين الانصارى ، مولى أنس بن مالك ، كان
أبوه من سبى عين التمر ، فشرأه أنس ثم كاتبه ، فنشأ
محمد فى كنف أنس رضى الله عنه ، تابعى ثقة جليل
مامونا متقنا ضابطا صادقا عدلا كثير العلم عابدا ورعا
رفيعا ، كان امام وقته ، من الحفاظ ، معبرا للرؤيا . =

وقام على المصحف ، فوردت عنه الرواية في حروف القرآن .
(١) ومن قراء اهل الكوفة وعبادهم عون بن عبد الله الهذلي
الامام القدوة ، القاص .

ومن ائمة القراءة وناشري هذا العلم مسلم بن جندب
(٢) القاري ، كان ممن تلقى القراءة بالمدينة عن الصحابة ،
وقام على المصحف ، وقد عرض على عبد الله بن عياض ، وعرض
عليه نافع وكان معلم عمر بن عبد العزيز الذي كان يثنى على
فماحته بالقرآن ، فكان يقول : "من سره ان يقرأ القرآن غبا
فليقرأه على قراءة مسلم بن جندب" . وكانت له مكانة بين
علماء المدينة وقرائهم ، حتى قال قائلون : "كان اهل
المدينة لا يعمزون ، حتى همز ابن جندب فعمزوا ، كلمة
{مستهزئين} ، و{يستعزى بهم} " .

- = ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه ،
و (ت ١١٠هـ) بعد الحسن بمئة يوم . (انظر عنه / مكى بن
أبى طالب : نفس المصدر ، ص ١٠٤ - ابن كثير : البداية
ط ٤ ، ٢٧٩/٩ - ابن الجزري : نفس المصدر والجزء
والمفحة - ابن حجر : نفس المصدر ، ١٩٠/٩ - ١٩٢) .
(١) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي ،
الامام القدوة الصاب ، تابعي ثقة ، علم مروان بن
محمد في حياة أبيه وبطلبه ، ثم تركه ، وقدم على
ال خليفة عمر بن عبد العزيز ولزمه وكان له مكانة عنده
وقيل : أنه وفد عليه في جماعة فناظروه في الارزاء ،
فزعموا انه وافقهم ، وكان عون مرجئا ثم ترك الارزاء .
(ت بين ١١٠-١٢٠هـ) . (انظر عنه / السدوسي : سير
١٠٣/٥ - ١٠٥ - ابن حجر : تهذيب ، ١٥٢/٨ - ١٥٤) .
(٢) مسلم بن جندب الهذلي ، أبو عبد الله ، المدني ،
تابعي من الطبقة الثانية من اهل المدينة ، ثقة صالحا
فميحا كبير القدر ، تولى القضاء وكان لا يأخذ عليه رزقا
(ت بعد ١١٠هـ على خلاف) . (انظر عنه / ابن أبى طالب :
التبصرة ، ص ١٠٠ - ابن الجزري : النشر ، ٨/١ - ابن
حجر : نفس المصدر ، ١١٢/١٠ - سعد الموسى : تاريخ
الحياة العلمية في المدينة النبوية ، ص ٩٥) .

(١)

وظلحة بن معروف ، الامام الحافظ المقرئ المجود ، شيخ الاسلام ، كانوا يسمونه سيد القراء ، وكان من اقراء اهل الكوفة وخيارهم ، قال العجلي : "اجتمع القراء في منزل الحكم بن عتبة فاجتمعوا على أن ظلحة اقراء اهل الكوفة" . وكان قد تلا على يحيى بن وثاب وغيره . فلما شهر بالقراءة ، كره الشعرة ، واراد ان ينسلخ عنه ذلك بعد اجماع اهل الكوفة انه اقراء من بها ، فذهب الى الاعمش يقرأ عليه . يقول ابو خالد الاحمر : "فسمعت الاعمش يقول : كان ياتى فيجلس على الباب حتى اخرج فيقرأ ، فما ظنكم برجل لا يخطيء ولا يلحن" ، وكان يعلم القرآن .

(٢)

والجراح بن عبد الله الحكمي - امير ارمينية من قبل الخليفة يزيد - كان من القراء العابدين ، والابطال الشجعان قتل في حربه مع الخزر (سنة ١١٢هـ) .

(٣)

وشهر بن حوشب ، قرا القرآن على ابن عباس وغيره من الصحابة . عن شهر قال : "عرفت القرآن على ابن عباس سبع مرات" . وعن ابي نهيك قال : "قرأت القرآن على ابن عباس ، وابن عمر وجماعة ، فما رايت احدا اقراء من شهر بن حوشب" .

(١) ظلحة بن معروف بن عمرو بن كعب ، اليامي الهمداني الكوفي ، ابو محمد ، ثقة فاضلا زاهدا دائم الحزن ، شهد الجماجم ولم يقاتل ، وكان عثمانيا . (مات او اخر سنة ١١٢هـ - على خلاف) . (انظر عنه / الذهبي : سير ، ١٩١/٥ - ١٩٣ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٢/٥ - ٢٤) .

(٢)

انظر ترجمته قبل : ص ٣٥٤ .
(٣) الذهبي : نفس المصدر ، ١٨٩/٥ - ١٩٠ .
(٤) شهر بن حوشب ، ابو سعيد الاشعري الشامي ، مولى اسماء بنت يزيد الانصارية ، كان من كبار التابعين ، عالما عابدا ناسكا ، ثقة ثبتا ، وتكلم فيه البعض ، والاحتجاج به مترجح . (ت ١١٢هـ - على خلاف) . (انظر عنه : الذهبي : نفس المصدر ، ٣٧٢/٤ - ٣٧٨ - ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣١٥/٩ - ٣١٦) .

(١)
ومن القراء أبو جعفر الباقر ، السيد الامام ، كان
حالها ككتاب الله ، كبير الشأن ، ولكن لا يبلغ في القرآن
درجة ابن كثير ونحوه ، قال فيه مالك بن اعين :
إذا طلب الناس علم القرآن
ن كانت قريش عليه عيالا
وعطاء بن أبي رباح ، الامام شيخ الاسلام ، وردت عنه
الرواية في حروف القرآن ، وقد روى القراءة عن أبي هريرة ،
وعرف عليه أبو عمرو .
(٢)
وجمحل بن هاشم ، كان من القراء التابعين ، بعثه عمر
ابن عبد العزيز الى المغرب ليقرئهم القرآن .

(١) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، العلوي
الفاطمي ، المدني ، أبو جعفر الباقر ، تابعي جليل
كبير القدر ، واحد اعلام هذه الامة ، وهو احد الائمة
الاثنى عشر الذين تدعيهم طائفة الشيعة ، ولم يكن
الرجل على منوالهم ولا على طريقتهم ولا يدين بما وقع في
اذهانهم واوهامهم . وشعر بالباقر من ابقر العلم ،
أي شفه فعرف أصله وخفيه ، كان احد من جمع بين العلم
والعمل والسؤدد ، والشرف ، والثقة ، والرزانة ، وكان
اهلا للخلافة . وكان أبو جعفر اماما مجتهدا ، ومناقبه
كثيرة ، ولد (سنة ٥٦هـ على خلاف ، وتوفي سنة ١١٤هـ -
على الصحيح) . (انظر عنه : الذهبي : سير ، ٤٠١/٤ - ٤٠٩
ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٢١/٩ - ابن حجر : تهذيب ،
٣١١/٩ - ٣١٣) .

(٢) عطاء بن أبي رباح واسم أبي رباح اسلم ، الفهري
القرشي مولاهم ، المكي ، احد كبار التابعين الثقات
الرفعاء ، عالما ، فاضلا ، عابدا ورعا ، كان معلم
كتاب ، وكان له مجلس علم . ولد باليمن زمن عثمان
وقيل عمر رضي الله عنهما ، و(ت ١١٤هـ على الصحيح) .
(انظر عنه/مكي بن أبي طالب : التكملة ، ص ١٠١ -
الذهبي : نفس المصدر ، ٧٨/٥ - ٨٨ - ابن كثير : نفس
المصدر والطبعة والجزء ، ص ٣١٧ - ٣١٨ - ابن حجر : نفس
المصدر ، ١٧٩/٧ - ١٨٣)

(٣) أبو سعيد جمحل بن هاشم بن عمير الرعيثي ، ثم
القتباني المصري ، تابعي ثقة ، واه هاشم قضاء الجند
بافريقية وتوفي في اول خلافته قريبا من (سنة ١١٥هـ) .
(انظر عنه / الدباغ : معالم الايمان ، ٢٠٢/١ - ابن
حجر : نفس المصدر ، ٦٨/٢ - ٦٩) .

(١)
وملهم عبد الرحمن بن هرمز ، الامام الحافظ الحجة ،
المقريء ، كان احد من بوز في القرآن ، وقام على المحف
بعد المعابة ، وجود القرآن واقراه . وقد اخذ القراءة عن
ابى هريرة وابن عباس رضى الله عنهما وغيرهما ، لكن معظم
روايته عن ابى هريرة ، وروى القراءة عنه عرفا نافع بن ابى
نعيم وغيره . وكان يكتب المصاحف ولايوكل بكتابتها الا من
كان موثوقا حافظا امينا .

(٢)
ومن القراء قتادة بن دعامة ، روى القراءة عن ابى
العالية وانس بن مالك ، وروى عنه ابو ايوب وشعبة
وابوعوانة ، وكان يدرس القرآن في رمضان ، يقول ابو عوانة
"شهدت قتادة يدرس القرآن في رمضان" . وكان عاكفا عليه ،
يقول سلام بن ابى مطيع : "كان قتادة يختم القرآن في سبع ،
واذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ، فاذا جاء العشر ختم كل
ليلة" ، وكان من علماء الناس بالقرآن .

(١)
عبد الرحمن بن هرمز الاعرج المدني ، مولى ربيعة بن
الحارث بن عبد المطلب ، تابعى ثقة عالما ، من اصحاب
ابى هريرة ، عالما بالانساب والعربية ، ارتحل الى مصر
في آخر عمره ، ومات مرابطا بالاسكندرية (سنة ١١٧هـ)
وقد جاوز الثمانين . (انظر عنه / مكى بن ابى طالب :
التبصرة ، ص ١٠٠ - الذهبي : سير ، ٧٠-٦٩/٩ - ابن
الجزري : النشر ، ٨/١ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٦٠/٦-٢٦١
سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ،
ص ٩٦) .

(٢)
قتادة بن دعامة بن عزيز ، السدوسي ، البصري ، حافظ
العصر واحد علماء التابعين والائمة العاملين ، حافظا
متعلما فاضلا متقنا ، ثقة ثبت مامون ، امتدحه احمد
ابن حنبل ونشر علمه ، وقد رمى بالقدر ، وكان راسا في
العربية والغريب ايام العرب وانسابها ، ولد سنة ٦١هـ
(ت ١١٧هـ على خلاف) . (انظر عنه / مكى بن ابى طالب :
نفس المصدر ، ص ١٠٤ - الذهبي : نفس المصدر ،
٢٨٣-٢٦٩/٥ - ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣٢٥-٣٢٦ -
ابن حجر : نفس المصدر ، ٣١٥-٣١٩) .

(١) ويؤيد بن رومان المدنى ، القارىء ، العالم ، قرا القرآن على عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة ، وقرا عليه نافع بن أبى نعيم .
(٢) وعطية بن قيس ، الامام القانت ، مقررء دمشق مع ابن عامر ، وكان قارىء الجند ، عرض على أم الدرداء ، وعرض عليه جماعة ، يقول عبد الواحد بن قيس : "كانوا يملحون مصاحفهم على قراءة عطية بن قيس وهم جلوس على درج الكنيسة " حيث كان له دار قبلى كنيسة لليهود . ومحمد بن مسلم الزهرى (ت ١٢٤هـ) وردت عنه الرواية فى حروف القرآن ، فيذكر أن عثمان بن عبد الرحمن الوقاصى قد روى عنه الحروف ، وكان يرى جواز التقديم والتأخير فى القرآن ، وله قراءة تتميز بالمروية عن انس ، فكان قد قرا على انس بن مالك وعرض عليه نافع بن أبى نعيم . ومع انه قد اقام بالشام مدة طويلة فانما لانجد له اتمال بقراءتها كابن عامر ، وعطية بن قيس ، ويحيى بن الحارث . ولعل ذلك لعدم اعتباره متخصصا فى هذا العلم ، وكونه راوية للعلم .
(٣)

- (١) يؤيد بن رومان الاسدى أبو روح المدنى ، مولى آل الزبير ، من رواة الحديث الثقات . مات (١٣٠هـ) .
(ابن حجر : تهذيب ، ٢٨٤/١١) .
(٢) عطية بن قيس الكلبي الدمشقى ، وقيل الحمصى ، قيل انه فيمن غزا القسطنطينية زمن معاوية ، وهو تابعى وكان لابيه صحبة ، وهو اسن أقرانه وأكبر من ابن عامر ، ولد سنة ٧٧هـ على خلاف ، و(ت ١٢١هـ على خلاف أيضا) . (انظر عنه / الذهبى : سير ، ٣٢٤/٥ - ٣٢٥ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٠٣/٧ - ٢٠٤) .
(٣) مكى بن أبى طالب : التبصرة ، ص ١٠٠ - خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(١) وبلال بن سعد السكوني ، الامام الرباني ، شيخ اهل دمشق كان قارئ اهل الشام جهير الصوت ، وكان امام جامع دمشق ، فكان اذا كبر سمع موته من الازواغ - من قرى دمشق القريبة - وتبين قراءته من العقبة .

(٢) ويزيد بن القعقاع ، القارئ ، أحد القراء العشرة ، قرا على مولاة عبد الله بن عياش ، وابى هريرة ، وابن عباس رضي الله عنهم ، وقرا عليه نافع ، وطائفة ، كان يقرئ قبل وقعة الحرة ، وعلم القرآن منذ زمن معاوية رضي الله عنه ، اخبر عن نفسه : " انه كان يقرئ قبل الحرة ، وكان يمسك المصحف على مولاة ، قال : وكان - يعني مولاة ابن عياش - من اقرا الناس وكنت اري كل مايقرا ، واخذت عنه قراءته " . وتمدر للاقراء بالمدينة مدة طويلة ، وكان يجلس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان لايتقدمه احد في عصره ، وكان يملئ خلف القراء - الائمة - في صلاة التراويح في رمضان يلقنهم اذا اخطاوا ، مأمورا بذلك ، وكان امام اهل المدينة في القراءة .

- (١) بلال بن سعد بن تميم السكوني الدمشقي ، تابعي ثقة ، لابيهِ محبة ، وهو من الزهاد العباد ، العلماء الوعاظ وكان لاهل الشام كالحسن البصري لاهل العراق . (ت نيف وعشر ومئة وقيل وعشرين ، على خلاف) . (انظر عنه / الذهبي : سير ، ٩٠/٥ - ٩٣ - ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣٦٢/٩ - ٣٦٤ - ابن حجر : تهذيب ، ٤٤١/١ - ٤٤٢) .
- (٢) ابو جعفر يزيد بن القعقاع ، المدني ، نزر في رواية الحديث لكنه امام في الاقراء ، وقد ملى بابن عمر رضي الله عنه ، ذكر أن أم سلمة رضي الله عنها مسحت على رأسه ودعت له ، وكان عابدا زاهدا . (ت ١٢٧هـ - وقيل ١٣٢هـ) عن نيف وتسعين سنة . (انظر عنه / الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ - سعد الموصي : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٦) .

(١)

ومنهم أبو اسحق السبيعي ، الامام الحافظ ، شيخ اهل الكوفة ، كان من القراء ، قرا عليه حمزة بن حبيب عرفا ، وكان يقرأ القرآن في كل ثلاث .

(٢)

ومن القراء ايضا ، عثمان بن عاصم بن حمين ، الامام الحافظ ، كان يقرأ عليه في مسجد الكوفة خمسين سنة ، وقال عن نفسه : " انا اقرا من الاعمش " .

(٣)

وشيبة بن نصاح ، القارئ ، كان امام اهل المدينة في القراءات في زمنه ، وأبو جعفر يزيد بن القمقاع ، وقد أدرك عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما ، ودعنا الله ان يعلمه القرآن ، وقد خلف أبا جعفر القارئ بعد وفاته في الوقوف خلف الاثمة في رمضان لتلقيهم اذا اخطاوا . وهو أحد شيوخ نافع ، وقدم ليملى على سكينه بنت الحسين بن علي بعد موتها لفيلة القرآن ، وهو أول من ألف في الوقوف ، وكتابه مشهور كما يقول ابن الجوزي .

(١) عمرو بن عبد الله أبو اسحق السبيعي ، الكوفي ، تابعي ثقة ، من العلماء الماملين ، طلبة العلم ، كبير القدر ، من الفزاة العباد ، وحفظه العلم . وقد تزوج امرأة الحارث الامور فوكت اليه كتبه . ولد في أواخر خلافة عثمان رضى الله عنه ، و(ت ١٢٧هـ وقيل ١٢٨هـ) من ٩٣ سنة . (انظر عنه / الذهبى : سير ، ٢٩٢/٥-٤٠١) .

(٢) أبو حمين عثمان بن عاصم بن حمين ، الاسدي الكوفي ، ثقة صالحا شبتا ، شيخا عاليا ، صاحب سنة ، وكان عثمانيا ، (ت ١٢٨هـ على خلاف) . (انظر عنه / الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٤١٢-٤١٧) .

(٣) شيبة بن نصاح بن سرجس المخزومي ، المدني القارئ ، مولى أم سلمة ، كان قافيا بالمدينة ، وهو ثقة ، وهو أسن من نافع ، (ت ١٣٠هـ) . (انظر عنه / ابن حجر : تهذيب ، ٢٣٠/٤-٢٣١ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٧) .

(١)

ومالك بن دينار ، علم العلماء الاجرار ، من اعيان
 كتبة المصاحف ، وكان يكتب المصاحف بالاجرة ويتقوت باجرته ،
 وكان يقرئ الناس وله أسلوبه ، عن مالك قال : " ان
 المديقين اذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم الى الآخرة ،
 ثم يقول : خذوا ، فيتلوا ، ويقول : اسمعوا الى قول المادق
 من فوق مرشه " .

(٢)

ومن القراء محمد بن المنكدر ، الامام الحافظ القدوة ،
 شيخ الاسلام ، كان من سادات القراء ، قال مالك : " كان ابن
 المنكدر سيد القراء " ، وكان له مجلس يجتمع عنده القراء
 فيه والمالكون ، يطعمهم الطعام ، وكان غاية في الاتقان
 والحفظ .

(٣)

ومن القراء ايضا ايوب السخيتاني ، الامام الحافظ ،
 سيد العلماء ، كان من القراء المثقلين ، وكان يؤم اهل
 مسجده في شهر رمضان .

-
- (١) مالك بن دينار السامي الناجي ، مولاهم ، البصري ، من
 ثقات التابعين ، الزهاد ، الاجرار ، المعبود ،
 (ت ١٣١هـ - على خلاف) . (انظر عنه / الذهبي : سير ،
 ٣٦٢/٥ - ٣٦٤ - ابن حجر : تهذيب ، ١٠/١٣-١٤) .
- (٢) محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشي التيمي المدني ،
 ثقة حجة ، صالحا عابدا زاهدا ، ولد سنة بضع وثلاثين
 و(ت ١٣٠ أو ١٣١هـ) . (انظر عنه / الذهبي : نفس
 المصدر والجزء ، ص ٣٥٣-٣٦١) .
- (٣) ايوب السخيتاني ، ابو بكر بن ابي تميمة كيسان ،
 المنزى مولاهم ، البصري ، سيد شباب البصرة ، العالم ،
 المعابد ، ثقة ثبتا ، لايسال عن مثله ، حجة ، عدلا ،
 فاضلا ، صاحب سنة ، زاهدا من الاخيار ، فاضحا للعامة ،
 اليه المنتهى في الاتقان ، جامعاً للعلم ، ولد سنة
 ٦٨هـ ، و(ت ١٣١هـ) . (الذهبي : نفس المصدر ،
 ١٥/٢٦-٢٦) .

(١)
ويونس بن ميسرة ، عالم دمشق ، كان يقرئ القرآن في
جامع دمشق .

ويتبين من عرضنا لمشاهير القراء في هذه الفترة ، ان
هذا العلم كان قد تجرد له مجموعة كبيرة من العلماء في
اقطار الدولة الاسلامية المختلفة ، فعنوا به ، وعكفوا عليه
يتعلمونه وينشرونه . ومما يميز هذه الفترة ظهور عدد من
ائمة القراءة السبعة ، الذين خدموا هذا العلم ، فكان لهم
قراءاتهم المميزة ، وغدوا ائمة يقتدى بهم ويؤخذ
باختياراتهم .

وان لوحظ قلة ذكر من الف في هذا الفن ، فان ذلك
لايعنى عدم التأليف فيه ، بل لعل الكثير منهم كتب ودون ،
ولكنها قد تكون اجزاء او صحفا ، كما دونت الكتب ، وقد
اشرنا الى بعض ذلك ، ومما يذكر في هذا الصدد ، كتاب يحيى
ابن الحارث الذماري ، وكتاب خالد بن معدان ، وقد دونا في
عدد آي القرآن ، ذكر ذلك ابن النديم ، وابن عامر كتابان
في القراءات ، ذكرهما ابن النديم الاول هو "كتاب اختلاف
مصحف الشام والحجاز والعراق" ، والثاني "في مقطوع القرآن
وموصله" ، وبلاشك ان هناك كتبا اخرى الف في هذا العلم
على يد اولئك الائمة العلماء .
(٢)

(١) يونس بن ميسرة من حلبس الجبلاني ، الاعشى ، شامي
شاعري ثقة ، كان من خيار الناس وعبادهم ، له كلام
نافع في الزهد والمعرفة ، طال عمره فبلغ ١٢٠ سنة ،
وقتل على يد المسودة عندما دخلت دمشق (١٣٢هـ) .
(انظر عنه / الذهبي : سير ، ٢٣٠/٥ - ابن حجر : تهذيب ،
٣٩٤/١١ - ٣٩٥) .

(٢) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٤٦ .

التفسير :

(١) كانت نشأة علم التفسير في عمر الرسول صلى الله عليه وسلم . أول مفسر للقرآن الكريم ، وقد اقترن التفسير في عمره ، صلى الله عليه وسلم ، بالوحي ، حيث كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات ومعها تفسيرها ، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يفسر القرآن برأيه ، ولم يفسر منه إلا القليل ، كما نهي عن التفسير بغير علم .^(٢)

واخذ الصحابة هذا العلم وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث تتلمذوا عليه ، واهتدوا بهديه ، وقد اشتهر بعضهم بهذا العلم ، كعلى بن أبى طالب ، وأبى بن كعب وأبى هريرة ، وزيد بن ثابت ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم^(٣) .

ثم أتى بعد الصحابة التابعون ، الذين راوا الصحابة ، وسمعوا منهم ، وتعلمذوا عليهم ، فمار تفسيرهم مرجعا ،

(١) التفسير في اللغة الإيضاح ، ومنه قوله تعالى : {ولياتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا} (الفرقان : ٣٣) .

وامطلاحا : هو علم بأصول ، يعرف به معانى كلام الله تعالى ، أو يبين ألفاظ القرآن ومفهوماتها . (انظر : محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ، دار الكتب الحديثية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ١٣/١ - ١٤ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٠١) .

(٢) من أجل ذلك ، انظر / عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص ١٠٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ص ٤٠١ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٤٧ وما بعدها - ولمعلومات أشمل ، انظر أيضا / محمد الذهبي : نفس المرجع .

(٣) سعد موسى : نفس المصدر ، ص ١٠١ - السيد عبد العزيز سالم : نفس المصدر والمفحة - أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٤٩ .

واعتمد به ، بحكم صلتهم بالمحابة ، وابن تيمية في مقدمته عن اصول التفسير يبين طرق التفسير بانها : "تفسير القرآن بالقرآن ، والا فبالسنة ، فاذا لم نجد فنرجع الى قول الصحابي ، والا فآراء التابعين" (١) .

وكانت قد قامت في الامصار المختلفة مدارس علمية ، اساتذتها المحابة وتلاميذها التابعون ، اشتهر بعضهم بالتفسير ، فكان اشهرها في عهد التابعين ، مكة ، والمدينة والعراق ، قال ابن تيمية : "واما التفسير فاعلم الناس به اهل مكة ، لانهم اصحاب ابن عباس ، كمجاهد ، وعطاء بن ابي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطاووس ، وابى الشعثاء ، وسعيد بن جبير ، وامثالهم . وكذلك اهل الكوفة من اصحاب ابن مسعود ، ومن ذلك ما تميزوا به عن غيرهم ، وعلماء اهل المدينة في التفسير ، مثل زيد بن اسلم ، الذي اخذ عنه مالك التفسير ، واخذ عنه ايضا ابنه عبد الرحمن ، وعبد الله بن وهب" (٢) .

(٣)
وسنعرض في المفعات التالية لمشاهير المفسرين في

-
- (١) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٥٤-٥٥ .
(٢) محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١٠٠/١ - ١٠١ - عبد الله محمود شعاعة : القرآن والتفسير ، ص ٩٥-٩٦ (وذكر أسماء أشهر تلاميذ هذه المدارس . ومن ذكره غير من ذكره محمد الذهبي في فترة البحث ، عامر الشعبي وقشادة بن دعامة السدوسي ، والحسن البصري ، من تلاميذ مدرسة العراق ، ومحمد بن كعب القرظي من مدرسة المدينة تلاميذ ابي بن كعب) .
(٣) تميز علماء المسلمين الاوائل بسعة العلم والتطلع في فروعهم المختلفة ، فنجد عالما قد اشتهر بالقراءات ، لكنه ذو نصيب في علم التفسير ، وله باع في الحديث ، وقد يكون من رجال اللغة ، وعلماء الانساب والعارفين بالايام والمغازي ، وهكذا . لذا فاننا قد نواجه مفسرا كنا قد ذكرناه بين القراء ، ولعلنا نلقاه محدثا =

الانطار الاسلامية المختلفة ابان فترة هذه الدراسة وفق التسلسل الزمني لوفياتهم .

(١) ويأتى فى مقدمتهم ، مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) ، الامام شيخ المفسرين ، واحد تلاميذ ابن عباس ، اخذ التفسير عن استاذه وغيره ، وكان اقل اصحاب ابن عباس رواية عنه فى التفسير ، وكان اوثقهم ، لهذا اعتمد على تفسيره الشافعى والبخارى وغيرهما ، بينما لم ياخذ بتفسيره آخرون ، لانهم كانوا يرونه يسأل اهل الكتاب ، الا انه لم يكن هناك من يطمئن عليه فى مدقه ، قال قتادة : "اعلم من بقى بالتفسير مجاهد" ، وقال خفيف : "كان مجاهد اعلمهم بالتفسير" ، وقال سفيان الثورى : "خذوا التفسير من اربعة : مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والفحاك" . وقد بلغ هذه المكانة ، بعد ملازمة طويلة لشيخه ، وسؤال دائم ، وحرس على التعلم فهما وتدوينا فقد عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل : ثلاث مرات يساله عن كل آية ، يقول مجاهد عن نفسه : "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة" . وفى رواية اخرى : "عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس ، اقفه عند كل آية اساله فيم نزلت وكيف كانت" . كما دون التفسير عن ابن عباس ، يقول ابن ابي مليكة فى ذلك : "رايت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحه ، فقال ابن عباس : اكتب ، حتى ساله عن

= وفيها ايضا . ومن هنا اكتفينا بالترجمة للعالم عند ذكره لأول مرة ، فاذا ما ذكر فى علم آخر ، اوردنا عنه المعلومات الخاصة بالعلم الجديد ، ووثقنا المعلومة من مصادرنا ، وقد نحيل القارئ الى الترجمة ان وجدنا ما يدعو لذلك .

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٢ .

التفسير كله . وقد أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة ، وهو ثقة بلامدافعة ، وإن صح أنه كان يسأل أهل الكتاب ، فما يظن أنه تعدى حدود ما يجوز له من ذلك .^(١)

ويقال إن أول من دون في التفسير مجاهد ، وتفسيره غير موجود ، والمصحيح أنه ممن دون في التفسير ، لكنه لم يكن أولهم ، حيث ذكر آخرون سبقوه إلى تدوين التفسير ، ثم يعقب السيد أحمد خليل^(٢) على ذلك، بأن مجاهد كان راوياً عن ابن عباس فتفسيره رواية لتفسير ابن عباس . ونستدرك نحن هذا القول ، بأنه ليس من اللازم أن يكون التفسير المنسوب إلى مجاهد ، هو عينه الرواية التي أشارت المصادر إلى أن مجاهد دونها عن ابن عباس ، فلعلمه دون تفسيراً آخر معتمداً فيه على

(١) من أجل ذلك ، (انظر : الذهبي : سير ، ٤/٤٤٩-٤٥٧ - ابن كثير : البدايه ، ط ٤ ، ٩/٢٢٢ - محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١/١٠٤-١٠٥ - أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ٢٠٤-١٧٤، ٢٠٥ - عبد الله محمود شعاعة : القرآن والتفسير ، ص ٩٥ - الشيخ محمد الخفري : تاريخ التشريع الاسلامي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الخامسة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص ١١٦) .

(٢) أشار ابن النديم إلى تدوين ابن قدامة الشافعي (ت ٦١١هـ) في التفسير ، كما دون سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) لعبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ) كتاباً في التفسير ، وهناك تفسير أبي العالية رفيع بن مهران (ت ٩٠هـ) ، ولعل هناك غيرهم لم يودنا شيء عنهم ، ولم نملأنا تفاسيرهم ، وفي هذا دلالة على أن هناك من دون في التفسير قبل مجاهد بن جبر . (عن ذلك انظر / السيد أحمد خليل : نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ، الوكالة الشرقية للثقافة بالاسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ، ص ٤٣-٤٤ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٥٧ - عبد الله محمود شعاعة : نفس المرجع ، ص ١١٢-١٠٤، ٩٢ - محمد خفاجي : الحياة الادبية في عصر بني أمية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م ، ص ٣١) .

(٣) نفس المرجع ، ص ٤٣-٤٤ .

مادونهم ابن عباس وغيره من علماء الصحابة الذين أدركهم .
وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) ، العلامة الحافظ^(١)
المفسر البحر ، طلب العلم أربعين سنة ، وكان ابن عباس
يقيده ويعلمه القرآن والسنة ، فكان أكثر تلاميذه رواية عنه
قال الشعبي : "ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة" .
وقال قتادة : "... وأعلمهم بالتفسير عكرمة" ، وقال الثوري
"خذوا التفسير عن أربعة : عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ،
وعكرمة ، والضحك" ، وكان واسع العلم بالقرآن ، زعم أنه
لا يخفى عليه شيء منه ، وكان يحث الناس على سؤاله ، ويزيدهم
على ما سألوا ، وقال عن نفسه : "لقد فسرنا ما بين اللوحتين"
فكان كما وصف من بحور العلم والعلماء الربانيين والمفسرين
المكثرين ، وكان كثير الترحال بين الاقطار ، فنشر علمه في
البلاد التي حل بها ، وكان العلماء يعرفون قدره ، فمنهم من
يمسك عن التعليم اذا حل عليه عكرمة ، ويترك ذلك له ، حيث
يذكر أن الحسن البصري ، كان اذا قدم عكرمة البصرة ، أمسك
عن التفسير والفتيا .

ولعل في هذه الاقوال ما يشهد لمكانته العلمية ، وبخامته
في التفسير ، ولا عجب في ذلك ، بعد ما علمناه من ملازمته
لمولاه ابن عباس ، وحرس مولاه على تعليمه ، فكان وارث علم
ابن عباس والحائز على اعجابه وثقته وتقديره لفهمه ، حتى
أذن له بالفتيا في حياته ، والاكثر من ذلك ما ذكر من أنه قد
بين لابن عباس بعض ما أشكل عليه من القرآن ، لهذا لم يخل
تفسير من التفاسير بالماثور من رواياته وتفسيره ، وقد ذكر

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٢ .

(١) ابن النديم وغيره ، ان له كتاب في التفسير .
 والفحاك بن مزاحم الحلاسى ، احد اوعية العلم ، كان
 اماما في التفسير ، وله باع كبير فيه ، وعرف به . قال
 الثورى : اخذوا التفسير عن اربعة ، مجاهد وعكرمة وسعيد بن
 جبير والفحاك . قيل : لقي ابن عباس ، وقيل : لم يلقه ،
 وانما لقي سعيد بن جبير بالرى فاخذ عنه التفسير ، وهذا
 اصح ، كما اخذ التفسير عن غيره من التابعين ، فلم يشافه
 احدا من الصحابة ، واما روايته عن ابن عباس وابى هريرة
 وجميع من روى عنهم / ففى ذلك كله نظر .
 وطاووس بن كيسان اليمانى ، كان عالما متقنا خبيراً
 بكتاب الله تعالى ، فقد ادرك كثيرا من الصحابة واخذ عنهم
 ثم انقطع الى ابن عباس ، وكان من خاصة تلاميذه ، فاخذ عنه
 التفسير ، اكثر مما اخذه عن غيره .
 وممن ذكرت لهم مشاركات فى علم التفسير ، وبعلمهم لا يقل

(١) من اجل ذلك ، (انظر : ابن كثير : البداية ، ط ٤ ،
 ٢٥٤/٩ - ٢٦٠ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى
 المدينة ، ص ١٠١-١٠٣ - محمد الذهبي : التفسير
 والمفسرون ، ١٠٧/١ - ١١٢ - احمد أمين : فجر الاسلام ،
 ص ٢٠٤-٢٠٥) .

(٢) الفحاك بن مزاحم الحلاسى ، ابو القاسم ، ويقال ابو
 محمد ، الخراسانى ، تابعى جليل ، روى الحديث عن
 جماعة من التابعين ، وذكر روايته عن بعض الصحابة ،
 غير انه قيل : لم يبع له سماع من الصحابة . وشقه
 احمد وابن حبان ، وقال ابن سعيد القطان : كان ضعيفا ،
 وكان ببلخ وسمرقند ونيسابور ، وكان يعلم المبيان حسبة
 (ت ١٠٥ او ١٠٦ هـ) . (عن ترجمته وماؤوردناه عنه /
 الذهبي : سير ، ٥٩٨/٤ - ٦٠٠ - ابن كثير : نفس المصدر
 والطبعة والجزء ، ص ٢٣١ - ابن حجر : تهذيب ،
 ٣٩٨-٣٩٧/٤ - اليافعى : مرآة ، ٢٤٢/١) .

(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٣ .
 (٤) محمد الذهبي : نفس المرجع والجزء ، ص ١١٢-١١٣ - عبد
 الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، ص ٦٥-٩٦ .

بأعما عن المشاهير ، سالم بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٥هـ) ،
وعبيد بن حنين (ت ١٠٥هـ) ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر^(١)
(ت ١٠٧هـ) .

ومن مشاهير المفسرين ، الحسن البصري (ت ١١٠هـ) ، فقد^(٢)
كان عالما جامعا ، غزير العلم بكتاب الله ، قال حماد بن
سلمة عن حميد : "قرأت القرآن على الحسن ففسره على الاثبات"
يعنى اثبات القدر ، وفى ذلك كان يقول : "من كذب بالقدر
فقد كفر" ، وينسب الى الحسن تفسير للقرآن رواه عنه عمرو بن
عبيد شيخ المعتزلة ، وانتفع به الثعالبي (ت ٧٢٧هـ) .^(٣)

ومحمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أبو
جعفر الباقر (ت ١١٤هـ) ، السيد الامام العالم العامل كبير^(٤)
الشان ، على المكانة .

يقول سعد موسى :^(٥) "الا انه حسب قول الامام الذهبى :
"لا يبلغ فى القرآن درجة ابن كثير ونحوه ، ولا فى الفقه درجة
أبى الزناد ، وربيعه ، ولا فى الحفظ ومعرفة السنن درجة
قتادة وابن شهاب ، فلانحايه ولانحيف عليه ونحبه فى الله
لما تجمع فيه من صفات الكمال ، وله فى العلم وتفسير

-
- (١) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ،
ص ١٠٦ .
(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ،
ص ١٥٧ .
(٣) محمد الذهبى : التفسير والمفسرون ، ١/١٢٤-١٢٥، ١٤٤ -
عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، ص ٩٥-٩٦ -
بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، نقله الى العربية ،
عبد الحليم النجار (الثلاثة الاجزاء الاولى) ، والسيد
يعقوب بكر ورمضان عبد التواب (الثلاثة اجزاء الاخيرة)
دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ٢٥٧/١ .
(٤) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٨ .
(٥) نفس المرجع ، ص ١٠٣ - محمد خفاجى : الحياة الادبية فى
العصر الاموى ، ص ٣١ .

القرآن آراء وأقوال . وذكر أن له تفسير رواه عنه أحد الشيعة الزيدية " .

(١) ومن المفسرين ، عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ) ، وهو من تلاميذ ابن عباس ، والمتتبع للرواية عن ابن عباس يجد أن عطاء لم يكثر الرواية كما أكثر غيره ، ويجد مجاهد وسعيد ابن جبير وعكرمة يسبقونه من ناحية العلم بتفسير كتاب الله لكن هذا لا يقلل من قيمته بين علماء التفسير ، ولعل أقلاله في التفسير يرجع إلى تخرجه من القول بالرأي ، فقد قال عبد العزيز بن رفيع : سئل عطاء عن مسألة فقال : لا أدري ، فقل له : ألا تقول فيها ب رأيك ؟ قال : انى استحي من الله أن يدان في الأرض برأى . (٢)

(٣) وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ) ، حافظ العمر وقدوة المفسرين ، عالم حجة ، صدوقا عدلا ، إلا أنه كان يرى القدر . قال أحمد بن حنبل : "كان قتادة عالما بالتفسير وباختلاف العلماء ، ثم ومفه بالفقه والحفظ ، واطن في ذكره وقال قلما تجد من يتقدمه " . وقد كان راسا في العربية والغريب وأيام العرب وأنسابها ، واسع الاطلاع في الشعر العربي ، على مبلغ عظيم من العلم ، ومن هنا جاءت شهرته في التفسير فكان من علماء الناس في القرآن . قال أبو عمرو بن العلاء : حسبك قتادة ، ولولا كلامه في القدر ، وقد قال

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٨ .
(٢) محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١/ ١١٢-١١٤ - عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، ص ٩٥-٩٦ .
(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٩ .

(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا ذكر القدر فامسكوا " ماعدلت به احدا من اهل دهره . وكان قحادة يدرس القرآن في رملان ، وكان لايقول برايه ، قال ابو هلال : " سالت قحادة عن مسألة ، فقال : لا أدري ، فقلت : قل فيها برايك ، قال : ماقلت براى منذ اربعين سنة ، وكان يومئذ له نحو من خمسين سنة . قلت : فدل على انه ما قال فى العلم شيئا برايه " .
(٢)
(٣) ومن المفسرين عبد الرحمن بن هرمز الاعرج (ت ١١٧هـ) .
(٤) ومن مشاهيرهم ايضا ، محمد بن كعب القرظي ، الامام العلامة ، احد ائمة التفسير واوعية العلم ، كان عالما بتفسير القرآن وتاويله ، قال عون بن عبد الله : " مارايت

- (١) ونس الحديث كاملا : " اذا ذكر اصحابي فامسكوا ، واذا ذكر النجوم فامسكوا ، واذا ذكر القدر فامسكوا " . أخرجه الطبراني في الكبير ٧٨/٢ - وابو نعيم في الحلية ، ١٠٨/٤ . وفي اسناده نظر وقال ناصر الدين الالباني عنه مالمخطه : روى هذا الحديث من طرق كلها ضعيفة الاسانيد ولكن بعضها يشد بعضها ، وقد وجدت للحديث شاهدا مرسلأ أخرجه عبد الرزاق في الامالي بسند صحيح لولا ارساله ، ولكنه مع ذلك شاهد قوي لما قبله من الشواهد والطرق وخاصة الطريق الاول ، فقوى الحديث به . (ولمعلومات اوسع ، انظر : السلسلة ، ٤٢/١ وما بعدها) .
- (٢) من اجل ذلك ، (انظر / الذهبي : سير ، ٢٦٩/٥ - ٢٨٣ - ابن كثير : البدايه ، ط ٤ ، ٣٢٦/٩ - محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١٢٥/١ - ١٢٦ - احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٠٥) .
- (٣) سعد الموصي : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٠٦ .
- (٤) محمد بن كعب القرظي ، ابو حمزة المدني ، الامام العلامة الصادق ، تابعي ، ثقة ، عدل ، صالحا ، عابدا ورعا ، من افضل اهل المدينة ، مجاب الدعوة ، كبير القدر . قيل ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يمع ذلك ، وقيل : ولد في آخر خلافة علي رضي الله عنه (سنة ٤٠هـ) ، و(ت ١١٧هـ على خلاف) . (انظر عنه / الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٥ - ٦٨ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٦٨ - ٢٧٠ - ابن حجر : تهذيب ، ٣٧٣/٩ - ٣٧٤) .

أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي" . ووصفه المعلى :
 بأنه عالم بالقرآن" ، وقال ابن كثير : "كان عالما بتفسير
 القرآن" ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله :
 "يخرج من أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها
 أحد يكون من بعده" والكاهنان قريظة والنخير ، قال ربيعة :
 فكنا نقول هو محمد بن كعب . وظل يتدارس التفسير ، حتى مات
 بمسجد الربذة - من قرى المدينة ، على مسيرة ثلاثة أيام
 منها - مع جلسائه من جراء سقوط المسجد عليهم على أثر
 زلزلة حدثت ، وقد ذكر أن محمد بن كعب ممن منك كتابا في
 التفسير .^(١)

ومن ساهم في إثراء علم التفسير ، محمد بن مسلم
 الزهري (ت ١٢٤هـ) ، فقد اطلع بتفسير بعض الآيات القرآنية
 من ذلك تفصيل مواضع المدقات في الأصناف الثمانية التي
 ذكرها الله تعالى في آية المدقات ، وهي قوله عز وجل :
 {إنما المدقات للفقراء والمساكين ... الآية} ، وذلك بأمر
 من الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فبين له ذلك .^(٢)
 ومن مشاهير المفسرين ، اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي

(١) ابن حجر : تهذيب ، ٣٧٣/٩ - ٣٧٤ - سعد موسى : تاريخ
 الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٠٣-١٠٤ - محمد
 الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١١٦/١ .
 (٢) انظر ترجمته قبل : ص ١٠٣ .
 (٣) التوبة : ٦٠ .
 (٤) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٥٥ - محمد
 الحسيني : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، ص ١٣٠ -
 سعد موسى : نفس المرجع ، ص ١٠٧ .

(١) كريمة السدي ، الامام المفسر ، العالم بالقرآن ، قال المجلى عنه : "ثقة عالم بالتفسير" ، ومروا ابراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر ، فقال : "انه ليفسر تفسير القوم" ، لكن الشعبي يجهله ، اذ يقول عبد الله بن حبيب بن ابي ثابت : "سمعت الشعبي ، وقيل له ان السدي اعطى حظا من علم القرآن فقال : ان اسماعيل قد اعطى حظا من الجهل بالقرآن" . قال الذهبي : "ما احد الا وما جهل من علم القرآن اكثر مما علم ، وقد قال اسماعيل بن ابي خالد : كان السدي اعلم بالقرآن من الشعبي رحمهما الله" . ولعل اسماعيل السدي كان ممن يفسر القرآن بالرأى ، فرأى الشعبي ذلك جهلا ، لانه كان لا يتجرا على التفسير ، ولا يفسر برأيه" . وقد حكى عن احمد : "انه ليحسن الحديث - يعنى السدي - الا ان هذا التفسير الذى يجيء به ، قد جعل له اسنادا واستكلفه" ، وقول احمد يبين ان السدي اعتمد منهج الاسناد فى التفسير كالمحدثين ، وتكلف فى ذلك .

وممن اسهم فى علم التفسير ، محمد بن المنكدر (ت ١٣٠هـ) ، وابو الزناد عبد الله بن ذكوان (ت ١٣١هـ) .
اولئك ثلثة من ائمة التفسير فى تلك الحقبة من الزمن ،
وقلما تجد عالما من الاوائل لا يدلى بدلوه فى كثير من العلوم

-
- (١) اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة السدي ، مولى قريش ، الكوفي ، روى عن انس وابن عباس وعطاء وعكرمة وغيرهم ، ورأى ابن عمر والحسن بن على وابى هريرة وغيرهم ، ثقة صدوق ، وتكلم فيه بعضهم ، (ت ١٢٧هـ) .
(انظر عنه / الذهبي : سير ، ٢٦٤/٥ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٧٣/١ - ٢٧٤) .
(٢) انظر ما سنكتبه حول ذلك فى الصفحات التالية .
(٣) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٠٧ .

المختلفة ، وما ذلك الا لسعة اطلاعهم وتبحرهم في العلوم ، الا ان من كبار العلماء من كان يعظم تفسير كتاب الله ، فيتوقف عنه ولا يتجرأ عليه ، تورعا واحتياطا لانفسهم ، مع ادراكهم وتمكنهم وتقدمهم ، من هؤلاء عامر الشعبي (ت ١٠٩هـ)^(١) الذي مع مارزقه من وافر النصيب من العلم ، لم يكن جريئا على كتاب الله ليقول فيه برأيه ، بل كان يخرج ويتوقف عن اجابة سائله اذا لم يكن عنده شيء عن السلف ، وقد اخرج الطبري عن الشعبي انه قال : والله ما من آية الا سالت عنها ولكنها الرواية عن الله . واخرج عنه ايضا : ثلاث لا اقول فيهن حتى اموت : القرآن ، والروح ، والراي . لذا وجدنا الشعبي ناقدا لرجال التفسير في عصره ، وكثيرا ما يصرح بالطعن على من لا يعجبه مسلكه في التفسير من معاصريه ، فقد ذكر ابو حيان : ان الشعبي كان لا يعجبه تفسير السدي ، ويطعن عليه وعلى ابي صالح ، لانه كان يراهما مقمرين في النظر ، وروي ابن جرير ان الشعبي كان يمر بابي صالح باذان ، فياخذ باذنه فيمركها ويقول : تفسر القرآن وانت لاتقرأ القرآن ، ومر على السدي وهو يفسر فقال له : لان تغرب على استك بالطبل خير لك من مجلسك هذا .^(٢)

ويخلص من ذكرنا لمفسري هذه الفترة ، ان علم التفسير حظى باهتمام العلماء ، فنبع فيه جماعة منهم ، عنوا به ،

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٥ .
(٢) انظر نقد الشعبي له في الصفحة السابقة .
(٣) محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١/ ١٢٣ (ولم يكن الشعبي وحده يتوقف عن التفسير بالراي ، فقد ورد معنا خلال حديثنا في الصفحات السابقة ، ان من مشاهير المفسرين من كان لا يقول برأيه ، ومن ذكرنا ، عطاء بن ابي رباح ، وقتادة بن دعامة السدوسي) .

ونشروه ، ودونوا فيه ، وأبرز مدارسه في هذه الفترة مكة والمدينة والمراق ، ثم يأتى الشام ومصر ، أما الاقاليم الشرقية وارمينية وافريقية والاندلس ، فلم تكن الحركة العلمية بشكل عام قد تبلورت فيها ، لقرب عهدها بالفتح ، لهذا لاتمدنا المصادر بمعلومات شافية عن علمائها ، وهذا لايعنى خلوها من أى نشاط علمي ، فقد كان قد استقر بها بعض العلماء بعد حركة الفتح ، وعنوا بنشر الدين وتعليم مبادئه ، كما رحل اليها آخرون من المراكز العلمية المشهورة ، فنقلوا اليها العلوم وقاموا بالتدريس فيها . من ذلك - على سبيل المثال لاالحصر - ارتحال عكرمة الى افريقية ، وتعمده للتدريس في جامع القيروان ، عندما جاء الى افريقية واستوطنها لبعض الوقت ، وليس ثمة شك في ان التفسير كان احد العلوم الذي علمها هناك ، وهو المفسر المبرز .^(١)

كما عرفنا ان تفسيرهم للقرآن كان بالماثور ، الا بماذكر عن بعضهم من اعمالهم الراى في التفسير كابى جعفر الباقر الذي كان له فيه اقوال وآراء ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم . كما رجع بعضهم الى اهل الكتاب كمجاهد ، وكان القول بالراى والاعتماد على اهل الكتاب مدعاة نقد لمن اخذ به ، فتخرج منه الكثير من المفسرين وتوقفوا عنه ، وكان بعضهم لايفسر الا بشئ من الاثر ، كالشمبى .^(٢)

(١) عن تصدى عكرمة للتدريس في جامع القيروان ، (انظر / يوسف حوالة : الحياة العلمية في افريقية ، ص ١٠٧-١٠٨ ، ٤١٤).

(٢) اتفحنت هذه الامور من خلال حديثنا عن مشاهير المفسرين في الصفحات السابقة .

ومما يذكر أن علم التفسير في هذه الفترة ، كان فرعاً من علم الحديث ، وممزوجاً بالفقه والسيرة ، فظهر في مجاميع الحديث وبجانب موضوعات الفقه والسيرة ، حيث كان التفسير لآيات مبعدة متفرقة ، غير مرتبة حسب السور والآيات ، إلا تفسير ابن عباس الذي يشك في نسبته إليه ، فحركة علم التفسير ظهرت منذ فجر الإسلام ، وتدوينه حدث منذ القرن الأول إلا أن ظهور التفسير كعلم مميز ، وشامل لكل القرآن وفق ترتيب سور وآياته ، قد جاء في العصر العباسي ، لذلك قالوا : أن جامع التفسير مالك بن انس (ت ١٧٩هـ) ، بمعنى جامعاً لمدونه ، وأول تفسير للقرآن كاملاً وصل إلينا هو تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) ، بينما وصل إلينا بعض مدونات التفسير الأثرى القديمة ، كتفسير يزيد بن هارون السلمي (ت ١١٧هـ) .^(١)

وفي عصر التابعين ، ازداد التفسير بالاسرائيليات والنصرانيات ، لكثرة من دخل منهم في الإسلام ، وميل النفوس لسماع التفاصيل مما يشير إليه القرآن من أخبار عن اليهود والنصارى ، وأخبار بدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، وبدء الكائنات ، وكثير من القصص ، فأخذ المفسرون دون تحرر أو نقد عن مسلمي أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام ، وكعب الأحماس ، وهب بن منبه ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، ولعل تساهل المسلمين في الأخذ عنهم ، لأنه لا يترتب

(١) من أجل ذلك ، انظر / حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ٥٠٣/١ - السيد أحمد خليل : نشأة التفسير ، ص ٤٣-٤٤ - عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، ص ١٠٤، ٩٢-١١٢ - بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ٧/٤ .

على ما يحكى عنهم استنباط حكم شرعى أو نحوه ، و لاشك ان هذا الامر مأخوذ على التابعين كما هو مأخوذ على من جاء بعدهم .^(١)

كما تاتر التفسير بظهور الفرق والخلاف المذهبى ، فنجد الحسن البصرى يفسر القرآن على اثبات القدر ، بينما يتهم قتادة بن دعامة السدوسى بانه قدرى ، و لاشك ان هذا اثر على تفسيره ، وكان بعض الناس يتخرج من الرواية عنه لذلك ، واخذت بعض الفرق تفسر القرآن وفق معتقاداتهم ، فنجد محمد ابن مسلم الزهرى ، يورد على السبابة فى قولهم بالرجعة اعتمادا على قوله تعالى : { ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد }^(٢) ، فقال لهم : معاده يوم القيامة^(٣) .

وفى هذا العصر احتفظ التفسير بطابع التلقى والرواية لكنه لم يكن تلقيا بالمعنى الشامل كما هو فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ، بل غلب عليه رواية علماء كل عصر عن امام مبرهم ، فالمكيون عن ابن عباس ، والمدنيون عن ابي بن كعب ، والعراقيون عن ابن مسعود ... وهكذا ، كما ظهر الاختلاف بينهم فى التفسير ، وان عد قليلا بالنسبة لمن جاء بعدهم من متأخرى المفسرين .^(٤)

(١) من أجل ذلك ، (انظر : أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٠٥ محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١/١٣٠ - خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٥٨) .

(٢) القصص : ٨٥

(٣) عن ذلك ، (انظر : محمد الذهبي : نفس المرجع والجزء ، ص ١٣١ - خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٥٥) .

(٤) محمد الذهبي : نفس المرجع والجزء ، ص ١٣٠-١٣١ .

(١) الحديث :

(٢) كان عمر بن عبد العزيز قد أمر بجمع السنة وتدوين الحديث وتعليمه ونشره ، وبعث الى الامصار ما ألف من ذلك في عهده (٣) ، فهل كان عهد يزيد استمرارا لتلك الحركة ، وما موقف علماء عهده منها ؟

فى الواقع اننا لم نلاحظ على المستوى الرسمى فى عهد يزيد بن عبد الملك اشرا لامر عمر بن عبد العزيز فى هذا الشأن ، ولعل خلفه يزيد ، لم يابه بذلك ، وان كنا لانملك ما يغيد توقف العمل بما أمر به عمر بن عبد العزيز . فقد يكون الباب الذى فتحه عمر لتدوين الحديث بشكل رسمى ، قد ظل مفتوحا ، ولكن بعيدا عن توجيه الدولة ، واشراقها ، وعولها .

- (١) الحديث : هو ما اهيف الى النبى صلى الله عليه وسلم ، من قول او فعل او تقرير ، او صفة خلقية او خلقية . (انظر : محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٢١-٢٢ - خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٦٠ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٠٩ .)
- (٢) لم تكن السنة مرادفة للحديث فى القرنين الاولين للهجرة ، وانما كانت اعم فى مدلولها عند الفقهاء ، بحيث شملت الاحكام المستنبطة ، مما اهيف الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فى عندهم الطريقة المتبعة فى الدين من غير افتراض ولا وجوب . وهى عند علماء اصول الفقه : ما يملح أن يكون دليلا لحكم شرعى مما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير القرآن . اما عند المحدثين : فتترادف الحديث ، وتطلق أحيانا عند المحدثين وعلماء اصول الفقه ، على ما عمل به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء كان ذلك فى الكتاب ام المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو غير ذلك . (انظر : خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٥٩ - محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ١٦-١٩) .
- (٣) انظر ما أوردها عن امر عمر هذا ، قبل : التمهيد ، ص ٧٠ .

أما أهم آثاره على المستوى العام ، وفي أوساط العلماء وطلاب العلم ، فتخفيف كراهة التدوين ، ومن ثم زوالها ، فلم يكن تدوين عمر للحديث مطلع القرن الثاني نهاية حاسمة لكراهة الكتابة وإباحتها ، كما قال محمد الخطيب ولكنه خفف الكراهة ، خصوصاً أن ذلك الأمر قد جاء من أمير المؤمنين ، العالم ، والذي مما لا شك فيه أنه لم يتخذ قراره ذلك دون استشارة أهل العلم والرأي . وهو الخليفة الذي سار بالخلافة على سيرة الراشدين ، كما أنه قد توافر من الأسباب في تلك الفترة ما جعل تدوين الحديث والسنة ضرورة ملحة ، من ذلك وفاة كثير من حفاظ الحديث والسنة ، وكثرة الولع في الحديث ، واستطالة السند ، وانقطاع الأحاديث ، ووجود المجاهيل في الأسانيد ، وعدم تدوينها في القرن الأول بشكل شامل ومتكامل ، مما دعا عمر بن عبد العزيز إلى أمره بتدوينها ، واستجابة العلماء لأمره ، خصوصاً بعد إدراكهم لتلك الأسباب واطمئنانهم لرسوخ القرآن في القلوب .^(١)

لكن الكراهة مع ذلك استمرت عند بعض العلماء ، فهاهو الفحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ أو ١٠٦هـ) الذي أباح الكتابة سابقاً ، وحث عليها ، والذي أملى مناسك الحج على تلاميذه ،^(٢)

- (١) السنة قبل التدوين ، ص ٣٣٣ .
 (٢) مبحثي الصالح : علوم الحديث ومطلعه ، عرض ودراسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٧١م ص ٤٤-٤٥ .
 (٣) من أجل ذلك انظر / فوزي رفعت : توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته ، رسالة مطبوعة ، مكتبة الخانجي ، بدمر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ٦٣-٧١ - حسن علي الشاذلي : المدخل للفقه الإسلامي ، ص ٢٢٠ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٦٦-٦٧ ، ٧١-٧٥ ، ٧٦ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٠١ .
 (٤) مبحثي الصالح : نفس المرجع ، ص ٤٧-٤٨ .

يقول : "لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف" ،
 وفي رواية : "يأتى على الناس زمان يعلق فيه
 المصحف حتى يعضش عليه العنكبوت لا ينتفع بما فيه ، وتكون
 أعمال الناس بالروايات والاحاديث" كره ذلك عندما رأى اقبال
 الناس على الكتابة ، وجعل الحديث فى دفاتر وكراريس . كما
 كره ذلك الزهرى ، الذى فيما يبدو كان مكرها على كتابة
 الحديث ، اذ يقول : "كنا نكره كتاب العلم ، حتى اكرهنا
 عليه هؤلاء الامراء فراينا الا نمنعه احدا من المسلمين" ،
 ومما يدل على استمرار كراهته لذلك حتى بعد كتابته الحديث
 بامر عمر ، قوله بعد ان امره هشام بن عبد الملك ، ان يكتب
 لبنيه ، اذ خرج واملى على الناس الحديث ، وقال : "استكتبنى
 الملوك ، فاستكتبهم ، فاستحييت الله اذ كتبها الملوك الا
 (١)
 اكتبها لغيرهم" .

كما اشترع القاسم بن محمد (ت ١٠٧هـ) ، الذى امر عمر
 بجمع ما عنده من المرويات عن عائشة رضى الله عنها ، القول
 بكره التدوين . (٢)

كما كان بعض العلماء يومئذ يكتبه بعد موته الى احد
 العلماء خشية وقوعها فى غير مواضعها .

فقد اوصى ابو قلابة (ت ١٠٤هـ) الى ايوب السخيتانى
 (٣)
 (ت ١٣١هـ) فجاء بها فى عدل بعير .

ويبدو ان العلماء أدركوا خطورة بعض الاسباب الملحة

(١) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٣٣-٣٣٤ - خليل
 الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٦-٧٧ .
 (٢) صبحى المالخ : علوم الحديث ، ص ٤٧ .
 (٣) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٣٣٥-٣٥٤ .

والداعية الى التدوين ، ومنها الوضع ، فكان ذلك دافعا لهم للكتابة بعد كراهتها . يقول الزهرى : "لولا احاديث ثاتينا من قبل المشرق لنكرها لانعرفها ماكتبت حديثا ولا اذنت فى كتابه" ^(١) .

كما نجد من بين العلماء فى هذه الفترة من يرد على كراهى الكتابة ، حيث نرى ايوب السخيتانى (ت ١٣١هـ) يقول : "يعيبون علينا الكتاب ثم يخلو {علمها عند ربى فى كتاب}" ونجد لقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) اجابة للسائل عن كتابة الحديث ، قول كقول ايوب السابق ^(٢) .

ولعل امر عمر بن عبد العزيز بتدوين السنة ، والاسباب الداعية لذلك ، وتغير مواقف بعض العلماء وآرائهم نحو الكتابة ، قد ادى الى زوال ذلك الخلاف ، واجمع المسلمون على تسويغ ذلك ، واباحتها ، حيث انهم مانعوا الكتابة الى التيار العام الذى كان اقوى منهم ، فاعتمدت الكتابة كوسيلة هامة لحفظ الحديث والسنة ^(٣) . وقد ادى هذا الى تاليف اعداد كبيرة من الكتب ، وشاع التدوين ، حتى ندر الا نرى لاحد العلماء تمنيفا او جامعا . ومن شارك فى التمنييف فى هذه الفترة ، محمد الزهرى ، الذى حملت كتبه على الدواب ، عندما اخرجت من خزائن الوليد بن يزيد بعد مقتله ^(٤) .
وخالد بن معدان (ت ١٠٤هـ) ، الذى قال بعضهم انه اول

(١) خليل السزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٥-٧٦ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٠١ .
(٢) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .
(٣) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٢٣٥-٢٣٧ .
(٤) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٢٥٥ .

من كتب الحديث ، وان علمه كان في مصحف له ازرار وعمرى ،
والمصحح ان اول من دون الحديث رسميا هو الزهرى (ت ١٢٤هـ)
كما انه لم يكن اول المدونين شخيا فقد سبقه الكثير منذ
(١)

عهد المصطفى عليه السلام .

(٢)

ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ) ، كما الف محمد العامرى
(ت ١٢٠هـ) كتابا سماه الموطا ، جمع فيه الاحاديث لتكون
اساسا للفقه ، وكانوا يغفلونه على موطا مالك ، وعابوا عليه
انه لم يجمع عقد الرجال ، ويحيى بن ابي كثير (ت ١٢٩هـ) .
(٣)

ويدل على انتشار التدوين والجمع ، قراءة التلاميذ على
اساتذتهم ، واملاء الاساتذة عليهم ، يقول الوليد بن ابي
السائب : رايت مكحول (ت ١١٢هـ) ونافعا (ت ١١٧هـ) وعطاء
(ت ١١٤هـ) تقرا عليهم الاحاديث ، ويقول عبيد الله بن ابي
رافع : "رايت من يقرأ على الاعرج عبد الرحمن بن هرمز
(ت ١١٧هـ) ، حديثه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فيقول : "هذا حديثك يا ابا داود ؟ قال : نعم"
كما كان نافع مولى ابن عمر (ت ١١٧هـ) يملأ على طلابه وهم
(٥)
يكتبون بين يديه .

وقد كانت طريقة علماء هذا العصر فى التدوين
- كالزهرى - انهم يضمنون كل مؤلف بباب من ابواب العلم
يجمعون فيه الاحاديث المختاسبة ، مختلطة باقوال المحابة

-
- (١) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٦٢-٣٦٤ - خليل
الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٦-٧٧ .
(٢) خليل الزرو : نفس المرجع والمفحة - محمد الخطيب : نفس
المرجع ، ص ٣٢٧ .
(٣) محمد خفاجى : تاريخ الادب فى العصر الاموى ، ص ١٧ .
(٤) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٢٥٧ .
(٥) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٣٢٧-٣٢٨ .

(١)

وفتاوى الخابعيين .

وسنعرض فى الصفحات التالية لذكر بعض من اشهر
 المحدثين الذين زخرو بهم تلك الفترة ^(٢) ، وفى ثنايا ذلك سنرى
 جهودهم وشئ من سمات هذا العلم آنذاك ، والتى سنحاول
 الخوض اليها وتحديدها بعد ذكر هؤلاء العلماء ، وهم :
 وابو قلابة عبد الله بن زيد ، الامام شيخ الاسلام ، من ^(٣)
 ائمة الهدى ، كثير الحديث ، كان يكتب حديثه ، فترك مجموعة
 كبيرة من الكتب ، يقول مالك : " مات ابن المسيب والقاسم
 ولم يتركوا كتباً ، ومات ابو قلابة ، فبلغنى انه ترك حمل

-
- (١) حسن الشاذلى : المدخل للفقہ الاسلامى ، ص ٢٢٢ .
 (٢) اخترنا مجموعة من مشاهير المحدثين ، والذين قد يكون
 بعضهم علماء مبرزين فى بعض العلوم الاخرى ، وتركنا
 جماعات اكثر منهم ، قد لا يقل بعلمهم عن ذكرنا شهرة
 ودورا فى خدمة هذا العلم وحفظ حديث رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، خشية الاطالة ، ولأن الهدف من ذكرهم
 هو تلمس معالم وسمات هذا العلم والتاريخ له فى ضوء
 ذلك .
 (٣) ابو قلابة عبد الله بن زيد الجرمى البصرى ، كان من
 ائمة الهدى الفقهاء ، تابعى صالح ، وكان يحمل على
 على ولم يرو عنه شيئا ، ذو لب وعلم ، هرب من القضاة
 ونزل داريا ، (ت ١٠٤هـ - على الأرجح) . (انظر عنه :
 الذهبى : سير ، ٤/٤٦٨-٤٧٥ - ابن كثير : البداية ، ط٤
 ٩/٢٤٠ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٥/١٩٧-١٩٩ - أبوزرعة
 تاريخ أبى زرعة ، ١/٦٩٣-٦٩٤) .

بغل كتباً" . وقد أوصى بكتبه لايوب السخثياني ، فحملت اليه قال ايوب : "فلما جاءتني الكتب أخبرت ابن سيرين ، وقلت له أحدث منها ؟ قال نعم ، ثم قال : لا أمرك ولا أنهاك" . لكنه كان لا يكثر من الحديث في المجلس الواحد . يقول خالد الحذاء كان أبو قلابة إذا حدثنا بثلاثة أحاديث ، قال : قد أكثرت ، وكان يدلّس ويرسل ، وهو ثقة .

(١) وطاووس بن كيسان (ت ١٠٦هـ) ، العالم الحافظ ، حديثه في دواوين الاسلام ، وكان يمد الحديث حرفاً حرفاً ، وقال لعبيد بن أبي شابت : "إذا حدثتك الحديث ، فاشبهه لك ، فلتأمنن عنه أحداً" . وهو ثقة صدوقاً ، حجة باتفاق .

(٢) وعمرة بنت عبد الرحمن ، يقول الذهبي : "كانت عالمة ، فقيهة ، حجة ، كثيرة العلم" . من أعلم الناس بحديث عائشة رضي الله عنها ، لذا كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى ابن حزم أن يكتب له أحاديث عمرة ، عندما أمر بتدوين الحديث والسنن . (٣) كما كانت رحمها الله من أوعية العلم وبحر لا ينزك ، وحديثها كثير في دواوين الاسلام ، وهي ثقة .

(٤) والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٧هـ) ، كان من أعلم الناس بالسنة ، يقول أبو الزناد : "مارأيت أحداً أعلم

-
- (١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٣ .
 (٢) انظر عنه : الذهبي : سير ، ٤٩-٣٨/٥ - ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٤٤/٩-٢٥٣ - ابن حجر : تهذيب ، ٩-٨/٥ .
 (٣) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زارة الأنصارية المدنية ، تربت في حجر عائشة رضي الله عنها وتعلمت عندها ، قيل لأبيها محبة وجدها من قدماء المحابة وأخو النقيب أسعد بن زارة . (ت ١٠٦هـ على خلاف) . (انظر عنها /الذهبي : نفس الممدر ، ٥٠٧/٤-٥٠٨ - ابن حجر : نفس الممدر ، ٤٦٦/١٢) .
 (٤) انظر ذلك قبل : التمهيد ، ص ٧٠ .
 (٥) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٤ .

بالسنة منه ولا أحد ذهنا" . فقد كان يحدث بالحديث على حروفه
وكان مع عروة بن الزبير وعمرة أعلم الناس بحديث عائشة ،
لذلك كان عمر بن عبد العزيز قد أمر ابن حزم أن يكتب حديث
القاسم عندما أمر بتدوين الحديث والسنن ، وكان كثير
الحديث ، ثقة .^(١)
^(٢)

وعامر الشعبي (ت ١٠٩هـ) الحافظ المحدث ، كان واحد
زمانه في فنون العلم ، قوى الحفظ لا يكتب ، قيل انه سمع
الحديث من مئة وخمسين صحابيا الى جانب كثير من التابعين ،
رواه عن ذاكرته ولم يدون حرفا ، يقول عامر : "مارايت احدا
اعلم بحديث اهل الكوفة والبصرة والحجاز من الشعبي" . وقال
مكحول : "مارايت احدا اعلم بسنة ماغية منه" . وعن مكحول
ايضا : "مارايت اعلم من الشعبي" ، ويبدو انه ندم على
الاكثار من الرواية ، فقد روى عنه قوله : "كره المالكون
الاولون الاكثار من الحديث ولو استقبلت من امرى ما استدبرت
ما حدثت الا بما اجمع عليه اهل الحديث" . وكان ثقة صادق
الرواية .^(٣)
^(٤)

ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) ، الامام الحافظ كثير العلم
^(٥)

-
- (١) من أجل امر عمر ، انظر قبل : التمهيد ، ص ٧٠ .
(٢) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٦٠/٩ - ٢٦١ - ابن حجر :
تهذيب ، ٣٠١ - ٢٩٩/٨ - سعد الموصي : تاريخ الحياة
العلمية في المدينة النبوية ، ص ١٢٧ .
(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٥ .
(٤) انظر عن ذلك : (الذهبي : سير ، ٣١٩ - ٢٩٤/٤ - ابن كثير
نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٠ - ٢٣٩ - ابن حجر :
نفس المصدر ، ٦٠ - ٥٧/٥ - محمد الخطيب : السنة قبل
التدوين ص ٥٥٣ - ٥٥٢ - ٣٢٢ - محمد الذهبي : التفسير
والمفسرون ، ١٢٤ - ١٢١/١ - فيليب حتى : تاريخ العرب ،
٣١١/١ .
(٥) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٥ .

كان يحدث بالحديث على حروفه ، وقد حفظ منه الكثير ، ثقة ، صادق ، متقنا ضابطا ، مأمونا ، وكان يحدث تلاميذه على التثبت في تحمل الحديث ، ويقول : " ان هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه " .^(١)

الحسن البصري (ت ١١٠هـ) ، كان عالما جامعاً ، ثقة ، حجة ، مأمونا صاحب سنة ، لم يطلب الحديث في مباءه ، ومع جلالتهم كان يدلّس ، وما أرسله ليس بحجة ، وقد كان يروى بالمعنى . قال أبو زرعة الرازي : " كل شيء ، قال الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدت له أملا شابتا ما خلا أربعة أحاديث " .^(٢)

ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ) كان يأتي بالحديث على حروفه قال ابن عسّون : " كان إبراهيم والشعبي والحسن ، يأتون بالحديث على المعاني ، وكان القاسم وابن سيرين ورجاء يعيدون الحديث على حروفه " . أمّا ، عالما ، كثير الحديث اثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوا روايته .^(٣)

وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ) ، كان مفتي أهل مكة ومحدثهم ، عالم كثير الحديث ، كان يدلّس ، ومرسلاته ضعيفة ،

(١) انظر عنه : ابن كثير : البداية ط ٤ ، ٢٧٩/٩ - ابن حجر : تهذيب ، ١٩٠/٩ - ١٩٢ - محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٥٢٦ .

(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الثاني ، المبحث الأول ، ص ١٥٧ .

(٣) الذهبي : سير ، ٥٦٣/٤ - ٥٨٨ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٣٦-٢٣١/٢ .

(٤) انظر ترجمته قبل : الفصل الخامس ، المبحث الأول ، ص ٤٦٤ .

(٥) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٥٧-٥٦١ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٣١٥ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٢٩/٣-٢٣٠ .

(٦) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٨ .

(١)
وهوثقة .

ونافع مولى ابن عمر (ت ١١٧هـ) ، عالم المدينة ، كثير الحديث ، قال عنه البخارى : "اصح الاسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر" . ولمكانته وعلمه بعثه عمر بن عبد العزيز الى مصر ليعلمهم السنن . وقد دون نافع صحيفة سمعها من عبد الله بن عمر ، كان يعطيها لتلاميذه ليقرأوها ، اماما ، حافظا ، ثقة ، شجحا ، صحيح الرواية ، متفق عليه .^(٢)
قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ) ، الامام العالم الحافظ قدوة المفسرين والمحدثين ، كان يؤدى الحديث كما سمعه ، وكان يحفظ صحيفة جابر بن عبد الله ، ثقة ، مامونا حجة فى الحديث بالاجماع اذا بين السماع ، شجحا ، متقنا ، وكان مدلسا على قدر فيه ، وضعف المدينى احاديثه عن سعيد ابن المسيب .^(٣)

(٥)
سعيد بن ابي سعيد المقبرى ، الامام المحدث ، كان من اومية الحديث ، وحديثه مخرج فى الصحاح ، كثير الحديث ،

-
- (١) الذهبى : سير ، ٧٨/٥ - ٨٨ - ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣١٧/٩ - ٣١٨ - ابن حجر : تهذيب ، ١٧٩/٧ - ١٨٣ .
(٢) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١١٣-١١٤ .
(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٩ .
(٤) الذهبى : نفس المصدر ، ٢٦٩/٥ - ٢٨٣ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٣٢٦ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٣١٥/٨ - ٣١٩ .
(٥) سعيد بن ابي سعيد ، واسم ابيه كيسان المقبرى ، ابو سعد مولى بنى الليث المدنى ، ثقة جليل ، قدم الشام مرابطا ، وحدث ببغروت ، وكان قد تغير وكبر واختلط قبل موته باربع سنين ، (ت ١٢٠هـ على خلاف) . (ابن سعد : الطبقات الكبرى ، القسم المتتم ، دراسة وتاريخ زياد محمد منصور ، المملكة العربية السعودية ، الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٤٥-١٤٧ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٤/٤ - ٣٥) .

وهو ثقة صدوق ، وقال أحمد : ليس به بأس ، لكنه اختلط قبل موته بأربع سنوات ، يحسبه الذهبي لم يرو شيئا في مدة اختلاطه ، وليس له مزاكير ، وقد روى عنه الأئمة والشقات ^(١) .
 وأبو بكر بن محمد بن حزم ^(٢) (ت ١٢٠هـ) ، أحد الأئمة الاثبات ، كان كثير الحديث ، ثقة ، قال مالك : "كان ولاء عمر بن عبد العزيز وكتب اليه ان يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد ... وزاد غيره فسالت ابنه عبد الله بن أبي بكر عن تلك الكتب فقال جاءت" ^(٣) . وهذا يعني ان ابن حزم استحباب لأمر الخليفة ، ودون حديث عمرة والقاسم في كتب ، لكن تلك الكتب جاءت ، وفيها دلائل أيضا على ان الخليفة يزيد بن عبد الملك الذي تولى امر المسلمين بعد عمر بن عبد العزيز ، لم يتابع الاهتمام بعمل عمر على تدوين السنة ، فلم يطلبها من ابن حزم الذي بقيت عنده الكتب ، فكان معيها الفياض كما أخبر ابنه عبد الله .

ومن أشهر المحدثين في تلك الفترة ، محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤هـ) الإمام العالم ، حافظ زمانه ، عالم الحجاز والشام ، والشافعي الثقة ، روى عن عدد من الصحابة وخلق من التابعين ، وروى عنه كثيرون ، تعلم نسب قومه وشيئا من الشعر ، ثم تحول لدراسة القرآن والحديث والفقه ،

-
- (١) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٤ .
 (٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٤٩ .
 (٣) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتتمم ، ص ٢٤-٢٧ - الذهبي : سير ، ٣١٤-٣١٣/٥ - ابن حجر : تهذيب ، ٤٢-٤٠/١٢ .
 (٤) انظر ترجمته قبل : الفصل الاول ، ص ١٠٣ .

(١)
فدرس على الفقهاء السبعة ، وحرص على العلم وجد في طلبه ،
فكان يدور على العلماء ، ومعه الأوراق ، يكتب فيها كل
ما يسمع ، ثم يحفظ ذلك ، وربما مزق الرقاع التي كتب فيها
بعدما حفظها ، وكان يجمع الحديث وأقوال الصحابة والتابعين
حتى فاق أقرانه ، ومارى أعلم الناس في زمانه ، واحتاج أهل
عمره إليه ، وقد كان قوى الذاكرة شديد الحفظ ، لا ينسى
ما استودع قلبه . وقد بلغ بذلك منزلة عظيمة ، وأضحى من
أوعية العلم الجامعين ، كثير الحديث والعلم والرواية ،
عالم بالسنة والقرآن والائساب . قال ابن منجويه : ومارى
أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار ، حتى قيل ليس
هناك أكثر جمعا للحديث والعلم منه . وقال عمر بن عبد
العزیز : "لم يبق أحدا أعلم بسنة ماضية منه" . وقال أيضا
"مارأيت أحدا أحسن سؤالا للحديث إذا حدث من الزهري" ، وعن
عمرو بن دينار : "مارأيت أحدا أنص للحديث من الزهري" ،
وقال الليث بن سعد : مارأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب
ولا أجمع علما منه ، لو سمعت ابن شهاب يحدث في الترمذي لقلت
لا يحسن إلا هذا ،...، فإن حدث في القرآن والسنة كان حديثه .
وقال الإمام مالك : ما أدركت بالمدينة فقيها محدثا غير واحد
فستل من هو ؟ قال : ابن شهاب الزهري . وقيل : أنه لا يعرف
له غلط في حديث ولا نسيان مع أنه لم يكن في زمانه أكثر

(١) الفقهاء السبعة هم : سعيد بن المسيب ، وسليمان بن
يسار ، وسالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وعروة
ابن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن متبة بن
مسعود ، وخارجة بن زيد . (انظر : الذهبى : سير ،
٤/٤٦١) .

حديثاً منه ، وكان أحد الثقات الذين دار عليهم العلم في عهده ، وقال الشافعي : لولا الزهري لذهبت السنن من المدينة وقد جاوزت شجرة ابن شعاب المدينة فوملت الشام والعراق ، وله الامامة والمكانة والمنزلة بالمدينة حتى انه عندما يدخل المدينة لا يحدث أحد من العلماء حتى يخرج . وقال الزهري عن نفسه : ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ، ولا بدله بذلى .

وقد تسنم مكانة عالية في الحديث والسنن . فقد بلغت احاديثه الفين ومئتي حديث ، النصف منها مسند ، وقد جمع حديث الزهري باثقان واستيعاب في مجلدين ، وتعتبر اسانيد الزهري عن سالم عن أبيه من أجود الاسانيد ، وكان يقدم في الرواية أبناء المهاجرين والانصار على الموالي .

ومع هذه المنزلة العالية والمكانة العلمية الرفيعة ، فان الامام الزهري قد اتهم من بعض المؤرخين كاليقوبى وكتاب الشيعة ، والمستشرقين ، بوضع الحديث لمالك الامويين مستشهدين بالعملة القوية بينه وبين الخلفاء الامويين . وقد رد على هذه الاتهامات بعض العلماء ، ولا ادل على نزاهة وعدالة الزهري وعدم تاثير تلك العلاقة على صدق حديثه ، وسلامة مواقفه ، ذلك الحوار الذى دار بينه وبين هشام بن عبد الملك عندما سأل الخليفة هشام عن الذى تولى كبره فى قوله تعالى : { ان الذين جاءوا بالافك عمية منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ^(١) والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم } . فقال الزهري :

هو عبد الله بن أبي ، قال هشام : كذبت هو على ، فقال :
 أنا أكذب لأبائك فوالله لو نادى مناد من السماء ، أن الله
 أحل الكذب ما كذبت . أبعد هذا الرد يتهم بالمداينة والوضع .
 أما ما قيل من وضعه حديث : لاتخذ الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد
 لعبد الملك بن مروان ، حتى يصرف الناس عن البيت الحرام
 إلى القدس ، أبان حركة عبد الله بن الزبير ، فإن ذلك قول
 ساذج لا أساس له من الصحة ، إذ أن الزهري كان في تلك الفترة
 صغيراً ، وأنه لم يعمل دمشق إلا سنة ٨٢هـ بعد القضاء على ابن
 الزبير ، كما أنه أبان فتنة عبد الله بن الزبير قد حج وفد
 من بنى أمية ، إضافة إلى أن الحديث المذكور روى من طرق
 كثيرة ولم ينفرد به الزهري حتى يتهم به .

وقد أورد الذهبي رأى من أخذ على الزهري ملحه
 بالأمويين ، ورد على ذلك ، إذ يقول : أن بعض من لا يعتد به لم
 يأخذ عن الزهري ، لكونه مداخل للخلفاء ، وقال : بأنه ان
 فعل ذلك فهو مثبت الحجة ، وأين مثل الزهري رحمه الله ^(١) .

ولعل تلك المكانة العلمية التي بلغها الزهري ، هي
 التي دعمت الخليفة عمر بن عبد العزيز من الاعتماد عليه مع
 جلة من العلماء كابن حزم في جمع الحديث والسفن ، ووضع أول
 تدوين رسمي لذلك ^(٢) .

كما يروى أن هشام بن عبد الملك ، حث الزهري على
 تدوين الحديث ، بل قيل أكرمه عليه ، وقد أملى على بعض ولد
 هشام أربعمائة حديث ، فأراد هشام أن يختبر حفظه ، فقال

(١) عما أوردناه عن الإمام الزهري ، (انظر : سعد موسى :
 تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١١٥-١٢١) .

(٢) انظر ذلك قبل : التمهيد ، ص ٧٠ .

انها لماعت ، فاملأها عليهم مرة أخرى ، فما غادر حرفا واحدا وعلى كل ، فقد حملت كتب الزهرى على الدواب من خزائن الوليد بن يزيد بعد مقتله ، كما قال أحمد بن حنبل : رايت كتب شعيب بن أبى حمزة - وكان كاتباً لهشام بن عبد الملك - فرايت كتباً مبطوطة مقيدة ، وقد كتب شعيب للخليفة هشام كثيراً باملأ الزهرى عليه ^(١) .

وقد حظى الحديث باهتمام الزهرى فى جانب هام من جوانب هذا العلم ، وهو نقد الحديث . فقد اهتم بالاسناد ، وقد تجوز بعضهم فقال : انه اول من اسند الحديث ، وهذا القول لايسلم ، ويخرج بانه اول من تمسك به تمسكا تاما وتشدد فى طلبه كثيرا فى معده ، أو انه اول من اسند بالشام ، حيث روى عنه انه قال : يا اهل الشام مالى ارى احاديثكم ليس لها ازمة ولاخطم . ومع اهتمامه بالاسناد ، اهتم بالمتن ، فقال : اعيى الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} ومنسوخه . وقد بين العلائى مكانة الزهرى فى نقد الحديث ، فقال : هو اول من رسخ الكلام فى الجرح والتعديل واحمال الاسانيد وانقطاعها ، ونقب عن دقائق علم العلل ، وائمة هذا الشأن بعده تبع له فى هذا العلم . وعد الزهرى واهل اساس ^(٢) علم مصطلح الحديث .

-
- (١) من اجل ذلك انظر : خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٦-٧٧ - محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٣٤-٣٣٥ - حسن على الشاذلى : المدخل للفقه الاسلامى ، ص ٢٩٢ - محمد الخضرى : تاريخ التشريع الاسلامى ، ص ١١٥
- (٢) النقد عند المحدثين : هو تمييز الاحاديث الصحيحة من الضعيفة والحكم على الرواة ثوثيقا وتجرىحا . (سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٢٩) .
- (٣) عن اهتمام الزهرى بنقد الحديث ، انظر / سعد موسى : نفس المرجع ، ص ١٣٢-١٣٤ .

فكان الزهرى بكل ما تقدم ذكره ، من علم و اثر ، صاحب الدور الاكبر فى خدمة الحديث والسنة فى تلك الفترة التى ندرسها ، رحمه الله .

ومن اشهر المحدثين ايضا ، ابو اسحق السبيعي (ت ١٢٧هـ او ١٢٨هـ) العالم الحافظ ، شيخ الكوفة ومحدثها ، روى الحديث عن جمع من المحابة والتابعين ، وعنه خلق كثير ، تابعى ، ثقة ، وكان يدلس ، قال ابو داود الطيالسى : وجدنا الحديث منذ اربعة : الزهرى وقتادة وابو اسحق والاعمش ، وكان ابو اسحق اعلمهم بحديث على وابن مسعود . وقد كان شيوخه ثلاثمائة وقيل اربعمائة ، وكان يشبه الزهرى فى كثرة الرواية واتساعه فى الرجال ، وقيل : انه احسن حديثا من مجاهد والحسن وابن سيرين . (١)

ومحمد بن المنكدر (ت ١٣٠هـ) ، الامام الحافظ ، شيخ الاسلام ، اجمع النقاد على توثيقه والاحتجاج به لجلالته وحفظه واتقانه ، وكان صدوقا ، صحيح الحديث ، وقد بلغت احاديثه نحو مئتين حديث ، قال ابن سعد وابن حجر : قليل الحديث . (٢)

وايوب السختياني (ت ١٣١هـ) ، الامام الحافظ ، سيد شباب البصرة ، له نحو ثمانمائة حديث ، وقيل : الفى حديث ، وكان حافظا متقنا ، ثقة ، ثبتا فى الحديث ، حجة ، عدلا ، جامعا كثير العلم ، صاحب سنة ، لا يميل عن مثله . (٣)

-
- (١) انظر ترجمته قبل : ص ٢٩٢ .
 (٢) الذهبي : سير ، ٤٠١-٢٩٢/٥ - ابن حجر : تهذيب ، ٥٩-٥٦/٨ .
 (٣) انظر ترجمته قبل : ص ٦٣٣ .
 (٤) ابن حجر : نفس المصدر ، ٤١٧/٩-٤١٩ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٢٢ .
 (٥) انظر ترجمته قبل : ص ٦٣٣ .
 (٦) الذهبي : نفس المصدر ، ٢٦-١٥/٦ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٤٩-٣٤٨/١ .

وهناك من علماء الحديث ، من لا يقل بعضهم عن ذكرنا
علماء وأشراف وشهرة ، وتاماً للفائدة نعرض لتعداد بعضهم ،
فى شيء من الإيجاز ، تاركين الكثير منهم خشية الإطالة
والإسهاب ، ومنهم : موسى بن طلحة بن عبيد الله القرشى (ت
١٠٣هـ) ، تابعى ثقة كثير الحديث ، كان يسمى فى زمانه
المعدى ، من أجله المسلمين . ومصعب بن سعد بن أبى وقاص
(١) (ت ١٠٣هـ) ، تابعى ، ثقة ، كثير الحديث . وعطاء بن يسار
(٢) (ت ١٠٣هـ) ، تابعى ثقة كثير الحديث . وخالد بن
الغلابى (ت ١٠٣هـ) ، تابعى ثقة كثير الحديث . وخالد بن
معدان الكلامى (ت ١١٣هـ) ، تابعى جليل ، من الأئمة العلماء
المعدودين المشهورين ، عن بحير بن سعيد : ما رأيت أحدا
الزم للعلم منه ، كان علما فى مصنف له أزرار وعرى . وكان
ثقة . (٤) وقد قيل أنه أول من كتب الحديث وغيره من التابعين
فى القرن الأول ، وجعل ماكتبه مصنفاً مجموعاً فى مصنف .
والمصحيح أنه أول من دون الحديث رسمياً هو ابن شهاب الزهري
أما التقييد الشخصى فقد سبقهما إليه الكثير منذ عصر
الرسالة . (٥) ويزيد بن الأصم (ت ١٠٣هـ) ، وكان ثقة كثير الحديث
وأبو بردة بن أبى موسى الأشعرى (ت ١٠٤هـ) التابعى ، العالم
الحافظ ، كان كثير الحديث ، ثقة صدوقاً . ويحيى بن
(٦) (٧)

-
- (١) ابن حجر : تهذيب ، ٣١٢/١٠ ، ٣١٣ .
(٢) ابن حجر : نفس المصدر والجزء ، ص ١٤٥ .
(٣) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٣٢/٩ - ابن حجر : نفس
المصدر ، ١٩٥-١٩٤/٧ .
(٤) ابن سعد : الطبقات ، ط ١ ، ٤٥٥/٧ - ابن كثير : نفس
المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٣٩ - الذهبي : سير ،
٥٣٦/٤ - ابن حجر : نفس المصدر ، ١٠٣-١٠٢/٣ .
(٥) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٦٢-٣٦٣ .
(٦) ابن سعد : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٧٩ - ابن حجر :
نفس المصدر ، ٢٧٤-٢٧٣/١١ .
(٧) ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٠ - ابن
حجر : نفس المصدر ، ٢٢-٢١/١٢ .

عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة (ت ١٠٤هـ) ، تابعي جليل رفيع القدر عند الناس ، ثقة كثير الحديث ، كان من محدثي أهل المدينة مع سليمان بن يسار وغيره . وعامر بن سعد بن أبي وقاص (ت ١٠٤هـ) تابعي ، جليل ، ثقة مشهور ، كثير الحديث . وسعد بن عبيدة السلمى (ت ١٠٤هـ) ، ثقة كثير الحديث (توفي في ولاية ابن هبيرة على العراق ، ١٠٣ - ١٠٥هـ) . وأبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ) ، من كبار التابعين الثقات ، قال عمرو بن شعيب : ما رأيت أعلم بحديث ولا فقه من أبان بن عثمان ، وهو ثقة ، له أحاديث قليلة عن أبيه وغيره . وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٦هـ) ، وكان ثقة كثير الحديث ، عاليا في الرجال ، وقيل أمح الأسانيد : الزهري عن سالم عن أبيه . وسليمان بن يسار الحلبي (ت ١٠٧هـ) ، أحد الأئمة الثقات العلماء ، مأمونا ، كثير الحديث . وبكر بن عبد الله المزني (ت ١٠٨هـ) تابعي ، ثقة ، مأمونا ، ثبتا ، حجة ، وله نحو خمسين حديثا ، وعمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ١٠٨هـ) ، الإمام المحدث ، فقيه أهل الطائف ومحدثهم ، ثقة

-
- (١) ابن حجر : تهذيب ، ٢١٨/١١ .
 (٢) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٣٩/٩ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٥٦/٥ .
 (٣) ابن سعد : الطبقات ، ٢٩٨/٦ .
 (٤) الذهبي : سير ، ٣٥١/٤ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٣ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٨٥-٤/١ .
 (٥) ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٤ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٧٩-٣٧٨/٣ .
 (٦) ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٥٤ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٠٠-١٩٩/٤ .
 (٧) ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٢٥-٤٢٤/١ .

(١) وله مناكير ، ولم يحتج به بعضهم . وحفصة بنت سيرين أم
 الهذيل (ت ١١٠هـ) ، تابعية ، ثقة ، حجة ، ذات فضل ، ولها
 روايات كثيرة . وأبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين
 (ت ١١٤هـ) ، تابعي من الأعلام ، كان ثقة ، كثير الحديث .
 (٢) وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧هـ) ، تابعي ، ثقة ،
 كثير الحديث ، من أصحاب أبي هريرة رضي الله عنه . وقد كان
 أحد من برز في القرآن والسنة . وعبد الله بن عبيد الله
 ابن أبي مليكة التيمي (ت ١١٧هـ) ، تابعي ، عالم ، ثقة ،
 متقن كثير الحديث . ومحمد بن كعب القرظي (ت ١١٧هـ) ،
 تابعي ، عالم ، ثقة ، وكان كثير الحديث . وعبد الرحمن بن
 سابط الجمعي (ت ١١٨هـ) ، تابعي ، من أصحاب ابن عباس ، كان
 كثير الحديث ثقة . وجامع بن شاذان الحاربي (ت ١١٨هـ) ، له
 نحو عشرين حديثا ، وهو ثقة متقن ، شيخ عال من قدماء شيوخ
 الشورى . وعاصم بن عمر بن قتادة الأثماري (ت ١٢٠هـ) ،
 عالم راوية للعلم ، ثقة كثير الحديث . ويزيد بن أبي حبيب
 (٣)

-
- (١) الذهبي : سير ، ١٦٥/٥ - ١٨٠ - ابن حجر : تهذيب ، ٤٨-٤٣/٨ .
 (٢) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣١٣/٩ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٣٨/١٢ .
 (٣) الذهبي : نفس المصدر ، ٤٠٩-٤٠١/٤ - ابن كثير : نفس المصدر ، ٣٢١/٩ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٣١٣-٣١١/٩ .
 (٤) ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٦١-٢٦٠/٦ - سعد الموصلي : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٦ .
 (٥) الذهبي : نفس المصدر ، ٩٠-٨٨/٥ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٦٩-٢٦٨/٥ .
 (٦) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتعمم ، ص ١٣٤-١٣٧ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٦٨-٢٧٠ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٧٤-٣٧٣/٩ .
 (٧) ابن حجر : نفس المصدر ، ١٦٤-١٦٣/٦ .
 (٨) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٠٥-٢٠٦ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٩/٢ .
 (٩) ابن سعد : نفس المصدر والقسم ، ص ١٢٧-١٢٩ .

المصري ، (ت ١٢٨هـ) ، الامام الحجة ، كان كثير الحديث ،
 ثقة ^(١) ، وكان اول من وجه المصريين الى العناية بالحديث ،
 كما عمل على نشره هناك ، فقد كان من تلاميذه الليث بن سعد
 وابن لهيعة ، محدثي مصر في عصرهما . وحماة بن ابي سليمان
 الكوفي (ت ١٢٠هـ) ، الامام العلامة ، كان يكتب الحديث ،
 ولا بأس به . ومحمد بن يحيى بن حبان اللماري (ت ١٢١هـ) ،
 الامام الحجة ، مجمع على ثقته ، كثير الحديث . وعمرو بن
 دينار الجمحي مولاهم ، المكي (ت ١٢٥هـ) ، الامام العلم
 الحافظ ، وشيخ الحرم في زمانه ، كان من اوعية العلم
 والحفاظ المقدمين ، ثقة ثبتا صدوقا متقنا ، قال ابن عيينة
 عمرو ثقة ثقة ثقة ، وكان كثير الحديث ، قال ابن المديني :
 لعمر بن نوح اربع مئة حديث ، ولعل ذلك المسند من حديثه ،
 فقد ورد ان ابن عيينة سمع منه تسع مئة وخمسين حديثا . وقد
 كان يحدث بالمعنى ، ويمنع الكتابة عنه ، وقيل كان ينص
 الحديث ، فقد مرض عمرو فعاده الزهري فلما قام الزهري قال
 ما رايت شيئا انى للحديث الجيد من هذا الشيخ . وسعد بن
 ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (ت ١٢٥هـ) ، الامام الحجة

-
- (١) الذهبي : سير ، ٣١/٦ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٧٨/١١ - ٢٧٩ .
 (٢) علي حسن عبد القادر : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ، دار الكتب الحديثية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥م ، ص ١٥٠ - محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ١٧٠-١٧١ .
 (٣) الذهبي : نفس المصدر ، ٢٣١/٥ - ابن حجر : نفس المصدر ، ١٤/٣ - ١٥ .
 (٤) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتتم ، ص ١٣١-١٣٢ - الذهبي : نفس المصدر ، ١٨٦/٥ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٤٨/٩ - ٤٤٩ .
 (٥) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٠٧-٣٠٠ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٦/٨ - ٢٧ .

(١) العدل ، كان ثقة كثير الحديث . وثابت بن أسلم البنانى المصرى (ت ١٢٧هـ) الامام القدوة شيخ الاسلام ، كان من ائمة العلم والعمل ، كان محدثا ، له نحو مئتين وخمسين حديثا ، وهو ثقة ، ثبت ، مامونا ، ذو احاديث مستقيمة اذا روى عنه ثقة ، وما وقع فى حديثه من النكرة انما هو من الراوى عنه ، يعد من اثبت اصحاب انس بن مالك ، وكان قد صحبه اربعين سنة (٢) واسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة السدى (ت ١٢٧هـ) ، ثقة ، كان يكتب حديثه ، قال البعض فيه لين ، وقيل : لابس به (٣) . وعبد الله بن دينار (ت ١٢٧هـ) ، وكان ثقة كثير الحديث . وبكير بن عبد الله بن الاشج (ت ١٢٧هـ) ، احد الاعلام ، ثقة ثبت ، مامون ، كثير الحديث ، لا يفوقه احد فى الحديث ، قال ابو الحسن بن البراء : "لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين اعلم من ابن شهاب ، وبكير بن الاشج ، ويحيى ابن سعيد" (٥) .

وابو حمزة عثمان بن عامر بن حمزة الاسدى الكوفى (ت ١٢٨هـ) ، الامام الحافظ ، قليل الحديث ، لكنه ثقة ، ثبت فى الحديث ، صحيحه ، شيخا عالما ، صاحب سنة ، لا يختلف على حديثه (٦) . وابو الزناد عبد الله بن ذكوان (ت ١٣٠هـ) ، الامام

-
- (١) الذهبى : سير ، ٤١٨/٥ - ٤٢١ .
 (٢) الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٢٠-٢٢٥ - ابن حجر : تهذيب ، ٤-٣/٢ .
 (٣) الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٦٤-٢٦٥ .
 (٤) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتتم ، ص ٣٠٥ - الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٣-٢٥٥ .
 (٥) ابن سعد : نفس المصدر والقسم ، ص ٣٠٨ - الذهبى : نفس المصدر ، ١٧٤-١٧٠/٦ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٣٢-٤٣١/١ .
 (٦) الذهبى : نفس المصدر ، ٤١٧-٤١٢/٥ .

الحافظ العالم ، كان كثير الحديث ، ثقة حجة ، صالح الحديث (١) وماحب سنة . كان سفيان يسميه : " أمير المؤمنين في الحديث" ويزيد بن رومان الأسدي (ت ١٣٠هـ) ، وكان عالما كثير الحديث ثقة ، له باع في القرآن ، والفقه ، والحديث . وهمام بن منبه المنعاني (ت ١٣٢هـ) ، الذي قال الذهبي عنه : " المحدث المتقن ، صاحب تلك الصحيفة التي كتبها عن أبي هريرة ، وهي نحو من مئة وأربعين حديثا " . وقد حدث بها عنه : معمر بن راشد . وهمام ثقة . (٢) (٣) (٤)

هؤلاء جلة من أئمة الحديث وعلمائه ممن عاصروا الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وقدر لبعضهم أن يعيشوا حتى أواخر الدولة الأموية ، وهم غيغى من فيض ، وعلى أن يكون فيمن ذكرنا منهم ، وما أوردناه عنهم ، ما يعطى صورة جلية لاهتمام علماء المسلمين بعلم الحديث ، وما كان عليه هذا العلم آنذاك ، ولعلنا في سطور نوجز بعض سماته في تلك الحقبة من الزمن .

فقد تبين لنا أن الحديث والسنن قد دونت مطلع القرن الثانى بامر الخليفة عمر بن عبد العزيز في دقائر ، وقد

-
- (١) ابن سعد : الطبقات ، القسم المختص ، ص ٣١٨-٣٢٠ - الذهبي : سير ، ٤٤٥/٥-٤٥١ .
 (٢) ابن حجر : تهذيب ، ٢٨٤/١١ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٦ .
 (٣) نشر هذه الصحيفة الدكتور محمد حميد الله العنبدى الحيدر ابادى عام ١٩٥٣م ، فى مجلة المجمع العلمى بدمشق ، المجلد الثامن والعشرون ، ص ٩٦-١١٦ ، ٢٧٠-٢٨١ ، ٤٤٣-٦٦٦ . وقد أعاد نشرها ، وحققها وخرج أحاديثها وشرحها ، الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب ، فى كتاب مطبوع بعنوان : صحيفة همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه .
 (٤) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣١١-٣١٣ .

اعتمد في ذلك على صفوة من العلماء كالزهرى وابن حزم ،
وبعثت تلك الدفائر الى الاقطار المختلفة في الدولة الاسلامية
كما رافق ذلك دعوة عامة من الخليفة عمر لتدوين الحديث
وجمعه ، وقد أدى ذلك الى الاهتمام بجمع الحديث والسنن
وتدوينها ، فقد كان ذلك الامر حافزا مع توفر الاسباب
الدائمة للكتابة آنذاك ، الى اباحة الكتابة عند بعض
العلماء الذين كانوا يكرهون ذلك ، وان استمرت تلك الكراهة
عند القلة آخذة في الانحمار تدريجيا .^(١)

كما اتضح ان الخليفة يزيد بن عبد الملك لم يتابع
مشروع عمر ، ولم يهتم باهتمام مابدها ، فلم نعثر على اى نص
يشير الى شئ في هذا الصدد ، بل ان ابن حزم الذى كلفه عمر
بتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ،
وجمع ما عند عمرة والقاسم ، والذى عاجلت المنية الخليفة
عمر قبل ان يرى ماكتب ، قد ورد الخبر بضياع كتبه تلك .^(٢)
ولعل في ذلك قرينة على ان الكتب بعد وفاة عمر ظلت عنده ،
مما يعنى عدم اهتمام يزيد بذلك ، ومتابعتها او طلبه . وان
كنا لانقطع بعدم وجود اى اهتمام له بهذا العلم ، خصوصا اذا
كنا نعرف ان الزهرى الذى دون الحديث لعمر ، كان على صلة
طيبة بالخليفة يزيد ، اذ كان الزهرى ممن تلقى يزيد العلم
على يديه ، وحاز على ثقته ، فولاه القضاء بدمشق خلال خلافته ،^(٣)
فلعله دون شيئا آخر ، واشرى خزائن الخليفة بجديد ، اذ

(١) انظر : ص ٦٥١-٦٥٢ .

(٢) انظر خبر ضياعها ، قبل : ص ٦٦٠ .

(٣) عن تعلم يزيد على الزهرى (انظر : الفصل الاول ، ص ١٠٢-١٠٣) . وعن استقفاه ، (انظر : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٤٧-٤٤٨) .

تابع الامويون اهتمامهم بتدوين الحديث ، حتى سمعنا بان هشام خليفة يزيد قد اكره الزهري على الكتابة ، وانهم حملوا كتبه من خزائن الوليد بعد مقتله على الدواب ، مما يدل على كثرة مادون لبنى أمية ، فلعل شيئا منها كان قد دون أيام يزيد .

اما علم الحديث ، فقد تبين انه قد حظى باهتمام أكثر العلماء ، فقل أن تجد عالما ليس له يد في علم الحديث ، كما اتضح اتماله بالعلوم الاخرى وبالاخص الفقه ، اذ لازالت العلوم الاسلامية في تلك الفترة متمازجة لم تتميز ، كما كان علماؤها موسوعيين ، تجد الكثير منهم يحظى بوافر النصيب في كثير من العلوم .

وظهر جليا الاهتمام بالاسناد منذ الفتنة ، الا ان الشاميين ظلوا يروون الحديث بلا اسناد ، وكان معظمه مراسيل ومقاطيع ، وهذا ما حدا بابن تيمية أن يغفل عليهم حديث اهل المدينة وغيرها ، حتى جاءهم الزهري ونبه على ذلك ، اذ قال يا اهل الشام مالي ارى احاديثكم ليس لها ازمة ولا عظم ، قال الوليد بن مسلم فتمسك اصحابنا بالاسانيد من يومئذ ، مع ان الزهري كان يورد بعض الاحاديث مرسله .

وقد اعتبر اسناده ، من اصح الاسانيد ، كما اعتبره السيوطي من سلسلة الذهب . ومع ذلك فقد ظل بعض علماء تلك الفترة يرسلون ، كمكحول الشامي وغيره ، من علماء الامصار

(١) انظر قبل : ص ٦٥٣ .

(٢) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢١ .

(٣) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٦٤-٦٦ .

(٤) خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٦٦ .

الأخرى ، إذ لم يكن الإرسال مقصوراً على أهل الشام بشكل خاص كالحنن البصري ، وأبو قلابة ، وقتادة بن دعامة ، وغيرهم .
كما حرص أئمة الحديث على البعد عن الرواية عن الوضاعين والكذابين وكل من به عيب قاذح ، وقد أدى ذلك إلى الحرص على اتصال السند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتمييز بين من يدلّس أو يرسل من العلماء ولو كان من كبارهم كالزهري . فنشأ على هذا الأساس من ناحية النقد المفاضلة بين العلماء ، بل وتعدى النقد الفردي إلى نقد البلد بكامله ، كنقد الزهري لعلماء أهل مكة ، وهذا النقد هو الذي تطور إلى التجريح والتعديل ، وبه تم التمييز بين الرواة وعرف المدلس والوضاع .^(٢)

ومن علماء النقد في هذه الفترة ، أبو صالح ذكوان^(١) والزهري (١٢٤٥هـ) السمان (ت ١٠١هـ) ، وعبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧هـ) ، وسعد ابن إبراهيم الزهري (ت ١٢٧هـ) ، وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان (ت ١٣٠هـ) .^(٣)

ومما تفخر به تلك الفترة أن خمسة من محدثيها كانوا من الرجال الستة الذين يدور عليهم الأسناد ، إذ قال على بن المديني : نظرت فإذا الأسناد يدور على ستة ، فلاهل المدينة ابن شهاب ، ولاهل مكة عمرو بن دينار ، ولاهل البصرة قتادة ابن دعامة السدوسي ، ويحيى بن أبي كثير ، ولاهل الكوفة أبو

(١) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١١١ .

(٢) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٦٧-٦٨ .

(٣) سعد موسى : نفس المرجع ، ص ١٣٦ .

اسحق عمرو بن عبد الله السبيعي ، وسليمان بن مهران الاعمش
(١) (ت ١٤٨هـ) ، ثم صار علم هؤلاء الستة الى اصحاب الامناف .

فلم يخرج منهم كما نرى سوى الاعمش .

وكان لرواية الحديث في عصر التابعين وتابعيهم طرقها
من ناحية الاخذ وكيفية ، فكان لذلك الفاظ كحدثنا وانبأنا
واخبرنا او عن فلان ، تبعا لطريقة الخلق ، وكان بعض
العلماء كالزهري يجيز اطلاق لفظ حدثنا واخبرنا في الرواية
بالمناولة . (٢) ومن هنا نشأ التدليس ، وقد ميزه العلماء ،
وعرف المدلس من غيره حتى لو كان من كبار العلماء كعطاء بن
ابي رباح ، وابو اسحق السبيعي وغيرهما .

اما رواية الحديث من ناحية متنه ، فقد كان البعض
يتشدد في ايراد الحديث بحروفه ، وبعضهم كان يرويه بالمعنى
(٣)
فممن يرويه بحروفه - على سبيل المثال - طاووس والقاسم بن
محمد بن ابي بكر ، ورجاء بن حيوة وغيرهم . وكان هناك من
يرويه بالمعنى كالحسن البصري وغيره .

كما امتاز ذلك العهد بالرحلة في طلب الحديث ، لتفرد
بعض العلماء باحاديث معينة ، فقد ذكر أن الزهري له نحو
تسعين حديثا انفرد بها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم
يروها احد غيره ، وليس من الائمة احد الا وله اخبار انفرد
بها . (٤)

ولعلنا بعد ما قدمناه من هذا العلم ، قد رسمنا صورة
جلية له في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك .

(١) محمد الخطيب : الستة قبل التدوين ، ص ٣٦٠-٣٦١ .
(٢) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٧٣-٧٤ .
(٣) خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٦٢ .
(٤) خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٦٤ .

الفقه :

(١) بدا التدوين في الفقه بتدوين السنة ، فان القرآن قد
 عنى ببيان العقائد الحققة وتفصيل القول فيها ، اما الفقه
 وهو عبادات ومعاملات ، فقد كانت الحاجة ماسة الى سنة
 الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذ لم يتناول القرآن مسائل
 الفقه على اختلافها الا باجمال يحتاج الى تفصيل ، وعموم
 يحتاج الى تخصيص ، ومن ثم قامت السنة بذلك كله ، لذلك كان
 المسلمون حريصين على معرفة السنة وما فيها من احكام
 تشريعية . وقد قيل ان محمد بن عبد الرحمن العامري
 (ت ١٢٠هـ) ، هو اول من جمع الاحاديث لتكون اساسا للفقه ،
 حيث ألف في ذلك كتابا اسماه "الموطأ" كانوا يفضلونه على
 موطأ مالك ، لكنهم عابوا عليه انه لم يصح نقد الرجال .
 (٣)
 ومما من شك ان التدوين الشخصي للحديث ، ومن ثم التدوين
 الرسمي زمن عمر بن عبد العزيز ، قد خدم الفقه والتأليف
 فيه ، حيث جاء بعد ذلك ، اذ يرى ان التدوين في الفقه قد

(١) الفقه : هو العلم بالاحكام الشرعية العلمية المستنبطة
 من أدلتها التفصيلية . ولم تكن كلمة الفقه تعنى ذلك
 زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والمصاحبة ، فقد كانت
 تطلق على كل حامل علم يعميه ، بل كل عالم باساليب
 المعيشة والحياة ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
 "اذا اراد الله بعبده خيرا فقهه في الدين" . وقال أبو
 الدرداء رضي الله عنه : "ان فقه الرجل رفقه في
 معيشته" .

(انظر : حسن على الشاذلي : المدخل للفقه الاسلامي ، ص ٩
 سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ،
 ص ١٣٨ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ،
 ص ٨٠-٨١) .

(٢) محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامي ، ص ٥٨-٥٩ .

(٣) محمد خفاجي : تاريخ الادب في العصر الاموي ، ص ١٧ -
 بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ٢٥٤/١ - ٢٥٥ .

بدا بموطأ الامام مالك . مع أن الذهبي يخبر أن التدوين الحق للحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم الاسلامية كان في اواخر النصف الاول من القرن الثاني الهجري . وهذا لايعنى أن الفقه لم يدون فيه ، قبل موطأ مالك ، او تدوين الحديث ، فالمقصود هنا التمييز في علم الفقه . اما التدوين الشخصي والكتابات المتفرقة في صحف وكتب لبعض الاحكام الفقهية ، فقد حدث منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وماكتبه بعض المحابة والتابعين ،

(١) محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامي ، ص ٦٤ .
ومن الجدير ذكره ، أن الشيعة الزيدية ينسبون الى زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ت ١٢٢هـ) كتاب "المجموع" في الفقه ، وهو كتاب لم يروه عن زيد ابن علي الا ابو خالد عمرو بن خالد الواسطي ، والواسطي عند ابن حجر غير موثق به ولامامون متهم بالكذب والوضع ، وقام بتأليف الكتاب ابو القاسم عبد العزيز بن اسحق بن جعفر البغدادي ، ويشمل في اجزائه الستة جماع اقسام الفقه وفروعه ، واخيرا طبع هذا الكتاب بمدينة ميلانو عام ١٩١٩م . وهذا الكتاب لاعتبارات عدة ، منها مايتعلق بمتن الكتاب وطريقة تصنيفه ، ومنها مايرجع لتفرد الواسطي بروايته كما انه لم يروه عن الواسطي غير ابراهيم بن الزبرقان ، فهذه الاعتبارات تقف دون التحقق من صحة نسبته لزيد بن علي . فاذا ما صحت نسبة هذا الكتاب الى زيد ، يكون اقدم المؤلفات الفقهية التي وصلت اليها ، ويكون قد سبق مالك الذي قيل أن موطأه اول المصنفات الفقهية ، بنحو ثلاثين سنة ، وأن التدوين في علم الفقه قد تم منذ اوائل القرن الثاني الهجري ، كما ينسب الى زيد ابن علي عدد من الكتب الاخرى ، لكن ينطبق عليها ، من الشك في صحة نسبتها له ماينطبق على المجموع .
(من اجل ما ذكرناه : انظر / محمد يوسف موسى : نفس المرجع ، ص ٦٨-٧١، ٧٤-٧٥ - علي حسن عبد القادر : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ، ص ١٧٩-١٨١ - محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٢٦٨-٢٧١ - بروكلمان: تاريخ الادب العربي ، ١/ ٢٢٤) .

(٢) دعت الحاجة منذ فجر الاسلام الى كتابة بعض الاحكام الشرعية ، فكتب بعض المحابة والتابعين ما راوا من اساس الحاجة الى تدوينه من الاحكام ، وقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد أمر بكتابة احكام الزكاة ، وبعث بها الى عماله على البلاد ، وزود ابن حزم عندما =

(١)
 لكنها كتابات كانت تحتاج الى الجمع والترتيب والتبويب .
 وهذا مظهر في الممنوعات التي قيل ان اولها موطن مالك .
 ويلحظ ان الفقه لم يحظ باهتمام الخلفاء الامويين ،
 سوى عمر بن عبد العزيز ، فقد نمت وتطور بعيدا عن اهتمامهم
 في المساجد ومجالس العلم ، كما لانرى اهتماما للفقهاء
 بالخلفاء الامويين ، الا القلة منهم كالزهري . ومن هنا لم
 يكن للخلفاء تاثير على نموه وتطوره كعلم من العلوم
 الاسلامية ولا على ائمة ، حتى من كان على صلة بهم كالزهري ،
 فقد كان يغنى الخلفاء بكل نزاهة وشجاعة في الحق ولو كان
 قوله مخالفا لارائهم واهوائهم ، كموقفه من هشام عندما سأل
 من المعنى بقوله تعالى : {والذي تولى كبره} ، وغيره من
 المواقف ، او الحسن البصري ومواقفه العديدة تجاه
 السلطان .
 (٢)
 (٣)
 (٤)
 (٥)

وقد برز من بين علماء المسلمين في الفقه عدد كبير من
 الفقهاء ، منهم :

=
 ولاء على اليمن احكاما مكتوبة في الفرائض والمدقات
 والديات وغيرها ، كما كتب ابو بكر لانس حين بعثه الى
 البحرين ، كتابا باحكام السائمة ، وكان لعلى بن ابي
 طالب صحيفة فيها عن العقل ، وفكك الاسير ، والا يقتل
 مسلم بكافر ، وغير هؤلاء كثير ، امرؤا بالتدوين ،
 واجازوه ، او قاموا به ، في محف وكتب ، متفرقة لاحكام
 مختلفة ، تمثل الكتابات الشخصية ، التي سبقت التمهيد
 الجامع المرتب المبوب .
 (انظر من اجل ذلك / محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه
 الاسلامي ، ص ٥٩-٦٢ - محمد الخفوي : تاريخ التشريع
 الاسلامي ، ص ١١١) .

- (١) محمد يوسف : نفس المرجع ، ص ٦٤ .
- (٢) احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٤٨ .
- (٣) انظر ذلك قبل : ص ٦٦٢-٦٦٣ .
- (٤) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٩٧ .
- (٥) انظر بعد : ص ٦٨٤ .

(١)
 عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) ، كان فقيها ، روى أن
 ابن عباس اذن له بالفتيا فعن عكرمة أن ابن عباس قال :
 انطلق فافت الناس ، وأنا لك عون ، قلت : لو أن هذا الناس
 مثلهم مرتين ، لاقتيهم ، قال : انطلق فافتهم فمن جاءك
 يسالك عما يعنيه فافته ، ومن سالك عما لا يعنيه ، فلا تفته
 فانك تطرح منك ثلثي مؤنة الناس . وقال عكرمة : طلبت العلم
 اربعين سنة ، وكنت افتى بالباب ، وابن عباس فى الدار .
 ولاغرابة فى اذن ابن عباس له بالفتيا ، وهو الذى حرص على
 تعليمه حتى كان يقيده ويعلمه القرآن والسنة ، فافى بحرا
 او حبرا ، من علماء زمانه ، ومك بالفقه والحديث والتفسير
 والسير .

قال ابن حبان عنه : كان من علماء زمانه بالفقه
 والقرآن ، فعن عمرو بن دينار أن جابر بن زيد دفع اليه
 مسائل ليسال عكرمة فقال له : "هذا عكرمة مولى ابن عباس ،
 هذا البحر فسلوه" . وقال : عكرمة اعلم الناس . وقال سفيان
 الثوري : خذوا المناسك عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة .
 وقد كان من الرحالين ، طاف البلاد وبث علمه فيها ، وكان
 الحسن البصري اذا قدم البصرة امسك عن التفسير والفتيا .
 وكان يفتى الناس حين يجتمعون عليه حتى فى الاسواق والطرق
 وقد قال طاووس : المسكين - يعنى عكرمة - لو اقتصر على
 ماسمع كان قد سمع علما ، وقال ايما : لو أن مولى ابن عباس
 اتقى الله ، وكف من حديثه ، لشدت اليه المطايا . مما يدل
 على انه تجاوز الاعتماد على ماسمع من الاثر ، فكان يجتهد

ويغنى برأيه . وقد قيل يوم مات وقد وافق ذلك موت كثير عزة
مات الله الناس وأشهر الناس .^(١)

وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٦هـ) ،^(٢)
الامام ، مفتي المدينة ، واحد فقهاء السبعة ، عد من
الفقهاء المجتهدين المجددين . قال ربيعة : كان الامر الى
سعيد بن المسيب ، فلما مات سعيد انفى الامر الى القاسم
وسالم .^(٣)

وطاووس بن كيسان اليماني (ت ١٠٦هـ) ، الفقيه القدوة^(٤)
عالم اليمن ، الحافظ ، كان فقيها جليلا ، قال خفيف :
اعلمهم بالحلال والحرام طاووس . ويبدو انه كان شديد التحرز
والحيطة لنفسه . فمن حظلة بن ابي سفيان قال : مارايت
عالمنا قط يقول : لا ادري ، اكثر من طاووس .^(٥)

والقاسم بن محمد بن ابي بكر (ت ١٠٧هـ) ، الامام^(٦)
الفقيه ، كان من اعلم الفقهاء ، واحد الفقهاء السبعة
والعشرة المأخوذ بقولهم والمرجوع اليهم ، اعلم اهل وقته

-
- (١) من اجل ما ذكرناه عنه ، انظر / الشيرازي : طبقات
الفقهاء ، تمقيق احسان عباس ، دار الرائد العربي ،
لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ،
ص ٧٠ - الذهبي : سير ، ١٢/٥ - ابن كثير : البداية
ط ٤ ، ٢٥٤/٩ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٣٤/٧ - ٢٤٢ - سعد
الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٠١ -
١٠٣ - محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١١١/١ - ١١٢ .
(٢) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٣ .
(٣) الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٦٢ - ابن كثير : نفس
المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٤ - ابن حجر : نفس
المصدر ، ٣٧٩-٣٧٨/٣ - سعد الموسى : نفس المرجع ، ص ١٤١ .
(٤) انظر ترجمته قبل : ص .
(٥) الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٧٣ - الذهبي : نفس المصدر
٤٩-٣٨/٥ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ،
ص ٢٥٣-٢٤٤ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٨/٥ - ٩ .
(٦) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٤ .

بالمدينة مع سالم وعكرمة ، وكان أعلم من سالم ، تربى في حجر عائشة رضي الله عنها ، وتعلمذ وتفقه عليها . وقد عده العلماء من المجتهدين المجددين . قال أبو الزناد : مارايت فقيها أعلم من القاسم ، ومارايت أعلم بالسنة منه ، وقيل : كان قليل الحديث والفتيا ، وكان عالما بالمناسك ، وهو كما وصفه مالك : كان القاسم من فقهاء هذه الأمة .^(١)

وسليمان بن يسار (ت ١٠٧هـ) ، الامام الفقيه ، عالم المدينة ومفتيها ، واحد الفقهاء السبعة المجتهدين ، كان من أوعية العلم حتى فغله بعضهم على ابن المسيب ، الذي كان يقول لمن يستفتيه : اذهب الى سليمان فانه أعلم من بقى اليوم ، وقد فاق علماء المدينة في العلم بالطلاق .^(٢)

وعامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٩هـ) ، الامام ، علامة العصر ، الفقيه ، كان واحد زمانه في فنون العلم ، قال مكحول : مارايت أعلم من الشعبي وقال : مارايت أفقه منه ، وعن أبي حصين قوله : مارايت احدا كان أفقه من الشعبي . وقال أبو مجلز : مارايت احدا أفقه من الشعبي ، لاسعيد بن المسيب ، ولاطاووس ، ولاعطاء ، ولاالحسن ، ولاابن سيرين ، فقد رايت كلهم . وعن أبي بكر الخدلي ، قال لي ابن سيرين : الزم الشعبي ، فلقد رايت يستفتي واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون ، ويقول ابن سيرين : قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة والمحابة يومئذ كثير . وقال الزهري العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، وعامر الشعبي

(١) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٦٠/٩ - ٢٦١ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٤٢ - علي حسن عبد القادر : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ، ص ١٤٧ .

(٢) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٤ .

(٣) ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٥٤ - ابن حجر : تهذيب ، ١٩٩/٤ - ٢٠٠ - سعد موسى : نفس المرجع ص ١٤٣ - علي حسن عبد القادر : نفس المرجع ، ص ١٤٧-١٤٨

(٤) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٥ .

بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام .
ولاغربة فقد كان من علماء الناس ، قال ابو اسامة : كان
عمر في زمانه رأس الناس وهو جامع ، وكان بعده ابن عباس في
زمانه ، وكان بعده الشعبي في زمانه ، وكان بعده الثوري في
زمانه ، ثم كان بعده يحيى بن آدم .

وكان الشعبي مع سعة علمه ، متحرزا لنفسه من كثرة
الفتوى ، قال الملت بن بهرام : ما بلغ أحد مبلغ الشعبي
أكثر منه يقول لأدري . وكان إذا جاءه الشيء اتقاه ، ويكون
منبسطا فإذا وقعت الفتوى انقبض . كما كان الشعبي من أصحاب
الأثر لا الرأي . وكان يرى الفقيه من إذا علم عمل ^(١) .

وقد ذكر محمد الخطيب أن الشعبي ممن حث على كتابة
العلم بعد أن زالت الخشية من اختلاط الرأي بالحديث ، وبعد
أن كان يقول : ما كتبت سوداء في بيضاء ، قال : الكتاب قيد
العلم ، ويقول : إذا سمعتم مني شيئا فاكذبوه ولو في حائط ،
كما يشير إلى أنه مع ذلك لم يوجد له بعد موته إلا كتاب في
الفرائض والجراحات . وفي هذا القول ما يخالف ما ذكره الذهبي ^(٢)
من أن الشعبي : كان حافظا وما كتب شيئا قط . كما أورد سماع
ابن شبرمة لقول الشعبي : ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومى
هذا . وأخيرا قال : "وهذا يدل على أنه أسمى لا كتب ولا قرأ" .

(١) من أجل ما ذكرناه عنه ، انظر / الخيراوى : طبقات
الفقهاء ، ص ٨١ - الذهبي : سير ، ٢٩٤/٤ - ٢٩٩ - ابن
كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٤٠/٩ - ابن حجر : تهذيب ،
٦٠-٥٧/٥ - محمد الخضرى : تاريخ التشريع الإسلامى ،
ص ١١٨-١١٩ - محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ،
١٢٤-١٢١/١ .

(٢) السنة قبل التدوين ، ص ٢٢٥-٢٢٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٩٧، ٣٠١ .

ولعل الكتاب الذى نسيه اليه محمد الخطيب كان من رواية أحد اصحابه ، أو املاء على أحد تلاميذه .
 (١) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) ، الامام شيخ أهل البصرة ، وسيد زمانه علما وعملا ، جامعا للعلم والعمل ، فقيها رفيعا ثقة ، مأمونا ، حجة . قال قتادة : ما رأيت عيناى رجلا قط افقه من الحسن . وقال : ما جمعت علم الحسن الى أحد العلماء الا وجدت له فضلا عليه ، غير انه اذا اشكل عليه شيء ، كتب فيه الى سعيد بن المسيب يسأله ، وما جالست فقيها قط الا رايت فضل الحسن عليه . وسئل أنس بن مالك رضى الله عنه مرة عن مسألة ، فقال : سلوا عنها الحسن فقد سمع وسمعنا ، فحفظ ونسينا . وقال أيوب السخيتانى : لو رايت الحسن لقلت : انك لم تجالس فقيها قط . وقال على بن زيد : رايت سعيد بن المسيب وعروة والقاسم فى آخرين ، فما رايت مثل الحسن .
 وقد كان جابر بن زيد أبو الشعثاء مفتى البصرة ، ثم جاء الحسن فكان يفتى ، وكان من أعلم الناس بالحلال والحرام يقول قتادة : كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام . وقد ولاه عدى بن أرطاة قضاء البصرة زمن عمر بن عبد العزيز ثم استعفى ، قال معمر : ولى الحسن القضاء زمن عمر بن عبد العزيز فلم يحمد فعمه . وقد كان الحسن رحمه الله يرى أن الفقيه من جمع العلم الى العمل ، فقد سأل عمران القصير عن شيء ، وقال : ان الفقهاء يقولون كذا وكذا ، فقال له الحسن : وهل رايت فقيها بعينك . انما الفقيه : الزاهد فى الدنيا ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه . وهو فى

(١) انظر ترجمته قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٥٧ .

هذا الرأي يوافق معاصره الشعبى رحمهما الله .
وقد كان رحمه الله شجاعا فى الحق ، لا يداهن فى دينه ،
ولا يمارى السلطان ولا يخشاه ، كنمحه ابن هبيرة باحتراف الحق
ولو كان على غير هوى الخليفة ، حدث ذلك عندما استشاره فى
اشياء يامره بها الخليفة يزيد بن عبد الملك .
وقد كان كثير العلم والفتيا ، قال ابو سلمة التبوذكى
حفظت من الحسن ثمانية آلاف مسألة . فاذا كان هذا ما حفظه
واحد ، فكم افنى وكم اخذ الناس منه ؟
ولم يقتصر اثره على ما افاد به الناس فى حياته ، فقد
كان ممن يكتب العلم ، وممن اثار انه خلف كتباً بعد مماته ،
فقد قال : انا لانا كتباً كنا نجمعها . وقال اصبح بن زيد :
مات الحسن وترك كتباً فيها علم . ولكن سهل بن الحسين
الباهلى ، يحدث انه سأل عبد الله بن الحسن البصرى ، ان
يبحث اليه بكتب ابيه ، فاخبره عبد الله ان اياه عندما ثقل
جمع كتبه واحرقها ، الا صحيفة واحدة .
(١)
(٢)
لكن بروكلمان ، يخبر ان هناك مجموعة من الرسائل تنسب
الى الحسن البصرى ، عددها وذكر اماكنها والكتب التى اشارت
اليها . اما فتاوى الحسن رحمه الله ، فان محمد يوسف موسى
يخبرنا انها جمعت فى سبعة افسار ضخمة .

(١) من اجل ما اوردناه عن الحسن ، انظر / الشيرازى :
طبقات الفقهاء ، ص ٨٧ - ابن خلكان : وفيات ، ٧٠/٢ - ٧٣
الذهبي : سير ، ٥٦٣/٤ - ٥٨٨ - ابن كثير : البداية ، ط ٤
٢٧٨/٩ - ٢٨٦ ، ٢٧٩ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٣١/٢ - ٢٣٦ .
(٢) تاريخ الادب العربى ، ٢٥٨/١ .
(٣) تاريخ الفقه الاسلامى ، ٢٥/٢ .

(١)

ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) ، الامام ، شيخ الاسلام ، كان فقيها ، عالما ، شهد له اهل العلم والفعل بذلك . قال موريث العجلي : ما رايت احدا افقه في ورعه ، ولا اورع في فقهه من محمد بن سيرين . وقال عثمان البتي : لم يكن بالبصرة احد اعلم بالقضاء من ابن سيرين ، وكان الشعبي يقول : عليكم بذلك الاثم - يعني ابن سيرين - فهو كما قال عوف الانصاري : كان ابن سيرين حسن العلم بالفرائض والقضاء والحساب . ومع ذلك فقد كان شديد الحيطة لنفسه ، منقبها عن الفتوى . يقول اشعث : كان ابن سيرين اذا سئل عن الحلال والحرام ، تغير لونه حتى تقول : كانه ليس بالذي كان . وقال ابن شبرمة : دخلت على محمد بن سيرين بواسط ، فلم ار اجبن في الفتوى منه . وقال ابن يونس : كان ابن سيزين افطن من الحسن في اشياء . وكان لا يقبل من السلطان شيئا ، فمن ابن عون : ان عمر بن عبد العزيز بعث الى الحسن فقبل وبعث الى ابن سيرين فلم يقبل ، كما كان لا يجيء السلطان ولا يعيب اهله ، وهو مع ذلك اصلب الناس عند السلطان في الحق .

(٢)

(٣)

ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ) ، الامام الفقيه ، كبير القدر ، كثير العلم ، سيد اهل الشام في انفسهم ، قال مطر الوراق : ما لقيت شاميا افقه من رجاء بن حيوة ، وفي رواية افعل . وكان مكحول اذا سئل قال : سلوا شيخنا وسيدنا

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٥ .

(٢) عن فقه ابن سيرين ، انظر / الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٨٨ - الذهبي : سير ، ٦٠٦/٤ - ٦٢٢ - ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٧٩/٩ - ابن حجر : تهذيب ، ١٩٠/٩ - ١٩٢ محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٥٢٦ .

(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٤٦٤ .

رجاء بن حيوة . وقال رجاء بن أبي سلمة : مامن رجل من أهل الشام أحب إلى أن اقتدى به من رجاء بن حيوة . وقال ابن عون : رأيت ثلاثة ماملهم : محمد بن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . وقد اثنى عليه غير واحد من الأئمة^(١) .
ومكحول الشامي (ت ١١٢هـ) ، الفقيه ، امام أهل الشام وعالمهم ، لم يكن بزمانه ابرر بالفتيا منه ، قال ابو حاتم ما أعلم بالشام افقه من مكحول ، وقال سعيد بن عبد العزيز : كان مكحول افقه من الزهري ، وكان مكحول افقه أهل الشام . ولاغرو فقد كان طلبة للعلم ، كان بمصر فاخذ علمها ، ثم ارتحل إلى العراق ، ومنه إلى المدينة ، واستقر بالشام ياخذ العلم عن أئمة هذه الأمصار ، يقول مكحول : طفت الأرض جميعاً في طلب العلم . وقوله على سبيل المبالغة ، فصار من الأئمة العلماء ، قال الزهري : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وقد كان مكحول يفتي برأيه ، قياً على الأصول ، وآراؤه الفقهية كآراء غيره من التابعين الشاميين . والملاحظ أنه ينقل الفتاوى عن غيره كابن عباس ، وأحياناً يتكلم برأيه . وكان له طريقته منذ الأدلاء بقوله ، فكان لا يفتي حتى يقول : لاحول ولا قوة الا بالله ، هذا رأي والرأي

(١) عن فقه رجاء بن حيوة ، انظر / الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٧٥ - الذهبي : سير ، ٥٥٧/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢١٥/٩ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٢٩/٣ - ٢٣٠ .
(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الاول ، ص ٩١ .

يخطئه ويميب . وقد خلف مؤلفات في علم الفقه ، ذكر له ابن
النديم كتابين هما : كتاب السنن في الفقه ، وكتاب المسائل
الفقهية .^(١)

^(٢)
وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ) ، الامام ، شيخ الاسلام ،
مفتي الحرم ، الفقيه ، كان من أجلاء الفقهاء ، قال ابو
جعفر الباقر : مارايت فيمن لقيت أفقه منه . وقد انتحلت
فتوى مكة اليه والى مجاهد ، في زمانهما وكان أكثر ذلك الى
عطاء ، وكان أعلم الناس بالمناسك . يقول ابو جعفر : ما بقى
احد أعلم بمناسك الحج من عطاء ، وكان بنو أمية يأمرون في
الحج أن لا يفتى الا عطاء ، فان لم يكن فعبد الله بن أبي
نجيح . ولاغرابة في ذلك فقد عد قتادة أئمة الامصار فجعله
رابعهم . وكان رحمه الله لا يقول بالتراي ، ومات وهو أروى
اهل الأرض عند الناس .^(٣)

^(٤)
وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ) ، الامام الحافظ ،
العالم ، كان من أوعية العلم ، ومن علماء الناس بالقرآن
والفقه ، ذكره أحمد بن حنبل ، فأطلب في ذكره ، فجعل ينشر

(١) انظر عما أوردها عن علمه وفقهه / الشيرازي : طبقات
الفقهاء ، ص ٧٥ - الذهبي : سير ، ١٥٥/٥ - ١٦٠ - ابن
كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣١٧/٩ - ابن حجر : تهذيب ،
٢٦٠-٢٥٨/١٠ - أبو زرعة : تاريخ أبي زرعة ، ٢٤٥/١ -
خليل الززو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٩٧-٩٩ -
محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامي ، ص ٦٤ - السيد
عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٠٢ .

(٢) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٨ .

(٣) عن فقه عطاء ، انظر : الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٦٩
الذهبي : نفس المصدر ، ٨٨-٧٨/٥ - ابن كثير : نفس
المصدر والطبعة ، ٣١٨-٣١٧/٩ - ابن حجر : نفس المصدر
١٨٣-١٧٩/٧ - محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ،
١١٤-١١٣/١ - محمد الخفري : تاريخ التشريع الاسلامي ،
ص ١٦٨ .

(٤) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٩ .

من علمه وفقهه ومعرفة بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه . يقول معمر : مارايت افقه من الزهري وحماد وقتادة وقال ابن عيينة مثل قوله ، وقال سفيان الثوري : وهل كان في الدنيا مثل قتادة ، وقال الزهري : هو اعلم من مكحول . ومع سعة علمه كان لا يفتى برايه ، واذا سئل مسألة لان فيها قال : لا ادري . قال ابو عوانة : سمعت قتادة يقول : ما فتيت براى منذ ثلاثين سنة ، وفي رواية لابى هلال ، منذ أربعين سنة .^(١)

(٢)
وحماد بن ابى سليمان العلامة الامام فقيه العراق ، تفقه بابراهيم النخعي ، وهو انبل اصحابه وافقههم ، واقيسم وابصرهم بالمناظرة والبراي ، وكان يكتب عن ابراهيم وافتى في حياة ابراهيم ، وقد اوصى ابراهيم سائليه عن ياثون بعده ، فقال : عليكم بحماد ، فانه قد سألني عن جميع ما سألني عنه الناس . وقد كان معمر يقول : لم ار من هؤلاء افقه من الزهري ، وحماد ، وقتادة . وقال ابو اسحق الشيباني حماد بن ابى سليمان افقه من الشعبي ، مارايت افقه من حماد وهو مستقيم الفقه ، يقول برايه .

(١) عن فقه قتادة ، انظر / الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٨٩ - الذهبي : سير ، ٢٦٩/٥ - ٢٨٣ - ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٢٦/٩ - ابن حجر : تهذيب ، ٣١٩-٣١٥/٨ - محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١٢٦-١٢٥/١ .
(٢) حماد بن ابى سليمان ، ابو اسماعيل بن مسلم الكوفي ، مولى الاشعريين ، وامله من اصبهان ، كان من صغار التابعين ، عالما ، ثقة ، مدوقا ، كريما ، رمى بالارجاء ، ارجاء الفقهاء ، وكان محدثا ، قيل : لا يحتج به ولمعه البعض حيث اختلف في آخر عمره ، ومات كهلا (١٢٠هـ) . (عن ترجمته وفقهه ، انظر : الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٨٣ - الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٣٩-٢٢١ - ابن حجر : نفس المصدر ، ١٤/٣ - ١٥) .

(١) وعمرو بن دينار ، الامام الحافظ ، أحد الاعلام وشيخ الحرم في زمانه ، كان فقيها ، وكان مفتى أهل مكة في زمانه وقد افتاهم ثلاثين سنة ، فقد كان من أوعية العلم وائمة الاجتهاد ، يقول ابن أبي نجيح : ما كان عندنا أحد أفقه ولا أعلم من عمرو بن دينار ، ولا أعلم ، ولا أحفظ ، وقال إياس ابن معاوية نحو ذلك ، وكانوا قد سألوا عطاء ، بمن شأرنا ؟ قال : بعمرو بن دينار .

(٢) ويزيد بن أبي حبيب ، الامام الحجة ، مفتى الديار المصرية ، عالم مجمع على الاحتجاج به ، من العلماء العاملين ، ارتفع بالتقوى ، يقول الليث بن سعد : يزيد بن أبي حبيب سيدنا وعالمنا ، وقال أبو سعيد بن يونس : كان مفتى أهل مصر في أيامه ، وكان أول من أظهر العلم بمصر ، والكلام في الحلال والحرام ، ومسائل ، وقيل انهم كانوا قبل ذلك يتحدثون بالفتن والملاحم ، والترغيب في الخير ، وقد كان ثالث ثلاثة جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز الفتحا اليهم بمصر .

(١) عمرو بن دينار ، أبو محمد الجمحي ، مولاهم المكي ، من الأبناء ، عالما فقيها ، محدثا ، ثقة ، حبا ، كان يخرج على الكتابة عنه ، ورمى بالتشيع والتحاميل على ابن الزبير ، ولد في امرة معاوية ، و(ت ١٢٥ أو ١٢٦هـ) (انظر عنه / الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٧٠ - الذهبي : سير ، ٢٠٧-٢٠٠/٥ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٧-٢٦/٨) .

(٢) يزيد بن أبي حبيب ، أبو رجاء الأزدي ، مولاهم المصري ، من صفار التابعين ، ومن جلة العلماء العاملين ، ثقة حجة ، حليما ، عاقلا ، ولد بعد الخمسين هجرية ، و(ت ١٢٨هـ على خلاف) . (انظر عنه وعن فقهه / الذهبي : نفس المصدر ، ٢٣-٢١/٦ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٧٩-٢٧٨/١١ - أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٩١) .

وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان^(١) ، الإمام الفقيه الحافظ المفتى ، من علماء الإسلام ، وأئمة الاجتهاد ، كان فقيه أهل المدينة ، كانت له حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تكاثر عليه طلاب العلم ، حتى كان معه من الاتباع مامع السلطان ، وكان يجلس إليه فيها عبد الله ابن حسن وداود بن حسن بن علي بن أبي طالب ، ثم تركوه إلى ربيعة الرأي . وكان أفقه الرجلين . وكان رحمه الله صاحب كتاب وحساب ، وكان له من الكتب كتاب الفقهاء السبعة ، وكتاب الفرائض .

وهذه الفخرة كانت زاخرة بالعلماء الفقهاء ، كمن ذكرناهم من الصفوة ، وآخرون كثيرون ، لا يسعنا في مثل هذا البحث احصاءهم وإيراد ما ذكر عنهم ، وسنكتفي بذكر عدد ممن لا يقلون درجة عن ذكرنا .

وهم : خالد بن معدان الكلامى (ت ١٠٣هـ) ، كان من الطبقة الثالثة من فقهاء الشام وشيخهم ، وأئمة الفقه^(٢) والدين المعدودين المشهورين . ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) ، العالم ، روى عن ابن عباس ، فأكثر وأطنب ، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه ، قال ابن سعد : مجاهد ثقة ، فقيه

(١) أبو الزناد عبد الله بن ذكوان ، القرشي مولاهم المدني العالم ، الفقيه ، المحدث ، ثقة ، حجة ، تولى بيت مال الكوفة لعمر بن عبد العزيز ، وقيل الخراج ، وديوان المدينة لهشام ، وكان بصيرا بالعربية فصحا بليغا ، ولد سنة ٦٥هـ ، و(ت ١٣٠هـ على خلاف) . انظر عنه : الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٦٥-٦٦ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٤٤-١٤٦ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ٤٥٥/٧ - السذهبي : سير ، ٤٢٦/٤-٥٤١ - ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٣٩/٩ - ابن حجر : تهذيب ، ١٠٢/٣-١٠٣ .

عالم ، كثير الحديث . وقال ابن حبان : كان فقيها ورعا
 مابدا متقنا .^(١) وأبو قلابة الجرمي ، عبد الله بن زيد
 (ت ١٠٤هـ) ، كان من الائمة الفقهاء ، عالم بالقضاء . وأبو
 بردة بن أبي موسى الأشعري (ت ١٠٤هـ) ، كان فقيها ، حافظا ،
 عالما ، تولى قضاء الكوفة بعد شريح . وإبان بن عثمان^(٢)
 ابن عفان (ت ١٠٥هـ) ، من فقهاء المدينة ، له علم بأشياء
 من قضاء أبيه ، وذكره يحيى بن سعيد القطان ضمن الفقهاء
 العشرة ، قال عمرو بن شعيب : ما رأيت أعلم منه بالحديث
 والفقه .^(٣) والفضاك بن مزاحم الغلابي الخراساني (ت ١٠٥هـ)
 كان فقيها ، ألقى على حسين بن عقيل مناسك الحج . وبكر بن^(٤)
 عبد الله المزني (ت ١٠٨هـ) الإمام القدوة الحجة ، أحد
 الأعلام ، قال محمد بن سعد : كان بكر المزني ثقة ، حبا ،
 كثير الحديث ، حجة فقيها ، وكان مجاب الدعوة . وأبو الجهم^(٥)
 عبد الرحمن بن رافع التميمي (ت ١١٣هـ) ، كان من فضاء
 التابعين ، وهو أول من ولى قضاء القيروان بعد بنائها ،

-
- (١) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٦٩ - الذهبي : سير ،
 ٤٤٩/٤ - ٤٥٤ - ابن حجر : تهذيب ، ٤٠-٣٨/١٠ .
 (٢) الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٨٩ - الذهبي : نفس المصدر
 والجزء ، ص ٤٦٨ - ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٤٠/٩ -
 ابن حجر : نفس المصدر ، ١٩٩-١٩٧/٥ .
 (٣) ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٠ - ابن
 حجر : نفس المصدر ، ٢٢-٢١/١٢ .
 (٤) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٥١ - ابن كثير :
 نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٣ - ابن حجر : نفس
 المصدر ، ٨٥-٨٤/١ .
 (٥) الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٩٣ - الذهبي : نفس المصدر
 والجزء ، ص ٦٠٠-٥٩٨ - محمد الخطيب : السنة قبل
 التدوين ، ص ٣٢٦ .
 (٦) الذهبي : نفس المصدر ، ٥٣٦-٥٣٢/٤ - ابن حجر : نفس
 المصدر ، ٤٢٥-٤٢٤/١ .

(١) وكان ممن بعثه عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل الهريقية .
 ومحمد بن علي بن الحسين (ت ١١٤هـ) ، الإمام العالم ، كان
 من فقهاء المدينة ، مجتهدا ، له مسائل وفتاوى ، لكنه كما
 يقول الذهبي : لا يبلغ في الفقه درجة أبي الزناد وربيعه .
 (٢)
 والحكم بن أبي عتيبة (ت ١١٥هـ) ، كان ثقة فقيها عالما
 عاليا رفيعا كثير الحديث ، تفقه بإبراهيم النخعي ، وقد
 نصحوا باستفتائه بعد موت الشعبي . وميمون بن مهران الرقي
 (٣)
 (ت ١١٦هـ) ، العالم الفقيه الفاضل ، كان أحد أربعة علماء
 ذكرهم سليمان بن موسى زمن هشام ، وكان على قضاء الجزيرة
 وخارجها لعمر بن عبد العزيز . وعبد الله بن أبي زكريا
 (٤)
 الخزاعي الشامي (ت ١١٧هـ) ، كان من فقهاء دمشق وعبادها ،
 وهو من أقران مكمول ، ولم يكن بالشام رجل يغفل عليه .
 (٥)
 وكان عمر بن عبد العزيز يقربه ويجلسه معه على سريره .
 ونافع مولى ابن عمر (ت ١١٧هـ) ، الإمام المفتي ، عالم
 المدينة ، واحد فقائها ، لم يكن يفتي في حياة سالم بن
 عبد الله ، وقد بعثه عمر بن عبد العزيز إلى أهل مصر
 (٦)
 يعلمهم السنن .

-
- (١) الدباغ : معالم الايمان ، ١٩٨/١ .
 (٢) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٦٤ - الذهبي : سير ،
 ٤٠٩-٤٠١/٤ - ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣٢١/٩ - ابن
 حجر : تهذيب ، ٣١٢-٣١١/٩ .
 (٣) ابن سعد : الطبقات ، ٣٣٢-٣٣١/٦ - الشيرازي : نفس
 المصدر ، ص ٨٣-٨٢ .
 (٤) الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٧٧ - ابن حجر : نفس
 المصدر ، ٣٥٠-٣٤٩/١٠ .
 (٥) الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٧٤ - ابن حجر : نفس
 المصدر ، ١٩٢-١٩١/٥ .
 (٦) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتتم ، ص ١٤٢-١٤٥ -
 الذهبي : نفس المصدر ، ٩٥/٥ - ابن كثير : نفس المصدر
 والطبعة والجزء ، ص ٣٣٢ - ابن حجر : نفس المصدر ،
 ٣٧٠-٣٦٨/١٠ - محمد الخفري : تاريخ التشريع الاسلامي ،
 ص ١١٥ .

وعبد الله بن أبي مليكة التيمي المكي (ت ١١٧هـ) ، من كبار أصحاب ابن عباس ، كان عالما مفتيا ، معدودا في طبقة مطاء وقد ولي القضاء لابن الزبير ، وكان مؤدنا له . وأبو بكر بن محمد بن حزم المدني (ت ١٢٠هـ) ، كان فقيها ، قاضيا قال مالك : لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر بن حزم . وعدى بن عدى الكندي الجزري (ت ١٢٠هـ) ، سيد أهل الجزيرة ، كان فقيها ناسكا يثنى عليه ولاة عمر بن عبد العزيز قضاء الجزيرة في أيامه . ومحمد بن يحيى بن حيان الأنصاري المدني (ت ١٢١هـ) ، الإمام الفقيه الحجة ، كان له حلقة في المسجد النبوي يفتي بها . وإياس ابن معاوية بن مره المزني البصري (ت ١٢٢هـ) ، قاضي البصرة كان فقيها ، فحما ، فطنا ، عاقلا ، عفيفا . ومحمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤هـ) ، كان أعلم أهل زمانه بالحلال والحرام ، وأحد أئمة الافتاء ، من الفقهاء المجتهدين المجددين ، وقد جمع محمد بن أحمد بن مفرج فتاواه في ثلاثة أسفار ضخمة مرتبة على أبواب الفقه ، وكانت آراء الزهري الفقهية ، تماثل آراء عمر بن عبد العزيز ، في السنة والراي ، فيقول دعوا السنة تمسك لا تعرفوها لها بالراي ، بينما يرى الراي في

-
- (١) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٦٩-٧٠ - الذهبي : سير ، ٨٨/٥ - ٩٠ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٦٨/٥ - ٢٦٩ .
 (٢) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتتم ، ص ١٢٤-١٢٧ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٢-٤٠/١٢ .
 (٣) ابن حجر : نفس المصدر ، ١٥٣-١٥٢/٧ .
 (٤) ابن سعد : نفس المصدر والقسم ، ص ١٣١-١٣٢ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٤٨/٩ - ٤٤٩ - سعد الموصي : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٥٩ .
 (٥) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣٤٧-٣٥٢ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٤١/١٢ - ٣٤٢ .

الامور التي ليس لها نص في الكتاب والسنة أو احكام
 السابقين . (١) وخالد بن ابي عمران التجيبي مولاهم (ت ١٢٥هـ)
 الامام القدوة ، فقيه اهل افريقية ، وقاضيا . وسعد بن
 ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني (ت ١٢٥هـ) ، الامام
 الحجة الفقيه ، قاضي المدينة ، كان من كبار العلماء ،
 يذكر مع الزهري ويحيى بن سعيد . وسليمان بن حبيب المحاربي
 الدمشقي (ت ١٢٦هـ) ، كان اماما كبير القدر ، قلى بدمشق
 ثلاثين سنة ، وقيل اربعين . وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد
 ابن ابي بكر (ت ١٢٦هـ) الامام الفقيه ، من سادات اهل
 المدينة ، وفلائهم ، ورث عن ابيه العلم وخلفه في مجلسه في
 المسجد النبوي بالمدينة . (٢) ويزيد بن عبد الرحمن العمداني
 الدمشقي (ت ١٣٠هـ) ، العلامة ، قاضي دمشق ، واحد الفقهاء
 مع مكحول ، كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه ليفقه بنى نمير
 ويقرئهم ، قال سعيد بن عبد العزيز : لم يكن عندنا أعلم
 بالقضاء من يزيد بن ابي مالك لامكحول ولا غيره . (٣) وايوب
 السخيتاني (ت ١٣١هـ) ، الامام الحافظ ، سيد العلماء ، وسيد
 شباب اهل البصرة ، قال شعبة : ايوب سيد الفقهاء ، وقال
 ابن ابي مطيع : كان افقهم في دينه ايوب . (٤)

-
- (١) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتعمم ، ص ١٥٧-١٨٧ - ابن
 كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣٥٩-٣٥٤/٩ - سعد الموسى :
 تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٥٩-١٦٠ - خليل
 الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٩٦ - محمد يوسف
 موسى : تاريخ الفقه الاسلامي ، ٢٥/٢ .
 الذهبي : سير ، ٣٧٨/٥ .
 (٢) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٤١٨-٤٢١ .
 (٣) الذهبي : نفس المصدر ، ٣٠٩/٥ - ابن حجر : تهذيب ،
 ١٥٧-١٥٦/٤ .
 (٤) سعد الموسى : نفس المرجع ، ص ١٤٤-١٤٣ .
 (٥) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٣٧-٤٣٨ .
 (٦) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٨٩ - الذهبي : نفس
 المصدر ، ٢٦-١٥/٦ .

ونخلص مما أوردناه عن علم الفقه في فترة دراستنا ، ان هذا العلم ان لم يحظ باهتمام خلفاء الدولة الاموية فيما عدا عمر بن عبد العزيز ، فقد انبرى له علماء افاض ، عكفوا عليه ونذروا انفسهم للدين والعلم ، تعلموا وتعلّما وتألّفا ، وقد تميز هذا العلم آنذاك بالنمو والتطور ، كما حظى بجلّة من الفقهاء المبرزين ، واسعى العلم ، لكن غالب علمهم كان في الصدور ، ومن كتب منهم كانت كتاباته شخصية ، فلم نرث كتابا عن كل من ذكرنا ، الا ما خلفه مكحول وابو الزناد وما نسب الى الشعبي والحسن ، مع اننا علمنا ان الحسن قد احرق كتبه عند موته ولم يبق الا صحيفة واحدة . الى جانب ما جمع من فتاوى بعض هؤلاء العلماء بعد في مؤلفات كجمع فتاوى البصري والزهري ومع ذلك فقد افاد الفقه في هذه الفترة من تدوين الحديث الرسمي زمن عمر بن عبد العزيز وكتاباته هؤلاء العلماء الشخصية ، ومادونه عنه تلاميذهم ، ليكون مطلع هذا القرن كمرحلة المخاض لعمر التمثيل الذي بدا في اواخر النصف الاول من هذا القرن (الثاني) .

والحق انه مع القول بظهور المدارس الفقهية ، وتميز المدينة بالآثر والتاثير الاكبر في هذا العلم والعلوم الدينية عامة ، بينما ظهرت المدرسة العراقية كمثلة للرأى فان من الواضح ان فترة دراستنا وهي مطلع القرن الثاني ، لم يكن هذا التميز قد أخذ شكله بوضوح ، فقد لمسنا من خلال دراستنا لفقهاء الفترة ، وجود من يقف عند الآثر ، ليس في المدينة فحسب بل في العراق ومكة وغيرها ، فقد وجدنا من ائمة العراق الشعبي ، والحسن البصري ، وقتادة ، لا يقولون

بالرأى ، ويتحرزون من الفتوى ويحتاطون لانفسهم ما استطاعوا
وكثير ما يقول الواحد منهم اذا سئل فيما ليس فيه اثر لادري
ومثلهم طاووس في مكة وغيرهم .

بينما نجد من يقول بالرأى ، في العراق كحماد بن ابي
سليمان ، وفي الشام مكحول ، وفي مكة عكرمة ، وكذلك في
المدينة نفسها ، حيث نجد ربيعة بن ابي عبد الرحمن ،
(١)
المعروف بربيعة الرأي (ت ١٣٦هـ) .

ومما يلاحظ من دراسة هذه التراجم ، نبوغ عدد كبير من
الموالى في هذا العلم ، ليشاركوا العرب ، في هذا الميدان
بعد ان كان قاصرا على العرب تقريبا في عصر المحابة ،
وليكونوا بذلك ائمة يقتدى بهم ، وعلماء يرتحل الناس اليهم
ليتفقهوا بهم ويتعلموا على يديهم ، وذلك هو دين الاسلام
يسمو باهلته ، فقد قال عمر بن عبد العزيز عندما انكر عليه
الناس جعل فتيا مصر لثلاثة ، رجلين من الموالى ، وواحد من
العرب : ما ذنبى ان كانت الموالى تسمو بانفسها صعدا ،
(٢)
وانتم لاتسمون .

(١) انظر عن فقهاء / سعد موسى : الحياة العلمية في
المدينة ، ص ١٤٦-١٤٨ .

(٢) انظر قوله هذا عند : أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٩١ .

المبحث الثاني

الأدب

لم يقتصر نشاط الحركة العلمية في العصر الأموي على العلوم الدينية ، فقد شمل مناحي كثيرة ، حيث ازدهر الأدب في العصر الأموي شعره ونثره ، فقد شهد ذلك العصر نهضة أدبية ، كان لها مجالسها ومنتدياتها ، كما كان لها رجالها محظية باهتمام الخلفاء الأمويين ورعايتهم لها ^(١) .

وقد كان على رأس المجامع والمنتديات الأدبية في العصر الأموي سوق المربد بالبصرة ، وسوق الكناسة بالكوفة ، اللتان ورثتا سوق عكاظ في الجاهلية ، وكان المربد مآل الأشراف ، وقد مارست القبائل فيهما الوائلا من النشاط الأدبي وخاصة الشعر ، حيث زحرت بالشعراء ، الذين كان لبعضهم حلقات ومنازل خاصة ، يلقون فيها شعرهم أمام الناس ، وخصوصا في الفخر والعزاء ، وكان إلى جانبهم بعض الرجاز ، والمحكمين ، والخطباء ، وكان الأمر أحيانا يدعو إلى تدخل الأمراء ، لاسكات بعضهم ، أو تهيجهم وإثارتهم ، أو امانة بعضهم على بعض ، وقد شهد المربد كثيرا من نقائض جوير والفرزدق ، كما ساعد الخلفاء والأمراء على أحيائها ، تنشيطا للأدب ، ولإستفادة من ذلك سياسيا ، فكانت هذه الموامل وراء تلك النهضة الأدبية التي شهدتها العصر الأموي ، وورثنا

(١) محمد خفاجي : الحياة الأدبية في عمر بني أمية ، ص ٧٧ .

(١)

جليل أشارها .

وقد عنى الخلفاء الأمويون بالادب ورعوا الادباء ،
واحاطوا انفسهم بهم ، واجزلوا لهم العطايا والملاط وفتحوا
ابوابهم للشعراء والخطباء .^(٢)

وقد حظى الشعراء بالنصيب الاوفر من اهتمام الحكام
الأمويين ، الذين سموا لكسب الشعراء ، واغدقوا عليهم
الاموال ، وصار البلاط الأموي ومجالس الولاة والامراء ، مثابة
لكل ذي شاعرية ، حتى صاروا لسان الأمويين الممجد لاعمالهم ،
والمناجح عن سياساتهم ، ولاشك في أهمية الدور الذي قام به
هؤلاء الشعراء في انجاح السياسة الأموية .^(٣)

الا ان الشعراء خسروا تلك العظوة في عهد الخليفة عمر
ابن عبد العزيز وبدافع من الحقوق والحكمة ، لم يجعل لهم
مكانا في مجلسه ، ولم يجزل لهم العطايا ، ومع ذلك فقد حظى
هو بمدح الكثيرين منهم حيا ، والرشاء ميتا ، لما عرف عنه
من حسن السيرة .^(٤)

- (١) يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي ،
دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦ م ،
ص ٥٩-٦٠ - محمد خفاجي : الحياة الادبية عصر بني أمية
ص ٣٤-٤٧، ٤٩ - عمر أبو النضر : الايام الاخيرة
للدولة الأموية ، ص ٣٥٩-٣٦٣ .
- * أشرنا عدم الترجمة لرجال الادب في زمن يزيد ،
عندما يرد ذكرهم عرضا ، في هذا العرض العام للادب في
العصر الأموي وزمن الخليفة يزيد ، اذ سنقوم بذكر
شعراء وادباء عصره ، وسنترجم آنذاك لمشاهيرهم .
- (٢) محمد خفاجي : تاريخ الادب في العصر الأموي ، ص ١٤٨-١٤٩ .
- (٣) عون الشریف : شعر البصرة في العصر الأموي ، ص ٨٦-٨٧ -
ابراهيم العدوي : الأمويون والبيزنطيون ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .
- (٤) عن موقف عصر من الشعراء ، (انظر : ابن الجوزي : سيرة
عمر بن عبد العزيز ، ص ١٩٦-٢٠١ - الاربلي : خلاصة الذهب
المسبوك ، ص ٢٢-٢٣ - الميوطي : تاريخ الخلفاء ،
ص ٢٢٨-٢٢٩، ٢٤٣ - الاتليدي : اعلام الناس بما وقع
للبرامكة مع بني العباس ، المطبعة اليوسفية ، مكتبة =

اهتمام الخليفة يزيد بن عبد الملك بالادب ورعاية اهله :

ولما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، فتح أبوابه للشعراء ، وآثرهم بالرعاية وجزيل العطاء ، وقد عده المستشرق الفرنسي بلاشير ، من حماة الادب والفنون ، مشيراً الى المكانة التي احتلها الشعر والشعراء في كنفه ، حيث قال عنه : انه كان شاباً مثقفاً ينظم الشعر برقة ، شغوفاً بالموسيقى والغناء ، وقد أورد أن تلك الرعاية لم تقتصر على من وفد عليه ببلاطه ، بل انه كان يرعاهم في حجه الى مكة ، واستدعاء من بعد منعم اليه . وهناك اشارات الى قول يزيد ابن عبد الملك الشعر ، بل أن أحد المؤرخين المحدثين ، جعل الخليفة يزيد من المجددين في الشعر ، واحد الشعراء الذين عملوا بالاناقة والمقل في المناظرة الشعرية . ونحن في الحقيقة لم نعثر على أي شعر ليزيد بن عبد الملك في المصادر التي اطلعنا عليها ، سوى بيتين ، أوردهما الاسفحاني في رواية ، تشير الى اختلاف سلامة وحبابة في موت

= الجمهورية العربية . مصر ، ص ٤٦-٤٨ - محمد عبد القادر أحمد : دراسات في أدب ونموس العصر الأموي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٠٩-١١٠ .

(١) تاريخ الادب العربي ، ترجمة ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٧٩٤ ، ٦٤٩ .

(٢) أن صح خبره هذا ، فإن تلك الرعاية كانت خلال حجه قبل أن يتولى الخلافة ، لأن يزيد لم يحج في خلافته . (انظر/ مجهول : العيون ، ص ٨١ - الاربلي : خلاصة السذهب المسبوك ، ص ٢٦) .

(٣) الاسفحاني : الاتحادي ، ١٢٤/١٣٧ - شكري فيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ٢٩٨-٢٩٨ - بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ٢٤٠/١ .

(٤) شكري فيصل : نفس المرجع والمفحات .

(٥) نفس المصدر والجزء والمفحات .

غنائى ، فأمر الخليفة عامله على المدينة ، أن يحمل اليه
معبد المفتى للحكم بينهما ، فاتاه وحكم بينهما ، وأمره
الخليفة أن يغنيه ، فغناه ، فطوب ، وقال شعرا هو :

أبلغ حباة اسقى ربعا المطر

ماللفؤاد سوى ذكراكم وطر

ان سار محبى لم املك تذكركم

أو عرسوا فعموم النفس والسفر

لكن الامفغانى يعود الى ذكر الاختلاف فى نسبة صنعة ذلك
الشعر ليزيد ، فيذكر أن ابن خرداذبة نسبة ليزيد ، وغيره
نسبة لحباة ، وقال الامفغانى : والمحيح انه لمعبد .
وكان ليزيد اهتمام ظاهر بالشعر والشعراء ، فنجده
يسأل الزهرى عن قائل قصيدة غنتها له جاريته حباة ، فلما
علم انها للاحوص الشاعر ، وكان عمر بن عبد العزيز قد نفاه
الى دهلك ، أمر بتخليه سبيله ، وأمر للزهرى بأربع مئة
دينار . وقيل : بل أخبره بذلك جاريته حباة ، فأمر
باحضاره ، فمدح الخليفة يزيد ، الذى اجزل جائزته . ومن^(٢)
بالغ اهتمامه ، أمر عامله على مكة ، أن يحمل اليه شاعرا
من آل أبى لهب على دواب البريد ، وأن يعطيه ألف دينار^(٣)
نفقة الطريق . الى جانب بعض الاخبار الدالة على تقريبه بعض
الشعراء ، واجزال العطايا لهم ، ككثير عزة ، الذى قيل :

(١) أبو العرب : كتاب المحن ، ص ٤٠٥ - الذهبى : تاريخ
الاسلام ، ٩١/٤ - محمد عبد القادر أحمد : دراسات فى
أدب ونموس العصر الاموى ، ص ١١٣ .
(٢) الامفغانى : الغنائى ، ١٢٩/١٥ - ١٣٠ - وانظر بعد : ص ٧١٣
(٣) أحمد السيد دراج : مناعة الكتابة ، ص ٢٢ - فرج الهونى :
النظم الادارية والمالية ، ص ٢٠٠ .

أن الخليفة يزيد جعله يطلب لنفسه ماشاء ، لاجابه بقصائده
التي مدحه بها ، فاحتكم بمئة ألف ، فكره الخليفة أن يقول
الناس أعطى شاعرا مئة ألف ، لكنه نفذ وعده على أن يكون
(١)
فيها عروض .

وسنعرض لشيء من اخباره مع الشعراء ابان ذكرنا لاهم
شعراء عصره .

ويتضح أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، كان يخلع
تقريبه للشعراء ، للمعايير الاخلاقية ، وان بدا غير دقيق في
الحرص على ذلك - كعقوه عن الاحوص الذي نفاه عمر بن عبد
العزيز لسوء سلوكه وتعرفه لاعراض الناس بشعره - فقد اورد
ابن عبد ربه ، أن الخليفة يزيد لم يسمح لابى الطحمان
(٢)
القينى ، بالدخول عليه الفسقة ، مع محاولة ابى الطحمان ،
اسماع الخليفة شيء من شعره الذي يمدحه فيه . لكن
الخليفة لم يأذن له ، وان كان قد امر له بألفى درهم . لكن
ابن حجر في ترجمته لابى الطحمان القينى ، يشير الى انه قد
(٣)
ذكر له شعر يخبوا فيه من الذنوب كالزنا وشرب الخمر واكل

(١) احسان عباس : ديوان كثير عزة ، دار الثقافة ، بيروت ،
لبنان ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص ٥٢ - محمد عبد القادر أحمد :
دراسات في أدب ونصوص العصر الاموي ، ص ١١٢ .
(٢) العقد ، ٤١/٧ .

(٣) حفظة بن الشرقى أبو الطحمان القينى ، الشاعر ، كان
نديما للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ، ثم ادرك
الاسلام ، ذكر في المعمرين ، وقيل عاش مئتي سنة . (ابن
حجر : الاصابة ، ٣٨١/١ - ٣٨٢) . فاذا ماصح ما قيل عن طول
عمره يكون من المقبول صحة هذه الرواية التي اشار
اليها ابن عبد ربه ، ومبعث هذا الشك في صحة هذه
الرواية ، ترجمة الزركلى لابى الطحمان ، حيث أرخ
لوفاته فيها بسنة (٣٠هـ) . (انظر ترجمته في كتابه :
الاعلام ، ٢٨٦/٢) .
(٤) نفس المصدر والجزء ، ص ٣٨١ .

لحم الخنزير والسرقه ، مما يعارض مقتضى خبر ابن عبد ربه ،
الا ان تكون توبته وشعره ذاك قد حدث بعد عهد يزيد بن عبد
الملك . او ان يزيد اتخذ موقفه منه على اساس سمعته
المافية .

ولم يكن الاهتمام بالادب قاصرا على الخليفة يزيد ، فقد
رعاه كثير من الامراء والولاة في عهد وعلى راسهم مسلمة بن عبد
الملك ، فقد كان ذا كرم وفصاحة ، يقرب اهل الادب ويرعاهم ،
اومى بثلث ماله لاهل الادب ، وقال : "انها لمنعة جحف اهلها"^(١)
واشتهر الى جانب رجالات الدولة ، اناس عرفوا بحب الادب واهله
وكانوا من رعايته والمؤثرين فيه ، كعبد الله بن ابي عتيق^(٢)
وسكينة بنت الحسين ، اللذين كان لهما دور ومكانة مميزة في
الوسط الادبي ، وغيرهما ممن كانوا من اهله ورعايته ونقاده^(٣)
الموجهين .^(٤)

- (١) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣٤١/٩-٣٤٢ .
(٢) عبد الله بن محمد بن ابي بكر المديقي ، ناقد الحجاز
في عصره ، ولد زمن عثمان ، و(توفي بعد سنة ١١٦هـ
وقبل سنة ١٣٠هـ) . كان مع سكينة من نقاد الحجاز ،
وممن علوا بالادب . (انظر اخباره عند / عبد العزيز
عتيق : ابن ابي عتيق ناقد الحجاز اخباره ونقده ،
جامعة بيروت العربية ، طبع دار الاحد (البحري اخوان)
بيروت ، ١٩٧٢م) .
(٣) سكينة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب ، الشهيد ، روت
عن أبيها ، وقلما روت ، كانت بديعة الجمال ، تزوجها
ابن عمها عبد الله بن الحسن الاكبر ، فقتل مع أبيها
قبل الدخول بها ، ثم تزوجها معصب بن الزبير ، ثم غير
واحد . وكانت شهمة مهيبة ، دخلت على الخليفة هشام
فسلبته عمامته ومنطقته ومطرفه ، فاعطاها ذلك ، كان
الشعراء يأتون بابها فتجيزهم ، (ت ١١٧هـ) . (الذهبي :
سير ، ٢٦٢/٥-٢٦٣) .
(٤) بلاشير : تاريخ الادب العربي ، ص ٧٩٥-٨٨٠ .
(٥) محمد خفاجي : الحياة الادبية في عصر بني أمية ،
ص ٢٩٥-٣٠٤ (وقد ذكر عدد من النقاد ورعاة الادب آنذاك)

الشعر :

شهد عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك جلة من فحول الشعر في العصر الاموي ، والمقدمين من شعراء الاسلام ، الذين كان لكثير منهم صلة بالخليفة يزيد ، وكان شعرهم معبرا عن اوضاع عهده المختلفة ، وعلى رأس هؤلاء الشعراء ، الفرزدق ، وجريير .

(١)

اما الفرزدق ، فقد ظل متباعدا عن القصر الاموي ومدح خلفائه حتى عهد عبد الملك ، وقيل حتى عمر ابنه سليمان ،

(١) همام بن غالب بن صعصعة ، الدارمي التميمي ، البصري ، الشاعر المعروف من بيت عز وشرف في الجاهلية والاسلام جده صعصعة صحابي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وورد الفرزدق مع أبيه على علي رضي الله عنه واخبره أنه شاعر ، فقال علمه القرآن فهو خير له من الشعر ، وقيل قيد نفسه حتى يحفظ القرآن ، وقد رأى الحسين بن علي وسمعه وهو ذاهب العراق ، وغيره من الصحابة ، وروى عن جماعة . وقد ورث بداوة قبيلته ، واشتد في شعره ، فلم تفسد شعره العافرة ، فكان عظيم الاثر في اللغة ، قيل : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس ، وبعد في شعراء الطبقة الاولى في الاسلام ، وكان لا ينشد بين يدي الشعراء الا جالسا ، واشعاره ونقائضه مع جريير والاعطل مشهورة ، كما طلق زوجته النوار ، فقال فيعا اشعارا حسنا ورشاها بعد موتها ، له من الاولاد ثلاثة او سبعة في قول آخر وله من البنات خمس او ست ، قيل ان هواه مع آل البيت ، وقيل بل مع كل معارض للامويين لكنه لا يبين ذلك ، واخيرا تقرب من الامويين ، وانحى من شعراء بلاطهم ، ولد (٢٠ أو ٢٥هـ) ، و(ت ١١٤هـ على الصحيح) .

عن ترجمته ، واخباره واشعاره ، انظر / محمد بن سلام الجمعي : طبقات فحول الشعراء ، قراء وشرحه محمود شاكر ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، السفر الثاني ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٢٩٧-٢٧٤ -ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٧٧/٩ - ٢٧٨ - الزركلي : الاعلام ، ٩٣/٨ - شاكر الفحام : الفرزدق ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ممدوح حتى : الفرزدق ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة .

والاقرب للصحة ، مدحه بنى أمية منذ عبد الملك ، لكنه لم
يفد على أحد منهم قبل سليمان .^(١)

ويبدو انه لم يفلح فى نوال ولى خليفته عمر بن عبد
العزیز ، فلما تولى يزيد بن عبد الملك ، وفتح ابوابه
للشعراء ، كان أحد طريقيهما المتلمسين العبات والمطايا
شاعرنا الفرزدق . وقد استحل عهد يزيد بحركة ابن المطلب ،^(٢)
فانحازت مثر الى الخلافة ، وكان الفرزدق فى هذه الحرب لسان
مصر ، فد المتمرد على خليفة المسلمين ، فانبرى يقول عدد
من القصائد ويطلب مادها الخليفة يزيد وقواده مسلمة بن عبد
الملك ، والعباس بن الوليد ، وهلال بن أحوز ، وعبد الرحمن
ابن سليم الكلبى ، كما امتدح فرسان مصر وبالأخص تميم على
ما أبدوه من شجاعة يوم المعر وفى قننابيل ، كما هجا ابن
المطلب وأهله وقومه الأزد ، وقد انبرى له الطرماح بن حكيم
الطائى ، شاعر اليمن يدافع عن قومه ، فانغمس معه الفرزدق
صاحب الثمانين عاما فى مناقشات شعرية للذود عن العربيين .^(٣)

ونجد الفرزدق بعد ذلك ، متعرفا لسياسة الخليفة ،
وولائه ، فقد ولى الخليفة يزيد عمر بن هبيرة الفزارى
القيسى على العراق ، فيمدحه الفرزدق ، ويرفع من شأن أسرته

(١) شاكِر الفحام : الفرزدق ، ص ١٦٩-١٧١ - يوسف خليل :
تاريخ الشعر العربى فى العصر الاسلامى ، ص ١٨٤ - السيد
عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٠٩ .

(٢)

شاكِر الفحام : نفس المرجع ، ص ١٨٠ .

(٣)

من أجل ذلك ونماذج من شعره فى تلك المواقف ، انظر /
شاكِر الفحام : نفس المرجع ، ص ١٨٠-١٨٤ - أحمد كمال
زكى : الحياة الادبية فى البصرة الى نهاية القرن
الثانى الهجرى ، دار المعارف ، بمصر ، القاهرة ،
١٩٧١م ، ص ٢٧٤-٢٧٦ - محمد عبد القادر أحمد : دراسات
فى ادب ونصوص العصر الاموى ، ص ١١٢ - بلاشير : تاريخ
الادب العربى ، ص ٥٨٨-٥٨٩ .

مشيدا بكفايته ، لكنه لا يلبث أن يتنكر لابن هبيرة ، فيهجوه ويهجو قبيلته ، وينال من أمانته ، مبديا عجه من عزل أموى - يعنى مسلمة - واستعمال فزارى ، ناصحا للخليفة بعزله ، مما أوغر عليه صدر عمر بن هبيرة ، الذى طلبه ففر من وجهه الى البادية ، ثم استجار بالخليفة ، فلقى فى كنفه الامن والبر والملة ، وكتب الخليفة الى ابن هبيرة بتخليه النوار زوجة الفرزدق وكان قد سجنها . وقيل : بل تمكن منه ابن هبيرة وسجنه واطلقه . ويبدو أن تغير موقفه من ابن هبيرة كان لعدم حصوله على ما كان يتامله منه ، وان بدا مدفوعا فى شعره بمظالم ذلك الوالى .

فمدح الخليفة بعدد من القمائد ، وبالف فى مدحه وتمجيده ، وتواصلت مدائحه ، واتصل بابنه الوليد بن يزيد ، ومدحه ، ونعم بقربهما وخيرهما .^(٢)
واما جرير ، فقد اتصل بيزيد بن عبد الملك ، فكان^(٣)

(١) شاعر الفحام : الفرزدق ، ص ١٨٤-١٨٥ - أحمد كمال زكى ، الحياة الادبية فى البصرة ، ص ٢٨٤-٢٨٥ - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٣٠٤ - عون الشريف : شعر البصرة ، ص ٩٥ - محمد عبد القادر أحمد : دراسات فى أدب ونصوص العصر الاموى ، ص ٢٩٠ .

(٢) يوسف خليف : تاريخ الشعر العربى فى العصر الاسلامى ، ص ١٦٧-١٦٨ - شاعر الفحام : نفس المرجع ، ص ١٨١-١٨٢ ، ١٨٦ . (خروج عن المألوف ، فهو المدح المفاخر بمنهجية بدوية ، فهو ان مدح يزيد بذلك ، فقد فاخر بنفسه امامه ، وقد لاقى يوما الشاعر جرير فى مجلس الخليفة ، وصرح أنه لا يرى له كفه سوى الخليفة يزيد نفسه . انظر / ممدوح حقى : الفرزدق ، ص ٣٥-٣٦) .

(٣) جرير بن عطية الخطفى ، الكلبى ، اليربوعى ، التميمى ، الشاعر المشهور ، يعد فى الطبقة الاولى لشعراء الاسلام ولد ونشأ بالبادية ، فقيرا ، راعيا ، من بيت متواضع ، وقد نطق بالشعر صبيا ، فهو من بيت شعر آباء وأبناء ، وكان أول من وفد عليه من الخلفاء يزيد بن معاوية ، وتواصل وفوده على أكثرهم ، وعمالهم ، قيل كان جرير أشعر أهل عصره ، وقال عن نفسه : انى لمدينة الشعر =

الشاعر الذي يحامى عن الحكم الاموى ، ويناهل عن اصحابه ،
ويسدد السهام لخصومه ، وقد أدى انتصار جيوش الخلافة على
ابن المطلب فى عصر يزيد ، وارتفاع شان القيسية على اثر
ذلك ، أن اصبح الشاعر جرير ، اللسان الناطق باسم القيسية
عد اليمينية ، يتغنى بذلك الانتصار ، مادحا الخليفة وقواده
وفرسانه ، كما مجد اعمال قواده فى حروبهم الاخرى ، فى عدد
من القصائد ، ومن ذلك قوله يمدح يزيد بعد القضاء على ابن
المطلب ، معرضا باعدائه :

زان المنابر واختالت بمنخب

مثبت بكتاب الله منصور

يكفى الخليفة أن الله فضله

عزم وثيق وعقد غير تفرير

الى قوله :

وكان نصرا من الرحمن قدره

والله ربك ذو ملك وتقرير

ومن قصيدة اخرى يمدح فيها الخليفة يزيد بن عبد الملك

ويعرض بآل المطلب :

= التى منها يخرج واليها يعود . له اشعار وأخبار مع
معاصريه ، ونقائضه مع الفرزدق والاختل مشهورة . ولد
سنة ٢٨هـ على خلاف ، وتوفى (١١٤هـ على الصحيح) بعد
وفاة الفرزدق بأشهر وقيل : بثمانين يوما . وقد جمع
شعره أكثر من واحد .
(انظر عنه / ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ،
٢/٣٧٤-٤٥١ - ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٢٧١-٢٧٧ -
الزركلى : الاعلام ، ١١٩/٢ - بلاشير : تاريخ الادب
العربى ، ص ٥٧٠-٥٧١، ٥٧٧ - وأيضا لمعلومات أشمل :
محمد إبراهيم جمعة : جرير ، دار المعارف ، بمصر) .

ساس الخلافة حين قام بحققها
وحمل الدمار فما يلباع دمار
ويزيد قد علمت قريش أنه
غمر البحور الى العلا سوار
الى قوله :

آل المهلب فرطوا في دينهم
(١)
وظفوا كما فعلت ثمود فباروا

واستمر جرير ، يثري حياة الشعر ، وكان آخر من مدحهم
من الخلفاء هشام ، حيث وافقه المنيعة في موطنه الاسلي
(٢)
باليمامة .

وقد شهد عهد يزيد بن عبد الملك الى جانب الفرزدق
(٣)
وجرير اللذين كانا مع الاخطل فحول الشعر الاموي ، وصدر بهم
ابن سلام الطبقة الاولى لشعراء الاسلام ، شهد معهما جلة من
الشعراء المبرزين والمؤثرين في الحياة الادبية آنذاك منهم :
(٤)
كعب الاشقري ، كان من شعراء المهلب بن ابي صبرة

-
- (١) انظر هذه القمائد عند : محمد ابراهيم جمعة : جرير ، ص ٦٨-٦٩ ، ٩٠ - بلاشير : نفس المرجع ، ص ٥٨٢ .
(٢) يوسف خليف : نفس المرجع والمصحات .
(٣) كانت وفاة الاخطل قبل عهد يزيد ، وذلك سنة (٨٩٠هـ) .
(انظر ترجمته عند : الزركلي : الاعلام ، ١٢٣/٥) .
(٤) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ٢/٢٩٧-٣٠٠ .
(٥) كعب بن معدان الاشقري ، ابو مالك الازدي ، فارس ، شاعر خطيب ، من شعراء خراسان ، كان في جلة اصحاب المهلب المذكورين في حروب الازارقة (ت ٨٠هـ) . (الزركلي : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٢٩) لكن الهادي حموده الغزي اورد أنه قتل سنة ١٠٢هـ في فتنة ابن المهلب ، كما اشرنا الى ذلك في المتن اعلاه ، (انظر : الشعر الاموي في خراسان ، ص ١٧٢-١٧٧) .

وفرسائه ، ثم تنكر للمهالبة بعد موت المهلب وخروج خراسان من يد ابنائه الى قتيبة بن مسلم ، الذي مدحه ، فلما استعمل سليمان بن عبد الملك على خراسان يزيد بن المهلب ، فر كعب الى عمان ، موطن قبيلته الاول ، فلما قام يزيد بن المهلب بحركته زمن يزيد بن عبد الملك في البصرة وسيطر على تلك الاتحاء ، دس اليه من قتله في عمان (سنة ١٠٢هـ) . وهو شاعر مبدع وبخامة في المديح ، ويعد في فحول الشعراء بالمصر الاموي بشهادة الفرزدق ، وبمقتله مع فقد عدد آخر من شعراء خراسان ، بدا ذلك الاقليم يفقد ملامحه العربية شعريا ويبدو ان ابن المهلب لم يقتل كعب الاشقري لتحوله عن ولائه لهم فحسب ، بل لخشيته من تأثيره على قومه ازد عمان ، فسمي للتخلص منه ، ليضمن وقوف مصيبيته الى جانبه .
(١)
ومنهم ، عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، والحكم بن عبدل ، ادرك اوائل القرن الثاني ، واتصل بابن هبيرة

-
- (١) الهادي الغزي : الشعر الاموي في خراسان ، ص ١٧٢-١٧٧ .
(٢) الهادي الغزي : نفس المرجع ، ص ١٧٩-١٨٢ .
(٣) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانباري ، شاعر ابن شاعر كان مقيما بالمدينة وتوفي فيها ، ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يرو عنه ، وروى عن جماعة ، محدث ثقة ، قليل الحديث ، عد في الصحابة ، وقيل تابعي وقد جمع شعره في ديوان ، (ت ١٠٤هـ عن ٩٨ سنة) . (ابن حجر : تهذيب ، ١٤٧/٦ - ١٤٨ - الزركلي : الاعلام ، ٣٠٣/٣-٣٠٤) .
(٤) الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو الاسدي ، شاعر مقدم ، هجاء ، من شعراء بني أمية ، كان أعرج أحمق ، واقعد آخر أيامه ، ولد ونشأ بالكوفة ، وفد على عبد الملك ابن مروان فأكرمه وكان الأمراء لا يردون حاجته ، (ت نحو ١٠٠هـ) . (الزركلي : نفس المرجع ، ٢٦٧/٢) . ويلاحظ ان يوسف خليف قال انه ادرك ابن هبيرة في ولايته على العراق ، مخالفًا بذلك الزركلي في التاريخ لوفاته . (انظر المتن أعلاه) .

- عامل يزيد بن عبد الملك على العراق ١٠٣-١٠٥هـ - فاراد
 ان يوجهه الى الفزو ، ويمد هذا الشاعر مقدمة للادباء
 الصعاليك الذين ظهروا في القرن الرابع للهجرة .^(١)
 وكثير عزة ، الذي ادرك عهد يزيد وقد نيف على الخامسة^(٢)
 والسبعين من العمر ، فاقبل به ، ومدحه بقمائد جياذ ، اعجبت
 الخليفة ، فقال جوائزه ، حتى انه حكمه على بعفها بطلب^(٣)
 مايشاء ، وقد تشفع لاسرى آل المقلب عند الخليفة ، من ذلك
 قوله :

فمغفوا امير المؤمنين وحسبة

لما تكتسب من صالح لك يكتب

اساءوا فان تغفر فانك اهل

وافعل حلم حسبة حلم مغسب

لكن الخليفة لم يقبل شفاعته ، وقتل اسراه . وقد^(٤)
 تحولت حظوة كثير عند الخليفة الى جفوة ، والسبب في ذلك
 كما يذكر خطي رأى كثير ، اذ يروى انه سأل الخليفة عن معنى

(١) يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن
 الثاني الهجري ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،
 القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص ٤٧٥ .

(٢) كثير بن عبد الرحمن بن الاسود الخزاعي ، شاعر مدني
 مشهور ، كان شاعر اهل الحجاز في الاسلام ، لا يقدمون
 عليه احدا ، ذكر انه شيعي يؤمن بالرجعة وينسب اليه
 القول بالتناسخ . متيم بعزة ، وعرف بها ، وله اخبار
 وأشعار معها وفيها ، وقد على بنى مروان ومدحهم ،
 توفي بالمدينة (١٠٥هـ) ، له ديوان مطبوع . (انظر عن
 ترجمته واخباره / ابن كثير : البدايه ، ط٤ ،
 ٢٦١/٩ - ٢٦٧ - اليافعي : مرآة الجنان ، ٢٤٩/١ -
 الزركلي : الاعلام ، ٢١٩/٥ - وكذلك لمعلومات اشمل :
 احسان عباس : ديوان كثير عزة) .

(٣) انظر ذلك قبل : ص ٧٠٠-٧٠١ .
 (٤) عن موقف الخليفة يزيد هذا ، (انظر قبل : الفصل
 الثاني ، المبحث الاول ، ص ٢١٤-٢١٥) .

قول أحد الشعراء وكان القول غامضا ، فتصامم عنه يزيد ،
فأعاد القول ، وأخذ يستحث الخليفة في تعدي ، فقال يزيد :
وماعلى أمير المؤمنين ألا يعرف هذا وأمر بإخراجه ، فحجب عن
الخليفة بعد ذلك ولم يعمل اليه ، فكلمه فيه مسلمة وكان قد
مدح الخليفة بسبع قصائد ، فأعطاه سبعمائة دينار . والغالب
أنه بعد هذه الجفوة عاد الى الحجاز فظل بها حتى مات .^(١)
وعمر بن لجا التيمي ،^(٢) ويزيد بن الحكم الثقفي ،^(٣)
الشاعر الفصيح العاقل الحكيم ، لما شار يزيد بن المهلب
على يزيد بن عبد الملك كتب اليه :

أبا خالد قد هجت حربا مريرة

وقد شمرت حرب عوان فشمز

فان بنى مروان قد زال ملكهم

وان كنت لم تشمر بذلك فاشمر

ومت ما جدا أو عش كريما فان تمت

وسيفك مشهور بكفك تمذر^(٤)

ولعل هناك صلة حميمة بين ابن المهلب وابن الحكم

(١) من أجل ذلك انظر / ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ،
٥٤٣/٢ - ٥٤٤ - ابن خلكان : وفيات ، ١١٠/٤ - البيهقي :
معرفة الجنان ، ٢٥٢/١ - بلاشير : تاريخ الادب العربي ،
ص ٧٢٣-٧٢٨ ، ٨١٨.

(٢) عمر بن لجا التيمي ، من شعراء العصر الاموي ، كان
بيته وبين جرير مفاخرات ومعارضات شعر بها (ت نحو
١٠٥هـ) . (الزركلي : الاعلام ، ٥٩/٥) .

(٣) يزيد بن الحكم بن أبي العاصي الثقفي ، روى الحديث
وروى عنه ، من فحاء الشعراء وحكمائهم ، أبي النفس
شريفها ، وهو من أهل الطائف ، سكن البصرة ، فولاه
الحجاج كورة فارس ثم عزله قبل أن يذهب اليها ، فوجد
علي سليمان فأجرى له مايعادل عمالة فارس ، فقطع عنه
ذلك بعد سليمان ، فلما قام ابن المهلب بحركته حرره
بشعره . وله أشعار في الحكمة (ت نحو ١٠٥هـ) .
(الذهبي : سير ، ٥١٩/٤ - ٥٢٠ - الزركلي : نفس المرجع ،
١٨١/٨) .

(٤) الزركلي : نفس المرجع والجزء والصفحة .

منذ أن وفد الشاعر على سليمان بن عبد الملك حيث أجزل له العطاء ، فقد يكون لابن المهلب يد فيما ناله ابن الحكم من الخليفة سليمان بحكم قربه منه ومكانته عنده ، أو لعل يزيد ابن عبد الملك ، منع عنه ما أجراه عليه سليمان ، وقطع فيما يبدو زمن عمر بن عبد العزيز ، فناصر لذلك خصمه ، والا كيف بشاعر شغفى قيسى ، يناصر حركة ابن المهلب اليمنى ، خصوصا أن من أسباب قيام تلك الحركة ، تعذيب ابن المهلب لآل أبي عقيل من شقيف ، أصهار الخليفة يزيد بن عبد الملك .

والطرماع بن حكيم الطائى ، شاعر إسلامى فحل ، كان شاعر يزيد بن المهلب ، قحطانيا متعصبا ، كان لسان اليمنى المخامم للمفوية ، وخاصة حميم ، واستمر على ذلك حتى انكسار المهالبة سنة ١٠٢هـ ، فاقبل بخالد القسوى ومدحه ، فلم تمهله المنية ، ومات سنة ١٠٥هـ .

وأبو النجم العجلي ، الراجز ، أحد ثلاثة طوروا الرجز فى العصر الأموى ، ويعد فى الطبقة الأولى من الرجاز الفحول

- (١) انظر ذلك فى ترجمته بالمفحة السابقة .
 (٢) الطرماع بن حكيم بن الحكم الطائى ، شاعر إسلامى فحل ، ولد ونشأ فى الشام ، وانتقل الى الرى فكان مؤدبا فيها ، وفى الكوفة بعد أن انتقل اليها ، اعتقد مذهب الأزارقة وكان هجاء ، كان معاصرا للكميت وصديقا له (مات بالجدري سنة ١٠٥هـ) ، وله ديوان شعر . (الزركلى : الاعلام ، ٢٢٥/٣ - بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، ٢٤٤/١-٢٤٥) .
 (٣) بلاشير : تاريخ الادب العربى ، ص ٦٢٥-٦٢٨ - بروكلمان : نفس المرجع والجزء والصفحات .
 (٤) أبو النجم الفحل بن قدامة العجلي ، البكرى ، الراجز من أكابر الرجاز وأحسن الناس انشادا للشعر ، نبغ فى العصر الأموى ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام (ت ١٢٠هـ) . الزركلى : نفس المرجع ، ١٥١/٥ .

(١) في الاسلام ، فقد كان من المحسنين في هذه المنفعة المجودين .
 (٢) وزياد الامجم ، من فحول الشعراء الخرسانيين في العصر
 الاموي ، امتدح المقلب ، وغيره من الامراء والقواد ، وادرك
 هشام وله وفادة عليه . ودكين بن رجاء الفقيمي ، الراجز
 المشهور .
 (٣)
 (٤)
 (٥) ونصيب بن رباح ، شاعر فحل ، كان يعد مع جرير وكثير
 عزة ، له مدائح في خلفاء وامراء البيت الاموي ، وقد حظى
 عند الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقد مدحه واحسن ، فقال
 اعجاب الخليفة ، فقال له : اجدت المدح فعل حاجتك ، فقال :

-
- (١) يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الاموي ، ص ٢١٧ - بلاشير : تاريخ الادب العربي ، ص ٦١٦-٦١٧ .
 (٢) زياد بن سليمان الامجم ، مولى بني عبد القيس ، جزل الشعر فصيح اللفاظ ، ولد ونشأ في اصفهان ، وانتقل الى خراسان مدح المقلب وامراء عمره ، وكان هجاء يداري ، له وفادة على هشام ، وقد طال عمره (ت ١٠٥هـ) وقيل (١٠١هـ) . (الزركلي : الاعلام ، ٥٤/٣) .
 (٣) الهادي الفزى : الشعر الاموي في خراسان ، ص ١٢٧-١٣٣ .
 (٤) دكين بن رجاء الفقيمي ، التميمي ، راجز شهر في العصر الاموي ، له اراجيز ومدائح (ت ١٠٥هـ) ، (الزركلي : نفس المرجع ، ٣٤٠/٢ - بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ٢٢٩/١) .
 (٥) نصيب بن رباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل مقدم في النسيب والمدائح ، قال جرير فيه : اشعر اهل جلدته ، وكان عبدا اسود وقد كان عبدا لراشد الكنانى يسكن البادية ، انشد ابياثا بين يدي عبد العزيز بن مروان ، فاشتراه واعتقه ، له وفادات على خلفاء بني امية ، ومدائح فيهم ، تنسك آخر عمره ، واقبل على شانه ، وترك التفضل ، (ت ١٠٨هـ على خلاف) . (انظر عن ترجمته واخباره واشعاره / الذهبي : سير ، ٢٢٦/٥-٢٦٧ - الزركلي : نفس المرجع ، ٣١/٨-٣٢ - ولمعلومات اشمل انظر أيضا : داود سلوم : شعر نصيب بن رباح ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٧م) .

يدك يا أمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لسانى بالمسألة ،
فامر به فعلى فمه جوهرا فلم يزل غنيا حتى مات . وقد عده^(١)
بعضهم من شعراء الشعوبية الى جانب اسماعيل بن يسار
(ت ١١٠هـ) واخوته محمد و ابراهيم وغيرهم ، الذين ظهر على
يديهم لون جديد من الشعر ، وهو تمجيد اقوامهم ، وتاريخ^(٢)
شعوبهم الاعجمية .

ومنهم الاحوص ،^(٣) كان منغيا فى ذلك بامر عمر بن عبد
المعز ، فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، كتب اليه
الاحوص مادحا ، فعفى عنه يزيد ، واستقدمه الى دمشق ، على
اختلاف فى سبب تخلية سبيله ، وكان الخليفة يعرف للاحوص
مدائح فى اهل بيته ، لذا قال له يوما : لو لم تمت اينما
بحرمة ، ولاتوسلت بدالة ، ولاجددت لنا مدحا ، غير انك مقتصر
على بيتيك لاستوجبت عندنا جزيل العلة ، ثم انشد يزيد قوله :

وانى لاستحييكم ان يقودنى

الى غيركم من سائر الناس مطمع

وان اجتدى للنفع غيرك منهم

وانت امام للبرية مقنع

-
- (١) داود سلوم : شعر نميب بن رباح ، ص ١٨ - بلاشير :
تاريخ الادب العربى ، ص ٧١٦-٧٢٠ .
- (٢) محمد خفاجى : الحياة الادبية فى العصر الاموى ، ص ١٠٠-
١٠١ - بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، ٢٣٩/١ .
- (٣) عبدالله بن محمد الانصارى ، شاعر هجاء مقدم فى النفسيب
وقد على الوليد وخص بنى أمية بمدحه ، ولموء سيرته
وتعريفه بأشعاره للناس ، جلدونفى الى ذلك ، أطلقه
يزيد بن عبد الملك ، فقدم دمشق ومات فيها (سنة
١١٠هـ) . (الزركلى : الاعلام ، ١١٦/٤ - ولمعلومات أوفى
وأشمل ، انظر أيضا : عادل سليمان جمال : شعر الاحوص
الانصارى ، رسالة ماجستير فى الآداب ، جامعة القاهرة ،
١٩٦٤م ، مطبوع ، الهيئة المصرية العامة للتأليف
والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) .

ووهبه الخليفة ثلاثين ألف درهم ، فمدحه الاحوص بقوله :
 من يكن سائلا فان يزيدا
 ملك من عطائه الاكثار
 فاكثر له يزيد كما تامل وطن ، وقربه وقضى حوائجه ،
 حتى اغناه ، فتفنن الاحوص فى مدحه ، ودان له بما صار اليه
 من الثراء ، يقول :

وماكان مالى طارفا من تجارة

وماكان ميراثا من المال متلدا

ولكن عطاء من امام مبارك

ملا الارض معروفا وجودا وسودا

ويقول من قصائد تعبر عن رجا ، وامنا ، وانعام ، ومدق

فى مدح الخليفة راجيا دوام ذلك :

ولى منك موعود طلبت نجاحه

وانت امرء لا تخلف الدهر موعدا

وعودتنى ان لاتزال تظللنى

يد منك قد قدمت من قبلها يدا

وفاء للخليفة ، وجزاء لآكرامه ، نجده مبادرا الى

هجاء خصومه المهابة ، عندما احجم الشعراء ، فظهر بصورة

المدافع عن سياسة الخليفة يزيد ، وقد ناله من وراء ذلك

بلاء عظيم . وقد عزل الخليفة عامل عمر على المدينة ابو بكر

ابن حزم الذى كان وراء نفي الاحوص ، فوجدها فرصة للنيل من

خصمه ، فهجاء ، وذكر الخليفة بأشياء كانت من ابن حزم

تجاهه ، مما اغضب عليه الخليفة ، فامر بغربه . وبوفاة

يزيد لانجد نموسا تدل على اتصاله بهشام الذى أدرك خمس

(١)

سنوات من خلافته .

(٢)

وخابت قطنه (ت ١١٠هـ) شاعر أزدي ، كان مع المهلب في

حروبه مع الخوارج ، فكان ولاؤه ومدحه للمهلب وآله ، الذين

قربوه وولوه أعمالهم ، لاسيما في ولاية يزيد بن المهلب ،

وكان في موقف المحرض لابن المهلب في حركته أيام يزيد بن

(٣)

عبد الملك ، وله في ذلك أشعار ، وظل وفيا للمعالية حتى

بعد نكبتهم ، فقال كثيرا من الأشعار يتفجع عليهم ويرثي

(٤)

فيها قتلاهم ، معانا نكمته وسخطه على الأمويين .

(٦)

(٥)

ومنهم ذو الرمة ، والمرجى ،

(١) من أجل ذلك انظر : عادل سليمان جمال : شعر الاحوص

الانصارى ، ص ٤١٠، ٤٣-٤٧٠ - بروكلمان : تاريخ الادب

العربي ، ١/١٩٦-١٩٧ - بلاشير : تاريخ الادب العربي ،

ص ٧٤٣-٧٤٧ .

(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الثاني ، المبحث الاول ،

ص ١٧٠ .

(٣) انظر موقفه هذا ، وشيء من شعره خلال ماكتبناه عن حركة

ابن المهلب قبل : الفصل الثاني ، المبحث الاول ،

ص ١٧٠-١٧١ .

وانظر قميدته الى ابن المهلب ابان فتنته عند : ابن

اعثم : الفتوح ، م ٢٤٨/٤ .

(٤) الهادي القزى : الشعر الاموى في خراسان ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٥) غيلان بن عتبة العدوي المضرى ، أحد فحول الشعراء ،

يعد في الطبقة الثانية في عمره ، قيل : فتح الشعر

بامرئ القيس وختم بذي الرمة ، له ديوان مشهور ، تغزل

بمى بنت مقاتل المنقرى ، وله فيها أشعار ، وهو لم

يرها وقيل رآها مرة واحدة ، يذهب في شعره مذهب

الجاهليين ، وكان مقيما بالبادية ، وكان يحضر

اليمامة والبصرة ، ولد نحو ٧٧هـ ، وتوفي (١١٧هـ) .

(ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٩/٢٢٢-٢٢٣ - الزركلى :

الاعلام ، ٥/١٢٤ - وذكر ابن الاثير وفاته سنة ١٠١هـ ،

الكامل ، ٤/١٧١) .

(٦) عبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان ، الاموى

القرشى ، من أهل مكة ، لقب بالمرجى لسكناه قرية

المرج قرب الطائف ، شاعر غزل مطبوع ، من الادباء

الظرفاء الاسخياء ، ومن الفرسان المعدودين ، صاحب

مسلمة في وقائعه ضد الروم ، وأبلى فيها ، وسجنه والى

مكة محمد بن هشام ، فطال سجنه حتى مات (نحو ١٢٠هـ)

وكان مولده حوالى ٧٧هـ ، له ديوان شعر . (الزركلى :

نفس المرجع ، ٤/١٠٩ - بلاشير : نفس المرجع ، ص ٧٦٣-

(٧٦٨) .

- (١) والثابفة الشيباني ، كان ممن هنا الخليفة يزيد بانتصاره
على ابن المهلب سنة ١٠٢هـ ، بقصائد عديدة ، ناع أكثرها .
(٢) (٣) والكميت الأسدي ، قال الذهبي : وقد على يزيد بن عبد
الملك . ويزيد بن الطثرية ، والقطامي . (٤) (٥) (٦)

- (١) عبد الله بن المخارق الشيباني ، شاعر بدوي ، كان يقد
الى الشام يمدح الخلفاء الأمويين ، عبد الملك وأولاده ،
فأجزلوا له العطاء ، كان نصرانيا واسلم وتحصن للاسلام ،
له ديوان شعر (٦٠-١٢٥هـ) . (الزركلي : الاعلام ، ١٣٤/٤ -
بلاشير : تاريخ الادب العربي ، ص ٥٩٨) .
(٢) بلاشير : نفس المرجع والمصحة .
(٣) الكمييت بن يزيد الأسدي ، الكوفي ، مقدم شعراء وقته ،
وشاعر العاشميين ، كان عالما بأدب العرب ولغاتها
وأخبارها وأنسابها ، خطيب بني أسد ، وفقه الشيعة ،
فارسا ، راميا ، قيل : لولا شعر الكمييت لم يكن للغة
ترجمان ، وهو من مناقب بني أسد ، كان شيعيا ، متممبا
للمطرية على القحطانية ، منحازا الى بني هاشم ،
وأشهر شعره العاشميات ، وهي قصائد مدح فيهم ، قيل
مدح على بن الحسين ، فأعطاه من عنده ومن بني هاشم
أربع مئة ألف ، وثيابه ، ودعا له . عبر بشعره عن
آراء الزيدية الشيعة ، وموقفه العدائي من بني أمية ،
بلغ شعره خمسة آلاف بيت ، ولد سنة ٦٠هـ ، (ت ١٢٦هـ)
انظر عنه : (الذهبي : سير ، ٢٨٨/٥ - ٢٨٩هـ - الزركلي :
نفس المرجع ، ٢٣٣/٥ - يوسف خليف : تاريخ الشعر
العربي في العصر الاسلامي ، ص ١٣٣) .
(٤) نفس المصدر والجزء والمصحة .
(٥) يزيد بن سلمة القشيري ، شاعر مطبوع ، مقدم عند بني
أمية ، له شرف في قومه ، صاحب غزل وظرف وفصاحة ، جمع
شعره في ديوان ، قتله بنو حنيفة باليمامة يوم الفلج
سنة ١٢٦هـ ، وقد أدرك خلافة معاوية رضي الله عنه .
(انظر عنه : الزركلي : نفس المرجع ، ١٨٣/٨ -
ولمعلومات أشمل انظر أيضا : ناصر بن سعد الرشيد :
شعر يزيد بن الطثرية ، طبع دار مكة للطباعة والنشر) .
(٦) عمير بن شبيب التغلبي ، القطامي ، المعروف بصريع
الفواني ، شاعر غزل فحل ، في الطبقة الثانية من
شعراء الاسلام ، كان نصرانيا واسلم ، اتصل بالوليد بن
عبد الملك ، ومدح الأمويين ودافع عنهم ، له ديوان
مطبوع ، (ت نحو ١٣٠هـ) وقال الزركلي في هامشه في
تاريخ وفاته نظر . (انظر عنه / الزركلي : نفس المرجع ،
٨٨/٥ - بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ١٣٦/١ - ١٣٧هـ -
بلاشير : نفس المرجع ، ص ٥٦٠ - والآخران أرخا لوفاته
بسنة ١٠١هـ) .

اولئك ثلثة من مشاهير الشعراء فى عمر يزيد بن عبد الملك الذين اشروا حياة الشعر ، وكانوا من علامات ادب العصر البارزة ، ومن شاركوا فى النهوض به .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المدد ، ان هذه الفترة تمثل مرحلة مهمة من مراحل تدوين الشعر العربى ، فالظاهر ان تدوين الشعر مر بثلاث مراحل ، اولى : وكان التدوين فيها محدودا ككتابات شخصية ، او متداخلا مع علوم اخرى ، واستمرت هذه المرحلة من الجاهلية الى صدر الاسلام . المرحلة الثانية مرحلة جمع الشعر المدون والشعر المتداول شفويا ، واغلب الظن ان بداية المرحلة الثانية التى تمثل نهاية الاولى ، كان مع بدايات العصر الاموى ، ففى عهد معاوية نجد عبيد بن شريح يؤلف كتابا فى اخبار اليمن واشعارها وانسابها ، وغيره وكانت حركة الجمع قوية فى اواخر القرن الاول وبداية الثانى . اما المرحلة الثالثة ، ففى اعداد مجموعات من الشعر فى كتب اللغة اللغويون ، وهذه مرحلة جاءت بعد ذلك ، لكن المصنفين اعتمدوا على ما جمع ودون فى المرحلة الثانية من الاشعار الجاهلية والاسلامية .

وتعتبر فترة البحث جزءا من المرحلة الثانية ، وقد قام بدور الرواية والتدوين والجمع فيها الشعراء انفسهم ، شاركهم فيها المؤرخون والمفسرون ، وبعض الرواة ، فقد اعتاد بعض الشعراء املاء شعرهم او كتابته ، فنقرأ ان جريرا يملئ قميدته فى الراعى على خادمه ، والفرزدق يكتب بعض شعره ويدفعه الى جرير كى ينقله وهكذا ، وقد كان ذو الرمة راوى الراعى ، والكميت راوية للشعر عالما به ، قيل : انه كان يفوق حماد الراوية .

كما ثبت أن الشعبي وقتادة والزهرى وغيرهم ، كانوا
ذوى دراية بالشعر العربى ، كما كان من ضمن مدونات الزهرى
كتبها فيها شعر ، ومن المعروف أن المشاهير من الرواة مثل
ابى عمرو بن العلاء ينسبون مروياتهم الى هذا الجيل من
الرواة والشعراء .^(١)

وجدير بالذكر أن حمادا الراوية الذى قيل : انه اول
من جمع الشعر فى هذا العصر - وما هذا القول بمحيى ، فقد
قدمنا من القول ما يدل على أن تدوين الشعر وجمعه مر بمراحل
وأن هناك من سبقه الى ذلك - والذى كان من اعلم الناس
بايام العرب واخبارها واشعارها وانسابها ولغاتها ، الحافظ
لشعر الممیز له ، كان منقطعا الى الخليفة يزيد بن عبد
الملك فى خلافته .^(٢)

فليس مستبعدا أن يكون قد دون للخليفة شيئا من
مخطوطاته ، أو قدم له شيئا من مدوناته ، وليس شمة شك فى
أشراء حماد للحركة الادبية فى تلك الفترة ، والمشاركة فى
نشاطها .

(١) من أجل ما ذكرناه عن تدوين الشعر ، انظر / فؤاد سزكين :
محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، منشورات
معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
م ١٦٦-١٦٣ / ١ - أحمد كمال زكى : الحياة الادبية فى
البحر ، ص ١٤٧-١٤٨ - سعد موسى : تاريخ الحياة
العلمية فى المدينة ، ص ٨٧ .

(٢) من أجل ذلك ، انظر / ابن خلكان : وفيات ، ٢٠٧-٢٠٩
محمد خلفاى : تاريخ الادب فى العصر الاموى ، ص ١٨ -
بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، ٢٤٥-٢٤٦ .

الخطابة :

ازدهر فن الخطابة في العصر الاموي بشكل عام ، وارتقت الى درجة لم تعد لها من قبل ، وهي على قسمين : خطابة دينية وخطابة سياسية وحربية ، الا أن الخطابة في هذا العهد غلب عليها الطابع السياسي وسماته المميزة ^(١) .

ولقد واصل هذا الفن الادبي في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ازدهاره ، حيث شهد عهده عددا من الخطباء الفصحاء ، كالحسن البصري ، وجامع المحاربى ، وعبد الله بن عبد الله بن الاهتم ، وعبد الله بن عروة بن الزبير ، ومورق العجلي ، وبكر بن عبد الله المزنى ، ومحمد بن واسع الازدي ويزيد بن ابان الرقاشى ، ومالك بن دينار ، ومنهم القاص الواعظ ، وغيرهم كثير ، ولعل أهم المناسبات الخطابية في عهد يزيد بن عبد الملك حركة يزيد بن المهلب ، فقد كان الناس فيها خطباء وواعظ بين داع لها ومحرض عليها ، وواعظ عن الانغماس فيها ، اذ كان الاعتماد في مثل هذه الفتن لا يعتمد على السيف فحسب بل على اللسان ايضا ممثلا في الشعراء والخطباء ، ومن يقف على رأس هؤلاء الخطباء ، يزيد ابن المهلب نفسه ، فقد كان خطيبا موهوبا حفظت المصادر بعض

(١) محمد خفاجى : تاريخ الادب في العصر الاموى ، ص ١٣١-١٣٢ شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربى ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧١م ، ص ٦٣-٦٧ - بلاشير : تاريخ الادب العربى ، ص ٨٧٧-٨٧٩ - فيليب حتى : تاريخ العرب (م) ، ٣١٨/١ - فيليب حتى : تاريخ سورية ، ١٠٧/٢-١٠٨ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ط ٤ ، ٣٥٤-٣٥٣/٢ ، ٣٥٥/١ ، ١٣٥/٢ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٠٢ .

(١) خطبه ، منها خطبته في واسط بعد خروجه على الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وهو في طريقه للقاء جيوش الخلافة بقيادة مسلمة ابن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وخطبته في جندة عندما تدالت المعسكر في المقر ، فقد قال بعد ان حمد الله واشفى عليه :

"أيها الناس ، انى قد سمعت الناس في عسكرى هذا وقولهم بانه قد جاء مسلمة بن عبد الملك ، وقد جاء العباس ابن الوليد ، جاء اهل الشام ، فخبرونى من مسلمة ، فوالله مامسلمة عندى الا جرادة صفراء قسطنطين بن قسطنطين ، ومن العباس بن الوليد ! فوالله ما العباس عندى الا نسطوس بن نسطوس ، ومن اهل الشام ، فوالله ما هم الا سبعة اسياف خمسة منها لى ، واثنان على ، وانما اتاكم مسلمة والعباس في برابرة واقباط وجرامقة وانباط وجراجمة واخلاط ومغاربة (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

- (١) شوقي بيك : الفن ومذاهبه ، ص ٦٩ .
 (٢) انظر نص خطبته في واسط قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٨ .
 (٣) قال عواد الاعظمى : صيرت عبارة الجرادة الصفراء لقبا ينعت بها شخص ليدل على مدى جشعه المادى ، وشلفه الشديد في جمع الاموال واقتنائها والتهاهما . (مسلمة، ص ٣٩-٤٠) .
 (٤) لم اعثر لها على شرح .
 (٥) لم اعثر لها على تعريف . (ولعله يرمز بقسطنطين ونسطوس عن مسلمة والعباس الى كونهما من اممات روميات وانهما هجينين وليسا من العرب الخلفى) .
 (٦) الجرامقة : جرامقة الشام انباطها ، وقيل : قوم بالموصل اصلهم من العجم ، انظر : اللسان (جرمق) .
 (٧) الانباط : قوم يسكنون سواد العراق ، وقيل ينزلون بالبطائح بين العراقيين ، وهناك انباط الشام ايضا ، وقد حذقوا جباية الخراج ، وكانوا مهرة في عمارة الاراضى . انظر : اللسان (نبط) .
 (٨) الجراجمة : قوم من العجم بالجزيرة ، ويقال : الجراجمة نبط الشام . انظر : اللسان (جرجم) .
 ونقل نبيه عاقل عن البلاذرى ، ان الجراجمة : قوم من النصراني كانوا يعيشون على جبل الكمام (الامانوس) في مدينة اسمها الجرجومة . ثم تحدث عن فتح الجرجومة وموقف اهلها من الدولة الاسلامية . (انظر : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ١٥٠-١٥١) .

(١) وسقالبه ، زراعون وفلاحون اوباش واخشا ، فلايهولنكم امرهم
فوالله مالمقوا مثل جدكم ، وانى لارجو انهم ماجاءوا الا
لهلاكهم وحلول النقمة بهم ، وليس يردعهم عن غيهم الا الطعن
فى نحورهم ، والضرب بالمشرقية على قممهم ، فاعيرونى
سواعدكم ساعة تمفقون بها هامهم وخراطيمهم ، فانما هى غدوة
او روحة حتى يحكم الله بينكم وبين القوم الظالمين" (٤)

ومن الخطب التى قيلت ابان حركة ابن المهلب ، خطبة
الحسن البصرى فى الناس ، بعد ان زعم ابن المهلب انه يدعو
الناس الى سنة عمر بن عبد العزيز ، اذ قال : "اللهم امرع
يزيد بن المهلب سرعة تجعله نكالا ، يا عجبنا لفاسق غير برهة
من دهره ، ينتهك المحارم ، ياكل معهم ما اكلوا - يقصد بنى
امية - ويقتل من قتلوا ، حتى اذا منع شيئا ، قال : انى
غلبان فاغلبوا ، فتمب قمبا عليها خرق ، فاتبعه رجرجة
ورعاع ، يقول : اطلب بسنة عمر ، ان من سنة عمر ان تولع
رجلاه فى القيد ، ثم يولع حيث وضعه عمر" (٥)

-
- (١) السقلب : جيل من الناس . انظر : اللسان (سقلب) .
(٢) الاوباش من الناس الاغلاط ، او الضروب المتفرقون .
انظر : اللسان (وبش) .
(٣) لم اجد لها شرحا يناسب معناها فى هذا المقال .
(٤) ابن اعثم : الفتوح ، م ٢٥٠/٤ - ٢٥١ - وانظر هذه الخطبة
ايضا مع وجود بعض الاختلاف ، عند : ابن عبد ربه :
المعقد ، ٢١٤/٤ - الجساحظ : البيان والتبيين ،
ط ٥ ، ٢٩٢/١ - ٢٩٣ .
(٥) الذهبى : سير ، ٥٠٦/٤ .

الكتابة :

(١) عرف المسلمون الكتابة منذ بداية العصر الاسلامي ، وقد ساعد استحداث ديوان الانشاء (الوسائل) على تطور صناعة الكتابة ، حيث نشأت فيه ، في حجر العرب ، وتحت ايديهم .
(٢) ولقد ظل امر المكاتبات في الدولة الاموية ، جاريا على سنن السلف ، ببساطة المظهر ، وعدم التكلف في الخطاب ، موجزة والمحة حتى ولى الخلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) ، الذي انف أن يكتب له مع تاخير اسمه ، فأمر بتجويد الرسائل وتفخيم الخطاب ، والا يكتب بمثل ما يكتب به السوقة ، وأجرى العمل على ذلك من بعده ، حتى تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) ، ويزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ) ، اللذين رجعا بالكتابة الى نهج السلف . ثم اخذت الكتابة بعدهما في الحائق والمنعة والاطناب واشراق البيان . وقد كان للخليفة يزيد عدد من الكتاب ، ذكر ابن عبد ربه أن من بينهم عبد الحميد الكاتب .
(٣) ومن نماذج كتابات ذلك العهد ، ما كتبه عمر بن عبد العزيز يومى به خلفه يزيد بن عبد الملك ، اذ كتب : "أما بعد ، اياك أن تدركك المرعة عند العزة ، فلاتقال العثرة ،

- (١) الكتابة : هي النصوص النثرية ذات الطابع الادبي ، ايا كان نوعها . (سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٠٩) .
(٢) عن نشأة الكتابة ، ومناعتها وتطورها ، (انظر / احمد السيد دراج : صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية - شوقي صيف : الفن ومذاهبه ، ص ١٠٣-١٠٤ - بلاشير : تاريخ الادب العربي ، ص ٨٦٢-٨٦٣ - بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ٢٦١/١) .
(٣) من أجل ذلك ، (انظر / احمد كمال زكي : الحياة الادبية في البصرة ، ص ٢٢٦-٢٢٨ - محمد خفاجي : الحياة الادبية - عمر بنى أمية ، ص ٢٦٦) .
(٤) محمد خفاجي : تاريخ الادب في العصر الاموي ، ص ١٤٣ - احمد كمال زكي : نفس المرجع والمفحات .
(٥) انظر اسماء كتابه قبل : الفصل الخامس ، المبحث الاول ص ٤٤٢-٤٤٣ .

ولا تمكن من الرجعة ، لايحمدك من خلفت ، ولا يعذرك من تقدم
عليه ، والسلام" .^(١)

القصة والوعظ :

تطور القصة والوعظ في العصر الاموي ، واصبح القصة
وظيفة رسمية ، يعين القاص لها من الخليفة ، ويعزل بامره
احيانا ، وكان لبعض الخلفاء الامويين قاص ، وكان في كل
بلد قاص ، يقص على الناس بالمسجد الجامع ، يرغبهم في
الآخرة ، ويזהدهم في الدنيا ، ويحفهم على العمل الصالح ،
كما يدعوهم لطاعة اولى الامر ، وينهاهم عن الانغماس في
الفتن . وقد كان منشا القصة زمن الراشدين ، فلما وانتشر
بسرعة ، لموافقته ميل العامة ، يدل على ذلك التمثيل فيه
منذ بداية العصر الاموي .^(٢)

وهناك ارتباط وثيق بين الوعظ والقصة ، فكثيرا
ما يستغل القاص قصة ذات مغزى واثر في العظة ، لذلك كان
أكثر القاصين وعظما .^(٣)

ومن اشهر القصاص والوعاظ في عهد يزيد بن عبد الملك
الحسن البصري (ت ١١٠هـ) وهو اكبر وعاظ العصر وقصاصيه ،
وهو لا يعتمد على الاساطير والخيال ، بل يعتمد على الحوادث
التي تقع حوله والثابتة لديه ، فيجعل منها قصصا ، ويسخرها

(١) ابن سعد : الطبقات ، ٤٠٥/٥ - ٤٠٦ - ابن الجوزي : سيرة
عمر بن عبد العزيز ، ص ٣١٨ وورد عنده أيضا بنس آخر .
انظر : نفس المصدر ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٢) من أجل ذلك ، انظر : سعد موسى : تاريخ الحياة
العلمية في المدينة ، ص ٢٠٤ - أحمد أمين : فجر الاسلام ،
ص ١٥٨ - ١٦٢ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ،
ص ٢٤ - ٧٥ ، بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ٢٥٨/١ .

(٣) خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٢٥ - ٢٦ .

للعظلة ، متحريا الصدق فيما يقول . وقد اشتملت كثير من المصادر على مواعظه . من ذلك عظته الناس في عدم الانغماس في فتنة ابن المهلب زمن يزيد بن عبد الملك .
(١)
وعطاء بن يسار (ت ١٠٤هـ) ، كان صاحب قصص وعبادة وفيل
والضحك بن مزاحم (ت ١٠٦هـ) ، له باع في التفسير والقصص .
والشعبي (ت ١٠٩هـ) ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) ، ومن كبار القصاص مسلم بن جندب (ت بعد ١١٠هـ) كان قاص مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .
(٢)

ووهب بن منبه (ت ١١٠هـ) ، كان الغالب عليه القصص ، وله اقوال حسنة وحكم ومواعظ . وعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (بلغ وعشر ومئة) . ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ) . ومحمد ابن كعب القرظي (ت ١١٨هـ) ، من القصاص المؤثرين ، ومات من اثر سقوط المسجد عليه وهو يقص . ومعبد بن خالد الجدلي
(٣)
(٤)
(٥)
(٦)
(٧)
(٨)
(٩)
(١٠)

-
- (١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ط ٥ ، ٣٦٧/١ - ابن خلكان وفيات ، ٧٠/٢ - احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٦١-١٦٢ ، ١٨٥ - شوقي غيف : الفن ومذاهبه ، ص ٧٦-٧٧ .
(٢) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٣٢/٩ - ابن حجر : نفس المصدر ، ١٩٤/٧-١٩٥ .
(٣) الذهبي : سير ، ٦٠٠-٥٩٨/٤ .
(٤) شوقي غيف : نفس المرجع والمفحات .
(٥) احمد كمال زكي : الحياة الادبية في البصرة ، ص ٢٢١-٢٢٣ .
(٦) الجاحظ : نفس المصدر والطبعة ، ٣٦٧/١-٣٦٨ .
(٧) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٧٤ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة ، ٢٨٩/٩ - شوقي غيف : نفس المرجع ، ص ٧٦ .
(٨) الذهبي : نفس المصدر ، ١٠٣/٥-١٠٥ .
(٩) شوقي غيف : نفس المرجع والمفحة .
(١٠) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتتم ، ص ١٣٤-١٣٧ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٦٨-٢٧٠ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٧٣/٩-٣٧٤ .

- (ت ١١٨هـ) ، قاص الكوفة ^(١) . وعبد الله بن كثير المقرئ
(ت ١٢٠هـ) ، الواعظ المفوه وقاص الجماعة في مكة ^(٢) . وبلال
ابن سعد بن حميم (ت نحو ١٢٠هـ) ، واعظ أهل الشام وقاصهم ،
كان من أبلغ الوعاظ ، حسن القمص ، شبه بالحسن البصري ^(٣) .
وشابت البناني (ت ١٢٧هـ) ^(٤) . ومحمد بن المنكدر (ت ١٣٠هـ) ^(٥) .
ومالك بن دينار (ت ١٣١هـ) ^(٦) .

-
- (١) الذهبي : سير ، ٢٠٥/٥ .
(٢) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣١٩ .
(٣) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣٦٢/٩ - ٣٦٤ - ابن حجر :
تهذيب ، ٤٤١/١ - ٤٤٢ - خليل الزرو : الحياة العلمية في
الشام ، ص ٣٠ .
(٤) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٢٠ - ابن حجر : نفس
المصدر ، ٤ - ٣/٢ .
(٥) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ،
ص ٢٠٥ .
(٦) الذهبي : نفس المصدر ، ١٨٠/٧ - شوقي خيف : الفن
ومذاهبه ، ص ٧٦ - ٧٧ .

المبحث الثالث

الكتابة التاريخية

نشأ علم التاريخ عند المسلمين منذ صدر الاسلام ، وقامت الدراسات التاريخية ذى بدء على دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومغازيه ، وبعض الاحداث الاسلامية الاولى . لذا كان اقدم انواع الكتابة التاريخية ظهورا ، التدوين فى السيرة النبوية ، ونشأ ذلك مقرونا بالاهتمام بسنته صلى الله عليه وسلم ، وعلى نحو دراسة الحديث ، وبإيدى اهله ، مروراً بمراحل تدوين الحديث والسنة ، متزامناً معه .^(١)

وكان من الطبيعى أن تكون المدينة أول مراكز الحركة التاريخية ، وبخاصة دراسة السيرة ومغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اعتبرت من العلوم الخاصة بأهل المدينة ، فقليل : لاهتمام أهل المدينة فى المغازى . ثم يأتى بمدى أهل الشام .^(٢) وان كانت دراسة السيرة قد انتشرت فى القرون الثانية الى مراكز أخرى غير المدينة ، كاليمن

(١) عن نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، انظر : عبد العزيز الدوري : بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ١٣-٢٠ - السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٤١-٧١ - حسين نمار : نشأة التدوين التاريخى عند العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٥ ومابعدها - شاكرو ميمطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ص ٧٤/١-١١٢ ومابعدها - محمد بن كامل السلمى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ٢٩٣-٣٠٤ ومابعدها - خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ١٩٦-٢٠٨ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٢٢٧-٢٤٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ٥٤ - سعد موسى : نفس المرجع ، ص ٢١ - خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

(١)
والعراق والشام .

(٢)
غير أن حسين نمار يقول : أن أول المدارس التاريخية
ظهورا ، هي مدرسة اليمن التي يمثلها عبيد بن شريح
(المتوفى في خلافة عبد الملك بن مروان) ، ووهب بن منبه
(ت ١١٠ أو ١١٤هـ) . ولعل صحة قوله تأتي في أسبقيتها في
دراسة تاريخ اليمن وأهل الكتاب . أما دراسة السيرة
والمغازي وأمر الفتوح ، فليس ثمة شك في تقدم المدينة
والشام والعراق عليها .

وقد مرت الكتابة التاريخية بثلاث مراحل ، توازي مراحل
تدوين الحديث بل تشاركه في بعضها . وتمثل فترة دراستنا
جزءا من المرحلة الثانية . وهي التي قام فيها المهتمون
بعلم التاريخ بجمع الأخبار والأحداث (المادة التاريخية) ،
وتدوينها من الرواة وما كتب قبل ، وأفراد كل موضوع على
(٣)

(١) عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ،
ص ٣٢٢ - شاكِر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ،
١٢٥-١١٩٠٨٤/١ .

(٢) نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، ص ٧٣ .

(٣) عرف العرب التدوين التاريخي وغيره منذ الجاهلية ،
ولكنه كان محدودا ونادرا جدا ، لغلبة الأمية عليهم ،
واعتمادهم على الحفظ والرواية الشفهية ، وما ذكر عن
بعض الوثائق التاريخية من العمر الجاهلي ، فهي حالات
استثنائية نادرة . لذلك لم يعلنا أي كتاب مصنف في
تاريخهم قبل الإسلام . (انظر / محمد السلمي : منهج
كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٢٧٣-٢٧٤ - عبد العزيز
الدوري : نفس المرجع ، ص ١١٩-١٢٠) ، إلا أنه مع بداية
التاريخ الإسلامي ، نشأ علم التاريخ عند المسلمين ،
ودونوا مادته منذ الصدر الأول ، فدلّت الأخبار أن كثيرا
من الصحابة والتابعين كتبوا الأخبار التاريخية ، وفي
مواضعها المختلفة ، فيما عرف بالكتابات الشخصية ،
التي كانت تأخذ من كل علم بطرف ، إلى جانب بعضها
البعيد غير مرتبة ولا مبوبة . وتلك المرحلة الأولى
للكتابات التاريخية ، وهي التي تسبق مرحلة دراستنا
- الثانية - التي أشرنا إلى سماتها أعلاه . (عن ذلك =

هذه في كتاب أو دفتر أو صحيفة تخصه بدون ترتيب أو تبويب وتعلمها وتعليمها مما أدى الى حركة تاريخية نشطة واسعة ، شملت مساحة واسعة في التاريخ وغطت كثيرا من مواقع دراسته والى ذلك اعداد كبيرة من الكتب . لاشك ان معظمها اشبه بالرسائل الصغيرة التي لا تتجاوز بضع صفحات لكنها كانت تشكل في مجموعها المادة التاريخية التي اعتمد عليها الممنفون^(١) بعد . وقد قام على خدمة التاريخ في هذه المرحلة التابعون^(٢) واتباعهم .

ولمعرفة حال هذا العلم ابان هذه الفترة ، واهم نشاطات واشار اهلها ، نعرض لبعض مشاهير القائمين عليه ، وماورد عنهم في هذا الممدد ، وهم :

- انظر / محمد السلمي : منهج كتابة التاريخ الاسلامي ، ص ٢٩٤-٢٩٦ - شاكرو مصطفي : التاريخ العربي والمؤرخون ، ص ٩٣-٩٦ ومابعدها . وان كان ادخل من مؤرخي المرحلة الثانية في المرحلة الاولى كالزهرى . ومد المرحلة الثانية حتى نهاية القرن الثاني ، والارجح انها تنتهى ببداية التمنييف في اواسط القرن الثاني .
- (١) اشار الذهبي الى ان التمنييف المرتب المبوب للعلوم الاسلامية بما فيها التاريخ ، قد حدث منذ سنة ١٤٣هـ - شاكرو مصطفي : نفس المرجع ، ص ٩٢-٩٣ - عبدالعزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ، ص ١٢٠ .
- (٢) من اجل ما ذكرناه عن المرحلة الثانية وسمايتها ، انظر محمد السلمي : نفس المرجع ، ص ٢٨٦-٢٨٧ - شاكرو مصطفي : نفس المرجع ، ص ٩٦-٩٩ . (وقد جملا نهاية المرحلة الثانية في اوائل القرن الثالث ، اذ جملا بداية الثالثة هو ظهور المؤلفات التاريخية الشاملة على اساس الترتيب الزمني المتسلسل . مع ان السلمي اشار في (ص ٢٩٠-٢٩١) الى ان بدايات التأليف على السنين ظهر منذ منتصف القرن الثاني ، وعلى هذا الاساس فان الارجح ان يكون منتصف القرن الثاني (اي بداية التمنييف المبوب المرتب) هو نهاية المرحلة الثانية وبداية الثالثة . اما ما حدث بعد ذلك من ظهور المدونات الشاملة على السنين او الطبقات وغير ذلك ، فانه تطور في مناهج واساليب واشكال التدوين التاريخي .

(١)
 أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ) ، أول من اشتهر
 بمعرفة المغازي والتأليف فيها ، فقد ذكر أن له مغاز ،
 مكتوبة موثقة مصححة ، حيث ورد أن سليمان بن عبد الملك
 لما حج سنة ٨٢هـ أي قبل توليه الخلافة ، أمر أبان أن يكتب
 له سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه ، فقال أبان :
 "هي عندي ، قد أخذتها مصححة ممن أشق به " ، فأمر سليمان
 بنسخها وألقى بها إلى عشرة من الكتاب ، فكتبوها في رق ،
 وكانت هذه المغازي تحوى ذكر الأعمار في العقبتين ، وذكرهم
 في بدر . ويفهم من الرواية السابقة أن المغازي كانت
 مكتوبة عند أبان ، وقد أخذها أيضا ممن يثق به مكتوبة
 مصححة وليس عن طريق الرواية الشفهية .

وقد روى مغازيه هذه تلميذه المغيرة بن عبد الرحمن
 (٤) (ت ١٢٥هـ) ، ويبدو أنها ليست كتابا بالمعنى الدقيق ،
 وإنما هي مجموعة أخبار متعلقة بسيرة الرسول صلى الله عليه
 وسلم ، تماثل المعانف ، ويظهر أن تلك المجموعة قد ضاعت ،
 ولم ينقل عنه أصحاب السيرة ، كابن اسحق والواقدي وابن سعد

(١) أبان بن عثمان بن عفان ، الإمام الفقيه الأمير ، الأموي
 المدني ، وفد على عبد الملك ، وتولى أمرة المدينة
 سبع سنوات (ت ١٠٥هـ) . (الذهبي : سير ، ٣٥١/٤-٣٥٣) .
 (٢) هوروفتن : المغازي ، ص ٣ - حسين نصار : نشأة التدوين
 التاريخي ، ص ٢٧ - سعد الموسى : تاريخ الحياة
 العلمية في المدينة ، ص ٢٢٨ . لكن محمد بن حافل
 المسلمي ، الذي أشار إلى الدور المميز لعروة بن
 الزبير (٢٢-٩٣هـ) في أرساء قواعد الكتابة في السيرة
 النبوية ، ينقل عن ابن كثير من قول محمد بن عمر : أن
 عروة أول من منك في المغازي . وذكر أن له كتابا في
 المغازي . (انظر / منهج كتابة التاريخ الإسلامي ،
 ص ٢٩٧-٢٩٨) .

(٣) سعد الموسى : نفس العرج ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .
 (٤) هوروفتن : نفس المرجع ، ص ٣-١٠ - حسين نصار : نفس
 المرجع والمفحة - محمد المسلمي : منهج كتابة التاريخ
 الإسلامي ، ص ٢٩٦ - أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٥٨ .

(١) في الجزء المخصص للسيرة في طبقاته . وليس ذلك لكون مغازيه لا تعتمد احاديث عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما قال السيد عبد العزيز سالم ، فالواقع أن مغازيه لم تقتصر على احاديث عن النبي عليه السلام وسيرته ، بل تضمنت اخبارا اخرى نقل ابن سعد بعضها ، فقد ذكر عنه خبر آخر الكلمات التي قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند مماته ، وشراء معاوية رضي الله عنه لبردّة الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) التي اعطاها كعب بن زهير . كما اشار الى مغازيه من المؤرخين اليعقوبي ، والطبري . وهذا يعني عدم النقل عنه في كتب السيرة ، وندرة الرواية عنه في كتب التاريخ العامة غير أن اسمه كثيرا ما تردد في كتب الحديث ، والسبب وراء ذلك كونه محدث اكثر من مؤرخ ، ولعله ايضا لم يرزق تلامذة يقومون بنشر علمه بعده ، كما انه كان يمثل مرحلة انتقال (٣) بين دراسة الحديث وبين دراسة التاريخ . (٤) وعلى كل فكثير من المؤرخين يعتبرون ابانا اول من دون السيرة ، وجعل لها مجموعة خاصة تتناول المغازي ، فكان بذلك اول من فعل التاريخ عن علم الحديث . (٥)

-
- (١) هورفتس : المغازي ، ص ٣ - حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ، ص ٢٧-٢٨ .
 (٢) التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٥ .
 (٣) حسين نصار : نفس المرجع ، ص ٢٨-٢٩ .
 (٤) شاكر مصطفي : التاريخ العربي والمؤرخون ، ص ١٥٢ - عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ، ص ٢١ .
 (٥) شاكر مصطفي : نفس المرجع والمفحة .
 (٦) عبد العزيز الدوري : نفس المرجع والمفحة .
 (٧) محمد السلمي : منهج كتابة التاريخ الاسلامي ، ص ٢٩٦ .
 (٨) عبد العزيز الدوري : نفس المرجع والمفحة - شاكر مصطفي : نفس المرجع والمفحة .
 (٩) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٢٨ - هورفتس : نفس المرجع ، ص ١٠ .

(١) وهب بن منبه ، الامام العلامة الاخبارى القمى ، مؤرخ
كثير الاخبار عن الكتب القديمة ، عالم باساطير الاولين
وغامة الاسرائيليات ، كان له مساهمة مميزة فى الكتابة
التاريخية ، مما رواه من مادة تاريخية ومادونه فى مجالات
متعددة للدراسة التاريخية . لقد كان لاصله ونشاته وثقافته
كبير الاثر فى كتابته التاريخية ، فهو يبنى تابعى من
الانبياء ، ذكر انه قرا (٧٠ او ٧٢ او ٧٣ او ٩٢) من الكتب
المقدسة ، وعرف اللغة اليونانية والسريانية والحميرية ،
فكان على ثقافة واسعة ، وكون بها مدرسة تاريخية يمنية لها
سماتها المميزة . (٤)

لقد كتب وهب فى أربعة فروع من التاريخ ، كان المؤسس
لبعضها هى :

الاول : قصص الانبياء السابقين ، واحاديث اهل الكتاب ،
او ما عرف بالاسرائيليات ، وهى قصص واساطير العهد القديم ،
وفى هذا الجانب ، دون كتاب "المبتدا" ، وهو فى مبدأ الخلق
وسير الانبياء ، فهو اول محاولة لكتابة تاريخ الرسالات ،

-
- (١) وهب بن منبه ، الابناوى ، اليماني ، أصله فارسي من
الابناء فى اليمن ، يعد فى التابعين الثقات ، كان على
قضاء صنعاء ، محدث ، لكن روايته فى المسند قليلة ،
وغزارة علمه فى الاسرائيليات ، ومن معانف اهل الكتاب
اتهم بالقدر ، ورجع عنه ، ويقال انه فيه كتابا ، ثم
ندم عليه . ولد بصنعاء (سنة ٣٤هـ) ، ومات بها (سنة
١١٠ او ١١٤هـ) . انظر عن ترجمته / الذهبى : سير ،
٥٤٤/٤ - ٥٥٧ - الزركلى : الاعلام ، ١٢٥/٨ - ١٢٦ .
(٢) الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٤٤ .
(٣) الزركلى : نفس المرجع والجزء ، ص ١٢٥ .
(٤) شاکر معطى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ١٣٨/١ - ١٥٤ -
١٥٥ - هوروفتس : المغازى ، ص ٣٠ - حسين نصار : نشأة
التدوين التاريخي ، ص ٢٧ - السيد عبد الميزان سالم :
التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٤٨ .

هشام فيه ، وإضافة أشياء عن غير وهب . وتتميز كتاباته في هذا المجال أنها أسطورية ، تأخذ عن الأسرائيليات ، والقصة الشعبية ، وإطلاق الخيال ، وإدخال الشعر فيها ، في أسلوب أدبي ، يحكى مفاخر عرب الجنوب .^(١)

الثالث : ويذكر حاجى خليفة أن وهبا جمع المفازي ، وقد وجد قطعة من كتاب المفازي هذا ، عثر عليه بيكر بين مجموعة أوراق بردى "شت رينهاردت" المحفوظة في هيدلبرج ، وتاريخ نسخها (سنة ٢٢٨هـ) ، وأوضح عدم اقتمارها على المفازي ، لثمنها لموضوعات أخرى من السيرة ، والحق أن ليس فيها جديد ، لكنها تؤيد ما يقال أن السيرة كانت تروى في عام (١٠٠هـ) أو قبله بقليل ، كما في الكتب المتأخرة بالخط .^(٢)

الرابع : تاريخ الفتوح ، إذ ينسب حاجى خليفة إليه "كتاب الفتوح" .^(٣)

ومع ذلك فإن وهبا جاء أهل المدينة باتجاه جديد واسلوب مفاير ، أخذ طابع القصة ، والأسطورة ، دون سند ، ولادقة ، وكان عماده الأسرائيليات ، مما جعل العلماء

-
- (١) عن أسلوبه في كتابة التاريخ القديم ، انظر : حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ، ص ٢٩-٤٤ - عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ، ص ١١٠، ٢٦ نقل عبد العزيز الدوري عن هذه القطعة ، (انظر / بحث في نشأة علم التاريخ ، ص ١١٥-١١٧) .
- (٢) هوروفتس : المفازي ، ص ٣٤-٣٦ - محمد الصلبي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٢٩٩-٣٠٠ - عبد العزيز الدوري : نفس المرجع ، ص ١١٢، ٢٥ - أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٥٨ .
- (٣) شاعر ممطفي : التاريخ العربي والمؤرخون ، ١/ ١٣٩ - حسين نصار : نفس المرجع ، ص ٤٤ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ١/ ٥١٣ - هوروفتس : نفس المرجع ص ٣٣-٣٤ .

عن حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حتى وصفه ابن قتيبة
(١)
بـ "ماحب السير والمغازي" .

ويتبين من ذلك ، أن عاصما كان من العلماء المشهودين
بمعرفة السيرة والمغازي ، وأن علم التاريخ من العلوم
التي أصبحت تدرس في المساجد في حلقات مستقلة ، كما يشير
الخبر ، أن بنى أمية قبل عمر كانوا يمنعون تدارس المغازي
في جامع دمشق ، وأخيرا ، أن عاصما لم يستمر في تدريس
(٢)
المغازي والسير في جامع دمشق في عهد الخليفة يزيد بن عبد
الملك ، وعاد إلى المدينة حيث واصل تعليمه لتلاميذه هناك ،
ولنعلم الأسباب التي وراء ذلك .

ويعد عاصم من الثقات ، وقد اعتمد عليه ابن اسحق
والواقدي فيما رواه من المغازي ، لكن لم يقتصر على
المغازي ، بل تطرق إلى جوانب أخرى من السيرة وتاريخ
الخلفاء الراشدين . أما أسلوبه ، فإنه يعتمد الإسناد تارة
ويهمله أخرى ، ويدخل أرقام المشاركين في الأحداث فيما
يرويه من أخبارهم ، ولم يكن عاصم جامعا للأخبار وراوا لها
فحسب ، إذ نجده أحيانا يبدي رأيه في بعض الأحداث
(٣)
ومسبباتها .

-
- (١) حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ، ص ٤٥ .
(٢) يشير شاكر مصطفى إلى ما يؤيد هذا القول ، فإنه يذكر
أن عبد الملك بن مروان أمر بحرق كتاب في المغازي
وجدته بيد بعض أبنائه ، لأنه يشغله عن القرآن والسنة .
(انظر / التاريخ العربي والمؤرخون ، ٨٢/١) .
(٣) ابن حجر : تهذيب ، ٤٧/٥ - هوروفتن : المغازي ،
ص ٤٧-٤٩ - حسين نصار : نفس المرجع ، ص ٤٥ .

لا يأخذون أحاديثه مأخذ الجد ، ومارت معلوماته موضع ريبة ،
 فاعتبر نموذج الاخبارى القاص ، ولم يذكروه فى اصحاب
 المغازى والسير . لكن ذلك لم يمنع آخره فى مدرسة المدينة
 التاريخية ، كما لم يمنع الاسرائيليات من ان تدخل التاريخ
 والتفسير . وقد اخذ عنه الكثير من المؤرخين والمفسرين ^(١) .
 وعاصم بن عمرو بن قتادة ، راوية العلم ، والعالم ^(٢)
 بالسيرة والمغازى ، ومعلم المغازى فى جامع دمشق والمسجد
 النبوى . قال عنه ابن سعد : "كانت له رواية للعلم ، وعلم ^(٣)
 بالسيرة ، ومغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم" . وأما
 "وفد على عمر بن عبد العزيز فى خلافته فى دين لزمه فقهاء
 عنه عمر ، وأمر له بعد ذلك بمعونة ، وأمره ان يجلس فى
 جامع دمشق فيحدث الناس بمغازى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ومناقب اصحابه ، وقال : ان بنى مروان كانوا ينهون
 عنه ، فأجلس فحدث الناس بذلك ، ففعل ، ثم رجع الى المدينة
 فلم يزل بها حتى توفى" . ^(٤)
 وقد ذكر هوروفتش : انه ظل يشرح معارفه بالمدينة بعد
 عودته اليها امام سامعيه حتى توفى . وقد اشتهر باحاديثه

-
- (١) عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ٢٦
 ١٠٤ - شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ،
 ١٥٥-١٥٤/١ - حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى ، ص ٨
 (٢) عاصم بن عمرو بن قتادة الانصارى المدنى ، ثقة كثير
 الحديث ، عالما مشهورا ، (ت ١١٩هـ على خلاف) . انظر /
 ابن حجر : تهذيب ، ٤٧/٥ .
 (٣) الطبقات : القسم المتتم ، ص ١٢٧-١٢٩ - ابن حجر : نفس
 المصدر والجزء والصفحة - هوروفتش : المغازى ، ص ٤٧-٤٨
 - شاكر مصطفى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٥٦ .
 (٤) نفس المرجع والمفحات (وقد حدد تاريخ عودته سنة ١٠١هـ
 ولعمل ذلك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وتولى يزيد
 الذى قد يكون على رأى بعض أسلافه فى النهى عن تدريس
 المغازى فى جامع دمشق) .

(١) وشرحبيل بن سعد ، أحد علماء المغازى بالمدينة ، قال عنه سفيان بن عيينة : لم يكن أحد أعلم بالمغازى والبدرين منه ، وقد دون قوائم بأسماء الصحابة المشاركين فى الفزوات الكبرى ، والمهاجرين الى الحبشة والمدينة .^(٢)
 وهو الاسم الثالث الذى يذكر مع أبان وعروة ، لكنه لم يبلغ مكانتهما ، وبذلك يعد فى الطبقة الاولى من مؤرخى السيرة .^(٣)

وقد اتهم شرحبيل وضعف ، فاسقطوا مغازيه وعلمه ، ان احتاج على كبر ، فخفى من يطلبه ان لم يعطه شيئا ، ان يقول لم يشهد أبوك بدر ، فيعطيه ، واتهم بأنه قد جعل سابقة لمن لاسابقة له . فلم يرو عنه ابن اسحق والواقدي ، بينما وقف موسى بن عقبة الى جانبه ، واخذ ابن سعد عنه خبرا واحدا .

ومحمد بن مسلم الزهرى (ت ١٢٤هـ) ، مؤسس المدرسة التاريخية بالمدينة والشام ، الذى قام باستقصاء روايات

-
- (١) شرحبيل بن سعد الخطمى مولى الانصار ، روى وروى عنه ، يكتب حديثه ، وكان يفتى ، قيل ليس بشقة ، وقيل ليس بشىء ، ضعيف ، وروى أن ابن معين وثقه . (ت ١٢٣هـ) عن أكثر من مئة سنة . (ابن حجر : تهذيب ، ٢٨٢/٤ - ٢٨٣) .
 (٢) ابن حجر : نفس الممدر والجزء ، ص ٢٨٢ - سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .
 (٣) عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ٢٢ - السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٧ - هوروفتش : المغازى ، ص ٢٥-٢٦ .
 (٤) هوروفتش : المغازى ، ص ٢٥ .
 (٥) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع والمفحة .
 (٦) سعد موسى : نفس المرجع والمفحات - هوروفتش : نفس المرجع ، ص ٢٦-٢٧ (وذكر أنه اختل عقله على كبر الى جانب الفقر) - شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ١/ ١٥٤ .
 (٧) عبد العزيز الدورى : نفس المرجع ، ص ١٠١ - السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ٥٨-٥٩ - شاكر مصطفى : نفس المرجع والجزء ، ص ١٥٧ .

المدينة ، والبحث عنها ، وخطها ، وتدوينها ، بصورة منظمة ووضعها في اطار متين وواضح ، وكان اول من وضع للسيرة هيكلًا محددًا ، وخطوطًا واضحة . فوضع بدراساته الجدية أسس المفازي وحفظ الروايات التاريخية الأولى . ويمثل الزهري مع عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٢٥هـ) ، وعاصم بن عمر سابق الذكر ، الجيل الثاني بعد أبان وعروة وشرحبيل بن سعد . وقد قام هذا الجيل - الثاني - بتنمية وتوسيع دراسة المفازي ، وكان للزهري ، دور وطريقة مميزة ، سار عليها تلاميذه مثل موسى بن عقبة وابن اسحق .^(١)

لقد قام الزهري بهذا الدور ، لما تمتع به من سعة العلم والثقافة ، فقد كان امامًا جامعًا ، حاول أن يجمع كل مايتعلق بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتاريخ الخلفاء الراشدين ، وقد روى السيرة عن عروة بن الزبير ، وزاد عليها ماجمعه .^(٢)

لقد لخص الطبري دوره كمؤرخ بقوله : كان محمد الزهري مقدمًا في العلم بمفازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخبار قريش والانصار ، راوية لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه .^(٣)

ويقول شاعر مصطفى : كان عالما بالانساب عالما باخبار عهد الرسالة والراشدين ، خصب الانتاج ، كان يكتب كل مايعرف^(٤)

(١) عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ، ص ٢٣-٢٤، ١٠١-١٠٢ - السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٨-٥٩ .

(٢) عبد العزيز الدوري : نفس المرجع ، ص ١٠١، ١٠٢ .

(٣) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٢٩ .

(٤) عبد العزيز الدوري : نفس المرجع ، ص ٨١ .

(٥) نفس المرجع والجزء والمفحة .

كما كان عالما بسير الانبياء واهل الكتاب ، وكان قد
درس انساب قومه على يد عبد الله بن ثعلبة ^(٢) .
ولقد تمثلت دراساته فيما رواه ودونه من الكتب في
الميدان التاريخي ، فقد نسب له كتاب "مشاهد النبي صلى
الله عليه وسلم" ، و"سيرة الزهري" التي نقل عنها ابو
القاسم السهيلي ، ووصفها بقوله : وهي اول سيرة الفتى في
الاسلام . كذلك روى انه جمع كتابا في المغازي ، وقد اشار ^(٤)
الى تأليفه في المغازي الامام البخاري ، وذكر السخاوي ان
الزهري روى المغازي عن عروة ، و اشار حاجي خليفة الى مغازي
الزهري فمن الممنوعات في المغازي . كما طلب منه خالد ^(٦)
القسري كتابة السيرة له ، لكن لا يعرف شيء عن تلك السيرة ^(٧)
التي كتبها لخالد ولعله لم يكملها . وقد تكون هي سيرة ^(٨)
الزهري التي نقل عنها السهيلي . كما امره خالد القسري ايضا
بالكتابة عن القبائل العربية الشمالية ، ففعل ، لكنه لم
يتمه ، ويطلع انه كتاب "نسب قومه" الذي ذكر انه ألفه ، ^(٩)
وقد ذكر انه دون كتابا في "نسب قريش" ، اتخذه مصعب
الزبيدي مصدرا في كتابه نسب قريش . ويبدو انه نفس الكتاب ^(١٠)

-
- (١) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣٥٦/٩ .
 - (٢) هوروفتس : المغازي ، ص ٦٠ .
 - (٣) حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ، ص ٤٧ - سعد
الموسى : الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٢٩ .
 - (٤) سعد الموسى : نفس المرجع والمفحة .
 - (٥) احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٥٨ .
 - (٦) عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ، ص ٧٩ .
 - (٧) حسين نصار : نفس المرجع ، ص ٤٦ - هوروفتس : نفس
المرجع ، ص ٦٠-٦٨ .
 - (٨) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢٠٤ .
 - (٩) حسين نصار : نفس المرجع والمفحة - هوروفتس : نفس
المرجع والمفحات .
 - (١٠) عبد العزيز الدوري : نفس المرجع ، ص ٩٦-٩٤ - السيد
عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٩ .

سالف الذكر ، فلعله بدأ من الكتابة عن عرب الشمال فبدأ بقريش أو مضر ولم يتمه ، فذكر على هذا الأساس أنه دون في نسب قومه أو نسب قريش ، وهو اختلاف لفظي لكتاب واحد . وقد عرف الزهري بمعرفة الانساب ، ينقل ابن كثير من قول^(١) الليث فيه : "وان حدث عن الاعراب والانساب قلت : لا يحسن الا هذا" .

ويذكر أنه كتب "أسنان الخلفاء" بطلب من الوليد بن عبد الملك ، وآخر الأحداث التي رواها الزهري ، كان آخر عهد الخلفاء الراشدين . إذ لم يرو عنه شيئا يذكر عن تاريخ بني أمية . ويظهر أنه لم يعالج الفترة الأموية ، إلا ما كتبه عن^(٢) أسنان الخلفاء .^(٣)

وسيرة الزهري تشمل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها ، المفازي وغيرها ، مبتدئة بما يتصل بحياته من قبل الاسلام حتى وفاته ، مراعيًا فيها التسلسل التاريخي ، وتاريخ بعض الحوادث الكبرى ، مستخدمًا الاسناد الجمعي ، حيث يدمج أكثر من رواية في خبر واحد عن الحدث الواحد . وهو بذلك يسير خطوة هامة نحو الكتابة التاريخية المتملة ، وكان يرسل أخباره أحيانًا . وسيرته معتمدة على الحديث ، لاتجد فيها أشرا لقصة الانبياء إلا نادرا ، ولم يكن يدخل أشعار

(١) البداية ، ط ٤ ، ٣٥٦/٩ - عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ، ص ٤٧ .
 (٢) هوروفتس : المفازي ، ص ٦٠-٦٨ - حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ، ص ٤٧ - السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٦٠ .
 (٣) خليل الزرو : الحياة العلمية في بلاد الشام ، ص ٢٠٣-٢٠٤ - السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع والمفحة .
 (٤) عبد العزيز الدوري : نفس المرجع ، ص ٩٧-٩٨ .

المشاركين في الأحداث عند روايتها الا قليلا . ولقد تميز أسلوبه الكتابي بالوضوح والسهولة والبساطة والجمال ، كما كان ذي طابع انساني ملتزم ، بعيد عن التآثر عن الآراء والنظريات المذهبية والسياسية .^(١)

وقد اشرى الزهرى علم التاريخ بمعارفه التاريخية ، فعلم ودون ونشر ، وقلما نجد مصدرا تاريخيا ظهر بعد القرن الثاني ليس للزهرى اسما فيه ، كما احتوت كتب الحديث والسير على علمه . ولكن لم يعمل الينا مع كل هذا العلم ومادون شيء من كتبه ، الا أن بعض المتأخرين جمع الاحاديث التي احتوتها كتب الحديث من مدوناته ، في كتاب سماه "الزهريات" وقد نشر سهيل زكار مروييات الزهرى في كتب الحديث ، في كتاب باسم المفازي ، وادعى أنها هي السيرة التي كتبها الزهرى .^(٢)^(٣)^(٤)^(٥)

وممن كان لهم مشاركات في خدمة علم التاريخ ، عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) ، قال عنه سفيان بن عيينة : "كنت

-
- (١) عن منهجه وأسلوبه في كتابة السيرة والمغازي ، انظر / عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة التدوين التاريخي ، ص ٢٣-٢٥ - حسين نمار : نشأة التدوين التاريخي ، ص ٤٧-٤٩ - هوروفتش : المغازي ، ص ٦٠-٦٨ - السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٩ - خليل الزرو : الحياة العلمية في بلاد الشام ، ص ٢٠٢ .
- (٢) خليل الزرو : نفس المرجع والمفحة - حسين نمار : نفس المرجع ، ص ٤٨ .
- (٣) حسين نمار : نفس المرجع ، ص ٤٧ - سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٣٠ .
- (٤) حسين نمار : نفس المرجع والمفحة .
- (٥) سعد الموسى : نفس المرجع والمفحة وهامش واحد منها .

إذا سمعت عكرمة يحدث الناس عن المغازى كأنه مشرف عليهم ،
 ينظر كيف يمنعون ويقتتلون" ^(١) . والقاسم بن محمد بن أبى بكر
 (ت ١٠٧هـ) الذى نقل عنه بعض المؤرخين نصوصا حول المغازى
 واخبار الخلفاء ، وعامر الشعبى (ت ١٠٩هـ) ، كان عالما بالمغازى
 حافظا لها ، محدثا بها ، روى أن ابن عمر مر بالشعبى وهو
 يحدث بالمغازى ، فقال : شهدت القوم وأنه أعلم بها منى ^(٢) ،
 ويقول شاعر ميمطى عنه : اشتهر فى الواقع بما روى من
 الاخبار فى الاسرائيليات ، وفى القصص ، والتجارب ، واخبار
 اليمن ، والمغازى . وانما : أن اسمه ورد فى مواقع عديدة
 لدى الطبرى . وقال عنه أيضا : لم نذكر الشعبى لم كتب والف
 ولكن لما روى . وقد أخذت عنه رواياته لغيره ، ثم ذكر أنه
 ألف كتابا فى المغازى وآخر باسم "كتاب الشورى ومقتل
 الحسين" ^(٣) ، وكتابا فى الفتوح أملاه أملاء دون أصول . ذاكرا
 أنه لم يملأ من كتبه شيء ، إلا نثقا فى بعض المعادر .
 ومحمد بن كعب القرظى (ت ١١٧هـ) ، اهتم باخبار اليمن
 وروى الكثير منها ، وقد روى عنه الطبرى بعض اخبار اليمن
 والانبيااء ويهود الحجاز . ويزيد بن أبى حبيب (ت ١٢٨هـ) ،
 كان عالما بالفتن والحروب ، وخاصة مايتعلق بفتوح مصر
 وثنونها وولاتها ، وهو أحد من اعتمد عليهم الكندى فى كتابه

-
- (١) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٥٥/٩ .
 (٢) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٢٤٠ .
 (٣) الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٨١ - ابن حجر : تهذيب
 التاريخ العربى والمؤرخون ، ١٧٥/١ - ١٧٦ .
 (٤) أورد اسمه فى مكان آخر "كتاب الشورى ومقتل عثمان" .
 (انظر نفس المرجع ، ص ٨٢) .
 (٥) شاعر ميمطى : نفس المرجع ، ١٣٧/١ .

(١) ولاية مصر وقفااتها ، كما ترك عدة كتب في أخبار مصر وفتوحها ويعقوب بن عتبة بن المنيرة (ت ١٢٨هـ) ، أحد العلماء (٢) بالسياسة . ويزيد بن رومان الأسدي (ت ١٣٠هـ) ، الذي ألف كتابا في المغازي ، وصل الى الواقدي . (٣)

ويتبين من هذه الدراسة المقترحة للكتابة التاريخية في فترة بحثنا ، الى ان هذا العلم كان في مرحلة يخطو بها نحو النضوج ، اذ عاش التاريخ آنذاك مرحلة الجمع والتدوين المستقل في كتب تخص التاريخ ، ليبدأ تمييز شخصية هذا العلم وتلمس معالمه الخاصة بعيدا عن العلوم الاخرى التي كان يعيش في احضانها ، وخاصة الحديث .

ولقد لمسنا ان الكتابة التاريخية ، حظيت باهتمام مفضو من العلماء ، كان جلهم من العرب ، الذين طرخوا عددا من جوانب الدراسات التاريخية ، ودونوا فيها الكثير من المؤلفات ، التي لم يملنا منها وبكل اسف الا شذرات ونحف .

وكانت دراساتهم قد شملت السيرة ، والمغازي ، وبعض حوادث الاسلام الاخرى ، وتاريخ ما قبل الاسلام ، والانساب ، وقصص الانبياء ، والتواريخ الاقليمية . وقد قامت تلك الدراسات على اسس واضحة ، واتجاهات مختلفة ، تدعو الى الثبات والشامل من ناحية ، والنمو والتوسع والشمول من ناحية اخرى ، لترسم للأجيال القادمة ، خطوطا ومعالم علم سيكون له مكانة متميزة بين العلوم الاسلامية الاخرى .

-
- (١) احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٩١ - محمد النجار : الدولة الاموية في الشرق ، ص ١٦٩-١٧٠ - شاكرو ممطفي : التاريخ العربي والمؤرخون ، ص ٨٢-٨٣ .
 (٢) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٤١ .
 (٣) شاكرو ممطفي : نفس المرجع ، ١٥٧/١ .

المبحث الرابعمظاهر النشاط العلمي

أبنا في التمهيد أن للحركة العلمية ونهضتها قبل عهد الخليفة يزيد ، مظاهر نشاط علمي ، تتمثل في المؤسسات العلمية من مساجد وكتابات ومكتبات ، ورجال العلم من علماء ومعلمين ومؤدبين ، ومناهج تعليم وطرق واساليب تدريس ، وفيل علماء وآداب متعلمين ، واهتمام الخلفاء ورعاية الدولة لتلك الحركة وطلاب العلم والعلماء .^(١)

حلقات العلم في المساجد :

استمرت الحركة العلمية في عهد يزيد تتنامى نهضتها ويواصل عطاء أهلها ، وكان لنشاط تلك الحركة مظاهره في عهده أيضا . وقد ظل المسجد يؤدي دوره الرائد في خدمة الحركة العلمية ، وبخاصة الجوامع الكبرى في الامصار الإسلامية ، وواصل العلماء في حلقات التدريس بها ، تعليم الناس وتفقيهم ، في حلقات فردية لعالم جامع يتناول موضوعات شتى فيما يليق كالحسن البصري (ت ١١٠هـ) في حلقاته بجامع البصرة ، أو لعالم يختص تعليمه بجانب علمي كتعليم القراءة على يد كبار المقرئين ، كأخذها عن عبد الله بن

(١) انظر ماوردناه في التمهيد عن مظاهر النشاط العلمي قبل يزيد : ص ٤٥-٥٣ .

(٢) ذكرنا أشهرها في التمهيد ، انظر : ص ٥١ .

(٣) من أجل علم الحسن البصري ومقام به من دور مميز في خدمة العلوم الإسلامية ، (انظر / المبحث الأول ، ص ٦٢٥ ، ٦٤١ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤) .

(١) عامر (١١٨هـ) ، أو تعليم عامر بن عمر بن قتادة (ت ١١٩هـ) للمغازي في جامع دمشق ثم المسجد النبوي . أو حلقات ثنائية يشترك في الالتقاء بها أكثر من عالم كحلقة سالم بن عبد الله ابن عمر (ت ١٠٦هـ) ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٧هـ) في مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم . كما كان لبعض الأسر حلقات تخصها ، كحلقة آل حزم . (٢) (٣)

مجالس العلماء :

كما كان لبعض العلماء مجالس علم في منازلهم الى جانب حلقاتهم العلمية في المساجد ، فقد كان للزهري (ت ١٢٤هـ) مجالسه التي يمارس فيها الناس ويطعمهم الشريد ويسقيهم المسمل ، ويتجادبون الحديث . كما كان لمحمد بن المنكدر (ت ١٣١هـ) ، وهو من سادات القراء ، مجلس علم ، يقول أبو معشر فيه : " كان سيدا يطعم الطعام ، ويجتمع عنده القراء " وكذلك مجلس يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس (ت ١٢٨هـ) . (٤) (٥) وكان للتعلم على أيدي هؤلاء العلماء في حلقاتهم ومجالسهم ، أساليبه وآدابه ، إذ يأتى طلاب العلم ويسألون

-
- (١) انظر ذلك قبل : المبحث الاول ، ص ٦١٩ .
 (٢) انظر ما أوردناه عن ذلك قبل : المبحث الثالث ، ص ٧٣٤ .
 (٣) عن الحلقات العلمية ، انظر / سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٨٩-٩١ - أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٦٥-١٧٤ - ابن حجر : تهذيب ، ١٠٢/٣ ، ٤٨٨/٩ ، ٣٦٨/١٠ - الذهبي : سير ، ١٨٧-١٨٦، ٨٤/٥ .
 (٤) الذهبي : نفس المصدر ، ٢٣٥/٥ .
 (٥) انظر ذلك في ترجمته عند / الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٦١-٣٥٣ .
 (٦) سعد موسى : نفس المرجع ، ص ٩٠ .

(١) العلماء ، فيروون لهم الاحاديث والاخبار ، او يفتونهم ، ويملئون عليهم الاجابات ، اما من الذاكرة وهو الغالب ، او من كتاب او صحيفة ، والطلاب منهم من يحفظ ، ومنهم من يدون ومن العلماء من ياذن بالكتابة عنه ، ومنهم من يمنع ذلك . ومن دون من التلاميذ ، عرض ماكتب على شيخه ، او على نسخته المقابلة ، توثيقا ونبطا .

ولم يكن أحد من العلماء ياذن بنشر مروياته وكتبه ،
(٢) الا عن طريق التحديث او الاجازة ، وكان لايعتمد على الوجادة الا في اضييق الحدود ، فالاعتماد كان على السماع من افواه الشيوخ او القراءة عليهم ، حتى تحمل لهم الاجازة بالرواية
(٣) عنهم ، ومن هنا لزم الرحلة في طلب العلم وجاءت اهميتها .
(٤) وكان العلماء يقدمون لتلاميذهم واخذى العلم عنهم مايناسب مستواهم العقلي ، يقول الزهري : "ماحدثت قوما حديثا قط لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعلمهم" .
(٥) ولمروء بن الزبير قول شبيه بهذا .
(٦)

-
- (١) ليست هذه الطريقة مطلقة ، فمن العلماء من له من الهيبة مايمنع التلاميذ من سؤاله ، الا ان يتكلم من تلقاء نفسه ، او يسأله أحد نزل به أمر ، يقول الزهري "ولقد كنا نجلس عند ابن المسيب فما يستطيع أحد منا ان يسأله عن شيء الا ان يبتدىء الحديث ، او يأتي رجل يسأله عن شيء قد نزل به " . (انظر / الذهبي : سير ، ٣٣٥/٥) .
- (٢) الوجادة : تعني ان يجد أحد صحيفة او كتاب لعالم ما ، فيروي ما فيها ، او يحدث منها ، او ينقل عنها ، دون ان يسمع منه ، او يعرض عليه ما فيها . ودون اجازة ولا مآولة .
- (٣) يقول الزهري : "القراءة على العالم والسماع منه سواء ان شاء الله " . (الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٣٨)
- (٤) محمد السلمي : منهج كتابة التاريخ الاسلامي ، ص ٢٨٥-٢٨٦
- (٥) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢٢ .
- (٦) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٤

ويرون أن أفضل الوسائل لأدراك العلم وفهمه ، أخذه
 درجة درجة ، يقول الزهري : من طلب العلم جملة فاته جملة ،
 وإنما يدرك العلم حديثا وحديثين ، كما كان يكره تكرار
 الحديث ، وينتقد من يستفهمه عن قول ذكره .^(٢) لذلك كان من
 العلماء في تلك الحقبة من يحث على الكتابة ويعين عليها ،
 فقد كان عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ) يحض طلابه على التعلم
 والكتابة ، وكانوا يكتبون بين يديه ، وكان يقول :
 "يا غلمان ، تعالوا اكتبوا ، فمن كان منكم لا يحسن كتبنا له
 ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا" .^(٣)

ويقول الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) : "إذا سمعت شيئا
 فاكتبه ولو في حائط" .^(٤)

وكان طلاب العلم يسألون عما يريدون ، يطوفون على من
 لديهم شيء من العلم فيحفظون ويكتبون ، وقد يلزم طالب
 العلم شيخه عددا من السنوات يأخذ عنه العلم ، حرما على
 العلم دون كليل أو ملل ، يقول الزهري : "مست ركبتي ركبة
 سعيد بن المسيب ثمانى سنين" .^(٥)

ومما يذكر في هذا المدد تطور طريقة الدراسة في حفظ
 كتاب الله ، في خلافة يزيد بن عبد الملك ، ينقل ابن عساكر
 أن عبد الله بن العلاء قال : "كنا ندرس في مجلس يحيى بن

-
- (١) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢٢ .
 (٢) الذهبي : سير ، ٢٢٢/٥ .
 (٣) محمد الخطيب : السفة قبل التدوين ، ص ٢٢٧ - مبحث
 المالح : علوم الحديث ، ص ٤٤ .
 (٤) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٢٢٦ .
 (٥) الذهبي : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٢٢ .
 (٦) تاريخ دمشق ، ٥٢/٢ .

(١)
الحارث في مسجد دمشق ، في خلافة يزيد بن عبد الملك اذ خرج علينا امير دمشق الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم الاشعري من الخفراء ، فاقبل علينا منكرا لما نمنع فقال : ما هذا وانتم ؟ فقلنا ندرس كتاب الله . فقال : اتدرسون كتاب الله تبارك وتعالى ؟ ان هذا شيء ماسمعه ولا رأيته ولا سمعت انه كان قبل . ثم دخل الخفراء . وكان الضحاك بن عبد الرحمن اميرا على دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز " .

ويظهر ان ما انكره الضحاك بن عبد الرحمن في دراسة القرآن ، هو تدبر معاني القرآن والتفكر فيه ، اذ ان طريقة الدراسة في قراءة القرآن ، كانت قد عرفت منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، واول من أحدثها هشام بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وتعنى التكرار وراء قارئ ما وقد يكون المكرر فردا او جماعة ، عن فرد او جماعة . وقد وصفها ابن عساکر بقوله : "فقرأ هشام بن اسماعيل ، فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام ، فقرأ بقراءته مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من اهل المسجد فقرأ بقراءته " .

(٢)
ومن طرق تحفيظ القرآن في تلك الفترة ، طريقة مسلم بن جندب المدالي القاري (ت بعد ١١٠هـ) في تعليم كتاب الله ، يقول جعفر بن الزبير : "وكان - يعنى مسلم - يعلمنا غدوة

(١) يحيى بن الحارث الذماري الدمشقي ، الامام الكبير ، امام جامع دمشق وشيخ المقرئين ، عالم بالقراءة في دهره ، كان يقف وراء الائمة يرد عليهم لا يستطيع ان يؤم من الكبر ، قرا على ابن عامر وواثلة بن الاسقع ، وتلا عليه آخرون . ثقة من رواية الحديث ، ولد زمن معاوية ، وتوفي سنة ١٤٥هـ عن تسعين سنة . (الذهبي : سير ، ١٨٩/٦-١٩٠) .

(٢) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢٠-٢١ .

(١)

ثلاثين آية وعشية ثلاثين آية ، وفي رواية يقرأ علينا " .

ومن آداب طلاب العلم اجلال العلماء ، وتقديرهم ،

(٢)

وخدمتهم ، يقول الزهري : "كنت أخدم عبيد الله بن عبد الله

حتى كنت استقي له الماء المالح ، وكان يقول لجاريتته من

(٣)

بالباب ؟ فتقول : غلامك الاعمش" .

(٤)

أما العلماء ، فكانوا يعينون التلاميذ على طلب العلم

(٥)

ويتألفونهم على الحديث ، ومن آدابهم حسن الانصات للمحدث ،

(٦)

واظهار عدم المعرفة بما يحدث به وان كان قد سبق الى علمه

ومن سماتهم التواضع والخوف من الشهرة ، قال صفوان بن عمرو

في خالد بن معدان (ت ١٠٣هـ على خلاف) وكان له حلقة : "رايت

(٧)

خالد بن معدان اذا كبرت حلقة قام مخافة الشهرة" .

الكتاب :

(٨)

وواصل الكتاب دوره زمن يزيد ، الى جانب المسجد كدار

(١) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٥

(٢) فربنا المثل بالزهري في أكثر من موضع ، لأنه من علماء

عصر الخليفة يزيد ومن عمل له ، وكان من علماء الأمة

المبرزين ، لذا احتوت تراجمه على أخبار كثيرة عن

تعليمه وتعليمه وأخبار العلم والعلماء ، فوجدنا بها

شيئا مما نريده في هذا الباب . (انظر شيئا من ذلك في

ترجمته عند / الذهبي : سير ، ٣٢٦/٥ - ٣٥١) .

(٣) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٣٢ - الشيرازي :

طبقات الفقهاء ، ص ٦٩ .

(٤) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٢٧ .

(٥) سعد موسى : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(٦) ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٣١٨/٩ .

(٧) ابن حجر : تهذيب ، ١٠٢/٣ - ١٠٣ .

(٨) عن التعريف بالكتاب ، ونشأته ، ودوره في الحركة

العلمية بالدولة الإسلامية ، (انظر / يوسف حوالة :

الحياة العلمية في افريقية ، ص ٢٣٢-٢٣٤ - محمد بدوي :

دراسات في التربية والفكر في الاسلام ، ص ٦٦-٧١ - خليل

الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢١ - وانظر

أيضا قبل : التمهيد : ص ٥٢ .

علم ومناخ ثقافة ، ومن أشهر معلمى الكتاب فى عصر الخليفة يزيد بن عبد الملك ، عطاء بن أبى رباح (ت ١١٤هـ) الذى كان معلم كتاب^(١) . والضحاك بن مزاحم العللى (ت ١٠٥ او ١٠٦هـ) كان يعلم الصبيان حسبة ، وكان فقيه مكتب عظيم كالجامع فى الكوفة ، فيه ثلاثة آلاف صبي ، وكان يركب حمارا ويدور عليهم^(٢) اذا عبي .

والظرماع بن حكيم الطائى (ت ١٠٥هـ) ، اشتغل مؤدبا بالرى ، قال عبد الأعلى : لم أر احدا آخذا لعقول ولا جذب لاسماعهم منه ، ولقد رايت الصبيان يخرجون من عنده كأنهم قد جالسوا العلماء .^(٣)

المؤدبون :

ظهرت فى العصر الاموى فئة المؤدبين ، وهم الذين كانوا يعلمون ابناء الخلفاء والامراء والخاصة ، ويؤدبونهم ، ويشرفون على تربيتهم . وكان الخلفاء يقدون عليهم العطاء ، الا أن بعضهم كان لاياخذ لقاء تعليم القرآن شيئا ، وكان المؤدب اذا اشر بالغ فيمن يؤدبه .

واعتمد يزيد بن عبد الملك على المؤدبين فى تربية ابنائه ، وذلك على طريقة من سبقه من الخلفاء الامويين ، الذين استدعوا الى قصورهم من يقوم بتاديب وتعليم ابنائهم^(٤) .

(١) ابن حجر : تهذيب ، ١٧٩/٧ - ١٨٣ - الذهبى : سير ، ٨١/٥ .
 (٢) ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٩٧/٤ - ٣٩٨ - ابن كثير : البداية ، ط ٤ ، ٢٣١/٩ - الذهبى : دول الاسلام ، ٥٣/١ -
 الذهبى : سير ، ٥٩٨/٤ - ٦٠٠ - الياقعى : مرآة الجنان ، ٢٤٢/١ - محمود الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٠١ -
 فيليب حتى : تاريخ سورية ، ١١٢/٢ - ١١٣ .
 (٣) بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، ٢٤٤/١ - ٢٤٥ .
 (٤) انظر ماوردناه مجملا عن المؤدبين فى العصر الاموى ، قبل التمهيد ، ص ٥٢ .

كما عاش زمنه عدد من مؤدبي أبناء الخلفاء الآخرين ،
 ومنهم : اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (ت ١٣٢هـ) ،
 كان مقفها لأولاد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وكان
 الخليفة يزيد ممن تعلموا على يديه . والفحاك بن مزاحم^(١)
 الهلالي (ت ١٠٥ او ١٠٦هـ) كان أحد مؤدبي أبناء الخليفة عبد
 الملك أيضا . وعبد الواحد بن قيس السلمي ، كان معلم أولاد
 الخليفة يزيد بن عبد الملك . وقد قال : قلت ليزيد بن عبد
 الملك : " أنى لست آخذ منك على القرآن شيئا ، إنما آخذ
 منك على غيره " . وعبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد^(٢)
 ابن يزيد بن عبد الملك ، " اختاره يزيد بن عبد الملك ،
 وكلفه بتربية ولده وتاديبه حين كبر وبلغ من التعليم ،
 لمعرفته بمكانته الأدبية الرفيعة ، وشقته بقدرته
 التعليمية العالية " . كما أدبه ، أبو نخيلة التميمي
 البصري ، وكان شاعرا راجزا فصيحا مقتدرا كثير البدائع^(٣)
 والمعاني . غير أنا نجد من يثير إلى اشتغال عبد الصمد بن
 عبد الأعلى بالزندقة واللعو والمجون . وقد ناقش حسين^(٤)
 عطوان هذه التهمة ، وضمف الاخبار الواردة فيها .^(٥)

-
- (١) أبو زرعة : تاريخ أبي زرعة ، ٣٤٧/١ - ٣٤٨ - الذهبي :
 سير ، ٢١٣/٥ - ابن حبيب : المحبير ، ص ٤٧٦ - نياء
 الدين الريس : عبد الملك بن مروان ، ص ٢٥٠ - عواد
 الأعظمي : مسلمة ، ص ١٩-٢٠ . وانظر أيضا قبل : الفصل
 الأول ، ص ١٠٢ .
 (٢) انظر قبل : الفصل الأول ، ص ١٠٢ .
 (٣) ابن حبيب : نفس المرجع والمفحة - الزرو : الحياة
 العلمية في الشام ، ص ٢٨-٢٩ - محمد صالحية : مؤدبو
 الخلفاء ، ص ٤٤-٤٥ .
 (٤) لتعريف بهذين المؤدبين ، وتربيتهما للوليد بن يزيد
 وسيرتهما معه وأثرهما عليه ، (انظر / حسين عطوان :
 سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٧٣-٩٨) .
 (٥) محمد صالحية : نفس المرجع ، ص ٤٤ .
 (٦) نفس المرجع ، ص ٨٣-٨٧ .

(١)
كما يذكر حسين عطوان مؤدبا خالفا للوليد بن يزيد هو
يزيد بن ابي مساحق السلمى ، لكنه شكك فى صحة ذلك الخبر .
(٢)
وهب بن كيسان الفقيه المؤدب ، لكننا لانعلم لمن كان
مؤدبا .

وكان الزهرى مؤدبا لابناء الخلفاء من بنى امية ،
(٣)
ومنهم الخليفة يزيد بن عبد الملك نفسه . وعون بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود ، الذى علم مروان بن محمد فى حياة ابيه
(٤)
ثم تركه ولزم الخليفة عمر بن عبد العزيز .

المكتبات :

انتشرت المحف والكتب فى تلك الفترة - مدار البحث -
وكرث لشيوع الكتابة بين الناس وتدوين كثير من العلماء
للعلم وحتم عليه ، يقول الحسن البصرى : " ان لنا كتبنا كنا
نتمهدا " . (٥)
فعرف العصر انواعا من المكتبات او خزائن الكتب
فكان هناك خزائن الخلفاء الامويين ، والمكتبات العامة ،
والمكتبات الخاصة .

-
- (١) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٩٨-٩٩ .
(٢) الذهبي : سير ، ٢٦/٥ .
(٣) الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٢٨-٢٩ - محمد
الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٤٩٣ - وانظر قبل :
الفصل الاول ، ص ١٠٢-١٠٣ .
(٤) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ١٠٣-١٠٥ .
(٥) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٣٢٦ - مبحث الصالح :
ملوم الحديث ، ص ٤٤ . (لكن من العلماء مع تدوينه
العلم لنفسه ، الا انه كان يكره الاملاء ، فكان الزهرى
ممن يمنع ان يكتب عنه ، فاذن للناس واملى عليهم ،
بعد ان الزمه هشام بالاملاء على بنيه ، وقال : كنا
نكره الكتاب ، حتى اكرهنا عليه الامراء ، فرأيت الا
امنعه مسلما " . (انظر / الذهبي : نفس المصدر والجزء
ص ٣٣٤ - شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ،
ص ٩٥-٩٦) .

وأما خزائن الخلفاء الأمويين ، فقد وجد بها أعداد كبيرة من الدفاتر التي احتوت على علم الزهرى ، يدل على ذلك رواية عبد الرزاق أنه سمع معمرًا يقول : "كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهرى ، حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول : من علم الزهرى" ^(١) .

وقد كتبت هذه المدونات قبل عهد الوليد ، فقد كانت وفاة الزهرى (١٢٤هـ) ، قبل تولى الوليد الخلافة (١٢٥هـ) ، ويبدو أنها دونت وحفظت فى عهد هشام الذى ألزم الزهرى بالكتابة والإملاء ، ولعل بعضها كتب فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقد كان الزهرى من رجال دولته وممن تولى له القضاء .

ويظهر أنه كان للخلفاء الأمويين خزائن كتب ، يحفظ بها بعض العلوم والمدونات فى شتى الفنون ، يدل على ذلك الخبر الذى يشير إلى إخراج الخليفة عمر بن عبد العزيز كتاب أهرن القس بن أعيان الذى ترجمه ماسرجويه ، من خزائن الكتب وقد حفظ بها منذ عهد مروان بن الحكم ، فأخرجه بعدما وجده لينتفع به المسلمون ، وقيل : بل ترجم فى عهد عمر نفسه ^(٢) .

والغالب أن مكتبة خلفاء بنى أمية هذه ، كانت لحفظ الكتب ، فلاتفتح أبوابها لطلاب العلم ، إلا أن يكون من الخلفاء أو أبناء أسرهم . وقد نص الخبر على إخراج كتب الزهرى من خزائن الوليد بن يزيد ، فلانعلم إلى أين أخرجت

(١) الذهبى : سير ، ٣٣٤/٥ - هوروفتش : المغازى ، ص ٦٥-٦٦ - أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٦٨ .

(٢) انظر ص ٦٥٣-٦٦٤ .

(٣) أحمد أمين : نفس المرجع ، ص ١٦٣ .

الى مكتبات عامة كانت موجودة ، او خزائن كتب قد تكون ملحقه بالمساجد التي كانت تمثل دور العلم في تلك الفترة ، ليستفيد منها سائر المسلمين ، وهذا أرجح .

أما المكتبات العامة ، فإن من المسلمين من اتخذ بيتا وضع فيه كتباً وأدوات للتسلية واللعب وأعدده للرواد من طلاب العلم ، وفتحها أمام العامة ، فيذكر أحمد أمين نقلا عن أبي الفرج : أن عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي ، وكان في العصر الأموي ، قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجات ، ونردات ، وقرقات ، ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار أوتادا ، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جرد دفترا فقرأه ، أو بعض ما يلعب به فلعب به " . وكانت هذه المكتبة بالمدينة .^(١)

والحق أنه مظهر راق للنهضة العلمية في تلك الحقبة من الزمن ، وشبيه عبد الحكم الجمحي ، محمد بن جبير بن مطعم (ت ٩٩ أو ١٠٠هـ) ، الذي كان لديه مكتبة عامرة بالكتب ، وكان يسمح لطلاب العلم بالاطلاع فيها ، لكنه كان يمنع خروج أي كتاب .^(٢)

أما المكتبات الخاصة ، فقد كان لكثير من العلماء

-
- (١) فجر الاسلام ، ص ١٦٨ .
 (٢) لم أعثر على ترجمته ، وقد قال أحمد أمين أنه في العصر الأموي ، (انظر النص أعلاه) .
 (٣) النردات : جمع نرد ، وهو ما يعرف اليوم بالطاولة وقرقات : جمع قرق وهي لعبة للمبيان . (انظر / محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، هامش ٤ ، ص ٣٠١) .
 (٤) عن هذه المكتبة ، انظر أيضا / أحمد زكي : الحياة الأدبية في البصرة ، ص ١٤٨ - محمد الخطيب : نفس المرجع والمفحة .
 (٥) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٤

مكتباتهم الخاصة ، حيث استعانوا على حفظ علمهم بالتدوين ، وحفظ تلك المدونات للمذاكرة فيها والعودة اليها عند الحاجة ، او الاملاء منها احيانا ، وتقديمها لطلاب العلم احيانا اخرى ينسخون منها ، او باعارتها ثم استعادتها .

فقد كان لمجاهد بن جبر (ت ١٠٣هـ) كتباً في غرفة بيته ، وكان يسمح لبعض اصحابه ان يصعدوا اليها ، فيخرج لهم كتبه فينسخون منها .^(١)

وتترك عبد الله بن زيد (ت ١٠٤هـ) نزيل داريا ، لما مات حمل بغل كتباً . كما كان لمحمد الباقر بن علي بن الحسين (ت ١١٤هـ) كتب كثيرة سمع بعضها منه ابنه جعفر المادق ، وقرا بعضها .

كما كان عند مكحول الشامي (ت ١١٢هـ) كتب ، وعند الحكم بن عتيبة (ت ١١٣هـ) ايها ، وعند بكير بن عبد الله ابن الاشج (ت ١١٧هـ) عالم المدينة ، كتب انتقلت الى ابنه مغرمة بن بكير ، كما كان للزهري (ت ١٢٤هـ) مع حفظه مكتبة خاصة ، يقول يونس بن يزيد : قلت للزهري اخرج لي كتابك ، فاخرج لي كتاباً فيها شعر . وكان اذا جلس في بيته ونع كتبه حوله ، فيشغل بها عن كل شيء من امور الدنيا ، حتى قالت امراته : والله لهذه الكتب اشد على من ثلاث فرائر .^(٢)

(١) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٢٢٦ - صبحي المالح : علوم الحديث ، ص ٤٤ .
(٢) الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٧٨ .
(٣) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٢٥٤-٢٥٥ .
(٤) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٨٧ .
(٥) احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٦٨ - هوروفتش : المفازي ، ص ٦٦ .

كل ما ذكرناه دلائل واضحة على انتشار الكتب والمكتبات وبالأخص الخاصة منها ، وذلك ينبىء عن نهضة علمية شهدتها الدولة الإسلامية فى أواخر القرن الأول وبداية الثانى . ولعل مما ساعد على انتشار الكتب والمكتبات ، وجود أسواق لبيع الكتب ونسخها ، فينقل الذهبى أن همام بن منبه اليماني كان يشتري الكتب لأخيه وهب بن منبه^(١) ، وكان ممن ينسخ المصاحف فى هذه الفترة عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧هـ) ، أحد القراء البارزين ، وكان يكتبها بيده ولا يتركها إلا لشقة أمين^(٢) ، كما كان مالك بن دينار (ت ١٢٧هـ) العالم البر التابى ، من أعيان كتبة المصاحف ، حيث كان ينسخ المصاحف للتكسب ، وكان ينسخ المصحف فى أربعة أشهر^(٣) .

ومما يستوجب الذكر ونحن ندرس أبرز جوانب الحياة العلمية فى عصر الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وأهم مظاهر نشاطها العلمى ، إبداء الراى فى دوره فى الحياة العلمية فى عهده واهتمامه بها .

كانت الحركة العلمية فى الدولة الأموية فى غالب الأحيان تنمو من تلقاء نفسها ، لاهتمام الناس بالعلم وانكبابهم عليه ، حيث حثهم الدين الإسلامى على ذلك ، وكونه مظهرا من مظاهر النمو والتطور الحضارى ، الذى أخذت دولة الإسلام ترتقى سلمه ، إلى جانب الحاجة وغرورات الحياة

-
- (١) الذهبى : سير ، ٣١٢/٥ .
 (٢) سعد موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية ، ص ٩٦ .
 (٣) الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٦٢-٣٦٤ .
 (٤) يستثنى من ذلك بعض الخلفاء ، كعمر بن عبد العزيز ، (انظر قبل التمهيد ، ص ٦٩-٧١) .

الجديدة في المجتمع الاسلامي الجديد .

وهذا لايعنى عدم اهتمام الخليفة يزيد بالعلم البتة ،
فلعل من نافلة القول انه ترك كثيرا من جهود واهتمامات
سلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز العلمية ،تسير في طريقها
وتواصل نجاحها ، كإبقاء على البعثات التي أرسلها سلفه
عمر بن عبد العزيز الى الأقاليم الاسلامية لبث تعاليم الدين
الاسلامي ، وتفقيه الناس ، والاستمرار في نشر العلم في
المساجد ومجالس العلماء . ومما يدل على استمرارية ذلك
النهج ، ماذكر عن اقتفاء بشر بن صفوان عامل يزيد على
أفريقية ، لسياسة محمد بن يزيد واسماعيل بن عبيد الله بن
أبي المهاجر ، أمير أفريقية قبله ، في العمل على نشر
الدين والعلم بين البربر ، فاستمر العلماء والدعاة في
عملهم وكان من بينهم الواليان السابقان محمد بن يزيد
واسماعيل بن عبيد الله ، وقد أدت تلك السياسة الطيبة الى
إقبال البربر على حلقات العلم في المساجد وتعليم الصبيان
في الكتاب . ولعل مثل هذا حدث في الأقاليم الأخرى .

ومن المحتمل استمرار أوامر عمر بن عبد العزيز بتدوين
العلم وخامة المنة ، وان لم نلمس ذلك على المستوى الرسمي،

(١) من ذلك البعثة التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد
العزيز من فقهاء التابعين لتفقيه البربر ، (انظر /
فاطمة رضوان : المغرب في عصر الولاة الأمويين ، ص ٤٨ -
الفرد بل : الفرق الاسلامية في الشمال الأفريقي ،
ص ٩٦-٩٧) .

(٢) أمر عمر العلماء بنشر الاسلام في مساجدهم ومجالسهم .
(انظر قبل / ص ٦٩ - عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب
الاسلامي ، ص ٨٣) .

(٣) انظر : فاطمة رضوان : نفس المرجع ، ص ٦٨-٦٩ .

(٤) انظر ذلك بالمصادر التي أحلنا اليها لمعرفة عطاءات
عمر العلمية ، قبل : التمهيد ، ص ٧٠ .

(٥) انظر قبل : المبحث الاول ، ص ٦٥٠-٦٦٠ .

وليس لدينا قرائن على استمرارية كل سياسات عمر في سبيل نشر العلوم ولكن الاقرب عدم التوقف ، واستمرار العلماء المكلفين بذلك فيه ، خصوصا ان من اولئك العلماء من حظى بثقة يزيد وكان من المقربين اليه والعاملين في دولته ، كمحمد بن مسلم الزهرى . وليزيد اهتمام واضح بالادب وخاصة الشعر ، حيث قرب الشعراء ، وفتح ابوابه لهم ، واجزل لهم العطاء ، وحظوا باهتمامه ، وتلك صفة تميز بها بنو أمية ، عدا عمر بن عبد العزيز .

(١)

يقول حسين عطوان عن اهتمام يزيد بالعلماء وتقريبه لهم واعتماده عليهم : "واثرت ثقافته الدينية في سياسته تأثيرا بارزا ، اذ استعمل خلافته بتقريب العلماء والفقهاء من امثال رجاء بن حيوة الكندى ، ومحمد بن مسلم الزهرى وغيرهما ممن احصاهم اليعقوبى ، واجلهم يزيد واحسن اليهم ، واستعان بهم في القضاء ، واستفاد بآرائهم في ترميف شئون الدولة " .

فيذكر انه كان يجرى على رجاء بن حيوة ثلاثين دينارا في كل شهر ، وان سعيد بن خالد الاموى كان من خاصته او الغالب عليه ، وهو من رجال الحديث الثقات .

(٢)

-
- (١) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٦ .
 (٢) بالرجوع الى تاريخ اليعقوبى ، نفس الجزء والمفحة ، تبين انه اورد أسماء علماء عصره ، لكنه لم يشر الى تقريب يزيد لهم او اهتمامه بهم .
 (٣) الذهبي : سير ، ٥٦٠/٤ .
 (٤) من اجل ذلك ، انظر قبل : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٤١-٤٤٠، ٤٣٣ .

ويتبين لنا مما ذكرناه ، أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وإن كان له بعض الاهتمام بالعلم وأهله ، إلا أنه لم يكن ذي دور بارز في دفع الحركة العلمية وتنميتها ، تلك الحركة التي اعتادت الحياة بعيدا عن أحضان الدولة ، فلم يؤثر عليها ذلك ، حيث واصلت النمو والتطور .

وهذا في حد ذاته ظاهرة حضارية ، تعد من خصائص الأمة الإسلامية ، ومميزات دولتها ، حيث كانت الحياة العلمية ، والمظاهر الحضارية ، تحيا وتنمو نحو النضج والتقدم ، بشكل طبيعي ، ومن تلقاء نفسها ، على أسس ثابتة مستمدة من دينها وبإمكانيات أهلها وموروثاتها ، وماومل إليها مما وافق عقيدتها ، دون توجيه من الدولة ، أو الاعتماد على رعايتها كما أن من مميزات الدولة الإسلامية ، ترك الحرية للرأي والفكر مالم يكن مخالفا للدين الحق ، وإفصاح المجال للحياة العلمية أن تمشي دون توجيه معين ، ورعايتها رعاية هدفها حفز رجال العلم وأبحاثهم ، ودفع الحركة العلمية ، والمظاهر الحضارية نحو التقدم . ولعمري أن ذلك كان من العوامل التي جعلت الأمة الإسلامية رائدة الحضارة العالمية بعد حقبة قصيرة من عمر الزمن .

الخيام

الخاتمة

يأتى فى مقدمة ما توصلنا إليه فى بحثنا هذا ، أنَّ الدولة الأموية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، كانت قوية البنيان ، ثابتة الكيان ، مُعابة الجانب ، استطاعت حكومتها القضاء على الفتن الداخلية ، ومواجهة الاخطار الخارجية ، وتوجيه الجيوش الفاتحة ، فحفظت الأمن ، وصانت الحدود ، وواصلت الجهاد . كما استمرت الأمة فى رقيها الحضارى ، وغموصها فى الحياة العلمية ، مما يعنى قيام الدولة الأموية فى عهد يزيد ، باداء واجباتها ، والقيام بدورها التاريخي بكل اقتدار .

أما حاكم الدولة ، وخليفة المسلمين يزيد بن عبد الملك ، فقد خرجنا من دراسة سيرته ، بإجماع جلّ المصادر على ميله للهو واللذات ، وحبّه لجاريتيه سلامة وحبابة وشغفه بهما وطربه بفنائهما ، لكنّ تلك الدراسة بينت ما عتري قصته مع جاريتيه من مبالغة واختلاق وتزييف ، فحوت ما لا يقبله العقل ، ولا يقرّه العرف ، ولا يوافق الدين . وعلى أساسها ظهرت سيرته الذاتية ، بصورة الخليفة الالهى المنصرف عن تحمل المسئولية ومباشرة شئون الحكم . غير أنّنا نؤكد ما أوردناه فى دراسة سيرته ، من أنّ يزيد وإنّ صحّ جانباً مما قيل فى سيرته الذاتية ، إلا أنّه ليس كما ابتلى به من أوصاف شنيعة وآراء محتاملة ، وأحكام جائرة ، وهو كما قال ابن كثير : ليس به من بأس ، فإنه على المستوى الرسمى كحاكم للدولة الإسلامية ، وكما اثبتت دراستنا الجدية لأحداث عهده ، واحوال

دولته . انه قام بتحمل مسئولية الحكم ، ومباشرة مهام الدولة . ونحن بذلك لانفى وجود بعض الاثر لسيرته الذاتية ، على بعض سياساته ، وبعض احداث عهده .

ومن النتائج العامة التى نستشفها من دراسة سيرته والدولة فى عهده ، انَّ عهدَ يزيدَ بن عبد الملك لم يكن بداية النهاية للدولة الاموية ، او سبب الانهيار ، كما قالت بذلك كثير من المراجع ، ولكن التبعة التى يتحملها ، هى عدم الاستمرار فى الحركة الإصلاحية التى بداها سلفه عمر بن عبد العزيز ، والذى ادرك حاجة الدولة للإصلاح ، وإعادة الترتيب والتوازن . فلم يدرك ذلك يزيد ، ورأى مصلحة الدولة المالية العاجلة فى إعادة تطبيق بعض سياسات خلفاء بنى امية قبل عمر ، فرد الدولة دون أن يدري إلى الحياة فى ظروفها السابقة ، التى كان منها ما يمثل اسباباً وهن وعوامل هدم ، زاد أثرها وقويت وطأتها مع تقادم الزمن ، حتى اوملت الدولة إلى هاوية الانهيار ، بعد سبعة وعشرين عاماً - تقريباً - من نهاية عهد يزيد .

وما ذلك لسوء سيرته الذاتية ، او لانتمائه عن تحمل المسئولية ومباشرة شئون الحكم ، ولكن لأنَّ يزيد كان خليفة عادياً ، إذ لم يكن سياسياً محنكاً كمعاوية ، ولا إدارياً ناجحاً كابيه عبد الملك ، ولا مملحاً مقتدرًا كمعمر بن عبد العزيز .

وبالنظر فى الحركات الداخلية فى عهده ، نجد الدولة قد عانت من قيام عددٍ من الحركات مختلفة المشارب ، كان أشدها بأساً وخطرًا شأنًا على الدولة فى عهده ، حركة يزيد ابن المهلب ، وأعظمها أثرًا على الدولة بعده حركة بلاى ،

فالأول ، استولى على البصرة وماحولها ، ووجه العمال ، وجبى الأموال ، وخرج على الدولة ، وخلق الخليفة ، ورأى الخلافة لنفسه ، فعظم أمره ، وجلّ خطرُه ، وكادت حركته تطيحُ بالبית الأمويّ الحاكم ، فألزم الدولة توجيه جيشٍ من ثمانين ألفاً للقضاء عليه ، فكلّفها كثيراً من الرجال والجهد والوقت والمال .

أما الثانى وهو بلاى ، فقد قاد المقاومة النصرانية ضد المسلمين فى الأندلس ، ومهد نجاحه لقيام دولةٍ اشتريين النصرانية فى الشمال الغربى من الأندلس ، التى لم يستطع المسلمون إزالتها بعد ذلك ، وواصلت النصرانية مقاومتها لوجود الإسلامى حتى تمكنت من إزالة النفوذ الإسلامى على الأندلس بعد نحو من ثمانية قرون .

وظهر أن تلك الحركات فى عهده لم تقم نقمةً على سياسة الخليفة يزيد أو سيرته ، ولا احتجاجاً على إجراءات عماله وأصحاب الأمر فى دولته ، حيث كان وراءها أسبابٌ وطموحات شخصية ، ونزعاتٌ اقليمية ودوافعٌ عقائدية .

وتبين جديّة الدولة فى إخماد تلك الحركات لحفظ الأمن والحرس على وحدة الأمة وسلامة الكيان ، عن طريق إعطائها حقها من الاهتمام والمخابرة ، واتخاذ الأسلوب المناسب ، حملاً كما اتّبع فى غالب تلك الحركات ، مرونةً وليناً كما عومل به عقبانُ الحرورى . وليس هنا مكان للتساؤل لماذا لم يتّبع الأسلوب السلمى مع بقية الحركات ، مادام قد نجح فى إنهاء حركة عقبان دون خسائر ؟ فقد جرب مع حركة ابن المهلب حيث أعطى الأمان ودعى للسلم ولم يحقق الفرض ، كما أن نجاحه

مع إحداث حركات الخوارج لا يعنى نجاحه مع حركاتهم الأخرى ، فقد مارس هذا الأسلوب عمرُ بنُ عبد العزيز مع شذوب الخارجي ، ونجح معه ، لكنه لم ينجح مع غيره من الخوارج ، ممن قام في عهده . فكيف بإرضاء وإقناع قوم من يزيد بن عبد الملك ، لم تربطهم سياسة على رضى الله عنه ، ولم تسكنهم عدالة عمر بن عبد العزيز .

وننتج عن دراستنا لتلك الحركات تمكن الدولة من القضاء عليها وإخمادها جميعا ، عدا حركة بلال في الأندلس ، الذى دُحر قاعدها ومن معه إلى الصخرة في المنطقة الجبلية في الشمال الغربي من الأندلس ، فترك ، ومالبت بعد عهد يزيد أن مساوئ المقاومة ، وإن كنا لنحمل عهد يزيد تبعه بقائه ، فمنشأ تلك الحركة كان منذ عهد سليمان بن عبد الملك لعهد الخليفة يزيد .

ويجربنا الحديث عن الحركات انه وإن تم القضاء على معظمها ، فإن بعضها قد خلف أثارا ، فلاحظ أن الشدة في استئصال آل المهلب ، وإن لم يتجاوزهم إلى من اتف حول زعيمهم من أهل العراق ، قد ترك أثارا انتقامية في نفوس بعض اليمنيين ، نجد ذلك على لسان الكرمانى الذى قال : "كانت غايته في طاعة بنى مروان أن يقلد ولدى السيوف فاطلب بشار بنى المهلب" .

لكننا لانوافق ما استنتجته كثير من المؤرخين ، في خسارة البيت الأموي لولاء القبائل اليمانية منذ حركة ابن المهلب وتمفية آل بهلك القسوة ، وإبعاد اليمانية عن الوظائف الكبرى في المشرق أيام يزيد . فالمحيط أن الأثر كان نسبيا

إذ عادت للقبائل اليمانية مكانتها في المشرق بعد عهد يزيد ،
عندما ولي الخليفة هشام خالد القسري العراق . فعلا شأن
اليمانية وتمحمت بذلك الخطوة هناك ، طوال ولايته التي
استمرت من (١٠٦ - ١٢٠هـ) .

واثبت البحث أنّ تلك الحركات مع تعددها وقوة بعضها ،
وما أدت إليه من طمع بعض القوى المجاورة ، إلا أنّها لم تُعقِ
الدولة عن درء الأخطار الخارجية والقيام بواجباتها ، وإن
كانت قد استولت على شيء من اهتماماتها وجهودها .

ومما كشفته لنا هذه الدراسة ، إمداد الخليفة يزيد بن
عبد الملك مرسومًا في أواخر سنة ١٠٢هـ / ٧٢١م ، يخص النماري
ودور عبادتهم وبعض مظاهرها ، ففي بتحطيم الأصنام ، وكسر
الملبان ، ومحو الصور وإزالة التماثيل ، وهدم الكنائس
المستحدثة ، في كل مكان من أقطار الدولة الإسلامية ،
والكتابة بأمره ذاك إلى عماله على الأقاليم ، والأمر
بتنفيذه . فشرع في ذلك على الفور ، وجرى العمل بمقتضاه ،
وإن بدا أنّ الخليفة يزيد قد توفي قبل أن يتم تنفيذه كل
ما أمر به . كما تبين ظهور أثره وانحاف في مصر والشام
والعراق ، دون غيرها من الأقاليم الإسلامية ، لكونها مراكز
تواجُد المسيحيين الكبار ، داخل الدولة الإسلامية ، ومعاقلة
فكرهم ، ومقر كنائسهم العظمى ، ولاستقرار الأمور فيها .
بينما قلّ أثره في الأقاليم الأخرى ، لقلّة تواجُد المسيحيين في
بعضها ولعدم استقرار الأمور في البعض الآخر ، كالأقاليم الطرفية
حديثة العهد بالفتح ، والتي كان هم المسلمين بها نشر
الإسلام بين أهلها وتثبيت سلطانهم فيها .

ورايضا انَّ الخليفةَ بمرسومِهِ هذا ، أُلْزِمَ النصارى بحدودٍ ما أعطوا من حريةٍ دينيةٍ في عهودِ الملحِ ، خشيةً على المسلمين من التأثيرِ بما يبرزُهُ النصارى من مظاهرِ عبادتهم ، وصونا لمشاعرِ المسلمين من التآذى بمبالغةِ النصارى وتماديهم في إبرازِ بعضِ تلكِ الشعائرِ والمظاهرِ الدينيةِ ، كدقِّ النواقيسِ ، ورفعِ الموتِ بالترتيلِ ، ورفعِ الملبانِ ، وتفضي المورِ المقدسةِ والتماشيلِ ، وبناءِ الكنائسِ المستحدثةِ ، خصوصاً انَّهم يعيشون بينَ ظهراى المسلمين ، ويأتون امرا خارجا عما أعطوا في صلحهم ، ومنافيا لما جاء به دينُ الإسلامِ الذى حرَّمَ تمويرَ كلِّ ذى روحٍ ، واتخاذَ صورها ، واستعمالَ ماهى فيه ، مما لا يمتحن .

وتبيِّنَ مدى اثرِ هذا المرسومِ فى نفوسِ اهلِ الذمَّةِ كجزءٍ من سياسةٍ يزيدَ وإجراءاته نجاحهم ، جاء ذلك على لسانِ المؤرخِ المصريِّ القبطيِّ ساويرس بن المقفع ، الذى قال : "ثم تولى بعده - اى بعدَ عمرَ بن عبد العزيز - يزيدُ ومانحن بشرحِ ماجرى فى أيامهِ ولانذكرهُ من السوءِ والبلاءِ لأنَّه سلك فى طريقِ الشيطانِ وحادَ عن طريقِ الله ... " وذكرَ امرُ يزيدَ فى هذا الشأنِ . كما جاءت اهميتهُ فى مداه خارجيا ، وتأثرِ الدولةِ البيزنطيةِ به ، ومحاكاةِ امبراطورها ليو الثالث الأيسورى للخليفةِ يزيدَ فى مرسومِهِ ، حيثُ اتخذَ سياستهُ اللايقونية والقاضيةَ بإزالةِ جميعِ المورِ والتماشيلِ الدينيةِ من الكنائسِ فى ولاياتِ الدولةِ البيزنطيةِ ، وذلك سنة (١٠٧ - ١٠٨هـ / ٨٢٦م) ، اى بعد مرسومِ يزيدَ بنحوِ خمسِ سنواتٍ ، وقد ترتبَ على سياستهِ اللايقونية كثيرٌ من الآثارِ والنتائجِ

الخطيرة . ولعلّ مما يستلزم الذكر سبّقنا الدارسين المحدثين من المسلمين في إبراز هذا المرسوم ، الذي اغفل جلّ المؤرخين ذكره ، وجعل الكثير أمره .

وتوصلنا في ضوء هذه الدراسة إلى عودة النشاط العسكري والتوسع في عمليات الفتوح ، زمن يزيد بن عبد الملك ، وإنّ منها ما كان اضطرارياً ، كالجهاد فيما وراء النهر الذي استهدف إخماد تمرد المغدّر ومدّ الترك الذين أعانوا المغدّر واستغلّوا اضطراب الحال هناك للهجوم على الممالك الإسلامية فيما وراء النهر . وكذلك الجهود العسكرية في أرمينية ، والتي بذلت لصدّ هجمات الخزر على ذلك الاقليم . ومنها ما كان لحفظ التوازن ، والابقاء على الهيبة الإسلامية واستمرارية الجهاد ، كحروب المسلمين زمن يزيد في أرض الروم ، بينما مثلت حروب المسلمين في بلاد الغال ، مواصلة حركة الفتح وجهاد أعداء الإسلام ونشر الدين القويم ، بين من لم يملهم نور الإسلام ، ولم تطأ أركانهم أقدام الفاتحين .

وخرجنا من تلك الدراسة ، بنجاح المسلمين في إخماد تمرد المغدّر فيما وراء النهر ، وإعادة السيادة الإسلامية على تلك البلاد . والحفاظ على مكتسبات الفاتحين السابقين فيها . غير أنّ المسلمين قد فقدوا بعد عهد يزيد كثيراً من فتوحاتهم فيما وراء النهر ، بعد أن شبّت سعيدهم الحروشيّة أقدامهم فيها من جديد ، في خلافة يزيد بن عبد الملك . إذ لم يستطع ولاة خراسان في زمن هشام ، الحفاظ على تلك المكتسبات ، حتى لم يبق في أيديهم سنة ١١١هـ / ٧٢٩م ، من منطقة ساوراء النهر سوى سمرقند وبخارى وماحولها .

كما نجح الجراحُ الحكميُّ عاملُ يزيدَ على ارمينية في صدِّ الخزر عن ارمينية ، ومطاردتهم حتى بلادهم ، وإنزالِ العزيمة بهم . غيرَ أنَّهم عاودوا غزوَ ارمينية واذربيجانَ زمنَ هشامٍ ، واستمرَّ مزاحُ المسلمينَ معهم ، الذين كانوا في دورِ المُدافعِ أحيانا ، وتعرضوا لمحنٍ شديدةٍ ، كانكسارهم أمامَ الخزر (سنة ١١٢هـ) ، ذلك الانكسارُ الذي استشهدَ فيه الجراحُ الحكميُّ .

وتوصلنا من دراسةِ الفتوحِ في أرضِ الرومِ ، بتحقيقِ عددٍ من الانكساراتِ والفتوحِ عن طريقِ السوانفِ والشواطي في تنظيمها الجديدِ ، فقد فتحت المغانةُ ، ودبسة ، وسره وقيمرية ، وقونية ، وكمخ . وإلى جانبِ ذلك ظلت الحدودُ مع الرومِ مماناةً ، وأُشغلَ العدوُّ بالدفاعِ عن نفسه ، بينما ظل زمامُ المبادرةِ بأيدي المسلمين . كما واصلوا الغزوَ البحريَّ عن طريقِ اسطولِ افريقية ، للجزرِ الروميةِ في وسطِ وغربِ البحرِ المتوسطِ ، حيثُ غزوا مقليةً ، وسردانيةً ، وكورسيكا . فحافظوا بأسلوبهم الهجوميّ هذا ، على السواحلِ الإسلاميةِ في افريقية ، ومع أنَّ غزواتهم قد اتسمت بالفاراتِ السريعةِ الخاطفةِ التي لم تسعَ لفتحٍ دائمٍ وثامٍ لتلك الجزرِ ، إلا أنَّها كانت مجالا تدريبيا للقوةِ البحريةِ الناشئةِ في إفريقية ، وتهديدا للقواعدِ البحريةِ البيزنطيةِ ، المحتملةِ في جزرِ وسطِ وغربِ البحرِ الأبيضِ المتوسطِ ، خصوصا مقليةً ، واستكشافا لفتوحاتِ إسلاميةٍ لهذه الجزرِ ، وهو ما تأخر لمدةِ قرنٍ من الزمانِ تقريبا ، حين قام الغالبةُ بغزوها أوائلَ القرنِ الثالثِ الهجريِّ .

وتوصلنا من دراسة الفتح في بلاد الغال ، إلى أن حملة
السمح بن مالك على تلك البلاد قد تمت زمن يزيد بن عبد
الملك ، وأن المجاهدين المسلمين على أثرها ، تمكنوا من
اتخاذ موطن قدم لهم في تلك البلاد ، وهي مدينة أربونة ،
التي أصبحت نفرا إسلاميا فيما وراء جبال البرقات منذ ذلك
الحين ، وتكوين حكومة إسلامية فيها ولما حولها في إقليم
سبثمانيا وبروفانس . حيث تبين جدية الفتح في هذه الحملة ،
ونية البقاء والاستمرار ، وإن كان مقتل السمع في طولوشة قد
مطل تحقيق تلك الغاية . كما تبين أن فتوحات عنبسة بن سحيم
في تلك البلاد قد تمّ الأعداء لها في خلافة يزيد ، وجرت
أحداثها في خلافة هشام بن عبد الملك .

ومن النتائج العامة في هذا المدبر ، بطلان ما قيل عن
مخالفة سعيد الحارثي والسمح بن مالك لأخلاقيات الإسلام وسماحة
مبادئه في التعامل مع الأعداء .

ومن النتائج التي توصلنا إليها أن يزيد لم ينقض كل
سياسات عمر بن عبد العزيز ، فلم يعزل جميع عماله ، ولم
يلغ كل إجراء اتخذه الماليق ، والذي حدث هو مخالفة عمر في
بعض إجراءات اتخذه الماليق ، لظنه أنها كانت ذات أثر سلبي على
الدولة ، وأنها أدت إلى نقص موارد بيت المال . إذ لم يدرك
ما أدركه عمر من حاجة الدولة للإصلاح ، ومال تلك الإجراءات
المالية القديمة من آثار سلبية على الدولة ، وإن بدت ذات
مردود إيجابى . وتبين أنه عاد إلى بعض سياسات أسلافه من
خلفاء بني أمية قبل عمر ، باعتبارها في نظره أملاح واجدى ،
كإعادة فرائب النيروز والمهرجان ، والتربية التي فُرقت على

اهل اليمن . يؤكد ذلك انه ابقى على ماكان ذا مردود ايجابى
على خزينة الدولة من اجراءات عمر وسياساته ، كمنع بيع
الاراضي الخراجية . بينما ابقى على بعض اصلاحات عمر ،
كمتابعة عمر فى انقاص جزية نمارى النجرانية ، واسقاط
مازید على اهل قبرص عما مولعوا عليه .

واتضح ان يزيدا لم يكن محكوما بروح العممية فى
توجهاته وسياساته الادارية والمالية ، لذلك وجدناه يعتمد
على المفريين واليمنيين ، والعرب والموالى سواء ، بينما
بدا لنا انه تابع عمر بن عبد العزيز فى منع اهل الذمة من
العمل فى دواوين الدولة . وقد اختار رجاله من اهل الثقة
والكفاءة والمكانة ، واتخذ موقفا سليما فىمن خرج من ذلك ،
فقد عزل ابن الضحاك عن المدينة عندما بدا له انه تجاوز
حدوده واستغل سلطانه فى اغرائه الشخصية ، كما كان مرنا
واقميا فى موقفه من البربر عندما قتلوا يزيد بن ابي مسلم
وانكر مامنعه وقال : انى لم ارض ما منع يزيد بن ابي مسلم ،
واقر من ولوه امرهم .

ومما ملنا اليه ، اتخاذ يزيد سياسات مالية متشددة
وغير عادلة ، وبالاخص مع الموالى واهل الذمة ، فقد اشتد فى
الخراج ، حيث وضع الخراج على الكنائس ، واملاك الاساقفة ،
ويرجع اعادته فرق الجزية على الرهبان ، كما حرّم الموالى
العطاء ، واعاد فرق الفرائد غير الشرعية ، على العرب
والموالى واهل الذمة ، ويحتمل مقتضى بعض النصوص اعادته فرق
الجزية على من اسلم ، غير انه لانص صريح بذلك . وإذا ما صحت
تلك الاشارات ، فإن فرضها قد اقتصر على المناطق والاتقاليم

الشرقية من الدولة الإسلامية ، تلك الاقاليم التي فرضت
الجزية على من اسلم فيها ، لأول مرة على يد الحجاج بن يوسف
الثقفي .

ومن اهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا المدبر ،
أن فرض الجزية على من اسلم منذ اتخذ ذلك الحجاج الثقفي ،
لم يعمم على كل الاقاليم الإسلامية كما اعتقد كثير من
الباحثين ، واقتصرت على حدود ولايته ، بل على اهل القرى
والرساتيق ومناطق الاطراف ، أما من سكن الامصار من الموالي
فإن الدلائل تشير على عدم تطبيق ذلك عليهم . كما اتضح أن
فرضها على من اسلم في اقاليم الاطراف ، قد تم في كثير من
الاحيان عن طريق الامراء المحليين (الدهاقين) ، الذين ترك
لهم امر جمع الاموال المفروضة على اقوامهم وتقديمها لبيت
المال ، فكانوا يخفون عن بقى منهم على دينه ، ويبقونها
على من اسلم منهم ، ويثقلون عليهم في الخراج .

وتبين لنا أن يزيدا قد اتخذ بعض الإصلاحات والتنظيمات
الإدارية والمالية ، بهدف الإصلاح والقبض وزيادة موارد
الدولة ، فاهتم بطريق الركب العراقي من الكوفة إلى مكة ،
وبناء قنطرة الكوفة ، وبناء مدينة اللاذقية أو إتمامه ،
وشحنها ، كما وُقع في عهده الديوان الرابع لعمرك ، وعمل على
دمج الإدارات المحلية في الحكومة الإسلامية ، كما حدث في
خراسان عندما تولى مسلم بن سعيد الكلابي عامل يزيد عليها ،
تعيين مرزبان مرو من قبله ، واتم في عهده تنظيم الأمور
المالية في الأندلس ، ومسح المواد وجودة العملة ، وقومت
المكاييل وثبّطت ، وحارب الفساد الإداري والمالي .

غير أنَّ يزيدَ لم يدرك أنَّ توسعَ الدولة ، وامطدامَ الفُتوحِ الإسلاميَّةِ بقوىَّ كبرى ، وتعددَ الجبهاتِ ، قد أدى إلى فتورِ الفتوحاتِ فيما وراءَ الحدودِ ، وبالتالى انقطاعِ مواردِ ماليةٍ هامةٍ ، مما زاد من أعباءِ الدولةِ وتفاقمِ مشاكلها ، ولعلَّ ذلكَ ما حداه إلى اتخاذِ بعضِ الإجراءاتِ الماليةِ المتشددةِ لتمويهِ ذلكَ النقصِ وتوفيرِ ما يلبي حاجاتِ الدولةِ ، وكان الأولى أن يدركَ حاجةَ الدولةِ إلى مشاريعٍ إنحاجيةٍ شابتِ ، وإصلاحاتٍ داخليةٍ بديلةٍ .

ومع كلِّ ذلكَ فإنَّ الخليفةَ يزيدَ قد أدارَ دولتهُ بما يحفظُ عليها كيانها وسلطانها داخليا وخارجيا ، واتخذ من السياساتِ الإداريةِ والماليةِ ما ساعده على النجاحِ فى ذلك . لكنَّه لم يكن الرجلَ الذى تنظرُهُ الدولةُ فى تلكَ المرحلةِ من عمرها .

وأخيرا وجدنا الدولةَ الأمويةَ فى عهدِ الخليفةِ يزيدَ ، قد عاشت حياةً علميةً مزدهرةً متطورةً ، وبالاخص فى العلومِ الدينيةِ من قراءاتٍ وتفسيرٍ وحديثٍ وفقهٍ ، والأدبِ شعره ونثره والكتابةِ التاريخيةِ ، ولمسنا من هذه الدراسةِ أنَّ عهدَ الخليفةِ يزيدَ مع قمره زمنيا ، إلَّا أنَّه زخرُ بشلةٍ من العلماءِ والأدباءِ والمؤرخينَ ، نهضوا بالحركةِ العلميةِ وأثروا هذه العلومَ بجهودهم وعطائهم ونحاجهم ، وكان لهم دورٌ مُميَّزٌ فى خدمةِ هذه العلومِ فى تلكَ المرحلةِ من عمرها . ولقد كانت العلومُ فى تلكَ الفترةِ تمرُّ بالمرحلةِ الثانيةِ من عمرها ، وهى مرحلةُ الجمعِ والتأليفِ المنفردِ المتميِّزِ لكلِّ علمٍ عن الآخرِ فى كتبٍ دونَ تبويبٍ وترتيبٍ .

واتضح من هذه الدراسة أَنَّ الحياةَ العلميةَ في الدولة الإسلامية قد نمت من تلقاء نفسها وعلى أيدي رجالها ، مدفوعةً بحسِّ الإسلامِ عليها ، وعكوفِ المسلمين على النهولِ من معينها ، وبما توفّر من أسباب التطور والنماء .

كما تبين قلّةُ اهتمامِ الخليفةِ يزيدَ بها ، إلا ما كان من رعايته للادبِ ورجاله وخصوصاً الشعراء . غير أنَّ ذلك لم يعقِ الحركةَ العلميةَ عن مواصلةِ التطورِ ، واستمرت في النموِّ بشكلٍ طبيعيٍّ .

وختاماً نسدُّ الستارَ على عهدِ الخليفةِ يزيدَ ، وقد رايناه قد انتهى والدولةُ الأمويةُ لازالت قويةً مُهابةً ممانّةً ، مقاتلةً في سبيلِ الله لأممٍ مقاتلةٍ ، متناميةً التطورِ والتنظيمِ إدارياً ومالياً وعلمياً . مما يعني أنَّ عهده كان استمراراً لعميرِ القوةِ من حياةِ الدولةِ الأمويةِ ، وأنَّ الضعفَ والوهنَ لم يظهرْ على الدولةِ حتى ذلك الوقتِ ، وإنَّ تَلَمَّسَ معالمه المتفحِّمِ، وراى علاجه المفكّرُ ، وحاول إصلاحه المصلحُ .

وهكذا كان عهدُ الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ كما قدمناه في هذه الدراسة ، لا كما سُورَ مشوهاً في كثيرٍ من المصادر والمراجع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

(أ) المصادر المطبوعة و المخطوطة

- (١) ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ) : الكامل فى التاريخ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (٢) الاربلى (ت ٧١٧هـ) : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح مكى السيد هاشم ، مكتبة المثنى ، بغداد .
- (٣) الازدى (ت ٣٣٤هـ) : تاريخ المومل ، تحقيق على حبيبة ، الجمهورية العربية المتحدة ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- (٤) الاسفهانى (ت ٣٥٦هـ) : كتاب الالغنى ، طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، القاهرة .
- (٥) ابن اعثم (ت ٣١٤هـ) : الفتح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ .
- (٦) ابن البادش (ت ٥٤٠هـ) : كتاب الإقناع فى القراءات السبع ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، طبعة جامعة أم القرى ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ .
- (٧) البلاذرى (ت ٢٧٩هـ) : انساب الاشراف ، الجزء الاول ، تحقيق محمد حميد الله ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩م ، والجزء الرابع القسم الثانى ، باريس ١٩٣٨م ، والجزء الخامس ، مكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٣٦م .

- (٨) البلاذرى : انساب الاشراف ، الجزء الثالث ، مكروفيلم
مصور عن مكتبة الخزانة الملكية العامة
بالرباط بالمغرب ، برقم ٢٥١٨ ، مركز
البحث العلمى ، جامعة ام القرى ، بمكة ،
تاريخ ، رقم ١٨٥٨ (مخطوط) .
- (٩) = = = فتوح البلدان ، راجعه وعلق عليه رضوان
محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
لبنان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (١٠) ابن تفرى بردى (ت ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة فى ملوك
مصر والقاهرة ، نسخة معمورة عن طبعة دار
الكتب المصرية ، المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .
- (١١) الجاحظ (ت ٨٥٥هـ) : البيان والتبيين ، تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة
الخانجى بمصر ، الطبعة الرابعة ،
١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، الطبعة الخامسة ،
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (١٢) ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) : النشر فى القراءات العشر ،
دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (١٣) الجمشيارى (ت ٣٣١هـ) : كتاب الوزراء والكتاب ، حققه
وولع فهارسه مصطفى السقا ، ابراهيم
الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى ، مطبعة مصطفى
البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة
الثانية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م .

- (١٤) ابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ) : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ضبطه وشرحه وعلق عليه الاستاذ زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- (١٥) ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ) : المحبر ، عناية وتصحيح ايلزه شتير ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٦١هـ .
- (١٦) ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) : الاصابة فى تمييز الصحابة ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٣٢٨هـ .
- (١٧) = = كتاب تهذيب التهذيب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- (١٨) الحميدى (ت ٤٨٨هـ) : جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .
- (١٩) أبو حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢هـ) : الاخبار الطوال ، دار السعادة ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٣٣٠هـ .
- (٢٠) الخشنى (ت ٣٦١هـ) : قصة قرطبة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .
- (٢١) ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) : تاريخ ابن خلدون "المعبر" ، المكتبة التجارية ، مصر ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
- (٢٢) ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

(٢٣) خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) : تاريخ خليفة ابن خياط،

تحقيق أكرم فياء العمري ، دار طبعة ،

الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٢٤) الدباغ (ت ٦٩٦هـ) : معالم الايمان فى معرفة اهل

القيروان ، تصحيح وتعليق ابراهيم شيوخ ،

مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الثانية ،

١٩٦٨م .

(٢٥) ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ) : الجوهر الخمين فى سير الخلفاء

والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور ،

مراجعة احمد السيد دراج ، مركز البحث

العلمى واهياء التراث الاسلامى ، جامعة ام

القرى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

(٢٦) ابن ابي دينار القيروانى (كان حيا ١١١٠هـ) : المؤنس

فى اخبار افريقيا وتونس ، تحقيق محمد

شمام ، نشر المكتبة المتينة ، الطبعة

الثالثة .

(٢٧) الذهبي (ت ٧٤٨هـ) : اسماء الذين راموا الخلافة ، نشر

صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ،

بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ،

١٩٧٨م/١٣٩٨هـ .

(٢٨) = تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ،

مطبعة السعادة ، نشره مكتبة القدس ،

القاهرة ، ١٣٦٨هـ .

- (٢٩) الذهبى : كتاب دول الاسلام ، مطبعة دائرة المعارف
النظامية حيدر اباد ، الدكن ، الطبعة
الاولى ، ١٣٣٧هـ .
- (٣٠) = = سير اعلام النبلاء ، اشرف على تحقيقه وخرج
احاديثه شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- (٣١) = = المعبر فى خبر من خبر ، تحقيق صلاح الدين
المنجد دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ،
الطبعة ١٩٦٠م .
- (٣٢) ابو زرعة (ت ٢٨١هـ) : تاريخ ابنى زرعة الدمشقى ،
تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجانى ،
مطبوعات مجمع اللغة العربية ، بدمشق ،
ومطبعة المفيد الجديدة بدمشق ،
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- (٣٣) ساويرس بن المقفع (كان يعيش فى القرن الرابع الهجرى)
كتاب سير الابهاء البطارقة ، باريس ، ١٩٠٣م
- (٣٤) ابن سمد (ت ٢٣٠هـ) : الطبقات الكبرى ، دار صادر ،
بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- (٣٥) = = الطبقات الكبرى ، القسم المتمم ، دراسة
وتاريخ زياد محمد منصور ، المملكة
العربية السعودية ، الجامعة الاسلامية ،
المدينة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (٣٦) ابن سلام (ت ٢٣١هـ) : طبقات فحول الشعراء ، قراه
وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى ،
المؤسسة السعودية بدمر ، القاهرة .

(٣٧) السيوطى (ت ٩١١هـ) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد
محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة .

(٣٨) الشهرستانى (ت ٥٤٨هـ) : الملل والنحل ، تحقيق عبد
المعزى محمد الوكيل ، مطبعة دار الفكر ،
بيروت ، لبنان .

(٣٩) الشيرازى (ت ٤٧٦هـ) : طبقات الفقهاء ، تحقيق احسان
عباس ، دار الرائد العربى ، بيروت ،
لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

(٤٠) الطبرى (ت ٣١٠هـ) : تاريخ الامم والملوك ، تحقيق محمد
ابو الغفل ابراهيم ، دار سويدان ، بيروت ،
لبنان .

(٤١) ابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ) : الفخرى فى الاداب السلطانية
والدول الاسلامية ، دار صادر ، بيروت ،
١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .

(٤٢) الفبى (ت ٥٩٩هـ) : بغية الملتمس فى تاريخ رجال اهل
الاندلس علمائها وامرائها وشعرائها وذوى
النباهة فيها من دخل اليها وخرج عنها ،
طبع بمطبعة روخس ، مدينة مجريط ، ١٨٨٤م .

(٤٣) ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) : فتوح مصر واخبارها ،
تقديم وتحقيق محمد مبيح ، مؤسسة دار
التماون للطبع والنشر ، القاهرة ، وطبعة
ليدن ، ١٩٢٠م .

(٤٤) عبد الله بن محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ) : تاريخ الخلفاء ،
تحقيق محمد مطيع الحافظ ، مؤسسة الرسالة
الطبعة الاولى ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

- (٤٥) ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) : العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
- (٤٦) ابن العبري (ت ٦٨٥هـ) : تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت .
- (٤٧) ابن عذارى (ت ٦٩٥هـ) : البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ج.س. كولان و ا.ليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، وليدن ، ١٩٥١م .
- (٤٨) ابو العرب (ت ٣٣٣هـ) : كتاب المحن ، تحقيق يحيى وهيب الجبورى ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (٤٩) ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) : تاريخ مدينة دمشق ، مجلد (١) ، (٢) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .
- (٥٠) = = : تاريخ دمشق ، صورة من نسخة المخطوط ، بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، والقاهرة ، ومراكش ، واستانبول ، فهرست الشيخ محمد ابن رزق بن الطرهونى ، الناشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ١٤٠٧هـ (مخطوط).
- (٥١) ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

- (٥٢) ابن العمرواني (ت ٥٨٠هـ) : الانباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائي ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .
- (٥٣) ابو الفدا (ت ٧٣٢هـ) : المختصر في اخبار البشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- (٥٤) ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) : عيون الاخبار ، طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ ، وطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت .
- (٥٥) = = : الامامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزيني ، دار المعرفة ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة .
- (٥٦) = = : المعارف ، تحقيق شروت عكاشة ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ، والطبعة الرابعة .
- (٥٧) قدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ) : الخراج ومناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م .
- (٥٨) القرماني (ت ١٠١٩هـ) : اخبار الدول وآثار الاول ، بقلم البغدادي محمد حدادني ، طبعة بغداد ١٢٨٢هـ .

- (٥٩) القلقشندي (ت ٨٢٠هـ) : مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٤م .
- (٦٠) ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ) : تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، الناشرون دار الكتاب المصرى القاهرة ، ودار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- (٦١) الكبسى (ت ١٣٠٨هـ) : اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمانية ، مخطوط مكتبة كورسنى ، ايطاليا رقم ٣٦٢ مكروفيلم ، مركز البحث العلمى جامعة ام القرى ، رقم ١١٧٠ ، تاريخ . (مخطوط) .
- (٦٢) الكتبى (ت ٧٦٤هـ) : فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م .
- (٦٣) ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م . وطبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- (٦٤) الكندى (ت ٣٥٠هـ) : كتاب الولاة وكتاب القضاء ، تهذيب وتمحيح رفن كست ، مطبعة الالباء اليسوعيين، بيروت ، ١٩٠٨م .
- (٦٥) الماوردى (ت ٤٥٠هـ) : الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

(٦٦) المراكشى (ت ١٦٤٧هـ) : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ،
تقديم ممدوح حقى ، دار الكتاب ، الدار
البيضاء ، بيروت .

(٦٧) المسمودى (ت ١٣٤٦هـ) : التنبيه والاشراف ، دار صعب ،
بيروت .

(٦٨) = = : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد
محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

(٦٩) المصعب الزبيري (ت ١٢٣٦هـ) : كتاب نسب قريش ، عنى
بنشره لأول مرة وتمحيصه والتعليق عليه
الليفى بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة
الطبعة الثالثة .

(٧٠) المقدسى (ت ١٣٥٥هـ) : كتاب البدء والتاريخ ، مكتبة
المثنى ، بغداد ، ١٩١٩م .

(٧١) المقرئ (ت ١٠٤١هـ) : نفع الطيب فى غصن الاندلس الرطيب ،
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد واحسان
عباس ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

(٧٢) المقرئى (ت ٨٤٥هـ) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر
الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية ،
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ،
القاهرة .

(٧٣) مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧هـ) : كتاب التبصرة فى
القراءات السبع ، تحقيق المقرئ محمد غوث
الندوى ، نشر وتوزيع الدار السلفية ،
بومباي ، الهند ، الطبعة الثانية ،
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٧٤) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر امرائها ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب الممورى ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٧٥) مؤلف مجهول : العيون والحدائق فى اخبار الحقائق ، ويليه تجارب الامم لمسكويه ، مكتبة المثلى، بغداد .

(٧٦) الناصرى (ت ١٣١٥هـ) : الاستقما لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ولديه جعفر ومحمد الناصرى، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م .

(٧٧) النباهى (ت قبل ٧٩٣هـ) : تاريخ قضاة الاندلس المسمى كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفحيا ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

(٧٨) الواقدى (ت ٢٠٧هـ) : فتوح الشام ، دار الجيل ، بيروت،
(٧٩) ابن الوردى (ت ٧٤٩هـ) : حكمة المختصر فى تاريخ البشر (تاريخ ابن الوردى) ، تحقيق احمد رفعت البدرراوى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان الطبعة الاولى ، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م .

(٨٠) وكيع (ت ٣٠٦هـ) : اخبار القضاء ، صححه عبد العزيز مصطفى المراغى ، المكتبة التجارية ، مصر مطبعة الاستقامة الطبعة الاولى ، ١٣٦٦هـ .

- (٨١) الياقوتى (ت ٧٦٨هـ-) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان ، تحقيق عبد الله الجبورى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ .
- (٨٢) ياقوت : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- (٨٣) يحيى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ-) : غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى ، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح عاشور دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
- (٨٤) اليمقوبى (ت ٢٨٤هـ-) : تاريخ اليمقوبى طبعة دار بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- (٨٥) = = : مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢م .
- (٨٦) أبو يوسف (ت ١٨٢هـ-) : كتاب الخراج ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، دار الاملاح للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .

(ب) المراجع العربية والمعرّبة والبحوث

- (١) ابراهيم احمد العدوى : الامويون والبيزنطيون ، الدار القومية للطباعة والنشر ، دار الجيل ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- (٢) ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، من الفتح الى سقوط الخلافة (٩٢ - ٤٢٢هـ) (٧١١-١٠٣١م) دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م .
- (٣) = = : ملامح التيارات السياسية في القرن الاول العجى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- (٤) ابراهيم على طرخان : المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- (٥) ايكار السقاف : اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٧م .
- (٦) احسان عباس : ديوان كثير عزة ، جمع وشرح ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
- (٧) احسان النص : العممية القبلية وأثرها في الشعر الاموى ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م .
- (٨) احمد أمين : فجر الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة العاشرة ، ١٩٦٥م .
- (٩) احمد تيمور : التمييز عند العرب ، أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات زكى محمد حسن ،

القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر ، ١٩٤٢م .

(١٠) أحمد السيد دراج : صناعة الكتابة وتطورها في العصور

الإسلامية ، سلسلة دعوة الحق ، العدد

الثامن ، السنة الأولى ، ١٤٠١هـ — ، ذو

القعدة .

(١١) = = :عبدالرحمن الخافقي ، بحث ، رسالة المسجد،

العدد الرابع ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(١٢) أحمد عبد الله خياط : الاقطاع في الدولة الإسلامية حتى

نهاية العصر العباسي الأول ، ماجستير في

التاريخ الإسلامي ، مقدمة لكلية الشريعة ،

قسم التاريخ الإسلامي ، جامعة الملك عبد

المعز ، فرع مكة المكرمة ، ١٤٠٠ -

١٤٠١هـ/١٩٨٠ - ١٩٨١م .

(١٣) أحمد كمال زكي : الحياة الأدبية في البصرة الى نهاية

القرن الثاني الهجري ، دار المعارف ،

القاهرة ، ١٩٧١م .

(١٤) أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ،

مكتبة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية .

(١٥) أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، المطبعة

الحديثة ، حلب ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م .

(١٦) أرمينيوس سامبري : تاريخ بخارى ، ترجمة أحمد محمود

الساداتي ، المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،

القاهرة ، ١٩٦٥م .

- (١٧) أسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، منشورات المكتبة البولسية ، لبنان ، بيروت ، طبعة ١٩٨٨م .
- (١٨) أومان : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب مصطفى طه بدر ، الناشر دار الفكر العربى ، ١٩٥٣م .
- (١٩) بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، نقله الى العربية عبد الحليم النجار (الثلاثة الاجزاء الاولى) والسيد يعقوب بكر ورمضان عبد الحواب (الثلاثة الاجزاء الاخيرة) ، دار المعارف ، القاهرة : الطبعة الخامسة .
- (٢٠) د.ر. بلاشير : تاريخ الادب العربى ، ترجمة ابراهيم الكيلانى ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- (٢١) ا.س. تروتون : اهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، ملحق الطبع والنشر دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد بمصر .
- (٢٢) توفيق سلطان اليوزبكى : تاريخ اهل الذمة فى العراق (١٢ - ٢٤٧هـ) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (٢٣) توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد هابدين واسماعيل النجراوى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م .

- (٢٤) ثابت اسماعيل الراوى : العراق فى العصر الاموى ، من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، منشورات مكتبة الاندلس ، بغداد ، الطبعة الثانية ، طبع بمطابع النجف الاشرف .
- (٢٥) ثريا حافظ : الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام فى العصر الاموى رسالة دكتوراه ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، بمكة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م
- (٢٦) = = : الخراسانيون ، ودورهم السياسى فى العصر العباسى الاول ، الناشر تهامة ، جدة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- (٢٧) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤م .
- (٢٨) حسن احمد محمود : الاسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م .
- (٢٩) حسن ظاظا : ابحاث فى الفكر اليهودى ، مطبوعات دار القلم ، دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٧هـ .
- (٣٠) حسن على الشاذلى : المدخل للفقه الاسلامى ، تاريخ التشريع الاسلامى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م .

- (٣١) حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية،
دار النهضة العربية ، القاهرة ،
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (٣٢) حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، دار المعارف ،
القاهرة .
- (٣٣) حسين محمد سليمان : رجال الادارة فى الدولة الاسلامية
العربية ، دار الاصلاح ، المملكة العربية
السعودية ، الدمام ، ١٤٠٤هـ .
- (٣٤) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، دراسة فى تاريخ الاندلس من
الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الاموية
(٧١١ - ٧٥٦م) ، الشركة العربية للطباعة
والنشر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٩م .
- (٣٥) حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى عند العرب ،
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مطبعة
السعادة بمصر .
- (٣٦) هورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب حتى قيام
الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه ، جامعة
القاهرة ، كلية الاداب ، قسم التاريخ ،
١٩٧٤م .
- (٣٧) خالد جاسم الجنايى : تنظيمات الجيش العربى الاسلامى فى
العصر الاموى ، دار الشئون الثقافية
العامة ، الدار الوطنية للتوزيع والاعلان ،
بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م .

- (٣٨) خالد الصوفي : تاريخ العرب في الأندلس ، الفتح وعمر
السولا (٩٢ - ١٣٨هـ) (٧١١ - ٧٥٦م) ،
منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ، دار
النجاح ، بيروت ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
- (٣٩) خليل إبراهيم السامرائي : الخفر الأعلى الأندلس ،
ودراسة في أحواله السياسية (٩٥ - ٣١٦هـ /
٧١٤ - ٩٢٨م) ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٦م
- (٤٠) خليل داود الزرو : الحياة العلمية في الشام في
القرنين الأول والثاني الهجري ، دار الافاق
بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١م .
- (٤١) خير الدين الزركلي : الاعلام ، دار العلم للملايين ،
بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٦م .
- (٤٢) داود سلوم : شعر نصيب بن رباح ، مطبعة الارشاد ،
بغداد ، ١٩٦٧م .
- (٤٣) رافعي عبد الله عبد الحليم : دراسات في تاريخ خراسان،
الأندلس للاعلام والنشر ، مطبعة جامعة
القاهرة والكتاب الجامعي ، ١٩٨٧م .
- (٤٤) رفعت فوزي عبد المطلب : توثيق السنة في القرن الثاني
الهجري ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ،
بمصر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م .
- (٤٥) = = صحيفه همام بن منبه عن أبي هريرة روى
الله عنه ، تحقيق وتخريج وشرح ، الناشر
مكتبة الخانجي بالقاهرة مطبعة المدني ،
المؤسسة السعودية بمصر ، الطبعة الأولى ،
١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

- (٤٦) زكى شنودة : اليهود نشاتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع التوراة كتابهم المقدس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٧٤ م .
- (٤٧) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ملتزم الطبع والنشر ، دار الفكر العربى ، القاهرة .
- (٤٨) سعد بن موسى موسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية خلال القرن الثانى الهجرى ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة ام القرى ، مكة ، ١٤٠٩هـ .
- (٤٩) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- (٥٠) السيد احمد خليل : نشأة التفسير فى الكتب المقدسة والقرآن ، الوكالة الشرقية للثقافة بالاسكندرية ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م
- (٥١) سيد امير على : مختصر تاريخ العرب ، نقله الى العربية عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م .
- (٥٢) السيد الباز المرينى : الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- (٥٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الاموية ، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

- (٥٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في
الأندلس ، من الفتح العربي حتى سقوط
الخلافة بقرطبة ، دار النهضة العربية
للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م .
- (٥٥) = = : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة
العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م
- (٥٦) = = : المغرب الكبير (العصر الاسلامي) ، الدار
القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م .
- (٥٧) سيدة اسماعيل كاشف : مصر في فجر الاسلام ، من الفتح
العربي الى قيام الدولة الطولونية ،
الناشر دار النهضة العربية ، القاهرة ،
الطبعة الثانية ، ١٩٧٠م .
- (٥٨) شاكر الفحام : الفرزدق ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة
الاولى ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- (٥٩) شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، دراسة في
تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام ،
دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،
الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣م .
- (٦٠) شكري فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ،
دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الاسلامية ،
دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،
الطبعة السادسة ، ١٩٨٢م .

(٦١) شكرى فيعمل : المجتمعات الاسلامية فى القرن الاول ،
نشاتها ، مقدماتها ، تطورها اللغوى
والادبى ، دار العلم للملايين ، بيروت ،
لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م .

(٦٢) شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا
وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات
دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

(٦٣) = = الحل الهندسية فى الاخبار والاثار
الاندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ،
بيروت ، ١٣٥٥هـ .

(٦٤) شوقى فيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، دار
المعارف بمصر ، القاهرة ، الطبعة السادسة ،
١٩٧١م .

(٦٥) صابر محمد دياب : ارمينية من الفتح الاسلامى الى مستهل
القرن الخامس الهجرى ، دار النهضة
الحديثة ، مصر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

(٦٦) = = بلاد المغرب فى القرن الاول الهجرى ، مكتبة
السلام العالمية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(٦٧) = = انتشار الاسلام وحركة الاندماج ببلاد المغرب
فى عصر الولاة ، بحث فى مجلة البحث العلمى
والبحرث الاسلامى ، ص ٢٧٩-٢٠٨ ، العدد
السادس ، عام ١٤٠٣هـ - ١٤٠٤هـ .

(٦٨) صالح باجيه : الاباقية بالجريد ، فى العمور الاسلامية
الاولى ، دار ابو سلامة للطباعة والنشر
والتوزيع ، تونس ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٢م .

(٦٩) صالح الحمارنة : المسيحية في أرض الشام في أوائل
الحكم الاسلامي ، بحث ، فمن مجموعة اعمال
المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام (من
القرن ٦-١٧م) ، المنعقد في الجامع
الاردنية ، نشر الدار المتحدة للنشر ،
بيروت ، ١٩٧٤م .

(٧٠) صبحي الصالح : علوم الحديث ومطلحه ، عرض ودراسة ،
دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة
السادسة ، ١٩٧١م .

(٧١) عادل سليمان جمال : شعر الاحوس الانصاري ، الهيئة
المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة
١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

(٧٢) عبد الرحمن عبد الكريم العاني : عمان في العصور
الاسلامية الاولى ، ودورها في المنطقة
الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة
والتجارة الاسلامية ، رسالة دكتوراه ،
جامعة بغداد ، ١٩٧٥م .

(٧٣) عبد الرحمن عبد الكريم النجم : البحرين في صدر الاسلام
واثرها في حركة الخوارج ، رسالة ماجستير
جامعة بغداد ، ١٩٧١م .

(٧٤) عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الاندلسي من الفتح
الاسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧هـ)
(٧١١ - ١٤٩٢م) دار القلم ، دمشق ، بيروت
دار القلم ، الكويت ، الرياض ، الطبعة
الاولى ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

(٧٥) الشيخ عبد العزيز بن باز : الجواب المفيد في حكم التصوير ، الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الطبع والخرجمة ، المطابع الاهلية للاوفست ، الرياض ، ١٤٠٦هـ .

(٧٦) = = : الفكاوى ، كتاب الدعوة ، سلسلة نصف سنوية تصدر عن مؤسسة الدعوة الاسلامية الصحفية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ .

(٧٧) عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، دار المشرق بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م

(٧٨) = = : العرب والارض في بلاد الشام في صدر الاسلام ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الاول لتاريخ بلاد الشام ، من القرن السادس الى القرن السابع عشر ، المنعقد في الجامعة الاردنية ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

(٧٩) عبد العزيز السلومي : ديوان الجند ، نشأته وتطوره في الدولة الاسلامية حتى عمر المامون ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ .

(٨٠) عبد العزيز عبد الدايم : الاحكام الملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر ، مع دراسة عن فن القتال البحري في عمر سلاطين

- الممالك ، تحقيق ودراسة رسالة دكتوراه ،
مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة .
- (٨١) عبد اللطيف عبد الرزاق العائى : ادارة بلاد الشام فى
العهدين الراشدى والاموى ، رسالة ماجستير ،
جامعة بغداد ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- (٨٢) عبد الله محمد السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية
فى نجد والحجاز فى العصر الاموى ، رسالة
دكتوراه ، مطبوعة ، جامعة الرياض ،
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (٨٣) عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- (٨٤) عبد الله مهدى الخطيب : الحكم الاموى فى خراسان ،
منشورات مؤسسة الاعلمى ، بيروت ، دار
التربية ، بغداد الطبعة الاولى ،
١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- (٨٥) عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات
المعاصرة ، الطبعة الاولى ، القاهرة ،
١٩٧٤م .
- (٨٦) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ،
دار الفكر العربى ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م .
- (٨٧) على حسن عبد القادر : نظرة عامة فى تاريخ الفقه
الاسلامى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ،
الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥م .

- (٨٨) على حسنى الخربوطلى : الدولة العربية الاسلامية ، دار
احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ /
١٩٦٠ م .
- (٨٩) على مصطفى الغرابى : تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علم
الكلام عند المسلمين ، مكتبة الانجلو
المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ م .
- (٩٠) عليا عبد الصميع الجنزورى : هجمات الروم البحرية على
شواطئ مصر الاسلامية فى العصور الوسطى ،
الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة
الاولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .
- (٩١) عماد الدين خليل : حول انهيار الدولة الاموية دراسة
مقارنة فى سياسة يزيد بن عبد الملك (١٠١
- ١٠٥هـ) ص ٢٨٩-٣١٤ ، بحث بمجلة البحث
العلمى والتراث الاسلامى ، جامعة ام القرى
مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى،
العدد الرابع ، ١٤٠١هـ .
- (٩٢) = = : ملامح الانقلاب الاسلامى ، فى خلافة عمر بن عبد
المعز ، الدار العلمية للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ،
١٩٧١ م .
- (٩٣) عمر رفا كحالة : اعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام
مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- (٩٤) عمر العقيلى : خلافة معاوية بن أبى سفيان ، جامعة
الملك سعود ، الرياض ، الطبعة الاولى ،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .

- (٩٥) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ،
١٩٧٧ م .
- (٩٦) عمر ابو النمر : الايام الاخيرة للدولة الاموية ،
المكتبة الاهلية ، بيروت ، الطبعة الاولى ،
١٩٦٢ م .
- (٩٧) عواد مجيد الاعظمي : الامير مسلمة بن عبد الملك ،
منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ،
١٩٨٠ م .
- (٩٨) عوض خليفات : نشأة الحركة الاباحية ، عمان ، ١٩٧٨ م .
- (٩٩) عون الشريف قاسم : شعر البصرة في العصر الاموي ،
دراسة في السياسة والاجتماع ، دار الثقافة
بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م .
- (١٠٠) فازيليك : العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الحادي
شميرة ، دار الفكر العربي .
- (١٠١) فاسيلي فلاديميروفيتش بارتولد : تركستان من الفتح
العربي الى الغزو المغولي ، نقله عن
الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ،
١٤٠١هـ / ١٩٨١ م .
- (١٠١) فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب في عصر الولاة
الامويين (٩٠ - ١٣٢هـ) ، رسالة ماجستير ،
جامعة ام القرى ، ١٤٠٤هـ .
- (١٠٢) فالح حسين : الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر
الاموي ، نشر بدعم من الجامعة الاردنية ،
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م .

(١٠٣) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ، دار
الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة .

(١٠٤) فرج محمد العونى : النظم الادارية والمالية فى
الدولة العربية الاسلامية ، منذ قيام حكومة
الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الاموية،
منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع
والاعلان ، بمطابع الثورة للطباعة والنشر ،
بنغازى .

(١٠٥) الفرد بل : الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى من
الفتح العربى حتى اليوم ، ترجمه عن
الفرنسية عبد الرحمن بدوى ، دار ليبيا
للنشر والتوزيع ، بنغازى ، ١٩٦٩ م .

(١٠٦) فؤاد سيزكين : محاضرات فى تاريخ العلوم العربية
والاسلامية ، منشورات معهد تاريخ العلوم
العربية والاسلامية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .

(١٠٧) فواز احمد طوقان : الحائر فى العمارة الاموية
الاسلامية ، بحث ضمن اعمال المؤتمر الدولى
(الاول) لتاريخ بلاد الشام من القرن السادس
الى القرن السابع عشر الميلادى ، المنعقد
فى الجامعة الاردنية ، ١٩٧٤ م ، السدار
المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

(١٠٨) فوزى رفعت عبد المطلب : توثيق السنة فى القرن
الثانى الهجرى اسمه واتجاهاته ، مكتبة
الخانجى ، مصر ، الطبعة الاولى ،
١٤٠٠هـ / ١٩٨١ م .

(١٠٩) فوزى محمد عبده ساعاتى : انتشار الاسلام فى بلاد السند
والبنجاب حتى نهاية العمر الاموى (١٥ -
١٣٢هـ) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ،
مكة المكرمة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(١١٠) فوزية محمد عبد الحميد نوح : البحرية الاسلامية فى
بلاد المغرب فى عهد الاغالبة (١٨٤ - ٢٩٦هـ) ،
رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ،
١٤٠٤-١٤٠٥هـ .

(١١١) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة
كمال اليازجى ، دار الثقافة ، بيروت ،
الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م .

(١١٢) = = : تاريخ العرب ، الطبعة الثالثة ، دار
الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٩٦١م .

(١١٣) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير
فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١١٤) ماجدة فيمل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى
رد المظالم ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة
الطبعة الاولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(١١٥) محمد ابراهيم جمعة : جرير ، دار المعارف بمصر ،
الطبعة الثالثة .

(١١٦) محمد امين بدوى : دراسات فى التربية والفكر فى
الاسلام خلال عمور الاسلام القوية ، الطبعة
الاولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١١٧) محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية في تاريخ مصر
الاسلامية ، عمر الولاة ، الناشر مكتبة نهضة
الشرق ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ،
١٩٨٠ م .

(١١٨) = . = : العرب والاسلام ، من البعثة النبوية حتى
نهاية الخلافة الاموية ، مكتبة نهضة الشرق،
القاهرة ، ١٩٨٠ م .

(١١٩) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة
العربية الاسلامية ، خلال القرنين الاول
والثاني بعد الهجرة ، دار الفكر العربى ،
الطبعة الخامسة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م .

(١٢٠) محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ، دار الكتب
الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،
١٣٩٦هـ / ١٩٧٦ م .

(١٢١) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية في
الدولة الاسلامية ، الناشر وكالة المطبوعات،
الكويت ، ١٩٧٣ م .

(١٢٢) الشيخ محمد الخضرى : تاريخ التشريع الاسلامى ، المكتبة
التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة التاسعة،
١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م .

(١٢٣) محمد خليفة التونسى : الخطر اليهودى (بروتوكولات
حكماء صهيون) ، الطبعة الرابعة .

(١٢٤) محمد ابو زهرة : محاضرات في النمرانية ، طبع ونشر
الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية

والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ،
الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤هـ .

(١٢٥) محمد السيد الوكيل : الحركة العلمية في عمر الرسول
وخلفائه ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ،
السعودية ، جدة ، الطبعة الاولى ،
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(١٢٦) محمد شفيق غربال ومجموعة من الاساتذة المتخصصين :
الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة
لبنان للطبع والنشر ، بيروت ،
١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(١٢٧) محمد صالحية : مؤدبو الخلفاء في العصر الاموي ، بحث،
المجلة العربية للعلوم الانسانية ، تصدر
عن جامعة الكويت ، العدد الثالث ، المجلد
الاول ، صيف ١٩٨١م .

(١٢٨) محمد بن مامل العلواني السلمي : منهج كتابة التاريخ
الاسلامي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،
الرياض ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(١٢٩) محمد فتياء الدين الرئيس : عبد الملك بن مروان
والدولة الاموية ، مطابع سجل العرب ،
الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م .

(١٣٠) محمد الطيب النجار : الدولة الاموية في الشرق بين
عوامل البناء ومعاول الغناء ، دار العلوم
للطباعة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ،
١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

- (١٣١) محمد الطيب النجار : الموالى فى العصر الاموى ، دار
الذيل للطباعة ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م .
- (١٣٢) محمد عبد الحى شعبان : الثورة العباسية ، ترجمة عبد
المجيد حسيب القيسى ، دار الدراسات
الخليجية ، أبوظبى ، ١٩٧٧م .
- (١٣٣) = = مصدر الاسلام والدولة الاموية ، الاهلية للنشر
والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- (١٣٤) محمد عبد القادر احمد : دراسات فى ادب ونصوص العصر
الاموى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،
الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- (١٣٥) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ،
من الفتح الى بداية عهد الناصر ، الطبعة
الرابعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،
١٣٨٩هـ .
- (١٣٦) محمد عبد المنعم خفاجى : تاريخ الادب فى العصر الاموى
مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ،
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- (١٣٧) = = الحياة الادبية عمر بنى امية ، دار الكتاب
البناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م ،
- (١٣٨) محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ، مكتبة وهبة
القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- (١٣٩) محمد على نمر الله : تطور نظام ملكية الاراضى فى
منطقة السواد حتى نهاية العصر الاموى ،
ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٧٢م .

- (١٤٠) محمد كرد على : الادارة الاسلامية فى عز العرب ،
القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٢م .
- (١٤١) محمد محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والاندلس ،
دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ /
١٩٨٤م .
- (١٤٢) محمد مختار باشا : كتاب التوقيعات الالهامية فى
مقارنة التواريخ العجربة بالسنيين
الافرنجية والقبطية المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ، الطبعة الاولى ،
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- (١٤٣) محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامى ، دار المعرفة ،
القاهرة .
- (١٤٤) محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج فى بلاد المغرب
حتى منتصف القرن الرابع العجربى ، نشر
وتوزيع دار الثقافة ، الدار البيضاء ،
الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م .
- (١٤٥) محمود سميد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية
البيزنطية ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- (١٤٦) ممدوح حقى : الفرزدق ، دار المعارف بمصر ، الطبعة
الرابعة .
- (١٤٧) مؤلف مجهول : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب حسين
مؤنس ومحمود يوسف زايد ، الدار القومية
للطباعة والنشر .

- (١٤٨) ناجي حسن : القبائل العربية في المشرق ، خلال العصر
الاموي ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ،
الطبعة الاولى ، ١٩٨٠م .
- (١٤٩) نادية حسنى مقرر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل
الذمة ، مكتبة الفيصلية ، مكة ، ١٩٨٤م .
- (١٥٠) = = : الطوائف في العصر الجاهلي ومدر الاسلام ،
دار الشروق ، جدة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- (١٥١) ناصر بن سعد الرشيد : شعر يزيد بن الطثرية ، طبع
دار مكة للطباعة والنشر .
- (١٥٢) نافع توفيق العبود : آل المهلب بن ابي صبرة ،
ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن
الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه ، جامعة
بغداد ، ١٩٧٦م .
- (١٥٣) نايف محمود معروف : الخوارج في العصر الاموي ،
نشاتهم ، تاريخهم ، عقائدهم ، ادبهم ، دار
الطلعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة
الاولى ، ١٩٧٧م / ١٣٩٧هـ .
- (١٥٤) نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية ، دار الفكر ،
الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (١٥٥) نجدة خماش : الشام في صدر الاسلام (من الفتح حتى
سقوط خلافة بنى امية) ، رسالة دكتوراه ،
جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم التاريخ .
- (١٥٦) نظير حسان سعداوى : الدولة العربية الاسلامية ، دار
النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

(١٥٧) الهادي حمودة الغزى : الشعر الاموى فى خراسان والبلاد
الايرانية ، الدار التونسية للنشر ، مؤسسة
الوحدة للنشر والتوزيع ، الكويت ،
١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

(١٥٨) هاشم اسماعيل الجاسم : دراسات تاريخية عسكرية عن
الغزوات البيزنطية والعربية منذ الفتح
العربى للشام حتى نهاية العصر العباسى
الاول ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ،
١٩٧٧م .

(١٥٩) هرنشو : علم التاريخ ، ترجمة وتعليق وإضافة عبد
الحميد العبادى ، سلسلة المعارف العامة ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
الطبعة الثانية ، ١٩٤٤م .

(١٦٠) ج.م. هسى : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق رافت عبد
الحميد ، الناشر مكتبة سعيد رافت ، مؤسسة
الوفاء للطباعة ، القاهرة .

(١٦١) هشام سليم أبو رميلة : نظم الحكم فى الاندلس فى عصر
الخلافة ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية
الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م .

(١٦٢) هوروفتش : المفازى الاولى ومؤلفوها ، ترجمة حسين
نصار ، شركة ومكتبة ومطبعة معطى البابى
الحلبى وأولاده ، بمصر ، الطبعة الاولى ،
١٣٦٩هـ/١٩٤٩م .

(١٦٣) وسام عبد العزيز فرج : دراسات فى تاريخ وحضارة
الامبراطورية البيزنطية ، الامبراطورية
البيزنطية من ٣٢٤ - ١٠٢٥ م ، مطبعة ممنع
اسكندرية الكراس ، ١٩٨٢ م .

(١٦٤) وفيق الدقدوقى : الجندية فى عهد الدولة الاموية
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الاولى ،
١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

(١٦٥) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، عمر
الايمان ، الجزء الرابع عشر ، الادارة
الثقافية ، جامعة الدول العربية ، مطابع
الدجوى ، القاهرة .

(١٦٦) وليد الاعظمى : السيف اليماني فى نحر الاصمغاني
صاحب الاغانى ، دار الوفاء للطباعة والنشر
والتوزيع ، المنصورة ، الطبعة الاولى ،
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

(١٦٧) يوسف احمد حوالة : الحياة العلمية فى افريقية
"المغرب الادنى" منذ عام الفتح وحتى منتصف
القرن الخامس الهجرى (٩٠ - ٤٥٠هـ) ،
رسالة دكتوراه ، جامعة ام القرى ، مكة ،
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(١٦٨) يوسف خليف : تاريخ الشعر العربى فى العصر الاسلامى ،
دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ،
١٩٧٦م .

(١٦٩) يوسف خليل : حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن

الثاني الهجري ، دار الكتاب العربي

للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

(١٧٠) يوسف العش : الدولة الاموية والاحداث التي سبقتها

ومعدت لها ابتداء من فتنة عثمان ، دمشق .

(171) A.A.Vasilievs Iconoclastic Edict of the Caliph

Oazid II,A.D.721 in Dumbarton Oaks papers, g, 10,

Harvard University Press, Camnridge, Massachusetts,

1956 .

الفهرست

الفهرست

الدولة الاموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

(١٠١ - ١٠٥هـ)

المفحة

٣٢-١ المقدمة
	التمهيد : عرض موجز لاحوال الدولة الاموية
٧٣-٣٣ مطلع القرن الثانى الحجرى
١١٦-٧٤ الفصل الاول : سيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك
	الفصل الثانى : الحركات الداخلية فى الدولة
	الاموية فى عهد الخليفة يزيد
٢٦٤-١١٧ ابن عبد الملك
	الفصل الثالث : مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك
	بتكسيـر الامنام والتماسثيل
	والملبان وازالة المور وهدم
٣١١-٢٦٥ الكنائس المستحدثة
	الفصل الرابع : الفتوحات الاسلامية فى عهد
٤٢٠-٣١٢ الخليفة يزيد بن عبد الملك
	الفصل الخامس : السياسة الادارية والمالية
٦١٢-٤٢١ للخليفة يزيد بن عبد الملك
	الفصل السادس : ابرز جوانب الحياة العلمية
	فى الدولة الاموية فى عهد
٧٥٨-٦١٣ الخليفة يزيد بن عبد الملك
٧٧١-٧٥٩ الخاتمة
٨٠٧-٧٧٢ قائمة المصادر والمراجع